

ألف الكتاب من طرف الأساتذة الجامعيين و الباحثين الجزائريين

د. عبد الحفيظ جدو - 1. د. عبد النور بوصابة

د. عبد الحفيظ البار - د. عياشي بلقاسم

1. د. هيشور محمد لمين - د. مفتاح بن هدية

د. محمد بن صفية - د. مراد شاعة

د. دزاير هريو - د. حمان ثانية

د. حسان مداسي - د. حفيظة لعياضي

د. دحمان حسينة - د. قعموسي هواري

د. الأزهار يدمانة - د. معنصر مسعودة

د. حسينة ميلودي - د. حسينة ميلودي

د. محمد وزاني - د. نعيمة بن ضيف الله

د. بنخدة طاهر - د. رحمانى حسينة

د. بوساق هجيرة - د. بلوهم عبد الحليم

محنة من البحوث الجزائرية في العلوم

الانسانية و الاجتماعية و القضائية :

رؤى و معالجات لقضايا المجتمع

النشر

أفريل 2024



دار الجامعيين
للنشر و الطبع و التوزيع



9789969538113

ISBN رقمك

978-9969-538-11-3

عينة من البحوث الجزائرية في
العلوم الانسانية و الاجتماعية و
القضائية :

رؤى و معالجات لقضايا المجتمع

النشر

أفريل 2024

- الفصل الأول: النظريات المفسرة لظاهرة التنمر وأثارها في بعض المجتمعات.
المؤلف : عبد الحفيظ جدو
15-01
- الفصل الثاني: الصحة النفسية المدرسية. - المؤلف : عبد الحفيظ جدو-
31-16
- الفصل الثالث: تجليات التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الكاريكاتير
الصحفي. -دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الصور الكاريكاتيرية المنشورة في بعض
الجرائد الجزائرية والعربية. المؤلف: عبدالنور بوصابة
55-32
- الفصل الرابع: من فلسفة الحادثة إلى عصر الأنوار (تكوين العقل الحداثي والانفتاح على قيم التنوير.
المؤلف : الدكتور عبد الحفيظ البار
69-56
- الفصل الخامس: تأثير الدين في استقرار السلط والمجتمع (الحكم العثماني في الجزائر أنموذجا)
المؤلف : عياشي بلقاسم
83-70
- الفصل السادس: العمل الجماعي في المؤسسة مصدر الاستدامة أم مصدر الجمود؟
المؤلفان : هيشور محمد لمين & مفتاح بن هدية.
97-87
- الفصل السابع: ديناميات الصراع التنظيمي في المدارس الابتدائية
المؤلف : محمد بن صفية
113-98
- الفصل الثامن: الإرهاسات والإشارات الأولى لنظرية التواصل اللغوي عند العرب القدامى.
المؤلف: مراد شاعة
127-114
- الفصل التاسع: مستوى الاغتراب الوظيفي لدى الأساتذة -دراسة ميدانية -
المؤلف : دزاير هريو
149-128
- الفصل العاشر: تأثير التلف البيولوجي على المباني الأثرية
المؤلف : حمان غانية
168-150
- الفصل الحادي عشر: البحوث العلمية في مجال المكتبات والمعلومات: رؤية استشرافية.
المؤلف: د. حسان مداسي
177-169
- الفصل الثاني عشر: تطور مفهوم المدينة في بلاد المغرب القديم (المدينة الرومانية نموذجا)
المؤلفة : حفيظة لعياضي
199-178
- الفصل الثالث عشر: أهمية الدراسات الأمنية النقدية في فهم الانتقال من الامن الدولاتي
الاهتمام بامن الفرد. المؤلفة: دحومان حسينة.
215-200
- الفصل الرابع عشر: المحكمة الدستورية في ظل القانون العضوي رقم 19-22
المؤلف : د. قعموسي هوارى
231-216

-
- الفصل الخامس عشر: الحكم على الحديث النبوي بواسطة الذكاء الاصطناعي بين الوسيلة التقنية والعلل الحديثية
المؤلف: الأزهاري دمانة
244-232
- الفصل السادس عشر: ظاهرة النولثة في الجزائر
المؤلفة: سميرة حميل
282-245
- الفصل السابع عشر: دراسة استكشافية للاساءة الوالدية عند عينة من المراهقين في ضوء بعض المتغيرات.
المؤلفة: معنصر مسعودة
308-283
- الفصل الثامن عشر: انعدام التواصل والحوار الأسري وعلاقته بانحراف الأبناء.
المؤلفة: حسينة ميلودي
323-309
- الفصل التاسع عشر: دور المناهج التربوية في الحفاظ على الهوية الوطنية وتنمية روح المواطنة عند التلاميذ.
المؤلفة: حسينة ميلودي.
335-324
- الفصل العشرون: : أثر برامج التكفل النفسي البيداغوجي في تنمية لغة التواصل عند الطفل التوحدي- (برنامج TEACH نموذجا)
المؤلف : محمد وزاني
353-336
- الفصل الواحد والعشرون: أنظمة التعليم الإلكتروني ومصادر الرقمية: استراتيجية جديدة لتطوير المناهج التعليمية بالجزائر
المؤلف: نعيمة بن ضيف الله
378-354
- الفصل الثاني والعشرون: علمي الكلام والمنطق بالمغرب الأوسط تلمسان أنموذجا.
المؤلف: بخدة طاهر
399-379
- الفصل الثالث والعشرون: حاضنات الأعمال وريادة المؤسسات الناشئة في الجزائر Business incubators and startup leadership in Algeria
المؤلفة: رحمانى حسيبة
415-400
- الفصل الرابع و العشرون: The Objectivity in Humanities Researches: Perspectives and Approaches
المؤلف : بلوهم عبد الحليم
427-416
- الفصل الخامس والعشرون: المداخل النظرية للتنمية.
المؤلف: بوساق هجيرة.
444-428

المستخلص:

تعد ظاهرة التنمر من أقدم الظواهر الإنسانية وجودا وتطورا ولقد أخذت أشكالا متنوعة وصورا متعددة نتيجة لتعدد الثقافات والمجتمعات، إلا إن هذه الظاهرة لم تخضع للدراسة العلمية المنظمة إلا منذ سبعينات القرن الماضي ولكن أصبح التنمر مشكلة خطيرة شائعة تهدد تماسك النفسي والاجتماعي للفرد والمجتمع برمته دون اعتبار لأي عامل من العوامل السلالة أو الدين أو اللغة أو غيره. حيث حظيت ظاهرة التنمر في الآونة الأخيرة باهتمام العديد من الدول والهيئات والمنظمات الدولية والأوساط الإعلامية والأكاديمية خاصة بتسليط الضوء على السلوك التنمر نتيجة لاستفحال وتفاقم انتشاره ودخوله إلى دائرة الحياة اليومية في الأسرة، المدرسة، الجامعة، مكان العمل، نادي الترفيه... وغيرها. وكذا ما يترتب عليه من آثار وانعكاسات نفسية واجتماعية واقتصادية سلبية في أكثر الأحيان، بل تبقى انعكاساته ممتدة إلى مراحل متقدمة من حياة الإنسان. لهذا حاول الكثير من الباحثين والمختصين تفسير ظاهرة التنمر، ولقد اختلفت تفسيراتهم بسبب مشاربهم وتوجهاتهم الثقافية والمعرفية والنظرية. ونسعى من خلال هذه الورقة البحثية تقديم وعرض بعض المقاربات النفسية والاجتماعية المفسرة لظاهرة التنمر مع تحديد دلالتها وتحديد بعض أشكاله وصوره وأسبابه والآثار المترتبة عليه.

الكلمات المفتاحية: التنمر، آثار التنمر، النظريات المفسرة.

Résumé:

Les théories explicatives le phénomène du harcèlement. (bullying).

L'intimidation (harcèlement) est l'un des phénomènes humains le plus anciens dans l'existence et le développement elle a pris des formes divers et multiples en raison de la multiplicité des cultures et des sociétés cependant ce phénomène en a fait l'objet d'une étude scientifique systématique que dans les années soixante-dix du siècle dernier. Mais l'intimidation est devenue un problème grave courant qui menace la cohésion psychologique et social de l'individu et la société dans son ensemble. Le phénomène du harcèlement moral a récemment retenu l'attention de nombre pays, instances, organisations, médias et milieu académique notamment en mettant en évidence le comportement de harcèlement moral du fait de l'organisation et de l'exacerbation et de sa propagation et de son entrée dans la vie quotidienne de la famille, école-université, lieu de travail ...etc. Ainsi que les effets et les répercussions psychologiques sociales négatives dans la plupart des cas mais ses répercussions tendent aux stades avancés de la vie humaine.

Pour cette raison, de nombreux chercheurs et spécialistes ont tenté d'expliquer le phénomène du harcèlement et leurs interprétations ont diffèrent en raison de leurs orientations culturelles, cognitives et théoriques. Nous cherchons à travers ce chapitre de présenter quelques théories explicatives tout en définissant sa signification et identifiant, certaines de ses formes et ses effets.

Mots clés: bullying (harcèlement), société, théories explicatives.

- مقدمة - توطئة - :

بالرغم ظاهرة التنمر هي من أقدم الظواهر الإنسانية، موجودة في جميع المجتمعات منذ زمن بعيد لدى أفراد الجنس البشري حيث يمارسونه بأشكال مختلفة وبدرجات متفاوتة، وتظهر عندما تتوافر الظروف المناسبة، وعلى الرغم إن السلوك ألتنمري موجودا في المجتمعات البشرية منذ القدم إلا إن البحث في هذا الموضوع حديثا نسبيا ويعد السلوك تنمرا عندما يشمل هجوما نفسيا ولفظيا وبدنيا غير مستثار على الضحية. (الدسوقي، 5، 2016).

ويعد التنمر مشكلة سلوكية زاد الاهتمام بها مع مرور الوقت خلال العقدين الماضيين، كما إن التنمر يكسب من البيئة نتيجة التفاعل المعقد بين الفرد وبين عدد من العوامل والمتغيرات، ، وان فكرة التأثيرات البيئية المتعددة التي تؤثر على الأفراد ليست فكرة جديدة، لقد كتب كثير عن العلاقة التفاعلية المتبادلة بين الفرد، الأسرة، الأقران، والتي توضح هذا التفاعل المتبادل بين الأفراد المشاركين في موقف التنمر سواء متمرون أو ضحايا. (صالح، 13، 2020).

وباختصار، فان سلوك التنمر لا يحدث بمعزل عن البيئة، فهو نتيجة بين الفرد، الأسرة، مجموعة الأقران المدرسة، المجتمع، الثقافة، فالعوامل الفردية تحدد سمة المشاركة في مواقف التنمر، والعوامل الأسرية قد تؤثر في تشكيل التنمر من خلال اكتساب نموذج التنمر من الإخوة والآباء او مقدمي الرعاية، والبيئة الاجتماعية تشمل أيضا الأقران والمدرسة وقد يؤثر المناخ المدرسي إذا كان مؤيدا لسلوكيات التنمر في الفرد، بالإضافة إلى تأثير جماعة الإقران على الفرد إذا كانت تدعم سلوك التنمر، وأخيرا قد تسهم الثقافة في تشكيل سلوك التنمر لدى الفرد وذلك خلال المعايير والمعتقدات التي تقدمها له والتي تدعم أو تمنع سلوك التنمر. (صالح، 14، 2020).

1- إشكالية :

- تعريف التنمر:

بمراجعة الدسوقي (2016) ترجمة مصطلح -bullying- اتضح أن ترجمته إلى مترادفات متعددة تختلف من حيث الشكل و تتفق من حيث المعنى والمضمون إلى حد ما ومن بين هذه الترجمات ما يلي:

- التنمر أو الاستئساد - المشاغبة - الترهيب - البلطجة.

أ- لغويا: يتضح أن تنمر، يتنمر، تنمرا (ن م ر) اي الشخص تشبه بالنمر في طبعه، تنمر لمن سلبه حقه، أراد أن يخيف رفاقه فتنمر وحاول أن يقلد النمر في شراسته، اما استئساد الولد كونه كالأسد.

ب- اصطلاحاً: يتضح من ترجمة مصطلح bullying إلى التنمر أو الاستئساد ظهر في ترجمة قدمتها رابية حكيم وهي طبية نفسية بإحدى المراكز الطبية النفسية بمدينة جدة بالملكة العربية السعودية وأشارت إلى أن التنمر يقصد به إلحاق بعض الأطفال أذى معنوي أو جسدي بأطفال آخرين. (الدسوقي، 7، 2016).

1-1- مفهوم التنمر:

- هو الهجوم من شخص متأسد على شخص اضعف منه لديه تلذذ بمشاهدته معاناة الضحية وقد يسبب للضحية بعض الآلام (سليمان، البيلاوي، 2010، 101).
- وكما يعرفه ملحم (2004) هو سلوك عدواني نحو شخص بهدف مشاهدة معاناة الضحية من الآلام الجسدية التي يتركها المعتدي عليه.
- هو الإيقاع الأذى على فرد أو أكثر بدنياً أو نفسياً أو عاطفياً أو لفظياً، ويتضمن كذلك التهديد بالأذى البدني أو الجسدي بالسلاح والابتزاز أو مخالفة الحقوق المدنية، أو الاعتداء والضرب، أو العمل ضمن عصابات ومحاولات القتل والتهديد كما يضاف إلى ذلك التحرش الجنسي. ويرى كل من جوفانن وجراهام وشيستر أن الاستقواء هو ذلك السلوك الذي يحصل من عدم التوازن بين فردين الأول يسمى المستقوي والآخر يسمى الضحية وهو يتضمن الإيذاء الجسدي والإيذاء اللفظي، والإذلال بشكل عام، من ذلك دعوة الطفل باسم لا يحبه أو لقب، أو العمل على نشر إشاعات عنه، أو إطلاق النار عليه، أو رفضه من قبل الآخرين. (الصباحين، القضاة، 2013، 8).
- وكما عرفه مليونر (1997): بأنه عنف طويل المدى يقوم به فرد أو مجموعة من الأفراد ضد فرد غير قادر على الدفاع عن نفسه وقد يكون جسدياً أو نفسياً. (الصوفي، المالكي، 2012، 156).

وهكذا، يتضح من خلال العرض السابق:

- إن سلوك التنمر سلوكاً إرادياً واعاً ومتعمداً.
- إن سلوك التنمر شكل من أشكال السلوك العدواني السلبي الشائع بين الأطفال والمراهقين يفتقد التوازن في القوى بين المتنمر والمتنمر عليه أو الضحية.
- إن التنمر قد يكون لفظياً أو جسمياً أو نفسياً أو اجتماعياً.
- إن المتنمر عليه أو الضحية لا يقوم باستفزاز المتنمر أو حثه على العدوان عليه.
- إن المتنمر عليه أو الضحية لا يستطيع الدفاع عن نفسه أو يبادل المتنمر القوة بالقوة.
- إن المتنمر يشعر بالمتعة والسيطرة على الآخرين.
- إن سلوك المتنمر يتصف بالديمومة والاستمرارية. (الدسوقي، 2016، 14).

2- أشكال التنمر:

يأتي سلوك التنمر في عدة أنواع وأشكال مختلفة، منها التنمر الجسدي ويتمثل في الضرب والركل والدفع، والارتطام على الأرض، وتخريب مقتنيات الضحية، وهذا النوع يعد أسهل أنواع التنمر لان من السهل ملاحظته، وهناك التنمر اللفظي وقد يكون مباشرا، او غير مباشر. وعندما يأخذ التنمر شكلا مباشرا فان الضحية يواجه الضحية وجها لوجه، ويتضمن التنمر المباشر المواقف التي من خلالها تضايق الضحية لفظيا او تهدده من قبل: السخرية، والاستهزاء، والتحقير، والتقليل من شأنه، والإغاظه، والتعليقات البذيئة. وفي حال التنمر غير المباشر، وهذا النوع لا تسهل ملاحظته، تتضمن: نشر الشائعات الخبيثة، أو كتابة تعليقات سخيفة عن الضحية على جدار الفصل، او جعله منبوذا من زملاء الفصل عن النظرات والإيماءات الوقحة من المتنمر للضحية، ويعاني الضحية كثيرا من التنمر غير المباشر، لأنه لا يكشف أبدا هوية الشخص أو الجماعة المسؤولة عن التنمر (أبو الديار، 57، 2012).

ويمكن تقسيم سلوك التنمر إلى ما يأتي:

■ **التنمر البدني أو المادي:** يشمل إي اتصال بدني يقصد به إيذاء الفرد جسديا، ويأخذ أشكال مختلفة منها: اللطم، والضرب الشديد، والعض والخدش، والبصق، وتخريب الممتلكات الشخصية، وفي معظم الحالات لا يسبب التنمر الجسدي أذى كبيرا للضحية، الآن ذلك يؤدي إلى التعاطف مع الضحية. ويعد هذا النوع اقل شيوعا بين الإناث. (أبو الديار، 2021، 57)

■ **التنمر اللفظي:** يعد التنمر اللفظي أكثر إشكال التنمر شيوعا لدى الذكور والبنات في مختلف المراحل التعليمية، ويمكن تعريف التنمر اللفظي بأنه "إي هجوم أو تهديد من الشخص يقصد به الأذى، عن طريق السخرية، والتقليل من شأن الآخرين وانتقاد الآخرين نقدا قاسيا، والتشهير بالأشخاص والابتزاز، والاتهامات الباطلة، والإشاعات وإطلاق بعض الألقاب المبنية على أساس: الجنس أو العرق أو الدين، أو الطبقة الاجتماعية أو الإعاقة. يمارس المتنمر هذا النوع من التنمر بهدف التأثير على تقدير الذات لدى الضحية، حيث يمارس أمام مجموعة من الأقران. (أبو الديار، 58، 2021).

■ **التنمر في العلاقات الاجتماعية - السيطرة الاجتماعية:** يشار إلى السيطرة الاجتماعية كعدوان غير مباشر، وعدوان ناجم عن صلة القرابة وعادة ما تستخدم السيطرة الاجتماعية من خلال منظومة العلاقات الاجتماعية للإحاق الضرر بالهدف على سبيل المثال (استبعاد شخص ما من المجموعة). ان رغبة السيطرة الاجتماعية وحب الاستحواذ على تصرفات الآخرين وتوجيههم قد يكون تعبيرا غير طبيعي من الطفل، ويزداد الأمر سوءا إذا تطورت معه هذه السيطرة خلال مراحل عمره المختلفة. لذلك هناك من يريان توجيه السلوك في مراحل مبكرة من عمر الطفل يجعله يستشعر الامان لاكتشاف العالم المحيط به ويتفاعل تفاعلا طبيعيا مع المجتمع. (أبو الديار، 2021، 58).

- **التنمر الجنسي:** ويشمل التلميح برسائل غير مرغوب فيها مثل: النكات والصور، والتهكمات، والبدء بالشائعات ذات الطبيعة الجنسية، وربما يشمل التنمر الجنسي سلوكيات الاحتكاك بدنيا مثل جذب انتباه مجموعات خاصة أو إجبار شخص على الانخراط في سلوكيات جنسية وقد يمثل التنمر الجنسي تعبيرا عن الصراع بين الجنسين في سبيل البحث عن الهوية الجنسية المرغوب فيها. (أبو الديار، 59، 2021).
- **التنمر الانفعالي:** هو ما يطلق عليه الباحثون التنمر العاطفي أو النفسي أو المعنوي يهدف المتنمر فيه إلى: التقليل من شأن الضحية وتخفيض درجة إحساسها بذاتها ويشتمل على التجاهل، العزلة، وإبعاد الضحية عن الأقران، والتحديد تحديقا عدوانيا والعبوس والازدراء والضحك بصوت منخفض واستخدام لغة الجسد العدوانية ويعد هذا النوع من التنمر أكثر أنواع التنمر إضرارا وتأثيرا، ويحدث أذى انفعاليا خطيرا لا يلاحظه المعلنون والكبار ويعد التنمر الانفعالي شكلا من أشكال السيطرة الاجتماعية التي تمارس من أجل إيذاء الآخرين والتأثير على تقبلهم بين أقرانهم وتخفيض من إحساس الضحية بذاتها وتقديرها لها. (أبو الديار، 59، 2021).
- **التنمر العنصري:** هذا النوع يكون بدافع الكراهية والتحيز تجاه شخص أو تجاه مجموعة وتتضمن الاستهزاء والسخرية من عرق أو سلالة معينة أو من دين معين أو قومية معينة وقد يكون هناك تحيز لجنس معين عن الآخر، وقد يكون هذا التنمر موجها نحو ذوي الاحتياجات الخاصة، فالضحايا لا يشعرون فقط بأنهم عرضة للهجوم بل أيضا يرون أن عرقهم وجنسهم يكون مستهدفا. ويختلف التنمر العنصري من مجتمع إلى آخر، ولقد اوضحت الدراسات إن أطفال الأقليات غالبا يكونون عرضة للتنمر. (أبو الديار، 60، 2021).
- **التنمر عبر الانترنت (الشبكي):** ويعرف التنمر الالكتروني بأنه سلوك عدواني ينفذه فرد أو مجموعة أفراد باستخدام أشكال الاتصال الالكترونية. هو أكثر شيوعا في مرحلة الطفولة والمراهقة ويكون له آثار سلبية على الصحة مثل مشكلات القلق اللاحقة، وإيذاء الذات والسلوك المعادي للمجتمع والانتحار أو الأفكار الانتحارية، وإساءة استخدام المواد المؤثرة نفسيا (تعاطي المخدرات). (صالح، 16، 2020).

3-المشاركين في التنمر:

اما المشاركون في التنمر يمكن تقسيمهم إلى:

- 3-1- أولا- المتنمرون:** المتنمر هو الذي يضايق أو يخيف أو يهدد أو يؤذي الآخرين الذي لا يتمتعون بنفس درجة القوة التي يتمتع بها، وهو يخيف غيره من الأطفال، ويجبرهم على فعل ما يريد بنبرته الصوتية العالية واستخدامه التهديد، وينقسم المتنمرين إلى نوعين:

أ-النوع الأول المتنمر(المحرض): وهو غير مسيطر على نفسه ولديه مشاعر داخلية تدفعه للاستقواء وغير تتعاطف مع الضحايا.

ب- النوع الثاني (التفاعلي): ويتميز بأنه عاطفي ومندفع، ويرى تهديدات من الآخرين غير حقيقية وغير مقصودة منهم يترجمها كاستفزات ويشعر بان التنمر مبرر، ولدى المتنمرين مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تدفعهم للتنمر (يجب أم اظهر مسيطرا بشكل أفضل).

3-2- ثانيا- الضحايا: وهو أولئك الأطفال الذين يكافئون المتنمرين ماديا وعاطفيا عن طريق الدفاع عن أنفسهم او إعطاء جزء من مصروفهم أو كله للمتنمرين ويخضعون للمتنمرين وطلباتهم بسهولة ومهارتهم الاجتماعية قليلة وضعيفة، كما انه من المحتمل أن يكون خجولا، اصغر، اضعف، أكثر قلقا، يفتقر إلى الشعور بالأمن، مندفع اقل شعبية أكثر عزلة.

3-3- المتنفرجون: هم الذين يشاهدون ولا يشتركون ولديهم شعور بالذنب بسبب فشلهم في التدخل ولديهم خوف شديد ويطورون مشاعر بأنهم اقل قوة، ويبدون مشوشين في اغلب الأحيان-لا يعرفون الصح من الخطأ ولديهم ضعف في الثقة في النفس بالنفس واحترام ذات منخفض، ويشعرون بأنهم لكي يكونوا أكثر أمنا لا يعملون شيئا. (صالح، 2020-17-18).

4- العوامل التي تسهم في حدوث ظاهرة التنمر (الأسباب).

تتعدد العوامل التي تسهم في حدوث سلوك التنمر، وفيما يلي عرض لهذه العوامل:

4-1- العوامل النفسية: وهي التي تشير إلى الخصائص النفسية لدى المتنمر وتدفعه إلى سلوك التنمر، فالمتنمر يسعى إلى تأكيد ذاته من خلال عدوانه على الآخرين، يميل على السيطرة واستخدام القوة، ويظهر اتجاهات ايجابية نحو العنف ويقل تعاطفه مع الضحايا. (القرعان، 96، 2004).

وهناك خصائص نفسية تتسم بها الضحية تدفع المتنمر للاعتداء عليه بشكل مستمر، فالضحية يميل إلى الانسحاب والاستسلام والخضوع وتجنب الصراع والبكاء وهذه الخصائص يمكن أن تدعم سلوك التنمر وتزيد من استمرار سلوك التنمر.

ويرى اومور وكيركهام (2001) إن مفهوم الذات وتقدير الذات عاملان أساسيان في سلوك التنمر ففقدان القدر لتقدير لذاته يصنفه إما متنمرا أو ضحية، وأشار معاوية أو غزال(2009) إلى التلاميذ ضحايا التنمر يتصفون بالأمرجة الخجولة أو الضعيفة، ويظهرون مستويات مرتفعة من القلق، وهم في الأصل خجولين جدا، هادئون بطبعهم، حساسون لأنفهم الأمور، ويظهرون مركز تحكم خارجي، ويشعرون كما لو أن هناك قوى خارجية تسيطر عليهم وتتحكم فيهم، وهذا التحكم الخارجي مع شعور بقلّة الحيلة يؤدي ما يسميه -سيلجمان- العجز

المتعلم، فالضحايا عندما يهاجمون الآخرون فإنهم يستجيبون بالبكاء (خاصة الأعمار الصغيرة) أو الانسحاب، كما أن انخفاض الذات لدى هؤلاء الضحايا يجعلهم كذلك، علاوة على ما يعانونه من مشاعر بالنقص والأعراض الاكتئابية. (قطامي، الصرايرة، 83، 2009).

4-2- العوامل الشخصية: هناك دوافع مختلفة لسلوك التنمر، فقد يكون تصرفا طائشا أو سلوكا يصدر عن الفرد عند شعوره بالملل، كما انه قد يكون السبب في عدم إدراك ممارسي سلوك التنمر وجود خطأ في ممارسة هذا السلوك ضد بعض الأفراد. أو لأنهم يعتقدون إن الطفل الذي يستقوي عليه يستحق ذلك، كما قد يكون سلوك التنمر لدى الأطفال آخرين مؤشرا على قلقهم، أو عدم سعادتهم في بيوتهم، أو وقوعهم ضحايا التنمر في السابق، كما أن الخصائص الانفعالية للضحية مثل الخجل، وبعض المهارات الاجتماعية وقلة الأصدقاء قد تجعله عرضة للتنمر (الصبيح، القضاة، 2013، 43).

4-3- العوامل الأسرية: يتعزز سلوك التنمر لدى الطفل من خلال الأسرة عندما لا يقابل بسلوك مضاد قائم على التهديد والعقاب غير البدني، كما أن الأطفال الذي يلاحظون إباءهم وإخوانهم يظهرين سلوك التنمر أو كانوا ضحايا للتنمر فأنهم سيسلكون على نحو مشابه لهم فضلا عن ذلك فإن استخدام الأساليب السلبية أو العقاب البدني من الأبناء سوف يؤدي بهم إلى سلوك التنمر الذي يجعلهم يشعرون بالقوة والسيطرة والهيمنة والأهمية (محمد، 2000، 37).

وللأسرة أهمية قصوى لا تضاهيها أهمية في تشكيل شخصية الأبناء ويكفي أن نستشهد بحديث المصطفى عليه السلام: "ما من مولود ألا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه." وبوجه عام فإن أساليب المعاملة الوالدية والبيئة الأسرية لها بالغ الأثر في حدوث سلوك التنمر، فالتلاميذ المتنمرين والضحايا يعانون من القسوة والعقاب الإهمال، كما أن المتنمرين يفتقدون الدفء الوالدي، والضحايا يعيشون في ظل حماية زائفة أو مفروطة.

ويؤكد عدد من الباحثين على إن النماذج العدوانية في المنزل وضعف الرقابة الوالدية يسهمان بشكل كبير في كون التلميذ متنمرا لأقرانه في المدرسة، فالمنازل التي يتفشى فيها العقاب البدني والتسلط الوالدي والإساءة بوجه عام تنتج أطفالا عدوانيين بطبعهم متنمرين لزملائهم، يرون أن العنف هو الأسلوب الأمثل للبقاء.

ولقد توصل هشام الخولي (2004) إلى إن أسلوب الرفض الوالدي هو أكثر الأساليب إسهاما في التنبؤ بسلوك التنمر لدى الأبناء المرحلة الثانوية كما أن أسلوب القسوة والرفض هما أكثر الأساليب الوالدية التي يمكن من خلالها التنبؤ بسلوك التنمر لدى الأبناء في مرحلة الدراسة المتوسطة. (الدسوقي، 24، 2016).

4-4- العوامل الاجتماعية: وتتمثل بكل الظروف المحيطة بالفرد من الأسرة والمحيط السكني، والمجتمع المحلي، وجماعة الأقران، ووسائل الإعلام، فضلا عن بيئة المدرسة، ففي نطاق الأسرة تتراوح معاملة الإباء للأبناء ما بين

العنف الذي قد يصل إلى حد الإرهاب، والتدليل الذي قد يبلغ حد ترك الحبل على العازب، فالعنف يولد العنف كذلك غياب الأب عن الأسرة، والعنف الأسري، ووجود ام مكتئبة أو مشاكل الطلاق بين الزوجين وأثرها على الأبناء، والعنف الأسري الذي قد يسود في بعض الأسر، كل هذه العوامل قد تكون بيئة خصبة لتوليد العنف والتنمر عند الأبناء، وإذا كانت الأغلبية خارج المدرسة عنيفة، فإن المدرسة ستكون عنيفة، فالطالب في بيئته خارج المدرسة يتأثر بثلاث مركبات أساسية هي الأسرة والمجتمع والاعلام.(أبو غزال، 2009، 66).

وقد تكون الظروف الاجتماعية مثل تدني دخل الأسرة، وأمىة الإباء والأمهات، وظروف الحرمان والقهر النفسي، والإحباط من أهم العوامل التي تدفع الطالب إلى ممارسة سلوك الاستقواء داخل المدرسة، إذ يكون الطالب غير متوافق مع محيطه الخارجي.

وكما يرى الكر وسي (2005) أن تسخير وسائل الإعلام للمصلحة الخاصة ، وتنفيذ البرامج التلفزيونية بأشكال تجارية بغض النظر عن نتائجها ،والطرق التي تنفذ فيها قد يؤدي إلى انتشار سلوك العنف والتنمر، كما أن وسائل الإعلام لها تأثير في جنوح الأحداث، ومنها أن البرامج والمسلسلات والأفلام التي يعرضها التلفاز، وأفلام السينما سواء المخصص للأطفال، أو للمراهق لها تأثير مباشر في السلوك الاجتماعي للحدث والمراهق، إذ يستثير خياله، وتدفعه في بعض الأحيان إلى تقمص الشخصيات التي يشاهدها خصوصا ما اتصل منها بالمغامرات والحركة والعنف.(الصباحين، القضاة، 45، 2016).

4-5- العوامل المدرسية: تشمل العوامل المدرسية ثقافة المدرسة والمحيط المادي، والرفاق، ودور المعلم وعلاقته بالتلاميذ، وغياب اللجان المختصة، فالعنف الذي يمارسه المعلم على التلاميذ مهما كان نوعه لن يقف عند حدود إذعان التلميذ له سمعا وطاعة، فلا بد أن يدرك أن الإذعان الظاهري مؤقت يحمل بين طياته كراهية، وينشر ليكون رايًا مضادا بين تلاميذ الصف وبين باقي تلاميذ المدرسة. ومن المحتمل أن يصل إلى درجة التنمر، وقد يكون الممارسات الاستفزازية الخاطئة من بعض المعلمين وضعف التحصيل الدراسي للتلاميذ، والتأثير السلبي لجماعة الرفاق، والخصائص النفسية غير السوية وضعف العلاقة بين المدرسة أو ولياء الأمور والظروف والعوامل الأسرية والمعيشة للتلاميذ، وضعف شخصية المعلم وعدم إلمامه بالمادة الدراسية كل هذه عوامل قد تساعد على ظهور سلوك التنمر. (زياد، 2014، 123)

4-6- عوامل تتعلق بالطفل المتنمر: توجد مجموعة من الأساليب تجعل الطفل متنمرا منها:

- تدني مفهوم الذات والقصور في مهارات التواصل.-الشعور بالإحباط
- الإساءة والإهمال للطفل في المنزل مما يجعله ينفس عن غضبه في صورة تنمر لمن هم اقل منه قوة.
- عدم تعلم الطفل السلوك المناسب او الملائم لافتقاده القدوة في المنزل.
- اعتقاد الطفل بأنه لا بد أن يكون قاسي وصارم حتى يحقق له مكانة متميزة بين زملائه.

- عدم الثقة في الآخرين، والرغبة في الانتقام وتحقيق العظمة لذاته.
- عدم القدرة على التحكم في الغضب وتحميل الآخرين نتيجة أخطاؤه.
- مشاهدة الآخرين وهم يتنمرون مع عدم وجود العقاب أو الردع المناسب.
- مشاهدة البرامج التلفزيونية التي تعرض النماذج السيئة على إنها نماذج مسلية.
- انعدام الضوابط السلوكية وعدم مراقبة سلوك الأطفال والإشراف عليهم.
- مشاهدة الطفل لأحداث الجريمة والقسوة والعنف في التلفزيون يؤثر على سلوكه ويجعله يتقبل سلوك الشغب والتنمر كجزء من حياته الطبيعية. (الدسوقي، 26، 2016).

5- التنمر بين التوجهات النظرية لمدراس علم النفس والاجتماع - النظريات المفسرة :-

لقد اهتم علماء النفس بالسلوك العدواني والتنمر وحاولوا تفسيره رغم اختلاف مدارسهم واتجاهاتهم، وعلى الرغم من هذا الاهتمام إلا أن تفسيرات علماء النفس حول هذا السلوك متباينة، ويرجع هذا التباين إلى الأطر النظرية التي نعتد عليها كل نظرية أو مدرسة من مدارس علم النفس والاجتماع.

5-1- نظرية التحليل النفسي : لقد قسم فرويد الحياة النفسية إلى غريزتين أساسيتين عما غرائز الحياة (طاقة

الحب)، وغرائز الموت (العنف، العدوانية والتنمر)، وتهدف الأولى إلى البناء والثانية إلى الهدم، كما يرى فرويد صاحب هذه المدرسة، إن سلوك العدوان والتنمر ما هو إلا تعبير عن غريزة الموت، حيث يسعى الفرد إلى التدمير سواء اتجه نفسه أو اتجاه الآخرين، حيث إن الطفل يولد بدافع عدواني، وتتعامل هذه النظرية كذلك مع سلوك العدوان بأنه استجابة غريزية، كما تفسر هذه النظرية السلوك العدواني أو التدمري فنجدهم يقولون إن العنف يرتبط بالنمو الجنسي للطفل في مراحله (الفمية، والأستية لقضيبيية). ويأخذ هذا الميل للعدوان والتنمر في الوضع في المرحلة الأخيرة لظهوره في عقدة ادويب، والتي يجمع المحللون النفسيون على أنها من العوامل التي تعمل على نمو وتطور الميول العدوانية أو التنمرية لدى الطفل. والأطفال الذين يجدون في المرحلة البنائية من عمرهم من النواهي والأوامر ما يوضح ما هو مرفوض، وما هو مرغوب فيه، وما يحول بينهم وبين تعديل دوافعهم الفطرية، غير مقبولة اجتماعيا ينشئون نظرتهم إلى المعايير الخلقية تكون مضطربة غير كاملة بمعنى آخر ينشئون ولديهم ضعف في الأنا الأعلى، ويعانون ضعفا في نمو الشعور بالآثم والخطيئة وتبدو جميع تصرفاتهم الشاذة على أنها سوية بالنسبة إليهم، وبالتالي يجدون في الأفعال العدوانية بأشكالها ومنها التنمر نوعا من البطولة، وهذه الميول قد تموت أحيانا رد فعل على الحرمان. رغم بعضها يصدر عن "ألهو تلقائيا" إلا أن الروابط الوجدانية تقاوم ظهور العدوان داخل الفرد وتوجه الميول العدوانية إلى خارجها فكما يغرس البدائي أبرته في تمثال من الشمع يمثل عدوه، كذلك يغرس المحتضر إبرة رمزية في ضحية بديلة (صالح، 39، 2020-40).

5-2- النظرية الفسيولوجية: يعد ممثلو الاتجاه الفسيولوجي إن سلوك التنمر يظهر بدرجة أكبر عند الأفراد الذين لديهم تلف في الجهاز العصبي (التلف الدماغى). ويرى فريق أخرى بان هذا السلوك ناتج عن هرمون التستوستيرون حيث وجدت الدراسات بأنه كلما زادت نسبة هذا الهرمون في الدم، زادت نسبة حدوث السلوك العدواني. (الصباحين ،القضاة، 2013، 50).

5-3- النظرية البيولوجية: يمكن تفسير سلوك التنمر حسب هذه النظرية بأنه ناتج عن بعض الأسباب الجسدية والداخلية ولا سيما منطقة الفص الجبهي في المخ كونها المسؤولة عن ظهور السلوك العدواني عند الطفل، حيث أن استئصال بعض التوصيلات العصبية في هذه المنطقة عن المخ أدى إلى خفض التوتر والغضب والميل للعنف، وأكد علماء آخرون على أن بعض العوامل الجسدية مثل التعب أو الجوع أو وجود آلام جسمية لدى الأطفال تؤدي أيضا إلى السلوك العدواني أو ألتنمرى. كما ارجع بعض الباحثين السلوك العدواني والفطري إلى انه محصلة للخصائص البيولوجية للفرد، إي أن العدوان أو التنمر والعنف عند الإنسان يتضمن نظاما غريزيا، وانه يعتدي لإشباع حاجاته الفطرية للتملك. (صالح، 2020، 40).

5-4 النظرية السلوكية: السلوك من وجهة نظر أصحاب هذه النظرية لا يعتمد على المشاعر والخبرات الداخلية بل على السلوك الخارجي الظاهر الذي يقوم على أساس المثيرات والاستجابات وما يقوم به الكائن الحي من نشاط ظاهر يمكن ملاحظته، والعدوان شانه شان إي سلوك يمكن اكتشافه ويمكن تعديله وفقا لقوانين التعلم؟ لذلك ركزت بحوث ودراسات السلوكيين في دراستهم للعدوان على حقيقة يؤمنون بها وهي أن السلوك برمته متعلم من البيئة ومن ثم فان الخبرات المختلفة التي اكتسب منها شخص ما السلوك العدواني ثم تدعيمها بما يعزز لدى الشخص ظهور الاستجابة العدوانية كلما تعرض لموقف محبط. (راضون، 2007، 299)

أما سلوك التنمر قابل للتكرار إذا ارتبط بالتعزيز، فإذا ضرب الطفل طفلا آخر وحصل ما يريد فانه يكرر هذا السلوك مرة أخرى كي يحقق هدفه، ومن ثم فان الاستجابات التي لا يعقبها تدعيم تنطفئ وتتلأشي ولا يميل الفرد إلى تكرارها، إي أن السلوك يقوى ويضعف بناء على أثره ونتيجته فيما يتعلق بالفرد ويعرف هذا بقانون الأثر عند ثورندليك ومفاده أن السلوك الذي يلقي تعزيزا ويؤدي إلى الشعور بالراحة والرضا يميل الفرد إلى تكراره ،وعلى هذا الأساس فان سلوك التنمر يحدث نتيجة لعملية التعزيز التي يتلقاها المتنمر من إقرانه، وقد يحصل المتنمر أيضا على التعزيز من خلال الأذى الذي يلحقه بالضحية بمعنى انه عندما يعتدي المتنمر على الضحية ويميل الضحية للبكاء وخاصة في المدرسة الابتدائية فان ذلك يعزز سلوك التنمر تعزيزا ايجابيا فيكرر المتنمر هذا السلوك مرة أخرى ولكن إذا رد الضحية وانتقم من المتنمر - وهذا نادرا ما يحدث- فان ذلك يعزز سلوك التنمر تعزيزا سلبيا. لذلك نجد أن المتنمر عزز سلوكه الأفراد المحيطون به كالزملاء والأصدقاء مما جعله

يشعر بأنه متميز، كما أن حصول المتنمر على ما يريد تعزيزاً له ما يدفعه إلى إنشاء مواقف تنمرية للاعتداء على الأفراد المحيطين به. (الدسوقي، 32، 2016).

5-5- النظرية الإحباط - العدوان: الإحباط هو العملية التي تتضمن إدراك الفرد لعائق يحول دون إشباع حاجاته أو تحقيق أهدافه وتوقع وجود هذا العائق مستقبلاً. أبو سعد، 253، 2015).

وأشهر علماء هذه النظرية نيل ميللر - وروبرت سيرز - وجون دولارد سبنسي وينصب اهتمام أصحاب هذه النظرية على الجوانب الاجتماعية للسلوك الإنساني، واعتمدت نشأة هذه النظرية على فرض مفاده وجود ارتباط بين الإحباط كمثير والعدوان كاستجابة الفطرية للإحباط تزداد شدتها وتقوي حدتها كلما زاد الإحباط وتكرر حدوثه فإذا منع الإنسان من تحقيق هدف ضروري له شعر بالإحباط واعتدى بطريقة غير مباشرة على مصدر إحباطه إذا وجد في نفسه الشجاعة على مهاجمته ومعاقبته أو بطريقة غير مباشرة (عدوان غير صريح) إذا خاف من الانتقام.

ويري أصحاب هذه النظرية إن الإحباط ينتج دافعا عدوانيا يستثير سلوك إيذاء الآخرين، وإن هذا الدافع العدواني ينخفض تدريجياً بعد إلحاق الأذى بالشخص الآخر حيث تسمى هذه العملية التنفيس أو التفريغ لأن الإحباط يسبب الغضب والشعور بالظلم مما يجعل الفرد مهياً للقيام بالعدوان، كما إن معظم مشاجرات أطفال ما قبل المدرسة تنشأ بسبب صراع على الممتلكات والألعاب، فالشعور بالضيق وعدم إشباع الرغبات البيولوجية يثير لدى الطفل الشعور بالإحباط الذي يؤدي بدوره إلى سلوك العدوان. (الدسوقي، 34، 2016).

5-6- النظرية الإنسانية: تهدف هذه النظرية إلى الوصول بالفرد إلى تحقيق ذاته، وتفسر نشوء عوامل الخطورة المنبئة بالتنمر من خلال عدم إشباع الطفل أو المراهق للحاجات البيولوجية من مأكل ومشرب وحاجات أساسية، قد ينجم عن ذلك عدم شعور بالأمن وهو ما يؤدي إلى ضعف الانتماء إلى جماعة الأقران والرفاق، ما قد يؤدي إلى تدن في تقدير الذات والذي قد يؤدي إلى التعبير عن ذلك بأساليب عدوانية مثل سلوك التنمر. (صالح، 44، 2020).

5-7- النظرية الاجتماعية المعرفية- (التعلم الاجتماعي): ترى هذه النظرية بأن الأطفال يتعلمون سلوك التنمر عن طريق ملاحظة نماذج العدوان عند والديهم ومدرسيهم ورفاقهم، حتى النماذج التلفزيونية. ومن ثم يقومون بتقليدها، وتزيد احتمالية ممارستهم للعدوان إذا توفرت لهم الفرص لذلك، فإذا عوقب الطفل على السلوك المقلد فإنه لا يميل إلى تقليده في المرات اللاحقة، أما إذا كوفئ عليه فسوف يزداد عدد مرات تقليده لهذا السلوك العدواني، هذه النظرية تعطي أهمية كبيرة لخبرات الطفل السابقة ولعوامل الدافعية المرتكزة على النتائج العدوانية المكتسبة، والدراسات تؤيد هذه النظرية بشكل كبير مبينة أهمية التقليد والمحاكاة في اكتساب السلوك العدواني، حتى وإن لم يسبق هذا السلوك أي نوع من الإحباط. (الصباحين، القضاة، 51، 2013).

5-8- النظرية المعرفية: يختلف المتنمرون عن الضحايا في الجوانب والعمليات المعرفية، فالمتنمرون يدركون أنفسهم بأن لديهم القدرة على التحكم في البيئة التي يعيشون فيها، فهم يدركون سلوكهم من خلال التمرکز حول الذات، وغالبا ما يبرون سلوك التنمر الذي يقومون به ضد الضحية من وجهة نظرهم حيث يزعمون أن الضحايا يستحقون هذا التنمر والعقاب . كما أن هؤلاء المتنمرين كما يشير-دودج وكول(1987) إلى وجود بعض التحريفات المعرفية في أنماط تفكيرهم مما يجعلهم يميلون إلى الاعتقاد اعتقادا خطأ بأن لدى الآخرين مقاصد ونوايا عدوانية تجاههم، وهناك جانب آخر من أنماط التفكير الخطأ لدى المتنمرين يتمثل ذلك في إن أسلوب تفكيرهم يتسم بعدم النضج المعرفي، فهم دائما يميلون إلى التفكير أحادي الاتجاه نحو الآخرين ولديهم اتجاهات إيجابية نحو العنف.

وقد يرد سلوك التنمر إلى فشل التنمر في الفهم، وتدني القدرة على النجاح في عمليات المعالجة الذهنية بالإضافة إلى ظهور مظاهر معرفية أخرى مثل: فشل في المعالجة الذهنية - فشل في الانتباه والتركيز - فشل في النجاح والانجاز - فشل في الاهتمام في المهمة - فشل في استخدام قدرات التعلم - فشل في الاسترجاع والمتابعة وإجراء التغذية الراجعة - فشل في عمليات التنظيم الذهني - عدم امتلاك مهارات المذاكرة الأساسية. (أبو الديار، 2013،، 81).

5-9- النظرية العقلانية الانفعالية: تركز على الأفكار الخاطئة وغير العقلانية التي يؤمن بها الطلبة ومعتقداتهم وقناعاتهم التي تدفعهم للتنمر وبيان بطلانها وتحديدها، وانه يمكن أن تكون هناك أفكار منطقية مكانها، ويوضح المرشد حسب هذه النظرية للطلبة إن سلوك التنمر لديهم وإيذاء الآخرين ناتج عن أفكارهم الخاطئة التي يؤمنون بها، ومساعدتهم على إن يغيروا هذه الأفكار، وتعليمهم أن القوة والسيطرة على الآخرين لا تجعل الفرد قويا ولكنها تجعله مكروها من قبل زملائه ومن قبل الناس، ويتم ضمن العملية الإرشادية مناقشة تغيير حديث الذات السلبي(وهي أفكار الفرد وآراؤه التي تحدث به نفسه ويرددها وحده حول التنمر مثل ما يجب أم أكون الأقوى والمسيطر على الآخرين، أن لم تضرب الآخرين ضربوك، اضرب الضعيف كي يخاف القوي، واستبدال ذلك بحديث ايجابي: مثلا بأنه سوف يكون مهما، ويحترمه الناس لعدم تعرضه لإيذاء الآخرين، وقيامه بمساعدتهم وسيكون موضع تقدير واحترام، كما يمكن أن يمارس الطلبة التفكير بشكل عال بجملة من الأفكار التي ترد إلى ذهنه في حال وجود ضحية ورغبة في التنمر به، ويمكن الطلب من الأعضاء البوح بهذا الحديث والانتباه له أكثر لكي يكون أكثر وعيا له حيث انه المسؤول عن التنمر، وقد يوجه رسائل منه إليه إي من الطالب نفسه وبصوت عال مثلا هذا طالب صغير الحجم، وإنني اقوي منه، وان المنطق والعقل لا يعطي الفرصة للطلاب القوي لكي يسيطر على الطالب الأضعف أو الأقل قوة لان كلا منا له قوة محدودة وان هناك من هو اقوي منه ولذا فإنها عملية غير منتهية).

ويوضح المرشد للطلبة أسباب لاعتقالية هذه الأفكار ومنها:

- السعادة وهي استجابة وشعور نتيجة لما يفكر به الشخص وما يقوم به من تصرفات إي أن التفكير المنطقي الايجابي يدفع إلى السعادة والإحساس تصرفات إي أن التفكير المنطقي الايجابي يدفع إلى السعادة والإحساس بالأمن بعكس التفكير غير المنطقي الذي يؤدي إلى الاضطراب أو المرض.
- الشعور بالتعاسة في الحياة ونبد الآخرين إياه من جراء تفكيره السلبي وحديث الذات لديه هو الذي يؤدي به إلى التصرفات السيئة مع الآخرين.

وأكد كوري (1996) إن الأفراد من خلال النظرية العقلانية الانفعالية يتعلمون المهارات التي تزودهم بالأدوات التي تساعد على تحديد أفكارهم اللاعقلانية ويتعلمون كيفية استبدالها بأخرى فعالة وعقلانية كنتيجة لذلك فهم يغيرون ردود أفعالهم الانفعالية للمواقف وتسمح هذه النظرية بتطبيق مبادئها وفنياتها. (صالح، 2020-42).

6- الآثار النفسية والاجتماعية:

إن آثار التنمر خطيرة جدا، بل من الممكن أن تؤدي إلى الوفاة، وترى Qmoore من مركز مكافحة التنمر كلية (تريتي) في دبلن، أن هناك هيكلا ناميا من الأبحاث التي توضح أن الأفراد الأسوياء أكانوا أطفالا أم بالغين يتعرضون للسلوك التنمري ويكونون معرضين لخطر تطوير الأمراض المتعلقة بالضغط النفسي، والتي من الممكن أن تؤدي إلى الانتحار، كما أن التعرض للتنمر قد يترك جروحا نفسية وعاطفية تستمر مدى الحياة، وقد يفكر في التخلص من حياته، وان التفكير بالانتحار، تعبير عن رفض الفرد، وتعبير عن الفرد للواقع وتجربته للمجتمع واليأس من المستقبل، وقد يكون نتيجة قهر اجتماعي، ونفي حاد تعرض له الفرد دون أن يجد من يساعده ويخفف من معاناته، مما يدفعه الى الانتقام من ذاته ومن المحيط، في أحيان أخرى لا يقتصر التعرض للتنمر على التفكير الانتحاري فحسب ، بل انه يؤدي إلى حالات الانتحار الفعلي كل عام ويقدر ما بين 15 و25 طفلا ينتحرون في بريطانيا وحدها سنويا لا تهم يتعرضون لمضايقات من قبل المتنمرين.

ففي البيئة المدرسية فان ضحايا التنمر يشعرون بالقلق والحزن والخوف المستمر من الطلبة المتنمرين ،و يفكرون بما سيلاقونه منهم في المرات القادمة، وقد يعاني هؤلاء الضحايا من ألام جسدية عندما يتعرضون للاعتداء الجسدي كالضرب والركل مثلا ،وقد ينسحب هؤلاء الطلبة من المشاركة في الأنشطة المدرسية، ويتعدون خائفين عن الأماكن التي قد يتعرضون فيها لممارسة الاعتداء عليهم كالساحات الخلفية أو الحمامات، مما يؤدي الى حرمانهم من اكتساب كثير من الخبرات والمعلومات، وان حضروا الدروس فإنهم يفشلون في تركيز انتباههم في الأعمال المدرسية، مما يترك آثار سيئة في شخصية الضحية على المدى البعيد، كما يتطور لديه سلوكيات المخاطرة للقيام بالسلوكيات العنيفة.

كما أن التعرض المستمر للتنمر من شأنه أن يؤدي إلى ظهور أعراض القلق والإحباط، مما يؤثر سلبا على علاقات ضحايا التنمر الاجتماعية، لذلك فإن ضحايا التنمر انعزاليون، ولا يتعاونون، أصدقاؤهم قليلون، وذلك بسبب أن الأفراد يتجنبوهم مما يؤدي إلى الألم العاطفي والنبذ الاجتماعي وتدني القدرة والمكانة الاجتماعية. وقد يعود تدني التحصيل الأكاديمي للطلبة ضحايا التنمر المدرسي للتأثير السلبي للتنمر والعدوان الواقع عليهم، فقد يجد الضحية نفسه موضع سخرية الآخرين ورفضهم له، لأنه يفشل في الدفاع عن نفسه ويستسلم للمتنمر، واهاناته واعتداءاته اذ انه في هذه الحالة يمعن التفكير في كيفية حماية نفسه من المتنمرين أكثر من تفكيره في الوظائف المدرسية وعادة ما يبتعد الطلبة عن ذي الخصائص الأكاديمية المتدنية.

مما سبق يتبين أن ضحايا التنمر ينخفض تحصيلهم الأكاديمي، نتيجة لانشغالهم عن أداء واجباتهم ووظائفهم التعليمية، وتدني مشاركتهم الايجابية في الصف وكرهية المدرسة، والتعلم، وشعورهم بالكسل، و الفشل، و المشاعر السلبية تجاه الذات نتيجة انخفاض التحصيل الأكاديمي والرفض والسخرية وعدم الشعور بالأمن ومشاعر الخوف والقلق والتهديد نتيجة إيذائهم من المتنمرين والانشغال الطويل برد إيذائهم. (صالح، 2020، -21).

- خاتمة:

لقد أصبح التنمر مشكلة سلوكية زاد الاهتمام بها من طرف الباحثين والمختصين بها خاصة في العقدين الأخيرين وكان الاهتمام ناتجا للانتشار له في كل مناحي الحياة مما زاد من خطورتها على الأفراد والمجتمعات، حيث أنها تمارس وتأخذ إشكالا متعددة ومتنوعة وبدرجات متفاوتة أيضا، وتنوعت صور التنمر مع اختلاف الأزمنة التاريخية، إلا أن خطر ظاهرة التنمر تفاقمت بدرجة خطيرة خاصة في الآونة الأخيرة وأصبحت تواجه كثيرا من المجتمعات، ومما يزيد في خطورتها ان غالبية من يتورطون فيها هم الأطفال والشباب اللذان يعتبران بمثابة الثروة الحقيقية لأي مجتمع وعماد تطوره وتقدمه .ونظرا لتزايد الجرائم العنيفة المتنوعة وسط هذه الشريحة . كان لازما على العلماء في كثير من الحقول العلمية الاهتمام بها اهتماما بالغا ، سيما أن البحث العلمي في هذه الظاهرة كان حديثا نسبيا إلا أن بعض المدارس (نفسية واجتماعية وطبية...) أخذت على عاتقها تفسير هذه الظاهرة لمعرفة أسبابها و آلية حدوثها وبالرغم من اختلاف توجهات ومشارب هذه المدارس من الناحية النظرية والثقافية وغيرها إلا أنهم أدلوا وتوصلوا إلى مجموعة من المقاربات العلمية من اجل تحديد دلالتها وأسبابها وأثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية... الخ والوقاية منها والتخفيف من حدتها ووضع بعض الاستراتيجيات للوقاية منها والتحكم فيها.

- المراجع:

- 1- أبو سعد، احمد (2015) *الصحة النفسية-منظور جديد-* (ط1) دار الميسرة للنشر والتوزيع.
- 2- أبو الديار مسعد (2013) *سيكولوجية التنمر بين النظرية والتطبيق* (ط2) مكتبة الكويت الوطنية.
- 3- أبو غزال معاوية (2009). *الاستقواء وعلاقته بالشعور بالوحدة والدعم الاجتماعي*، مجلة الأردنية في العلوم الاجتماعية 5(2)، 89-113.
- 4- الدسوقي مجدي (2016) *مقياس التعامل مع السلوك التنمر* (ط1) دار جونا للنشر والتوزيع.
- 5- الصبحيين علي القضاة محمد (2013) *سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين* (ط) نايف العربية للعلوم الأمنية.
- 6- البيلاوي إيهاب سليمان عبد الرحمن (2010) *العدوانية لدى الأبناء* (ط1) دار الزهراء.
- 7- الصوفي أسامة المالكي فاطمة (2012) *التنمر عند الأطفال وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية* مجلة البحوث التربوية النفسية (35) 146-183.
- 8- القرعان احمد خليل (2004) *الطفولة المبكرة خصائصها، مشاكلها، حلولها*. دار الإسراء للنشر والتوزيع.
- 9- ملحم محمد (2004) *علم نفس النمو دورة حياة الإنسان*، دار الفكر للنشر والتوزيع.
- 10- محمد عادل عبد الله (2000) *الاضطرابات السلوكية للأطفال والمراهقين* (ط1) دار الرشاد.
- 11- قطامي، نايفة، الصرايرة، منى (2009). *الطفل المتنمر*، دار الميسرة للنشر والتوزيع.
- 12- صالح اكرام (2020) *سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين* (ط1) دار روابط للنشر وتقنية للمعلومات.
- 13- راضوان سامر (2007) *الصحة النفسية* (ط2) دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- 14- زياد احمد رشيد (2014) *علم النفس العيادي* (ط1) الوارق للنشر والتوزيع.

المستخلص:

يقضي ويعيش الإنسان في بداية عمره تقريبا محصورا بين مؤسستي هي الأسرة والمدرسة بحيث تعتبر الأسرة هي تركيبه الاجتماعية- اقتصادية تقوم على عناصر بيولوجية ثقافية نفسية وتعد المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يقطع فيها الطفل شوطا هائلا ولأبأس به من تنشئة اجتماعية تزوده بمجموعة من المعايير والقيم والاتجاهات، وعند انتقاله إلى المدرسة التي تعد المؤسسة الاجتماعية الثانية التي تقوم بعملية التربية ونقل الثقافة والمعايير الأخلاقية والقيمية، وتوفير الظروف المناسبة للنمو جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا. حيث يكتسب الطفل- التلميذ- المعارف والمهارات والاتجاهات النفسية التي تسهم في تشكيل الجوانب الأساسية لشخصيته وبقدر ما تكون هذه الجوانب متوازنة ومتوافقة وتخدم عملية التوافق النفسي بقدر ما يكون الطفل اقدر على تحقيق الصحة النفسية في حياته الحاضرة والمستقبلية لهذا تعمل المدرسة الحديثة جاهدة على تحقيق أهداف التربية وأهداف الصحة النفسية لهذا توجد علاقة وثيقة ووطيدة بين المدرسة والصحة النفسية بحيث تلخص أهداف المدرسة في تعزيز الخدمات النفسية والصحة النفسية المتمثلة في التأثير الايجابي في تكوين شخصية الطفل-التلميذ- تكويننا شاملا من النواحي العقلية والانفعالية والاجتماعية والوصول بالطفل الى مستوى من التكامل في شخصيته يساعده على تحقيق التوافق السليم والسوي.

Résumé:

La santé mentale à l'école

Toute personne passe et vit presque au début de sa vie confinée entre deux institutions la famille et l'école. De sorte que la famille est considérée comme une structure socioéconomique fondée sur des éléments culturels et psychologiques, et la première institution sociale dans laquelle l'enfant lui fournit les normes ; les valeurs et les tendances. Mais dès qu' il entre à l'école qui est considérée comme la deuxième intuitions sociale qui réalise le processus d'éducation et de transfert de la culture appropriée pour la croissance dans toute les domaines. L'enfant est capable d'atteindre la santé mentale dans sa vie présente et future est pourquoi il existe une relation étroite entre la santé mentale et l'école ou les objectifs de l'école se résument à la promotion ses services psychologiques pour atteindre le niveau d'intégration dans sa personnalité avec une comptabilité appropriée et normale.

- مقدمة:

دخل الإنسان القرن الواحد والعشرين يحمل معه من القرن الماضي عبئا ثقيلا من المشكلات الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والثقافية والسياسية المعقدة، ومنها ما هو قابل للحل وما يحتاج الى جهود وتكاليف كبيرة، ومنها ما هو خطير شديد التهديد ولا يمكن حله بسهولة. ولعل تراكم المشكلات وتزايد حدوثها، نتيجة طبيعية للتغيرات الهائلة التي شهدتها العالم عبر تاريخه الطويل، لكننا نجد في المقابل إننا نمتلك اليوم كما هائلا من المعرفة والأدوات العلمية التي تجعلنا قادرين بشكل يتزايد يوميا على مواجهة مشكلات الحياة اليومية وبينها تلك المتعلقة بالصحة النفسية، وامتلاك أساليب أكثر فاعلية لمواجهة القسم الأكبر من هذه المشكلات، على الرغم من أن كثيرا من المشكلات التي نواجهها اليوم متقلبة وغير مألوفة، ولا يحكمها، ولا يحكمها قانون معياري ثابت، يلعب الإنسان دورا رئيسيا في كثير منها بوعي أو دون وعي. (راضون، 17، 2002).

لهذا اهتم الإنسان عبر العصور من تطوره بالصحة كما نهتم بها اليوم وأدرك أهميتها كقيمة عليا، وسعى نحو تحقيقها بشتى الوسائل غير أن مستوى المعرفة لم يكن دائما مواز لمستوى طموحات الفرد الصحية. فالمعرفة تراكمية وهي في كل فترة أفضل سابقتها، إلا إنها لم تكن في إي عصر من العصور موازية لمستوى الوضع الحالي. كما سعى الإنسان سعيا حثيثا عبر عصوره المختلفة لفهم طبيعة هذه الأمراض وأسبابها، فعرف بعضها وغابت عنه معرفة أسباب القسم الأكبر منها، ذلك أن مستوى معرفته في العصور السابقة لم يكن يتيح له التعرف على أكثر مما استطاع معرفته في العصور السابقة لم يكن يتيح له التعرف على أكثر مما استطاع معرفته في ذلك الوقت، تماما كما تواجهنا اليوم كثير من القضايا التي نقف عاجزين عن فهم أسبابها على الرغم امتلاكنا لمستوى من المعرفة يفوق عشرات الآلاف من المرات مستوى المعرفة في العصور السابقة، بدءا من عصور ما قبل التاريخ حتى اللحظة الراهنة. (أبو سعد، 21، 2015)

1- المفاهيم الأساسية في الصحة النفسية:

1-1- الصحة: ليس الصحة مجرد خلو الجسم من المرض الاضطراب، ولكنها حالة يتكامل فيها الشعور بالكفاية والسعادة الجسمية والنفسية والاجتماعية، إنها حالة من التوافق التام بين الوظائف البدنية والنفسية المختلفة، والقدرة على مواجهة الصعوبات مع الإحساس الايجابي بالنشاط والحيوية. ويتفق جميع العلماء والأطباء على التعريف العلمي للصحة كما وضعته منظمة الصحة العالمية والذي بنص على أن الصحة هي " حالة من الرفاهة والسعادة والكفاية الجسمية والنفسية والاجتماعية التامة وليست مجرد غياب المرض او العجز أو الضعف." (عبد الله، 15، 2001).

وإذا تفحصنا هذا التعريف فإننا نلاحظ فيه نقطتين هامتين: - الأولى: إن الصحة لا تشمل الجانب البدني فقط (الصحة الجسمية) وإنما تمتد لتشمل الجانب النفسي والاجتماعي.

- **الثانية:** ليست الصحة مجرد غياب المرض أو الضعف وإنما هناك جانب ايجابي او شروط أخرى يجب أن تتوفر حتى يتمتع الشخص بصحة كاملة.(عبد الله،16،2001).

وينظر للصحة في المبادئ النظرية إلى إنها حالة فردية من الإحساس بالعافية يكون فيها الفرد قادر على تحقيق التوازن بطريقة مناسبة بين المتطلبات الجسدية والمتطلبات الخارجية للبيئة. والمظهر الحاسم للصحة هو الشعور الشخصي للإحساس بالعافية والسعادة والسرور أو بتعبير آخر هل ليست مجرد الحالة الموضوعية وإنما الحالة الشخصية التي تتجلى فيها القيم الشخصية والثقافية للفرد. وهناك اتجاهان في فهم الصحة-1- الاتجاه القائم على المنشأ المرضي.2- الاتجاه القائم على المنشأ الصحي'(أبو سعد،30،2015).

1-2- تعريف الصحة النفسية: تعريفات الصحة النفسية عديدة ومتنوعة انطلاقا من الإطار الذي وضعته لجنة الخبراء في وحدة الصحة النفسية لمنظمة الصحة العالمية، وأما مقوماتها التي نعي بها في هذا المقام خصائصها أو صفاتها أو مؤشراتها فإنها تتجاوز العشرات. فهناك العديد من الاختصاصيين قدم كل منهم قائمة الخاصة به، المستمدة إلى تصوره لحالة الصحة النفسية وكيف يتعين أن تكون. ولذلك تجابه الباحث صعوبة جدية في تعريف محدد وقاطع. كما انه يكاد يتعذر التوافق على لائحة المقومات، ولو أن هناك توافقا يشبه الإجماع بين الخبراء إن الصحة النفسية هي حالة تتجاوز غياب المرض. وحتى هذه النقطة يمكن ان تكون خلافية إلى حد بعيد.(حجازي،28،2004).

لهذا ليس من السهل وضع تعريف موحد لمفهوم الصحة النفسية حيث لا توجد مقاييس محددة كما ولا نوعا يمكن من خلالها قياس السلوك البشري بمختلف الأوقات بعكس الأمراض البدنية التي يمكن تحديدها من خلال الأعراض والفحوصات المستخدمة، وهذا ما لا ينطبق على الجوانب النفسية ولذلك فان تعريفات الصحة النفسية متعددة ومتباينة تبعا للاختلافات البيئية والاجتماعية والثقافية. ولعل نصل إلى تعريف الصحة النفسية من خلال تعريف منظمة الصحة العالمية للصحة، بأنها " حالة من المعافاة الكامنة بدنيا ونفسيا وعقليا واجتماعيا وروحيا، وليس مجرد الخلو من المرض أو العجز".(الشهري،20،1434).

وعليه فيمكن الوصول إلى تعريف الصحة النفسية التي يكون فيها الفرد متوافقا (نفسيا وشخصيا وانفعاليا واجتماعيا) مع نفسه ومع بيئته ويشعر بالسعادة مع نفسه، ومع الآخرين، ويكون قادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكاناته إلى أقصى حد ممكن، وقادر على مواجهة مطالب الحياة او كما عرفت منظمة الصحة العالمية بأنها حالة من العافية التي يحقق فيها الفرد قدراته ويمكن أن يتغلب على الاجتهادات العادية في الحياة، ويمكن أن يعمل بإنتاجية مثمرة ويكون قادرا على المساهمة في مجتمعه. إذن الصحة النفسية تحدد من خلال ثلاثة أمور وهي:

- **شعورنا تجاه أنفسنا:** من خلال معرفة قدرتنا وسعيا لاستكمال نواقصنا واستمتاع بما وهبه الله لنا، وقدرة على التعامل مع كل الأحوال والمواقف وشعور بارتياح بالرضا والسرور مع عدم تأثرها في عواطفنا، كالخوف والقلق والغضب والحسد والحب.

• شعورنا تجاه الآخرين: من خلال إقامة علاقات متينة ودائمة مع الآخرين الثقة والاحترام المتبادل الشعور نحوهم بالمسؤولية.

• مواكبة متطلبات الحياة اليومية: من خلال حل المشكلات، وتحمل المسؤوليات، والتكيف مع البيئة والظروف المحيطة والاستفادة من التجارب القادمة.

إن هذه الأمور الثلاثة (أناو الناس، والحياة) لا يمكن فصلها عن بعضها، فالإنسان لا يستطيع العيش إلا مع الآخرين في هذه الحياة يؤثر فيهم ويتأثر بهم، وكلما كانت خلاصة هذا التفاعل ايجابية كلما ارتفعت الصحة النفسية للمجتمع. (الشهري، 20، 1434-21).

1-3- أهمية الصحة النفسية: إن أهمية الصحة النفسية تكمن في كونها تقدم خدمات لكل من الفرد والمجتمع وكما يأتي:

1-3-أ- أهمية الصحة النفسية بالنسبة للفرد: ان الصحة النفسية مهمة جدا للفرد وذلك لعدة أمور نجملها في ما يلي:

❖ فهم الذات: فالفرد الذي يتمتع بالصحة النفسية هو الفرد المتوافق مع ذاته فهن يعرف ذاته ويعرف حاجاتها وأهدافها.

❖ التوافق: ويعني ذلك التوافق الشخصي بالرضا عن النفس وفهم نفسه والآخرين من حوله.

❖ الصحة النفسية تجعل حياة الفرد خالية من التوتر والاضطراب والصراعات المستمرة مما يجعله يشعر بالسعادة مع نفسه

❖ الصحة النفسية تجعل الفرد قويا تجد الشدائد والأزمات وتجعل شخصيته متكاملة تؤدي وظائفها بشكل متكامل ومتناسق.

❖ الصحة النفسية تجعل الأفراد قادرين على التحكم بعواطفهم وانفعالاتهم وبالتالي تجعلهم يسلكون السلوك السوي ويتعدون عن السلوك الخاطئ

❖ إن الهدف النهائي للصحة النفسية هو إيجاد أكبر عدد من الأفراد الأسوياء. (أبو سعد، 45، 2015)

❖ **1-3-ب- أهمية الصحة النفسية بالنسبة للمجتمع:** إن الصحة النفسية مهمة بالنسبة للمجتمع بمختلف مؤسساته لأنها تهتم بدراسة وعلاج المشكلات الاجتماعية التي تؤثر على نمو شخصية الفرد ويمكن أن نورد بعض النقاط الهامة لأهمية الصحة النفسية للمجتمع:

❖ الصحة النفسية السليمة بالنسبة للوالدين تؤدي إلى تماسك الأسرة والذي يؤدي إلى خلق جو ملائم لنمو شخصية الطفل المتناسكة وتجعل الأفراد أكثر قدرة على التوافق الاجتماعي.

- ❖ تعد الصحة النفسية ذات أهمية للمدرسة حيث أن العلاقة السوية بين الإدارة والمدرسين وبين المدرسين وأنفسهم تؤدي إلى نموهم السليم والذي ينعكس على نمو التلاميذ فينمو نموًا سليمًا كذلك فإن العلاقة الجيدة بين المدرسة والبيت تساعد على النمو النفسي للتلميذ.
 - ❖ الصحة النفسية مهمة للمجتمع لأنها تهم بدراسة وعلاج المشكلات الاجتماعية التي تؤثر على نمو شخصية الفرد وعلى المجتمع الذي يعيش فيه.
 - ❖ الصحة النفسية للمجتمع في غاية الأهمية لأن المجتمع الذي يعاني من التمزق وعدم التكامل بين مؤسساته هو مجتمع مريض، لذلك نستنتج مما سبق أهمية الصحة النفسية للفرد والمجتمع وقدرتها على تحقيق التكامل والنماء والسعادة. (أبو سعد، 46، 2015)
- 1-4- مؤشرات الصحة النفسية:** إن للصحة النفسية علامات تم عنها، ومؤشرات ترشد إليها ودلالات تدل عليها والتي تشير إلى مظاهر سلوكية محددة يتوافر الكثير منها لدى الفرد المتمتع بدرجة عالية من الصحة النفسية، حيث أن هذه المؤشرات تعتبر مؤشرات نوعية منها ما هو ذاتي لا يشعر بها إلا صاحبها ومنها ما هو خارجي يشعر به ويدركه الآخرون حيث تتمثل هذه المؤشرات فيما يلي:
- ❖ التوافق الذاتي: هو نجاح الإنسان في التوافق بين دوافعه وحسن تكيفه مع نفسه ورضاه عنها والتحكم فيها وحسم صراعاتها. (الشمري، 21، 1434).
 - ❖ التوافق الاجتماعي: ويقصد به حسن التكيف مع الآخرين في مجالات الاجتماعية التي تقوم على العلاقات بين الأفراد، وأهمها الأسرة والمدرسة والجامعة والمهنة ويتضمن نجاح الفرد على إقامة علاقات اجتماعية وتتسم هذه العلاقات بالتعاون والحب والتسامح والإيثار والثقة والتبادل والاحترام والتقبل.
 - ❖ الشعور بالسعادة وراحة البال: والأدلة على ذلك كثيرة، كالشعور بالطمأنينة، وإلا من والرضا عن النفس، وتقبلها واحترامها والاستمتاع بالحياة، ورضا الفرد عنها وما قسمه الله فيها.
 - ❖ معرفة قدرات النفس وحدودها: فكل منا قدرات وإمكانات بدرجة معينة ومن الثابت أن لكل فرد جوانب قوة وجوانب ضعف ومن بين مظاهر لصحة النفسية أن يدرك الفرد هذه الحقيقة، ويستثمر فيها جوانب قوته ويتقبل نواحي ضعفه ويكون عدم معرفة قدرة النفس من التفريط بمعنى تحقير نفسه وبخس حقها والإقلال من قدرها.
 - ❖ مواجهة الإحباط: حيث لا تخلو الحياة اليومية من الأزمات والشدائد أو الصعوبات التي يتعين على الفرد مواجهتها، ومحاولة حلها، والتغلب عليها، وكلما كانت درجة الإحباط مرتفعة كلما كان الفرد أكثر تحملاً للشدائد ومواجهتها.
 - ❖ النجاح في العمل ورضاه عنه: والتي تعتبر من المظاهر السلوكية التي تبرهن على الصحة النفسية.
 - ❖ الاستمتاع في الحياة: يستمتع الفرد بما أحل الله له من الطيبات والخيرات وجمال الحياة ويكون مستبشراً و متفائلاً بها، والانفعال والتأثر به.

- ❖ حسن الخلق: يصبح الإنسان ذو الصحة النفسية على خلق عظيم في أكثر ما يعرض له من أقوال أو مواقف، حيث يتجنب الآثام والمعاصي ويتعد عن الكبائر والصغائر ولا يقربها.
- ❖ الخلو النفسي من الأعراض: فكلما قلت مظاهر الاضطراب النفسي دل ذلك على مدى الاستقرار النفسي للفرد. (الشمري، 22، 1434).

1-5- مناهج الصحة النفسية: يوجد ثلاثة مناهج أساسية في الصحة النفسية:

1. **المنهج الإنمائي:** هو منهج إنشائي يتضمن زيادة السعادة والكفاية والتوافق لدى الأسوياء خلال رحلة نموهم حتى يتحقق الوصول بهم إلى اعلي مستوى ممكن من الصحة النفسية. ويتحقق ذلك عن طريق دراسة الإمكانيات والقدرات وتوجيهها التوجيه السليم (نفسيا وتربويا ومهنيا) ومن خلال رعاية مظاهر النمو جسميا وعقليًا واجتماعيا وانفعاليا بما يضمن إتاحة الفرص أمام المواطنين للنمو السوي تحقيقا للنضج والتوافق والصحة النفسية.

2. **المنهج الوقائي:** ويتضمن الوقاية من الوقوع في المشكلات والاضطرابات والأمراض النفسية. ويهتم بالأسوياء والأصحاء قبل اهتمامه بالمرضى لوقايتهم من أسباب المرض النفسية بتعريفهم بها وإزالتها أولا بأول. ويرعي نموهم النفسي ويهيئ الظروف التي تحقق الصحة النفسية وللمنهج الوقائي مستويات ثلاثة تبدأ بمحاولة منع حدوث المرض ثم محاولة تشخيصه في مرحلته الأولى بقدر الإمكان ثم محاولة تقليل اثر إعاقته وأزمان المرض. وتتركز الخطوط العريضة للمنهج الوقائي في الإجراءات الوقائية الحيوية الخاصة بالصحة العامة والنواحي التناسلية، والإجراءات الوقائية النفسية الخاصة بالنمو النفسي ونمو المهارات الأساسية والتوافق المهني والمساندة إثناء الفترات الحرجة والتنشئة الاجتماعية السليمة، والإجراءات الوقائية الاجتماعية الخاصة بالدراسات والبحوث العلمية، والتقييم والمتابعة، والتخطيط العلمي للإجراءات الوقائية ويطلق البعض المنهج الوقائي اسم "التحصين النفسي"

3. **المنهج العلاجي:** ويتضمن علاج المشكلات والاضطرابات والأمراض النفسية حتى العودة إلى حالة التوافق والصحة النفسية ويهتم هذا المنهج بأسباب المرض وأعراضه وتشخيصه وطرق علاجه وتوفير المعالجات والعيادات والمستشفيات النفسية. (زهران، 12، 2001)

2- الصحة النفسية والمدرسة:

2-1- **المدرسة:** هي المؤسسة التي أنشأها المجتمع لمباشرة عملية التنشئة الاجتماعية لا بنائه، فهي تحقق للتلاميذ فرصة اكتساب مميزات لها قيمة في الحياة العملية والميدانية، حيث يكتسب المعارف والقيم الأخلاقية، وكل ما تعجز الأسرة عن توفيره له، كما يجب ان تساهم بدور كبير كل من فيها المعلم والإدارة في فهم مشكلاتهم المرتبطة بأهم المراحل النمو النفسي، والاجتماعي لشخصيتهم. (بوخروبة، 107، 2012).

وتعد السنة السادسة من العمر من أهم المجالات الحياتية بالنسبة للأطفال إلى جانب الأسرة. ومنذ اللحظة الأولى للالتحاق الطفل بالمدرسة تحتل الحياة المدرسية الجزء الأكبر من حياة الطفل سواء في البيت أم في المدرسة، وتؤثر على سلوك الأطفال والأسرة، وحتى بلوغ الأطفال السن التي يكونون فيها مؤهلين لدخول المدرسة فإنهم يكونوا قد واجهوا وتغلبوا على مجموعة كبيرة من المطالب النمائية. وتنتظرهم عند الدخول إلى المدرسة مجموعة أخرى من المطالب النمائية المعقدة والصعبة التي يتم إقحامها من الخارج. ولعل أهم المطالب النمائية تتمثل في مواجهة مطالب الانجاز المدرسي التي تعد بالنسبة لمستقبل الطفل أهم من المطالب النمائية التي تمتلك عواقب بعيدة عن حياة الطفل. وفيما إذا كان باستطاعة الطفل أن ينمي استراتيجيات سلوكية وتفاعلية وتواصلية، فإن ذلك يتعلق بكفاءاته الكلية التي اكتسبها (راضوان، 554، 2002).

ويتوافق ذهاب الطفل إلى المدرسة الابتدائية مع بداية رحلة هامة من مراحل نموه تتضمن مهام جديدة على مستوى بناء كيانه ومشروعه الوجودي، إنها بداية مرحلة الفطام النفسي عن الأهل، والشروع في بناء الاستقلال الذاتي. في المدرسة تنكسر العلاقات الأفقية الندية مع الأتراب بعد أن كان يغلب على علاقاته الأسرية الطابع العامودي (رعاية والديه-تبعية- وتسلسل التعاقب وبالتالي المكانة بين الأخوة). وهنا تطرح بشكل مميز في صبغته الانفعالية والنفسية حالة استعداده لهذا الاستقلال النفسي: إلى أي مدى تم تهيئته في الأسرة لهذا الدور والمكانة الجديدين، كي يتحول الذهاب إلى المدرسة إلى فرصة نماء وانطلاق في العالم الخارجي الرحب. وفي المقابل ما هي مقدار الصعوبات التي سيلاقيها إذا بقي رهينة العلاقات الأولية وعالمهما المغلق؟ (حجازي، 224، 2004).

والذهاب الطفل إلى المدرسة هو بعد هام آخر من أبعاده بداية انطلاق الفعلي لمشروع الطفلي المغربي، انه تكريس رسمي لتلك العملية التي ابتدأت منذ أيام حياته الأولى. فالطفل هو كائن باحث عن المعرفة بالأصل، تظل هذه العملية غير رسمية حتى لحظة دخوله المدرسة. هنا تبدأ العملية المنظمة والمقننة والمكرسة بأنظمة تقويم تحكمها، تحكم بالتالي على مقدار كفاءة الطفل فيها ومدى تقدمه على دروبها. إنه تحول جذري في وضعية ودلالة الطفل مؤسسيا ونفسيا في أن معا. يرسى أسس الأهلية المجتمعية اللاحقة. (حجازي، 2002: 224).

2-2 المعلم- (المدرس والصحة النفسية): يلعب المدرس دورا هاما في عملية التربية في رعاية النمو النفسي وتحقيق الصحة النفسية للتلميذ، والمدرس ليس ناقل معلومات ومعارف فقط ولكنه أيضا معلم مهارات التوافق، ومشخص مظاهر وأعراض إي اضطراب سلوكي، ومصصح ومعالج لهذا الاضطراب، ويجب أن يتمتع المربون أنفسهم بالصحة النفسية.

كما يجب حل مشكلات المدرسين وسوء توافقتهم الشخصي والاجتماعي أنفسهم، حيث تتأثر الصحة النفسية للتلاميذ بشخصية المربي الذي يجب ان يكون قدوة صالحة، وكلما كانت العلاقة سوية بين المربين والأولاد وبين الأولاد بعضهم وبعض وبين المدرسة كلما ساعد ذلك على حسن توافقتهم النفسي وشعورهم بالأمن مما يؤدي إلى نجاح والتوفيق وبالخلاصة على المدرس أن يعمل كمربي يعلم ويوجه ويعالج حيث ظهر مفهوم- المدرس- المرشد- والذي يعد من أهم المفاهيم التي يجب أن نضعها في الحسبان عند إعداد المعلم. (أبو سعد، 321، 2015-322).

2-3- الصحة المدرسية: هي مجموعة المفاهيم والمبادئ والأنظمة والخدمات التي تقدم لتعزيز صحة الطلاب في السن المدرسية، وتعزيز صحة المجتمع من خلال المدارس. والصحة المدرسية ليست تخصصا مستقلا وإنما هي بلورة لمجموعة من العلوم والمعارف الصحية العامة كالطب الوقائي وعلم الباثيات والتوعية الصحية والإحصاء الحيوي وصحة البيئة والتغذية وصحة الفم والأسنان والتمريض. (أبو سعد، 332، 2015).

2-4- دور المدرسة في تحقيق الصحة النفسية: تعد المدرسة جزءا من المجتمع كما أسلفنا وعليها أن تستجيب للتغيرات الاجتماعية وان تطور مفاهيم تربوية متطورة وحديثة تتناسب وروح العصر. والمدرسة التي تقصر دورها على توصيل المعرفة فقط تعد اليوم مدرسة لا تقوم بدورها الحقيقي ومن ثم يمكن أن تشكل مرتعا خصبا لنمو جميع أشكال المشكلات النفسية. والمدرسة التي تمكن أطفالها من مواجهة المهمات النمائية والتغلب عليها وتنمية المهارات والكفاءات الحياتية اللازمة وتجنبهم الاستجابة السلبية لتأثيرات العالم المحيط وتمكنهم من تنمية أساليب فاعلة في مواجهة ما يعترضهم من مشكلات وحلها. والمدرسة الصحية التي ترمي الصحة النفسية للأطفال هي المدرسة التي تنفتح على المجتمع الخارجي وتستطيع التعاون مع الوالدين وتهتم بالراحة النفسية للأطفال والمعلمين، وتستجيب للتغيرات الطارئة بمرونة وبمفاهيم تربوية مرنة.

والمدرسة الصحية هي المدرسة التي تستطيع إشباع حاجات الأطفال وتنمي لديهم تحمل المسؤولية الذاتية. والتسامح وعدم التعصب والجمود. وتتيح لطلابها تنمية مهاراتهم وقدراتهم بصورة مستقلة. ويمكن قياس مدى توفر المدرسة الصحية من خلال المعايير التالية:

- ❖ توفير البيئة الصحية في المدرسة سواء من حيث الموقع أم التصميم والبناء. (راضون، 558، 2002)
- ❖ الخدمة الطبية داخل المدرسة والخدمات الصحية الأخرى الضرورية للتلاميذ والطلاب في المدرسة.
- ❖ مدى توفير الفرص لممارسة الأنشطة الجسدية والتربية البدنية. سواء داخل إطار اليوم المدرسي ام خارجه.
- ❖ التربية الصحية الجسدية والنفسية من اجل تنمية الاتجاهات السليمة نحو السلوك الصحي وتنمية الوعي النفسي عند الطلاب، والتي يقوم بها أشخاص مؤهلين في هذا المجال.
- ❖ وجود برامج لتنمية الصحة الجسدية والنفسية للمعلمين والموظفين
- ❖ توفير الخدمات الإرشادية والعلاجية التي تسعى لتنمية النمو الاجتماعي والانفعالي السليمين، ومواجهة الصعوبات التي تتعرض سبيل الطلبة والمعلمين والوقاية من الاضطرابات النفسية ومواجهة المشكلات الاجتماعية. (راضون، 2002، ص559).

2-5- أهمية الصحة النفسية المدرسية: يمثل الأطفال في هذه المرحلة العمرية (الدراسية) نسبة هامة من المجتمع تصل الى ربع عدد سكان العالم، وتوفر المدرسة فرصة كبرى للعناية بالصحة لهذه الفئة. ويمر كل أفراد المجتمع بكل فئاته بالمدرسة، حيث تتوفر الفرصة للتأثير فيهم وإكسابهم المعلومات وتوصلهم على السلوك الصحي.

إن هذه المرحلة من العمر مرحلة نمو للطفل وتطور ونضج وتحدث خلالها الكثير من التغيرات الجسمية والعقلية والاجتماعية والعاطفية ولا بد أن تتوفر للطالب في هذه السن المؤثرات الكافية لحدوث هذه التغيرات في حدودها الطبيعية. ويمكن حصر أهمية الصحة النفسية المدرسية كما يلي:

1. الصحة المدرسية واسعة الاهتمامات وتتناول موضوعات كبيرة وواسعة ومتشعبة مما يدعو إلى برمجتها هذه الاهتمامات في برامج محددة الأطر والأهداف.
 2. مفهوم برامج الصحة المدرسية مفهوم مرن يمكن من خلاله معالجة شتى المشكلات التي تثبت أولوياتها من بين الاهتمامات الصحية.
 3. إن من الضروري برمجة الأفكار وبلورتها والتخطيط جيدا ليسهل تبنيها وتسويقها.(أبو سعد،322،2015).
 4. يمكن اللجوء إلى برامج الصحة المدرسية كمرحلة انتقالية لتحول الخدمات الصحية المدرسية من نمها العلاجي السائد إلى نمط وقائي منشود، فنجاح برنامج ما من برامج الصحة المدرسية يمهّد لتغيير السياسات المعمول بها بطريقة علمية.
 5. اسر الطلاب ومنسوبي الأسرة التربوية في حاجة ماسة للتدريب والتعريف بالصحة المدرسية ويتحقق ذلك من خلال مشاركتهم في إحدى برامجها، مما يؤدي إلى جذب انتباههم واستقطاب اهتمامهم.
- وتهدف أنشطة وبرامج الصحة النفسية المدرسية إلى :

1. تقويم صحة الطلاب بالتعرف على المؤشرات الصحية لصحتهم في كافة المجالات.
2. حفظ صحة الطلاب والمؤشرات الصحية ضمن المستوى المطلوب، وتعزيز صحتهم.
3. تعريف العاملين في المجال التربوي والصحي بأولويات المشكلات الصحية في السن المدرسية.
4. إكساب القائمين على الصحة المدرسية مهارات التخطيط والتنفيذ والتقييم لبرامج الصحة المدرسية
5. إكساب العاملين في المجال التربوي الصحي القدرات والمهارات اللازمة للاكتشاف المبكر للمشكلات الصحية
6. تزويد العاملين في المدرسة بمهارات التوعية الصحية بالمدرسة
7. معاونة الطلاب والتربويين والعاملين الصحيين في مراقبة وتحسين البيئة الصحية المدرسية
8. تقديم الخدمات الصحية التي تقوم وتحفظ وتعزز صحة الطلاب والمجتمع المدرسي
9. التنسيق مع الجهات الصحية الأخرى في تقديم الخدمات العلاجية المتقدمة.(أبو سعد،323،2015).

2-6-أهداف الصحة النفسية المدرسية: لقد تبين مما سبق ذكره مدى التأثير المتبادل بين صحة التلميذ النفسية

وبين التعلم المدرسي-المدرسة- ومن أهم ما تهدف إليه الصحة النفسية بالنسبة للمدرسة ما يلي:

- تهيئة علاقات وظروف أكثر مناسبة للنمو السوي للتلاميذ.
- مواجهة الحاجات النفسية الاجتماعية للتلاميذ

- تعديل اتجاهات التلاميذ بما يساير الفلسفة التربوية للمدرسة
- تصحيح أشكال السلوك الشاذ والمنحرف عند التلاميذ ومعالجة مشكلاتهم. (عبد الله، 437، 2001)
- إن وظيفة الصحة النفسية في المدرسة هي وظيفة وقائية وإنشائية بالدرجة الأولى، ثم وظيفة علاجية في بعض الحالات الخاصة ثانيا.

وعندما نقيم دور الصحة النفسية في المدرسة فإننا نستجيب عن الأسئلة التالية ما بشبهها:

- إلى أي حد يعتبر المناخ الاجتماعي للمدرسة مناخا ملائما للعلاقات الاجتماعية الإنسانية بين التلاميذ مع بعضهم البعض وبينهم وبين العاملين في المدرسة؟
- ما هي مستويات الصحة النفسية للمدرسين ولكل العاملين بالمدرسة؟
- كيف تؤثر مجموعة الفصل الدراسي على التكيف النفسي والاجتماعي للتلاميذ؟ وما هي الشروط التي يجب مراعاتها في اختيار تلاميذ الصف؟
- ما هي جماعات النشاط المدرسي، وكيف يستفاد منها في تحقيق الصحة النفسية؟
- ما هي العلاقة بين المدرسة والبيت؟ وكيف يتعاونان على تهيئة فرص النمو السوي للتلاميذ؟
- ما هي الإجراءات العلاجية والإرشادية التي يجب إتباعها مع الطلاب الذين يعانون مشكلات خاصة؟ (عبد الله، 438، 2001).

2-7-أ- المسؤوليات المدرسية بالنسبة للنمو النفسي والصحة النفسية: من المسؤوليات التي تقع على عاتق

المدرسة بالنسبة للنمو النفسي والصحة النفسية للأبناء ما يتم استخدامه في المدرسة من أساليب نفسية عديدة لعل من أهمها: دعم القيم الاجتماعية عن طريق المناهج، وتوجيه النشاط المدرسي، تعليم الأدوار والمعايير الاجتماعية والقيم والثواب والعقاب، تقديم نماذج صالحة للسلوك السوي.

وتؤثر العلاقات الاجتماعية في المدرسة على الصحة النفسية للتلميذ والتوافق المدرسي على النحو التالي:

- ✓ العلاقات بين المعلم والتلاميذ التي تقوم على أساس من الديمقراطية والتوجيه والإرشاد السليم تؤدي إلى حسن العلاقة بين المعلم والتلاميذ وإلى النمو التربوي النفسي السليم. (أبو سعد، 324، 2015).
- ✓ العلاقات بين التلاميذ بعضهم وبعض التي تقوم على أساس التعاون والفهم المتبادل تؤدي إلى الصحة النفسية
- ✓ العلاقات بين المدرسة والأسرة التي تكون دائمة الاتصال تلعب دورا هاما في إحداث عملية التكامل بين الأسرة والمدرسة في عملية رعاية النمو النفسي للتلاميذ.

✓ التربية عملية حياة يتعلم فيها الفرد الحياة عن طريق نشاطه هو بتوجيه المربي. (أبو سعد، 325، 2015)

2-7-ب- المسؤوليات المدرسية بالنسبة للنمو النفسي والصحة النفسية للتلميذ-الطالب-: وتتمثل ما يلي:

- ✓ تقديم الرعاية النفسية إلى كل طفل ومساعدته في حل مشكلاته والانتقال به من طفل يعتمد على غيره إلى راشد مستقل معتمدا على نفسه متوافقا نفسيا.
- ✓ تعليمه كيف يحقق أهدافه بطريقة ملائمة تتفق مع المعايير الاجتماعية مما يحقق توافقه الاجتماعي.

✓ مراعاة قدراته في كل ما يتعلق بعملية التربية والتعليم.

✓ الاهتمام بالتوجيه والإرشاد النفسي للتلميذ.

✓ الاهتمام بعملية التنشئة الاجتماعية في تعاون مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى خاصة الأسرة.

✓ مراعاة كل ما من شأنه ضمان نمو الطفل نموا نفسيا سليما. (زهران، 19، 18، 2001)

2-8- خصائص البيئة المدرسية المعززة للصحة النفسية : تعتبر البيئة المدرسية منبعاً أصيلاً ومنبراً مهماً للطلاب،

والتي تعكس فيه مدى اهتمامها بالمتعلمين واحترامها لهم كأفراد، والتي يجب أن تتوفر بها البيئة المثالية، وذلك من خلال تشجيع الطلاب وتحفيزهم على المشاركة والإبداع، ومساعدتهم على تحقيق الأهداف التعليمية و التربوية المرجوة.

كما أن الجو المدرسي الذي تسوده الود والحرية والتفاهم والشورى، والذي يتمكن فيه الطلاب من إبداء آرائهم والتعبير عن أفكارهم، ومشاركتهم معلمهم في اتخاذ القرارات الخاصة بهم، يلعب دوراً مهماً في تدعيم الصحة الطلاب النفسية، ونموهم السليم حيث أن المدرسة بما إتاحتها من ألوان النشاط المختلفة بجانب ما يتعلمه الطالب فيها، يجد نفسه راغباً في ممارسة أنواع النشاط المختلفة (الثقافي- الاجتماعي- الرياضي... الخ). والتي لها دور كبير في التأثير على نفسية الطلاب من خلال إعلاء دوافعهم وتأكيد ذواتهم واكتساب المزيد من الخبرات الاجتماعية لديهم. تعتبر الصحة النفسية من أولويات المدارس المعززة للصحة. وذلك للأهمية الحائلة النفسية للطلاب في العملية التربوية والتحصيل الدراسي، ولهذا برزت من خلالها مجموعة من المعايير التي تعزز الصحة النفسية داخل المدارس وهي:

2-8-أ- معايير متعلقة بالبيئة المدرسية الحسية والنفسية والاجتماعية:

- توفر بيئة حسية آمنة ونظيفة ومطابقة للمواصفات والشروط الصحية المعتمدة في مختلف النواحي البيئية (المقصف، المبنى، مياه الشرب،.... الخ).
- وجود مرشد طلابي في المدرسة يتابع مشاكل وقضايا الطلاب النفسية، ويقدم الخدمات الإرشادية المناسبة.
- تطبيق برامج لاكتشاف الحالات النفسية، والإجراءات المتخذة حيالها والتوصيات المشار إليها والحالات المحالة للجهات ذات الاختصاص، وما يتوفر من معلومات عن هذه الحالات في السجلات الطبية والإرشادية.
- توفر الرعاية النفسية الخاصة للطلاب المضطربين نفسياً وسلوكياً وذوي الاحتياجات الخاصة، والتنسيق مع الجهات العليا ذات الاختصاص للمتابعة والتقييم.
- تطبيق البرامج التوعوية والإرشادية للوقاية من الاضطرابات النفسية والسلوكية.
- تضمين مشاركات الأهل والمؤسسات الاجتماعية الأخرى في البرامج والأنشطة النفسية المدرسية المختلفة. (الشمري، 1434هـ، 24)
- تنفيذ الأنشطة والبرامج في الصحة النفسية داخل المدرسة (توعية صحية، اكتشاف مبكر، ترفيهية).

- مشاركة الطلاب في مختلف النشاطات التي تتعلق بالصحة النفسية وإتاحة الفرصة للتعبير عن آرائهم حول القضايا والمشاكل التي تعنيهم.
- تخصيص جزء من أنشطة وفعاليات التوعية الصحية للإرشاد والصحة النفسية مثل: (محاضرات، ندوات، معارض، ورش عمل... الخ) وتوجيهها لتعديل السلوك وتقويمه.

2-8-ب- معايير متعلقة بالكادر التربوي:

- توفر نماذج قيادية صالحة من المعلمين والكوادر التربوية الأخرى لتعلم السلوك والشخصية السوية والتوافق النفسي.
- التعرف والاطلاع على أهمية الصحة النفسية للطلاب وأسس تعزيزها داخل المدرسة.
- الإلمام بمراحل النمو ومتطلباتها وأسس التعامل مع كل مرحلة عمرية مختلفة.
- الإلمام بمهارات التواصل وأساليب تعليم مهارات الحياة.
- التدريب والتعليم على مختلف طرق وأساليب الكشف المبكر عن الاضطرابات النفسية وأساليب التعامل معها.
- وجود علاقات اجتماعية طيبة بين معلمين داخل البيئة المدرسية، تقوم على أساس المحبة والاحترام والتعاون المتبادل.

2-8-ج- معايير متعلقة بالمناهج والكتب والسجلات:

- مراعاة المناهج الدراسية لحاجات وميول الطلاب.
- التركيز على مهارات الحياة وتعلمها.
- التناسب مع البيئة والقيم الاجتماعية المختلفة والسلوكيات المحيطة بها.
- توفر تقارير وسجلات وإحصائيات منظمة للأمراض والاضطرابات النفسية والإحالات للجهات المختصة، على أن تشمل ما يلي: (الشمري، 1434هـ، 25)
- الذين يعانون من تكرار حالات الرسوب.
- الذين يعانون من تكرار حالات تدني مستوى التحصيل الدراسي.
- الذين يعانون من تكرار حالات التغيب المستمر عن حضور للمدرسة.
- الذين يعانون من تكرار حالات العنف المدرسي.
- الذين يعانون من مشاكل اجتماعية داخل أسرهم.
- الذين يعانون من حالات مرضية مزمنة.
- الذين يعانون من إعاقات وتشوهات جسمية بمختلف أنواعها.
- عدد المدخنين وحالات التدخين داخل نطاق المدرسة.
- عدد حالات الإدمان.

- عدد حالات العنف والاعتداء وخرق القوانين وتعاليم الشريعة.
- عدد حالات الاعتداء والتحرش الجنسي. (الشمري، 26، 1434)

3-المكونات الثمانية للصحة النفسية المدرسية:

3-1-التربية الصحية: تعني مجموعة الأنشطة التي تقدم بطريقة مدروسة في إطار واضح بهدف تغيير ثلاث جوانب في الفئة المستهدفة (المعرفة-الاتجاه- السلوك).

وتركز التربية الصحية على:

- أ- الظروف والسلوكيات التي تعزز الصحة، والتي تعيقها.
- ب- المهارات اللازمة لتطوير السلوك الصحي وإيجاد مناخ معزز للصحة.
- ج- المعرفة والاستعداد والمعتقدات والقيم المرتبطة بالسلوك الصحي وتدعيمه.
- د- تقديم القدوة في ممارسة المهارات والسلوكيات الصحية.

3-2-البيئة المدرسية: لا تنفصل البيئة المدرسية عن بيئة المجتمع الموجودة فيه، وللبيئة المدرسية دورها المؤثر سلباً أو إيجاباً في صحة الطلاب، وفي جعلهم يفعلون كل قدراتهم الكامنة، ومن الصعب تربية الطلاب على مبادئ التربية الصحية في المدرسة بصورة فعالة في بيئة مدرسية غير صحية.

وتنقسم البيئة بصفة عامة (وكذلك البيئة المدرسية) إلى بيئة حسية وبيئة معنوية ويظهر ذلك:

أ- البيئة الحسية: تشمل الموقع والمباني والأثاث والمعدات والمرافق الرياضية المياه والصرف الصحي وإصحاح البيئة المدرسية.

ب-البيئة المعنوية: تشمل التكوين الاجتماعي والنفسي للمدرسة كمنظور تعزز الصحة لدى الطلاب كتنمية العلاقات الإنسانية في المدرسة.
(أبو سعد، 325، 2015).

3-3- الخدمات الصحية: بقصد بها الخدمات المتعلقة بالصحة والمرض وتنقسم إلى:

- أ- الخدمات الوقائية:** تشمل الوقاية من المرض والمشكلات الصحية الشائعة في المجتمع المدرسي (التطعيمات والعزل الصحي)، وتقديم الإسعافات الأولية عند الضرورة، وخدمات الاكتشاف المبكر للمشكلات الصحية والتدخل المبكر الممكن لعلاجها، وإحالتها إلى الخدمات العلاجية المختصة ومتابعة الحالات والتعامل مع الحالات المزمنة.
- ب-الخدمات العلاجية:** تشمل الكشف الطبي على المصابين بأمراض حادة أو مزمنة وعلاجهم.

3-4-الصحة النفسية والإرشاد: ينبغي تناول الخدمات الصحية والإرشاد النفسي في إطار المفهوم الشامل للصحة النفسية، على أنها امتلاك القدرات والمهارات التي تمكن الفرد من التعامل مع التحديات اليومية بالشكل المناسب، وتشمل الخدمات الصحة النفسية والإرشاد كل الخدمات والبرامج المنفذة في المدرسة في جانب الوقاية والاكتشاف المبكر للمشكلات النفسية الشائعة في السن المدرسية. (أبو السعد، 326، 2015).

وينبغي ألا تقتصر مثل هذه الخدمات على الحالات السلوكية التي تؤثر على تحصيل الطالب أو سير التعليم في الفصل والمدرسة، بل ينبغي أن تشمل كل الطلاب وبفعاليات يشترك فيها أكبر عدد ممكن من المعلمين إن لم يكن كلهم. ومن غير المنطقي الانتظار حتى تظهر المشكلات السلوكية والنفسية في سن المراهقة (قد يصعب علاجها). بل يجب المبادرة بالوقاية مبكراً، ومن خلال آليات تربوية صحية مبتكرة تبدأ في سن مبكرة، بين طلاب المدارس الابتدائية وذلك إضافة إلى خدمات الدعم والإرشاد والتوجيه النفسي الاجتماعي.

3-5-الاهتمام بصحة العاملين: تكتمل الشمولية المطلوبة في تعزيز الصحة في المدارس عندما تشمل الصحة العاملين من معلمين مسؤولين وإداريين، ولكادر المدرسي خصوصية في نوعية المشكلات الصحية التي ينبغي الاهتمام بها مقارنة بالمشكلات الصحية لدى الطلاب (الأمراض المزمنة مثل داء السكري، السمنة ارتفاع ضغط الدم، اختلال دهون الدم، دوالي الساقين، بعض أمراض العيون أمراض الفم والأسنان... وغيرها). وتشمل الخدمات الصحية للعاملين الوقاية من المشكلات الصحية ذات الأولوية لهذه الفئة العمرية، والتدخل المبكر، والإحالة للخدمات العلاجية، ومراعاة الظروف الصحية الخاصة.

3-6- التغذية وسلامة الغذاء: يسود في بعض الأوساط التربوية وبين أولياء الأمور اعتقاد مفاده إن المقصف المدرسي يجب أن يقدم وجبة غذائية متكاملة، وهذا يتنافى مع أسس التغذية السليمة حيث إن وجبة الإفطار ذات أهمية كبيرة جداً وإن مكانها الطبيعي هو البيت وليس المدرسة.

وينبغي أن ينظر المقصف كمكان لتقديم وجبة تكميلية خفيفة وليس مكاناً لتقديم بديل عن وجبة الإفطار، وينبغي أن تشمل التدابير الصحية الغذائية بالمدرسة مراقبة المقصف المدرسي من حيث البنية والمحتوى ومراقبة صحة العاملين في تحضير الطعام وتداوله ومراقبة ما يتاح للطلاب من أطعمة داخل المدرسة (سواء التي يقومون بشرائها من المقصف المدرسي والتي يحضرونها من بيوتهم). أو خارجها من قبل باعة جائلين وغيرهم والوقاية من التسمم الغذائي ورفع الوعي الغذائي في المجتمع المدرسي وتوصيل الرسائل الصحية إلى أولياء أمور الطلاب وأسرهم. (أبو سعد، 2015، ص 327-328).

3-7- التربية البدنية والترفيه: هناك ارتباط وثيق بين التربية البدنية والتحصيل الدراسي، ومن مواصفات التربية البدنية المدرسية المثالية:

أ- يتم تناولها من حيث كونها عادة تمارس على مدى الحياة من منطلق الوعي بمرودها الصحي ولا يتم تناولها في إطار المنافسات الرياضية التي تتطلب مهارات عالية.

ب- تهدف إلى رفع مستوى اللياقة البدنية والنفسية للطلاب، وإيجاد فرصة للترفيه عن الطلاب وتشجيع المشاركة الاجتماعية بين الطلاب والمعلمين، ودون أن تريد عن التنافس بينهم أو تسيء إلى البيئة النفسية في المدرسة.

3-8-الاهتمام بصحة المجتمع المجاور: لا تنفصل القضايا المتعلقة بالصحة في المدرسة عن المجتمع، ويجب النظر إلى المدرسة كفرصة لتعميق الانتماء إلى المجتمع لدى الطلاب، كأداة للتغيير في المجتمع ومنها تنطلق الخدمات والأنشطة المتعلقة بالصحة لإحداث التغيير الإيجابي في صحة المجتمع، ومن أمثلة هذه الخدمات: قيام المدرسة بنشاط صحي

في المجتمع المحيط يتناول قضية مثل إصباح البيئة والوقاية من الحوادث والإصابات، أو الدعوة إلى النشاط البدني والرياضة بين أفراد المجتمع المحلي... وغير ذلك.

وتنبع أهمية علاقة المدرسة الصحية بالمجتمع من الحقائق التالية:

1. تحوي المدرسة طلابا هم عينة ممثلة للمجتمع بكل مؤشرات الصحة (يمثلون ربع سكان العالم).
2. السن المدرسية فرصة لاكتشاف المبكر للمشكلات الصحية (وغير الصحية) السائدة في المجتمع وعلاجها.
3. المدرسة فرصة كبيرة وغير مستغلة للوقاية من المشكلات الصحية الموجودة في المجتمع.
4. المدرسة فرصة للتأثير في السلوكيات الصحية على مستوى الطلاب وعلى مستوى المجتمع كله.

(أبو سعد، 328، 2015-329)

4-مجالات تطبيق الصحة النفسية في المدرسة:

تتعدد مجالات تطبيق الصحة النفسية في فلسفتها وفي إدارتها وفي مناهجها ومدرسيها والعناية بتلاميذها والعلاقات بين المدرسة والأسرة... الخ.

1. إن المدرسة التقدمية والتربية التقدمية-بعكس المدرسة التقليدية والتربية التقليدية - رسالتها التربية بمعناها الواسع، فالتربية عملية حياة يتعلم فيها الفرد الحياة عن طريق نشاطه هو وتوجيه المربي. و وظيفة المدرسة التقدمية وهدف التربية التقدمية هي تكوين ونمو وتوجيه شخصية التلميذ من كافة جوانبها جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا في توازن وتوازن.
2. إن التحصيل العلمي وإكساب المعارف والمعلومات ليس-ولا ينبغي أن يكون-بؤرة تركيز المدرسة، ولكن يجب ان يضاف إلى ذلك الاهتمام بتوافق التلميذ شخصيا واجتماعيا وبصحته النفسية والجسمية وتكوين عادات سلوكية سليمة واتجاهات موجبه نحو المدرسة ونحو العمل ونحو الأشخاص بصفة عامة حتى يشب أنسانا صالحا.
3. وفي وضع المناهج يجب عمل حساب الصحة النفسية للتلاميذ والمربين أيضا. فيجب أن تكون المناهج مناسبة تراعي حاجات التلاميذ قدراتهم. ويجب أن يكون المنهج مرتبطا بمواقف الحياة الطبيعية والعمل على إحداث التوافق مع مواقف الحياة. كذلك يجب الاهتمام بملائمة المناخ الاجتماعي في المدرسة داخل وخارج الفصل وفي النشاط المنهجي والنشاط خارج المنهج، باختصار يجب عمل حساب كل الخصائص النفسية للتلميذ حسب مرحلة النمو التي يمر بها.

خاتمة:

إن من أبرز أهداف الصحة النفسية هي تنمية الاتجاهات السلوكية البناءة لدى الفرد وتجنبه السلوكيات المضطربة وغير سوية والهدامة ليصبح فردا صالحا في مجتمعه من خلال النمو المتكامل لشخصيته (جسديا-نفسيا-انفعاليا-اجتماعيا-) اي بناء شخصية متوافقة ومتوازنة وإعداده إعدادا صحيحا نفسيا في إي قطاع من قطاعات المجتمع.

من خلال برامج الصحة النفسية في كل قطاع من قطاعات الحياة يتم الوصول إلى هذه الأهداف المرجوة منها، وكان لازماً ان يمر الفرد عبر مراحل نمو مختلفة وكذا عبر مؤسسات مختلفة ومنها المدرسة التي تشكل النواة الثانية للتنشئة الاجتماعية بعد الأسرة حيث توسع لديه دائرة المعارف والقيم والاتجاهات في شكل منظم ويتفاعل الطفل التلميذ مع محيطه المدرسي بما فيه من معلمين زملاء وحتى المناهج الدراسية تفاعلاً حقيقياً يزوده علماً وثقافة وتنمو شخصيته من كافة جوانبها.

ولهذا في ضوء ما سبق توجد علاقة وثيقة وقائمة بين الصحة النفسية والمدرسة حيث نجد أن التربية تشترك في كثير من أهدافها مع الصحة النفسية وان اختلفت في بعض وسائل تحقيق هذه الأهداف إذ يعملان لتحقيق هدف مشترك هو إعداد بناء الشخصية المتكاملة للفرد سواء في المدرسة او المجتمع بطريقة تجعله أكثر قدرة على تنمية طاقاته وقدراته ومهاراته وأكثر كفاءة للتوافق مع مجتمعه وممارسة حياته العلمية والعملية بما يتناسب مع ميوله واتجاهاته وإمكانياته الجسدية والعقلية شاعراً بالسعادة والصحة والتوافق النفسي.

المراجع:

1. ادم حاتم، (2010)، الصحة النفسية للطفل، (ط.10)، دار الكتب المصرية.
2. ادم حاتم (2005)، الصحة النفسية للمراهقين، (ط.1)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة
3. ابو سعد، احمد، (2015)، الصحة النفسية-منظور جديد-، (ط.1)، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة.
4. ابو سعد، احمد، (2010)، علم النفس الإرشادي، (ط.1)، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة.
5. بحروية اليامنة، (2012)، الصحة النفسية والمدرسة أبحاث نفسية وتربوية، (5)، 105-122.
6. حجازي مصطفى، (2004)، الصحة النفسية- منظور دينامي تكاملي للنمو- البيت والأسرة، (ط.2)، المركز الثقافي العربي.
7. داود البارئ، (2004)، الصحة النفسية للطفل، (ط.1)، أثيرك للنشر والتوزيع.
8. الدسوقي مجدي، (2007)، دراسات في الصحة النفسية، مكتبة الانجلو المصرية.
9. رضوان سامر، (2002)، الصحة النفسية، (ط.1)، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة.
10. زهران حامد، (2001)، الصحة النفسية والعلاج النفسي، (ط.3)، عالم الكتب.
11. الشمري سليمان، (هـ 1443)، دليل الصحة النفسية المدرسية، (ط.1)، مكتبة الملك فهد الوطنية.
12. عبد اللطيف، مدحت، (1999)، الصحة النفسية والتفوق الدراسي دار المعرفة الجامعية.
13. عبد الله محمد قاسم، (2001)، مدخل الى الصحة النفسية، (ط.1)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
14. العوصي عبد العزيز، (1952)، اسس الصحة لنفسية، (ط.4)، مكتبة النهضة المصرية.
15. منسي حسن، (2001)، الصحة النفسية، (ط.2)، دار الكندي للنشر والتوزيع.

- ملخص:

تقف هذه الدراسة لتعالج ظاهرة التمييز العنصري في المجتمع الأمريكي، من خلال الصور الكاريكاتيرية الصحفية، بالوقوف عند تحليل سيميولوجي لعينة من الصور التي نشرت في بعض الجرائد الجزائرية والعربية، وذلك في الفترة التي عرفت فيها الولايات المتحدة احتجاجات عارمة بعد قضية مقتل الرجل الأسود «جورج فلويد» نهاية ماي 2020، وإبراز التنوع في زوايا طرح موضوع العنصرية في مختلف الصحف المدروسة، واهتمام الرسامين الكاريكاتيريين بالموضوع بشكل ملفت، نظرا لتفاقم حوادث القتل باسم العنصرية في المجتمع الأمريكي، وانعكاساتها على المجتمعات الأخرى .

كلمات مفتاحية: التمييز العنصري- العنصرية- العنف من خلال الكاريكاتير- الكاريكاتير والعنصرية- العنصرية في أمريكا..

Summary:

This study attempts to tackle the phenomenon of racial discrimination in American society, through press caricatures, by standing up to the semiotics analysis of some pictures published in the Arab newspapers, in the period in which the United States experienced massive protests after the murder of the black man George Floyd at the end of May 2020, And highlighting the diversity in the angles of presenting the issue of racism in the various studied newspapers, and the interest of cartoonists in the subject in a striking way, given the exacerbation of the killings in the name of racism in American society, and their implications for other societies.

Key words: racism - racism- Violence through caricatures - caricatures and racism - racism in America.

- مقدمة:

بلغت ظاهرة التمييز العنصري ذروتها في المجتمع الأمريكي، وأصبحت حوادث العنف باسم العنصرية تأخذ أبعاداً خطيرة، وجاءت قضية مقتل "جورج فلويد" لتيقظ فينا الرغبة في معالجة الموضوع، وذلك بالتركيز على الصور الكاريكاتيرية، بهدف إبراز دورها في تسليط الضوء على قضايا العنف العنصري، وكيفية توظيف الكاريكاتير في نقل القضايا المتعلقة بالتمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال تحليل سيميولوجي لعينة من الرسوم التي نشرت في مختلف الجرائد العربية خلال فترة الاحتجاجات التي أعقبت مقتل المواطن الأمريكي الأسود "جورج فلويد".

1- تعريف العنصرية:

تُعتبر العنصرية من المصطلحات العربية الحديثة، التي لم ترد بهذه الصيغة في أي من المعاجم اللغوية القديمة، وإنما الذي وُرد هو ما ينتسب إليه المصطلح، وتُعرف العنصرية على أنّها الأفكار والمعتقدات والقناعات، والتّصرفات التي ترفع من قيمة مجموعة، أو فئة معينة على حساب الفئات الأخرى، بناءً على أمور موزّنة مرتبطة بقدرات الناس أو طباعهم أو عاداتهم، وتعتمد في بعض الأحيان على لون البشرة، أو الثقافة، أو مكان السّكن، أو العادات، أو اللغة، أو المعتقدات، كما يُمكن أن تعطي الحق للفئة التي تم رفع شأنها بالتحكّم بالفئات الأخرى في مصيرهم، وكيّنونتهم وسلب حقوقهم وازدراءهم بدون حق أو سبب واضح. وظهرت العنصرية منذ بداية الكون، وتعدّ أحد أسباب الفتن والحروب والفرقة، وهي من أشد الأمراض فتكاً بالمجتمعات، ولم يخلُ عصر من العصور منها، ومن الأمثلة عليها تجارة الرقيق التي تمارسها بعض الدول على الأفارقة ذوي البشرة السوداء؛ حيث يصبحون عبيداً فقط لأنهم سود .

2- أسس العنصرية:

تستند العنصرية إلى عدة أسس منها: لون البشرة وهو ما يعانيه السّود في جنوب إفريقيا وأمريكا بشدّة عبر عدة حوادث، حيث تُشير التّقارير إلى أنّ الأحداث العنصرية زادت بشكل ملاحظ في كل مكان من جنوب إفريقيا، في المدارس والجامعات والمطاعم، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي وفقاً لأقوال لجنة حقوق الإنسان في جنوب إفريقيا، ممّا أدى إلى شعورٍ بخيبة الأمل لدى السّود بسبب العنصرية المعلّنة .

وفي هذا يقول "إبراهيم محمود": "يعتبر الأسود بدءاً من مفهومه اللوني عدونا البغيض، والعدو التاريخي والميتافيزيقي الذي طُلب منا طويلاً إعلان الحرب الجهادية عليه، وكأنّ الدنيا لا تعرف من الألوان غير الأبيض ليس إلا، وباتت مشاعرنا وأحاسيسنا مثقلة بوطأة الألوان وتقسيماتها، وأصبحنا منقسمين على أنفسنا بأنفسنا، حيث تظهر العنصرية عقدتنا فيما نختار ونسمّي في كل ما يتصل بنا ذوقياً، وحتى فيما نتخيله ونتمثله ونحلم به .

الفصل الثالث: تجليات التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الكاريكاتير الصحفي.
دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الصور الكاريكاتيرية المنشورة في بعض الجرائد الجزائرية والعربية.
المؤلف: عبدالنور بوصابة

ومن أُسس العنصرية نجد أيضاً القومية، نسبة إلى القوم، أو الجماعة، كالقومية اليهودية، بالإضافة إلى اللغة، العادات، والمعتقدات، والثقافات والطبقات الاجتماعية؛ حيث يحتقر الأغنياء الفقراء ويتحكمون بهم، فمعاملة الفرد واحترامه مبنية على مكانته الاجتماعية .

3- مفهوم التمييز العنصري:

اختلف الباحثون في تعريف التمييز العنصري، حسب اختلاف وجهات نظرهم لاختلاف تخصصاتهم العلمية، ولكنها تدور كلها حول المعاني المتداولة لهذا المصطلح، مثل العنصرية، التفرقة، الفصل العنصري والتمييز العنصري، ويترتب عن هذا التمايز الاضطهاد أو الضرر الذي يلحق بالآخر، والتمييز العنصري هو التعميم المطلق لقيمة فروق فعلية أو وهمية، لتحقيق منفعة من يدعيها لنفسه، ويلحق الضرر بضحيته، ليسوّغ تمييزه وعدوانيته، وتعبير آخر هو معاملة الناس بتفرقة وبشكل غير متكافئ، وتصنيفهم اعتماداً على انتماءاتهم إلى عرق ما، أو قومية معينة، وإنشاء جو عدائي، ومُهين، ومُذل بناءً على أُسس العنصرية آنفة الذكر، والتمييز هو عقيدة تستند إلى أسطورة مناقضة للدين الحق، والعلم الصحيح حول تفوّق أو نقص هذه الأجناس أو تلك، محاولة تبرير السياسة العدوانية ضد الكائن البشري التي تقوم على الاغتصاب والإرهاب والاستعباد .

ويختلف التمييز السلبي عن التمييز الإيجابي الذي يقوم به علم الأجناس لمعرفة خصائص قوم واختلافه عن الأقوام الأخرى، وهو لا يتضمن أي حط من قيمة هذه الخصائص وبالتالي حاملها، ويجب التفرقة بين العرق والإثنية هو أنّ العرق يهتم بالخصائص البيولوجية، في حين أنّ الإثنية تتجاوز هذه الخصائص لتهتم بالأبعاد الثقافية والجوانب المادية المشكّلة للإنسان والهوية، وأوضحت الدراسات التاريخية المعاصرة أنّ العرق كان اختراعاً حديثاً نسبياً في التاريخ البشري، فالأعراق البشرية لم تكن موجودة قبل أواخر القرن السابع عشر، ويتفق الدارسون أنّ العرق كان في الأساس اختراعاً ثقافياً عن الاختلافات البشرية، التي كان أساسها في الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فالعلم الحديث يرى أنه لا أساس لتصنيفات البشر التي نطلق عليها أعراقاً .

4- نظرة تاريخية عن التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية:

يرجع تاريخ نظام العبودية في أميركا إلى القرن السادس عشر، قبل أن يتم حظره سنة 1808 من قبل الكونغرس، وإلغائه فعلياً في فيفري 1865 بتوقيع الرئيس الأميركي "أبراهام لينكولن" الذي حرّر الجميع من العبودية، وينص التعديل الثالث عشر من الدستور الأميركي كالتالي: "تحرّم العبودية والخدمة الإكراهية، فيما عدا كعقاب على جرم حكم على مقترفه بذلك حسب الأصول في الولايات المتحدة، وفي أي مكان خاضع لسلطانها"، وهناك الكثير من الزنوج في أميركا يتم غسل مخمهم كي يؤمنوا بأنّ الجنس الأسود جنس أدنى منزلة، والأبيض أعظم درجة فيمسخون ويشوهون أجسامهم ليصبحوا في أحسن تقويم بمقاييس الرجل الأبيض، ولم يقتصر التمييز في أميركا على اللون فقط، فكثيراً ما عانى المهاجرون من غير البروتستانت الذين هاجروا من أوروبا، وخاصة الأيرلنديين والبولنديين

والإيطاليين، من حالة إقصاء الأجانب، وذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وواجهت مجموعات أمريكية من الشرق الأوسط مثل اليهود والعرب تمييزاً مستمراً، وواجه المهاجرون من جنوب وشرق آسيا التمييز، واستمر الاضطهاد والتفريق العنصري لعقود كثيرة شهد خلالها المضطهدون شتى "أنواع التعذيب" ليظهر القائد "مارتن لوثر كينغ" زعيم أمريكي من أصول إفريقية، تحصل على جائزة نوبل للسلام سنة 1964، لدعوته إلى اللاعنف، وبذلك كان أصغر رجل في التاريخ يفوز بنوبل عن عمر لم يتجاوز الخامسة والثلاثين، قاد "لوثر كينغ" حركة الحقوق المدنية من منتصف الخمسينيات للمطالبة بإنهاء التمييز العنصري ضد السود، وناضل رفقة مناصريه عشرة أعوام حتى تم اغتياله سنة 1968 .

ونجحت نضالات "كينغ" وأنصاره إلى حد ما حيث وقع الرئيس الأمريكي آنذاك "ليندون جونسون" قانون الحقوق المدنية، معتبراً أن التمييز العنصري أمر مخالف للقانون، غير أنّ ذلك لم يضع حداً له حيث شهدت الستينيات الكثير من الاحتجاجات وأعمال شغب، لتشهد البلاد هدوءاً نسبياً في السبعينات والثمانينات، ثم اندلعت شرارات الغضب من جديد عام 1992 مع قضية "رودني كينغ"، مواطن أمريكي من أصل إفريقي، تعرّض للضرب المبرح من قبل شرطة لوس أنجلوس في 3 مارس 1991 بعد القبض عليه بسبب تجاوز السرعة، لتشهد البلاد أحداث دموية شهيرة سميت بـ "قضية رودني كينغ"، عقب نشر فيديو لمصور هاوٍ يدعى "دافيد هاليدي" للحادثة .

بدأت مشاركة الأفارقة الأمريكيين السود في السياسة منذ مطلع ستينات القرن الماضي، عندما وقع الرئيس "ليندون بينز جونسون" قانون الحقوق المدنية سنة 1964، وحق التصويت في 1965، نتيجة جهود المدافعين عن الحريات المدنية، وعلى رأسهم "مالكوم إكس" و"لوثر كينغ" وغيرهما من رموز السود الذين قدموا تضحيات كبرى من أجل الحرية، وقام "مالكوم إكس" عند خروجه من السجن سنة 1952 بتغيير اسمه من "مالكوم ليتل" إلى "مالكوم إكس" حيث ترمز الـ (X) إلى عدم معرفته باسم عائلته الأفريقية الأصل، وكان تغييره لاسمه بهذه الطريقة دليل على ذكائه و المعيته .

وفي سنة 2009 حصل ما لم يكن متوقعاً، فقد انتخبت الولايات المتحدة، "باراك أوباما"، رئيساً أسود البشرة حاملاً معه آمالاً كثيرة للسود في أمريكا لكن في نفس العام تم قتل الشاب "مارتن ترافون" برصاص الحارس المتطوع من أصول لاتينية، وعلّق "أوباما" على الحادث قائلاً "إذا كان لي ولد لكان يشبه ترافون"، موضحاً أنّ الحادث قد يحمل طابعاً عنصرياً، وبذلك لم يغير لون بشرة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الجديد طباع العنصرية داخل الشعب الأمريكي، أما الرئيس الحالي المثير للجدل "دونالد ترامب" فقد عبر عن رأيه، خلال الحملة الانتخابية الرئاسية لعام 2016 بصراحة عنصرية مطلقة، حيث قال "المناطق التي يسكنها السود قذرة وشديدة السوء"، معبراً عن عدم

وجود "ما يخسره" تجاه الناخبين الأمريكيين من أصول أفريقية مضيفاً أن ظروفهم المعيشية لن تعرف إلا التحسن خلال حكمه، واتهم الرئيس الأمريكي بخطاباته العنصرية تجاه أصحاب البشرة السوداء .

5- أكذوبة نهاية التمييز العنصري في أمريكا:

بموجب قانون الحقوق المدنية الأمريكي الصادر عن الكونغرس في 1991، يحق لأي مواطن أن يرفع دعوى في مواجهة أي مصلحة، أو وكالة حكومية إذا مورس ضده التمييز في العمل أو التعليم وغيره بحسب ويلبيك، مؤكداً أن القانون أدخل تغييرات كبيرة في القوانين الفيدرالية ضد التمييز في التوظيف الذي فرضته لجنة تكافؤ فرص العمل في الولايات المتحدة (EEOC) ، ويقرّ البرفيسور الأمريكي من أصل أفريقي "موليفي كيتي أسانتي"، *أنّه رغم قانون الحقوق المدنية فالتمييز لا يزال قائماً، فصرّح لموقع "العربي الجديد": "تراث الرقّ في أميركا باقٍ، بعض البيض لديهم نزعة الشعور بالاستعلاء، وأنهم أفضل من السود، ونتيجة لذلك، يتعرض السود للعنف والتمييز على أساس اللون"، وإضافة إلى ذلك لا يوجد في أميركا قانون مكتوب فيه كلمة "عنصرية"، ولكن التمييز موجود عملياً، مضيفاً أن العنصرية في أميركا لم تحرم ولم تحرم بقانون كما هو في جنوب أفريقيا "صحيح أنه لا توجد قوانين عنصرية في أميركا، لكن العنصرية تأتي في سياق الممارسة"، كما يقول .

ويرى المتخصص الاجتماعي الأمريكي "هانت" أن ظاهرة عنف الشرطة الممارس على السود لها جذورها وخلفياتها قائلًا: "لدينا رئيس أسود لكن معظم الأمريكيين السود يعانون حالياً من سوء الأحوال الاقتصادية أكثر مما كانوا عليه قبل 20 عاماً"، إنهم مهمشون في جميع مجالات الحياة، فنسبة البطالة بينهم زادت خلال عقود إلى ضعف نسبتها بين البيض، كما أن مدخولهم المالي أقل بنسبة الثلث من متوسط دخل الفرد في الولايات المتحدة، كما أن الاعتقالات والعقوبات في أوساطهم أكثر منها لدى البيض .

ورغم نجاح الأمريكيين السود في القضاء على العبودية والفصل العنصري، فإن مجتمعهم ما زال يعاني من مظاهر ومشاكل عديدة بالمعايير الأمريكية، وبعد نصف قرن على خطاب "لوثر كينج" التاريخي "عندى حلم I have a Dream" ما زالت الظروف المعيشية الصعبة للسود في أميركا قائمة، فما تعيشه الولايات المتحدة من قضايا تمييز هو ترجمة دقيقة لما قاله مارتن لوثر كينج، الزعيم التاريخي للسود الأمريكيين من أن "أعمال الشغب هي لغة غير المسموعين"، من هنا يصبح كفاح السود وغيرهم عملية مستمرة حتى ولو وصل أمريكي أسود لعرش البيت الأبيض .

وصدر في منتصف التسعينات، كتاب الأمريكي من أصل هندي "دانيش دي سوزا" "نهاية العنصرية"، وفيه يقول: "أنّ السود هكذا لأنهم هكذا، هي جينات، يمكن أن تخرجهم من بريرة الغابات ولكن لا يمكن أن تخرج الوحشية من قلوبهم"، وكان الكتاب جزءاً من مسرحية الانتصار الكبير التي شارك فيها آخرون مثل "فرانسيس فوكوياما" في كتابه "نهاية التاريخ"، ولمح "فرانك ويلدرسون"، رئيس قسم الدراسات الأفريقية الأمريكية في جامعة كاليفورنيا، في كتاب صدر مؤخراً، إلى أن الحل الوحيد قد يكون في تدمير النظام وحرقه، حيث كان "ويلدرسون"

يعتقد أن الأسود يعاني مثلما يعاني الفلسطيني والسكان الأصليون في أميركا والعمال الفقراء، ولكن بعد سنوات من الدراسة والعمل الثوري في جنوب أفريقيا، صار الأسود في نظره ليس إنساناً يعاني من التمييز، بل وضعته المؤسسات والممارسات الأمريكية خارج نطاق البشر، مثلما فعلت النازية باليهود، ومن هذا المنطلق، يمكن فهم موجة الغضب المتشائمة التي دفعت الأميركيين السود وغيرهم نحو الشغب والحرق، فهذه الاحتجاجات المتصاعدة في الولايات المتحدة في السنوات القليلة الماضية، قد تكون التدريبات الأولية على سبل مدمرة للغاية للقضاء على هياكل العبودية الحديثة العميقة المتجسدة في قسم الشرطة والسجن والمدرسة، والبرلمان وغيرها من مؤسسات المجتمع التي بات يُنظر إليها أكثر فأكثر على أنها تجليات للمشكلة وليست طريقاً للحل .

ويتجلى تراث العنصرية في الولايات المتحدة من خلال تعرض الأميركيين من أصل أفريقي للتمييز في مختلف مناحي الحياة مثل المدرسة والجامعة، وعند التقدم للوظائف والترقية في العمل، وعند محاولة استئجار، أو شراء مسكن، وعند الذهاب إلى الطبيب أو العيادة، وعند محاولة التصويت، وفقاً لاستبيان "التمييز في أميركا" الذي أجرته مؤسسة الإذاعة الوطنية العامة خلال الفترة من 26 جانفي حتى 19 أفريل 2017، لكن أبرز مظاهر الاستهداف الممنهج، يتمثل في تعامل الشرطة معهم، إذ قتلت الشرطة الأمريكية 1147 أميركياً، من بينهم 25% من الأميركيين من أصل أفريقي في عام 2017، وفقاً لمسح خريطة مراقبة العنف الشرطي، الذي أجرته حركة (The Protesters) نحن المتظاهرون" المناهضة للعنصرية، ومنذ بداية عام 2018 وحتى أكتوبر 2019 يقدر موقع statista الدولي المختص في البيانات عدد القتلى من الأميركيين من أصل أفريقي على يد الشرطة بـ 158 شخصاً من إجمالي 1.056 أميركياً متعدد الأجناس، قتلتهم الشرطة خلال الفترة من جانفي حتى بداية ديسمبر 2018 بحسب بيانات خريطة مراقبة العنف الشرطي .

وتشير إحصاءات ودراسات كثيرة إلى استهداف ممنهج من قبل الشرطة والنظام القضائي الأميركي للسود، وإلى تمييز عميق في المعاملة في السياسات الصحية والسكانية والتعليمية، ووفق الإحصاءات المتاحة، تقتل الشرطة الأمريكية نحو 1100 شخص سنوياً في الشوارع، ويمثل السود نحو 26% من هؤلاء القتلى، على رغم أن نسبة السود في الولايات المتحدة لا تتعدى 13%، ولقي معظم قتلى الشرطة الأمريكية مصرعهم بطلقات رصاص، ولكن من قتلوا منهم بسبب شل الحركة والخنق تزيد فيهم نسبة السود عن 50 %.

6- مفهوم الكاريكاتير الصحفي:

الكاريكاتير هو فن الهزء والسخرية معاً، لأن وظيفة الكاريكاتير ليست نقل الواقع والسخرية منه فقط، بل تضخيم وتحويل وتكبير ما تم في الواقع مع شيء من الكذب، فأجمل الحقائق في الفن ما شأها كذب كما يقول "سارتر"، أما الساخر فيسخر من واقعة حدثت تماماً في الواقع، أما الهازئ فيهزئ من فعل أو قول تمت فيه فبركة ما، وضخمه وكبره وهوله الهازئ في خياله، وخیال الآخرين، ثم أخذ يهزئ به، وهو لب فن الكاريكاتير الصحفي،

الذي جاء أصلاً من الكلمة الإيطالية ومعناها يُحْمَل، أو يُشَحَّن أو يغالي، ومن هنا جاء تعريف هذا الفن بأنه الفن الذي يُحْمَل الصورة فوق طاقتها ويغالي بها، أي يكذب ويشحن القارئ أو الناظر بالأفكار والمواقف، إلا أنّ كلمة كاريكاتير الحقيقية لم تستعمل إلا في النصف الثاني من القرن السابع عشر حسب "بوين لينش".

ويُعد الكاريكاتير تمثيلاً للأحداث والمواقف التي تمثل أهمية الناس، كما أنه صورة تفسيرية مرسومة على طريقة الرمزية والمبالغة، لنقل الرسالة التي رُسمت لنقلها، ويوضّح "هاريسون" أنّ الكاريكاتير صوراً لا تُصدّق على الشيء بل تشوّهه، لذلك تُعد صوراً إخبارية، ومن هذا المنطلق يُتوقع أن تصل الرسالة من وراء الكاريكاتير السياسي أكثر منها في المقالات المكتوبة، أما "جون غران كارتري" John Grand Carterets " يرى بأنّ الكاريكاتير هو سلاح لإعارة الضحك، ينتج ذلك من خلال الأشياء بطريقة لاذعة وشائكة، وحسب قاموس لاروس فالكاريكاتير هو تصوير هجائي وساخر عن شخصية أو موضوع أو شيء، وهو تمثيل مشوّه للحقيقة، فينتج رسماً مضحكاً أو موحشاً لكن دون أن يخفي التشابه الموجود بين الرسم والشخصية الحقيقية.

وينتمي الكاريكاتير إلى عالم خطابي أرحب وهو الفكاهة التي تشمل بدورها على أجناس خطابية فرعية، مثل اللعب بالألفاظ والسخرية والتورية والنكته وما إليها، وتشتمل تعريفات الكاريكاتير كلها على معاني المبالغة أو التشويه لتحقيق هدف قريب، وهو الإضحاك وهدف بعيد وهو النقد الاجتماعي والسياسي، وبالإضافة إلى دوره الفكاهي يستخدم الكاريكاتير كوسيلة لتوعية الرأي العام وجمع المعلومات، وإيضاح وتبسيط الظروف الراهنة، ويمكن القول بأنه يزيل حواجز وعوائق اللّغة بين الناس، بحيث يتمكن كل واحد من قراءة العلامات التي تحتويها، ومن ثم تتحول الصورة إلى نص بصري قابل للقراءة والتأويل بغض النظر عن لغته.

ويهدف الكاريكاتير إلى إحداث مفارقة مضحكة حيناً، ومحنة حيناً آخر، من خلال تشاكل الكلام (اللغة) وعناصر الرسم (البصري)، وبذلك فالصورة الكاريكاتيرية تتصف بكونها ذات طبيعة مكانية - زمنية (تتابعية) في الوقت ذاته تتمتع فيها رسائل الخطاب في جانبها البصري، بينما تتلو الرسائل بعضها بعضاً في الجانب اللغوي (التعليق)، وبذلك يشكّل الكاريكاتير أحد أنواع الخطاب الإعلامي الذي يجمع بين اللغة (الكلام) والرسم، ويبني على أساس مفارقة التورية، والكاريكاتير الناجح هو الذي يكون فيه عنصرا الرسم والتعليق على قدر المساواة، بمعنى أنه عند قراءة التعليق فقط دون الرسم لا يصل المعنى، والعكس صحيح، وتكمن قوة الكاريكاتير في التأثير الذي يحدّثه، والخط البسيط المعبر الذي يوصلك إلى هدفك بأسرع وقت.

7- تاريخ الكاريكاتير في الولايات المتحدة الأمريكية:

ظهر أول كاريكاتير في جريدة "بنسلفينيا" الصادرة عن "بنيامين فرانكلين"، في إحدى المستعمرات الأمريكية سنة 1754، كان هذا الكاريكاتير عبارة عن صورة لثعبان مقسم إلى أجزاء يحمل كل جزء الأحرف الأولى من أسماء المستعمرات البريطانية في أمريكا من إنجلترا إلى جورجيا، وفي بداية عام 1800 اكتسب الكاريكاتير سمات أمريكية

متميزة أخرى بشكل ومفهوم اقتصادي، وكان الكاريكاتير الأمريكي في بدايته يختلف عن الأسلوب المتبع في الكاريكاتير البريطاني المطوّر، حيث كان مبالغاً فيه ممتلئاً بالأشكال وكان ساخرًا من الدرجة الأولى، كان مضمون الكاريكاتير طويلاً وغامضاً، وكانت تطبع الكثير من الصحف كل أسبوعين مما يتيح لرسم الكاريكاتير وفرة من الوقت ليضع تصاميم واضحة، وتطوّر رسم الكاريكاتير كثيرا بعد اختراع الطباعة بالماكينات الآلية، مما ساعد على نطاق الصحافة من كونها أسبوعية لتكون صحافة يومية، وشجعت زيادة نسبة التوزيع الرسامين على زيادة إنتاجهم، وساعد ذلك على شهرتهم .

مرّ الكاريكاتير في أمريكا بأربع مراحل، كانت المرحلة الأولى للرسوم الخشبية والنقوش النحاسية، وتضمن المرحلة الثانية كاريكاتيراً منحوتاً من الحجارة، وفي المرحلة الثالثة كان الكاريكاتير ينشر في مجلات أسبوعية، وأخيراً يأتي الكاريكاتير الافتتاحي في الجرائد اليومية، وكان يتم إصدار النوعين الأول والثاني كمنشورات منفصلة، وكانا منتشرين حتى عام 1850، وتُعد فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية الفترة الأكثر ازدهاراً للكاريكاتير السياسي في التاريخ الأمريكي الحديث، والتي توقفت خلالها نشاط جريدة "واشنطن بوست"، ويذكر "هاريسون" عدداً من الرسامين في تلك الفترة أمثال (بل مولدن) الرسام بجريدة (سانت لويس بوست دسباتش)، الحاصل على جائزة بوليتزر عامي 1945 و1959، و(بول كوراد) الرسام بجريدة (لوس أنجلوس تايمز) الحاصل على جائزة بوليتزر عامي 1964 و1971، وفي عام 1970 ظهر جيل آخر من رسامي الكاريكاتير السياسي مثل (بات أوليفات) بجريدة (واشنطن ستار)، و(جيف ماكنلي) الحائز على جائزة بوليتزر عامي 1972 و1974، وتغيّر أسلوب هؤلاء الرسامين من الصور المجردة إلى التعليق على الصور بخط داكن، واتجهوا إلى التخطيط والرسم بخط دقيق، وانتشرت النزعة الفكاهية سنة 1970 بريشة (جاري تروديو) الحائز على جائزة بوليتزر سنة 1975، وفي الوقت ذاته كان للحرب على فيتنام أثراً كبيراً على الرسامين الأمريكيين، في 1980 كان هناك بعض الرسامين الذين يحملون أفكاراً مختلفة عن الآخرين، ولا يمكن أن يوصف أحدهم بأنه ديمقراطي أو جمهوري، وفي هذا يقول "هاريسون": كان لظهور الموجة الجديدة من الرسامين نزعات عديدة في المجتمع بما في ذلك الحنكة البصرية العظيمة من جانب القارئ، والرغبة في المزيد من التسلية وتغير المواقف تجاه المؤسسات السياسية، وربما أكثر من هذه الأمور أنها عكست الدور الذي تقوم به الصحف اليومية في تغير الحياة الأمريكية .

وكان الكاريكاتير في القرن العشرين شاهداً على تدخل الدولة في حياة مواطنيها، كما أنّه شاهد على وجود تصنيفات اجتماعية، على أساس العرق والجنس وحتى الطبقة الاجتماعية، ساعد ذلك على تعزيز أهمية الكاريكاتير السياسي كشكل من أشكال المقاومة لكل ما سبق .

8- تحليل نماذج من الصور الكاريكاتيرية المعالجة لقضية التمييز العنصري في أمريكا :

برغم الكم الهائل من الصور الكاريكاتيرية التي عالجت موضوع التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية في الصحافة المكتوبة، وذلك في الفترة التي تم فيها اغتيال الأمريكي ذي الأصول الإفريقية "فلويد"، إلا أنه وقع اختيارنا على عينة من هذه الكاريكاتيرات، وذلك لمجموعة من الأسباب يمكن حصر بعضها فيما يلي:

من المنطقي أن الباحث لا يمكنه تحليل كل مجتمع البحث فعليه أن يقوم باختيار عينة من مفردات ذلك المجتمع، وهو الأمر في دراستنا، ولكن صادفتنا في اختيار الصور مجموعة من العوائق جعلتنا نختار مجموعة من الصحف دون غيرها، حيث كان من الصعب البحث في أرشيف معظم الجرائد نظراً لعدم توفرها على اختيارات البحث المسهلة للوصول إلى الموضوع المراد دراسته، عن طريق كتابة كلمات مفتاحية، كما أن بعض الجرائد لا تضع تصنيفاً لأرشيفها لتسهيل العودة إليه، فوقع اختيارنا على مفردات العينة نظراً لإتاحتها عبر البحث في أرشيف الصحف أولاً، ونظراً أيضاً لأنها قدّمت بلغة فصیحة واضحة، يفهما كل القراء، في حين لم ندرس بعض الصحف نظراً لاستخدامها للهجات محلية، حيث من الصعب على باحث لا ينتمي إلى تلك المنطقة فك شفرات كل الرسائل اللغوية المقدمة، واختارنا سبع جرائد من خمس بلدان مختلفة لتحقيق عنصر التنوع، فاختارنا صحيفة سعودية وفلسطينية وكويتية، وصحيفتين جزائريتين وإماراتيتين، لتقديم قراءات لتوجهات وانتماءات مختلفة للصحف، وقمنا باختيار جريدتين من الجزائر، وهما "الشروق اليومي" و "ليبيرتي" نظراً لانتمائنا الجغرافي للبلد الذي تصدر فيه، وفهمنا لثقافة البلد وبالتالي إمكانية تفسير وتحليل الصور بشكل مستفيض، كما أنّ اختيار عينة الدراسة راعى تنوع زوايا معالجة الموضوع، فقمنا باختيار صور تركز على التغطية الإعلامية لقضية مقتل الأمريكي "جورج فلويد"، وأخرى تصور العنف الممارس من طرف الشرطة، وربط القضية بموضوع الحرية وحقوق الإنسان، بالإضافة إلى صورة تصف مواقف ترامب، وأخرى تقدم الموقف الإيراني من الاحتجاجات التي أعقبت مقتل فلويد، ونكون بذلك محاطين بالموضوع من كل جوانبه

• تحليل الصورة الأولى من جريدة الشروق اليومي "الجزائرية":



صورة من جريدة الشروق اليومي الجزائرية في العدد الصادر يوم 30 ماي 2020.

عالج الرسام الكاريكاتيري "باقي" في صحيفة "الشروق اليومي" الجزائرية كاريكاتيرا يسلط الضوء على الاحتجاجات التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد مقتل الرجل ذي البشرة السوداء من أصول أفريقية "جورج فلويد" تحت أقدام شرطي يوم 25 ماي 2020، ونرى في الصورة الحروف الأولى الدالة على الولايات المتحدة الأمريكية باللغة الإنجليزية "اليو أس أي"، حيث مثل حرف "الأي" بالشرطي الذي يعتدي على الرجل الأسود، وجاء عنوان الصورة "مقتل رجل أسود على يد الشرطة يثير موجة غضب في أمريكا"، وفي أسفل الصورة توقيع الرسام "باقي".

وتم تمثيل دولة الولايات المتحدة الأمريكية بالحروف الأولى لها من التسمية الإنجليزية، وعدد الحروف هي ثلاثة وهي "اليو" U التي تعني المتحدة، و"الأس" S التي تعني الولايات، و"الأي" A التي تعني الأمريكية، ومثلت أمريكا بالشرطي في شكل حرف "الأي"، والذي يلبس بذلة وحذاء عسكريين، وهو كله قوة وعنف، وكأنّ الشرطة هي رمز الاستبداد والعنف والتمييز العنصري، وهي السمات التي تعرف بها الشرطة الأمريكية منذ الأزل، ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا، ومثل الرجل الأسود ليصف لنا اللحظات الأخيرة قبل مقتل "فلويد" على يد شرطي، هذا الأخير الذي من المفترض أن يسهر على سلامة المواطنين إلا أنه يرمز للخوف والعنف، وغلب على الصورة اللون الرمادي الذي يرمز للخراب والعنف والفوضى، إذ دخلت الولايات المتحدة في دوامة عنف، وفي احتجاجات عارمة عقب مقتل فلويد، وهو ما نفهمه الغيوم الرمادية في الصورة، والتي كتب عليها عنوان الصورة، وهو ظهور موجة العنف في أمريكا عقب مقتل الرجل الأسود، بينما نرى اللون الأبيض الذي يمثل الضباب الظاهر خلف أشكال حروف

الفصل الثالث: تجليات التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الكاريكاتير الصحفي.
دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الصور الكاريكاتيرية المنشورة في بعض الجرائد الجزائرية والعربية.
المؤلف: عبدالنور بوصابة

الولايات المتحدة الأمريكية، وصورة الجريمة التي أودت بحياة "فلويد" وكأن الأوضاع لا تزال متوترة، والعنف لا يزال مستمرا.

ويريد الرسام "باقي" من خلال رسمه الكاريكاتيري أن يبرز للعالم الصورة الحقيقية التي يجب أن ننظر بها إلى الشرطة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي صورة العنف والاستبداد الأزلي في حق المواطنين العزل، وقد أدان المرشح الديمقراطي للرئاسة الأمريكية، "جو بايدن"، العنف في الاحتجاجات التي شهدتها الولايات المتحدة بعد وفاة الرجل الأسود خلال اعتقاله من قبل الشرطة، مشددا على حق الأميركيين في التظاهر، بينما كان الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" غير مبالي بالأوضاع، وكانت مواقفه تشدد على استعمال القوة لقمع المتظاهرين، وهو ما يعزز فرضية العنف الأبدي.

• تحليل الصورة الثانية من جريدة "ليبرتي" الجزائرية :



صورة من جريدة "ليبرتي" الجزائرية العدد رقم 8472 الصادر يوم 01 جوان 2020

يقدم لنا الرسام الكاريكاتيري "ديلام" في صحيفة "ليبرتي" الجزائرية كاريكاتيرا يصور فيه مقتل طفلة جزائرية على يد راق، بدافع طرد الجن وبالمقابل الشرطي الأمريكي يقتل الرجل الأسود "فلويد" بدافع العنصرية، ونرى في

الصورة شرطي خلفه العلم الأمريكي وهو يعتدي على رجل أسود وهو المواطن "فلويد"، ويتلفظ الشرطي بكلمة "Racisme" التي تعني العنصرية، ويقابله رجل من الجزائر حسب العلم الظاهر وراءه، يبدو أنه إمام يعنف طفلة ويتلفظ بكلمة "non exorcisme" أي "لا بل طرد الأرواح الشريرة"، ويظهر عنوان الصورة باللغة الفرنسية «une fillette de 10 ans assassinée dans l'indifférence générale» والذي يعني "مقتل طفلة في العاشرة من عمرها بسبب اللامبالاة"، وفي أسفل الصورة توقيع الرسام "ديلام".

استطاع الرسام "ديلام" أن يجمع بين موضوعين مهمين، يتمثل الأول في قضية قتل المواطن الأمريكي الأسود "جورج فلويد" من طرف شرطي، ويقابله مقتل طفلة في العاشرة من عمرها بولاية قلمة بالجزائر في نفس الفترة، على يد إمام بعد جلسة رقية شرعية، فترى الشرطي الأمريكي ببذلة الرسمية يقوم بتعنيف الرجل الأسود حتى تلفظ أنفاسه الأخيرة، وذلك بدافع العنصرية وهو ما تلفظ به الشرطي في الصورة بكلمة "عنصرية"، بينما الرجل الجزائري وبعد أيام قليلة فقط على مقتل فلويد، يقوم بتعنيف طفلة في بيت أهلها بولاية قلمة بالجزائر، وذلك بهدف طرد الأرواح الشريرة حسب ما تلفظ به الرجل في الصورة، وكأنه بالضرب المبرح يتم إخراج الجن، ولكن وللأسف الشديد توفيت الطفلة البريئة بسبب لا اللامبالاة ولا وعي أسرته، فكيف للعنف الجسدي أن يؤدي إلى شفاء طفل، لو لم تكن السذاجة واللاوعي يسيطران على أفراد عائلة الطفلة.

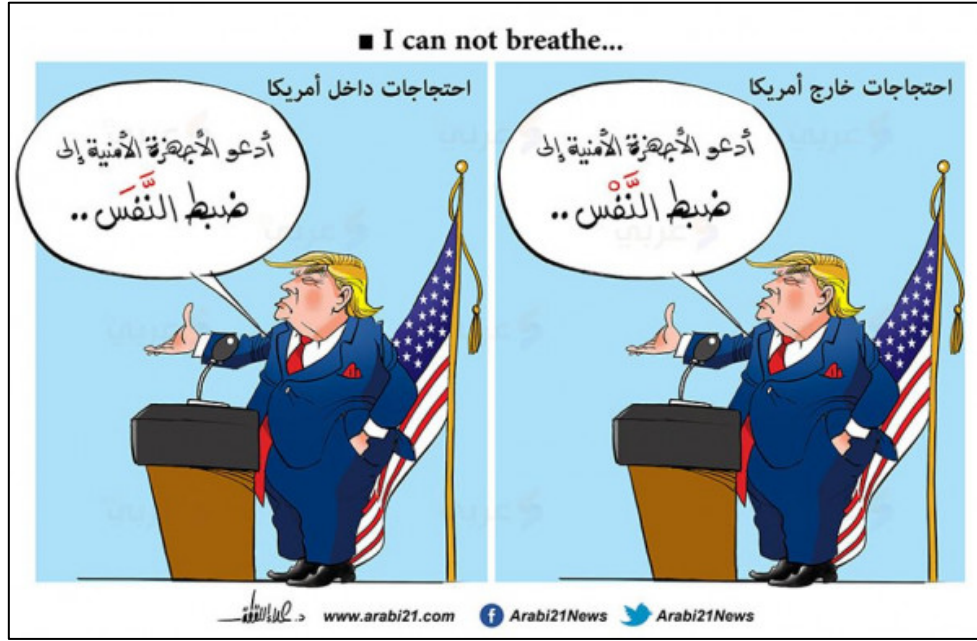
وقيام الرسام "ديلام" بمقاربة الحادتين لم يكن اعتباطا، بل ليقدم لنا المفارقة بين أسباب القتل في المجتمع الأمريكي، ونظيره المجتمع الجزائري، حيث أنه في الوقت الذي لا يزال المواطن الأمريكي يموت باسم التمييز العنصري، لا يزال المواطن الجزائري يموت بسبب الجهل واللاوعي، حيث نفهم أنّ قضية العنصرية هي القضية التي يصعب القضاء عليها، نظرا لطبيعة المجتمع الأمريكي، وتفاقم العنف والجريمة بداخله، بينما كان من الأسهل تفادي جريمة قتل البراءة باسم طرد الأرواح الشريرة، أو بدافع طرد الجن، ولكن الجهل حسب "ديلام" هو الأصعب مادام أنه متجذر في المجتمع الجزائري، الذي لا يزال يستسلم للعرافين ورجال الدين المزيفين، الذين ينشرون خرافاتهم وضلالهم للأسف في المجتمع.

ولو نعود إلى تاريخ العنف بدافع العنصرية في أمريكا لما انتهينا من سرد كل تلك الجرائم التي حدثت، وعل سبيل المثال تمّ في صيف 1955 في الميسيسيبي إعدام المراهق "إيميت تيل" بشكل متوحش، وهو لم يتجاوز عمره 14 عاما، وذلك لأنه أطلق صفيرا لامرأة بيضاء، وخاضت والدته صراعا لاستعادة جثة ابنها للعودة بها إلى شيكاغو، أين كانت تعيش، وأظهرت للجماهير الجثة المشوهة بفضاعة، حيث نشرت الصحافة الصور، وبعد شهر عن الحادثة، تمت تبرئة القتلة، وهذه واحدة فقط من مئات الحوادث العنصرية، بينما في الجزائر يموت العشرات من المواطنين بسبب الجهل واللاوعي واللامبالاة، فنجد طفل يموت في جلسة رقية، وأطفال يموتون بعد سقوطهم في بركة ماء، أو لقطعهم الطريق السريع لغياب ممر الراجلين، وغيرها من الحوادث المؤلمة التي كان بالإمكان تفاديها، لو قام كل

الفصل الثالث: تجليات التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الكاريكاتير الصحفي.
دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الصور الكاريكاتيرية المنشورة في بعض الجرائد الجزائرية والعربية.
المؤلف: عبدالنور بوصابة

مسؤول بآداء دوره كما يجب، وهي الرسالة التي يريد "ديلام" إيصالها للمسؤولين الجزائريين، بأنّ العنصرية أصعب بكثير علاجها مقارنة بقضايا قتل البراءة بسبب لا مبالاة المسؤول وجهل المواطن.

• تحليل الصورة الثالثة من جريدة "دنيا الوطن" الفلسطينية:



صورة من جريدة دنيا الوطن الفلسطينية - العدد رقم 3026 .

يقدم لنا كاريكاتير جريدة "دنيا الوطن" قراءة مقارنة لتعامل الرئيس الأمريكي مع الاحتجاجات العارمة داخل وخارج الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بتقديم صورتين على شاكلة لعبة الأخطاء السبعة، بهدف إيجاد الفروقات بين الصورتين، حيث تحوي الصورتين شخص الرئيس الأمريكي السابق "دونالد ترامب" وهو على منصة لإلقاء خطاب، وكتب كعنوان للصورة الأولى "احتجاجات خارج أمريكا"، بينما الصورة الثانية عنوانها "احتجاجات داخل أمريكا"، وتمثلت العبارة التي تلفظها الرئيس ترامب في خطابه في: "أدعو الأجهزة الأمنية إلى ضبط النفس.."، بوجود اختلاف واحد فقط في طريقة كتابة كلمة "النفس" في الصورة الأولى بوضع السكون على حرف الفاء، بينما في الصورة الثانية كتبت "النفس" بوضع الفتحة على الفاء، وعنون الرسام هذا الكاريكاتير بالعبارة الإنجليزية "I can not breathe" التي تعني "لا أستطيع التنفس" وهي العبارة التي كان يرددتها الرجل الأسود "فلويد" قبل وفاته.

وحاول الرسام اعتماد لعبة الأخطاء السبعة التي تهدف إلى حث القارئ على إيجاد الاختلافات السبعة بين الصورتين، ولكن يوجد خطفان إثنان أو بالأحرى اختلافين إثنين بين الصورتين، ويتمثل الأول في كلمة خارج أمريكا، بخصوص عنوان الصورة الأولى بينما في الصورة الثانية نجد داخل أمريكا، وذلك لإبراز حدوث احتجاجات عارمة

الفصل الثالث: تجليات التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الكاريكاتير الصحفي.
دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الصور الكاريكاتيرية المنشورة في بعض الجرائد الجزائرية والعربية.
المؤلف: عبدالنور بوصابة

داخل الولايات المتحدة الأمريكية عقب مقتل جورج فلويد، كما نشبت العديد من الاحتجاجات خارج الولايات المتحدة الأمريكية، ويريد الرسم أن يقدم لنا الموقف الأمريكي من الحدثين، حيث تلفظ الرئيس ترامب نفس الجملة في صورتين، ولكن مع وجود اختلاف جوهري فقط في حركة حرف الفاء في كلمة النفس، في جملته " أدعو الأجهزة الأمنية إلى ضبط النفس.."، فكان موقف ترامب من الاحتجاجات خارج أمريكا بوضع السكون على حرف فاء كلمة النفس، أي يحث رجال الأمن في البلدان التي عرفت موجة احتجاجات لضبط النفس، والتعامل بحذر وتعقل مع المتظاهرين، ولكن الأمر مختلف جدا مع الاحتجاجات التي عرفتها الولايات المتحدة الأمريكية، فترامب يدعو إلى ضبط النفس، بفتح الفاء والمقصود من ذلك هو التعامل بالقوة والعنف، لأن ضبط النفس بفتح الفاء هو توقيف النفس كما فعل بالمواطن الأسود جورج فلويد، وكأن الرسالة المقصودة هنا هي مواجهة كل الاحتجاجات بالقوة إن استلزم الأمر ذلك، ومعروف عن ترامب بمواقفه الباردة إزاء الظروف التي تعرفها البلاد في كل مرة، فهو الذي نشر تغريدة على تويتر عقب احتجاجات 2020 تدعو إلى مواجهة المتظاهرين بالعنف والقوة، ما أدى بإدارة تويتر إلى حجب التغريدة والإشارة إليها أنها تخرض على العنف، فهدف الرسام الكاريكاتيري هو إبراز تعنت ترامب وسياسته التي تخرض على العنف والتمييز.

• تحليل الصورة الرابعة من جريدة "الشرق الأوسط" السعودية:



صورة من جريدة الشرق الأوسط السعودية - العدد رقم 80398

يحاول كاريكاتير جريدة "الشرق الأوسط" السعودية الصادر يوم 3 جوان 2020 أن يبرز الموقف الإيراني من المظاهرات العارمة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذا تلك الاحتجاجات التي تعرفها إيران في تلك الفترة، حيث

يظهر في مركز الصورة الرئيس الإيراني يهدي وردة حمراء للأمريكيين، ويشير إلى ذلك تلك اللافتة التي كتب عليها "احتجاجات الأمريكيين"، بينما يقوم بدهس متظاهر إيراني كتب على قميصه "احتجاج الإيرانيين".
ونفهم من خلال هذا الكاريكاتير أن السلطات الإيرانية تشجع احتجاجات أمريكا وتقمع تظاهرات شعبها وتغفل عنها، حيث يهدي الرئيس الإيراني وردة حمراء كدليل على الإعجاب، كما يشير بيده إشارة موافقة على مظاهرات الأمريكيين، ودعم إيران المطلق لهم، بينما نجد المفارقة العجيبة تكمن في قمع ذات الرئيس الإيراني للمحتجين داخل بلده، وهو ما يمثله في الصورة الشاب الذي يحمل مشعلاً مناهضاً للدكتاتورية والاستبداد، ومرتدياً قميصاً أخضرًا يرمز إلى السلم كتب عليه "احتجاج الإيرانيين"، لنفهم عمق النفاق السياسي الإيراني، والاستبداد القائم ضد المواطنين العزل إذا تعلق الأمر بالقضايا المصيرية للشعب الإيراني.

• تحليل الصورة الخامسة من جريدة "الاتحاد" الإماراتية:



صورة من جريدة الاتحاد الإماراتية- العدد رقم 1049054

جاءت الصورة الكاريكاتيرية الرابعة الصادرة بجريدة الاتحاد الإماراتية يوم 5 جوان 2020 لتبرز تعامل وسائل الإعلام المختلفة مع المظاهرات العارمة التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة بعد مقتل "جورج فلويد" على يد شرطي في ماي 2020، حيث يظهر في الصورة عدد من الصحفيين والمصورين يتسابقون لتغطية تلك الاحتجاجات، بأجهزتهم المختلفة والمتمثلة في الميكروفون والكاميرات والدفاتر والأقلام، وفي الجهة المقابلة نرى انبعاث دخان أسود كثيف من مواقع الاحتجاجات، ويظهر تمثال الحرية ليبرز إحدى تلك المواقع، بينما نرى تجاهلاً تاماً لأخبار الأزمة الصحية العالمية، وهو ما يعبر عنه رسم فيروس كورونا الذي بقي وحيداً على طاولة الندوة الصحفية.

فسلطت صحيفة الاتحاد الإماراتية، الضوء على الاهتمام الإعلامي بالمظاهرات وأعمال الشغب من الشرطة الأمريكية بسبب العنصرية، وتجاهل الأزمة الصحية العالمية والتي سببها وباء كورونا المنتشر عالمياً في تلك السنة، خاصة أنه عرفت تلك الفترة تزايد عدد الإصابات في العالم، والصورة تعكس الأهمية القصوى التي أولاها الإعلام لتداعيات احتجاجات مقتل المواطن الأمريكي الأسود، واستطاعت الصورة أن تبرز ذلك رغم عدم وجود عنوان ألسني، بل تم الاكتفاء بكلمة واحدة وهي "News" أي الأخبار، وكأن نشرات الأخبار في وسائل الإعلام الدولية متوجهة كلها إلى بلد العام سام لنقل تلك الموجة الكبيرة من الاحتجاجات.

• تحليل الصورة السادسة من جريدة "الأخبار" الكويتية:



صورة من جريدة الأنباء الكويتية - العدد رقم 61526

نشرت صحيفة الأنباء الكويتية يوم 06 جوان 2020 كاريكاتيراً يرصد العنصرية بين البيض والسود في الولايات المتحدة الأمريكية، على خليفة اتساع رقعة التظاهرات في العديد من الولايات الأمريكية، احتجاجاً على مقتل "جورج فلويد" على أيدي شرطي في مينيابوليس بولاية مينيسوتا، وذلك بالتزامن مع ارتفاع سقف مطالب المحتجين، وتخوف المسؤولين من التداعيات الاقتصادية المترتبة على هذه التحركات، ونرى في الصورة كلمة العنصرية المكتوبة باللون الأسود والتي تحتل مركز الصورة، ومثل كل من حرفي الألف واللام بمواطنين أمريكيين، أحدهما أسود والآخر أبيض، وهما في حالة صراع، وكلمة العنصرية هي نفسها مركز محتوى الصورة وهي العنوان أيضاً، وفي الصورة إمضاء صاحبها الرسام "محمد ثلاث".

الفصل الثالث: تجليات التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الكاريكاتير الصحفي.
دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الصور الكاريكاتيرية المنشورة في بعض الجرائد الجزائرية والعربية.
المؤلف: عبدالنور بوصابة

ونفهم من سياق الصورة الصراع الأبدي بين الأسود والأبيض، حيث كتبت كلمة العنصرية بلون أسود على خلفية بيضاء، لتبرز ذلك التناقض بين اللونين، كما مثل حرفي الألف واللام برجلين أحدهما أسود وثنائهما أبيض، وهما في قمة الصراع وعدم التفاهم، وهو ما نجده في الواقع المعيشي اليومي في الولايات المتحدة الأمريكية، أين تتكاثر حوادث القتل والعنف بدافع العنصرية، ويتم تسجيل عشرات الحالات يوميا، رغم أنّ العنصرية تتجاوز الصراع بين الأسود والأبيض لتصل إلى العرق والأصل، حيث يعرف العرب والمسلمين في أمريكا اضطهادا منقطع النظير، فبعد أحداث 11 سبتمبر لم تكن الأمور أفضل بكثير في الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بالنسبة للطلبة العرب، الذين من شأن العصيان المدني أن يؤدي بهم إلى التوقيف دون تمثيل، أو الترحيل دون إجراءات قانونية، أو التعذيب كما هو الحال لفاروق عبد المعطي، الناشط العلماني الفلسطيني، الذي احتجز وعُذّب في زنزانة انفرادية لمدة زادت عن ثمانية أشهر .

• تحليل الصورة السابعة من جريدة "الخليج" الإماراتية:



صورة من جريدة الخليج الإماراتية - العدد رقم 55143

نشر موقع جريدة "الخليج" الإماراتية، يوم 14 جوان 2020 كاريكاتيراً يعبر عن ما عرفته الولايات المتحدة الأمريكية من مظاهرات احتجاجية عقب مقتل "جورج فلويد" نهاية شهر ماي 2020، حيث يظهر في الصورة رسم تمثال الحرية في نيويورك، تحوّل وجهه إلى وجه "جورج فلويد".
يعتبر تمثال الحرية عملاً فنياً نحتياً أهدته فرنسا إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1886 بمناسبة الذكرى المئوية للثورة الأمريكية ويهدف توثيق عرى الصداقة بين البلدين، واسمه الكامل "الحرية تنير العالم"، وهو اليوم من المعالم

المشهورة في العالم، يستقطب الآلاف من الزوار سنويا، وهو رمز الحرية في العالم، ونظرا للأثر البالغ الذي تركه مقتل فلويد في نفوس المتعاطشين للحرية، ارتأت جريدة الخليج أن تغير ملامح تمثال الحرية ليحمل وجه فقيد الحرية "جورج فلويد"، ليتحول إلى أيقونة الحرية في أمريكا. ووفق الرسام في إبراز عمق الجرح الذي تركه فراق الرجل الحر "جورج فلويد" في نفوس كل الذين يناضلون ضد التمييز العنصري في العالم، وجعل تمثال الحرية يرمز إلى فلويد هو أقل شيء يمكن فعله لإعادة الاعتبار إلى هذا الرجل، فلما لا نجعله تمثالا كبيرا نصممه في الواقع .

- نتائج الدراسة التحليلية:

- تنوعت زوايا المعالجة في الكاريكاتيرات المختارة والتي نشرت في عدة صحف مختلفة، حاولت كل واحدة الاهتمام بموضوع التمييز العنصري من زاوية معينة.
- تركيز الرسام الجزائري "باقي" على إبراز الصورة الحقيقية التي يجب أن ننظر بها إلى الشرطة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي صورة العنف والاستبداد الأزلي في حق المواطنين العزل.
- امتلاك الرسام الجزائري "ديلام" لطريقة مميزة بمحاولته دمج موضوعين متقاربين في رفعتين جغرافيتين متباعدتين، حيث عالج موضوع القتل بدافع التمييز العنصري في المجتمع الأمريكي، والقتل بسبب الجهل في المجتمع الجزائري.
- تركيز جريدة دنيا الوطن الفلسطينية على إبراز مواقف وسياسة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إزاء الأوضاع التي تعيشها الولايات المتحدة الأمريكية، والقضايا التي تجمعها مع دول أخرى.
- اهتمام جريدة الشرق الأوسط السعودية بنقل الموقف الإيراني من الاحتجاجات التي عرفتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد مقتل المواطن الأسود فلويد، حيث ساندت إيران تلك الاحتجاجات في حين قابلت المظاهرات داخل إيران بالقمع والعنف.
- تسليط صحيفة الاتحاد الإماراتية الضوء على التغطية الإعلامية للمظاهرات وأعمال الشغب في أمريكا بسبب العنصرية، وتجاهل الأزمة الصحية العالمية والتي سببها وباء كورونا المنتشر عالميا، خاصة أنه عرفت تلك الفترة تزايد عدد الإصابات في العالم.
- تخصيص جريدة الأنباء الكويتية لكاريكاتير عام يعالج موضوع التمييز العنصري دون الإشارة إلى حادثة معينة، نظرا لتفاقم حوادث القتل والعنف بدافع العنصرية، ويتم تسجيل عشرات الحالات يوميا.
- إبداع جريدة الخليج الإماراتية في إبراز عمق الجرح الذي تركه فراق الرجل الأمريكي الأسود "جورج فلويد" في نفوس كل الذين يناضلون ضد التمييز العنصري في العالم، وجعل تمثال الحرية يرمز إلى فلويد في صورة كاريكاتيرية معبرة دون رسالة ألسنية .

خاتمة :

يمكن للكاريكاتير الصحفي أن يعالج القضايا الهامة بكل تفاصيلها، وهو الحال في موضوع التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث حركت قضية مقتل الرجل الأمريكي الأسود "جورج فلويد" شهر ماي 2020 عزيمة الرسامين الكاريكاتيريين لتقديم عرضهم وتصورهم الخاص للأحداث والأخبار المتعلقة بالاحتجاجات العارمة التي عرفتها أمريكا غداة مقتل فلويد، حيث يعمل كل رسام على اختيار زاوية معينة ليقدمها في رسم خاص، ينقل فيه واقعاً معيناً، ووجهة نظر شخصية في الموضوع، كما يساهم الكاريكاتير في تكييف موضوع العنصرية مع القضايا الراهنة التي يعيشها العالم الثالث، لإسقاط الواقع ولمقارنة الأحداث، بالإضافة إلى تقديم رسائل أمل وتفاؤل بمستقبل أفضل لحرية التعبير وللحريات العامة.

- قائمة المراجع والمصادر:

1. بطرس البستاني، محيط المحيط، مؤسسة الجواد للطباعة والنشر، بيروت، 1977.
2. حلمي الشعراوي، رياح العنصرية تعصف ببلدان الجنوب، قراءة في الوثائق التحضيرية للمؤتمر العالمي ضد العنصرية ديربان، مركز البحوث العربية للدراسات العربية والإفريقية، القاهرة، 2001.
3. إبراهيم محمود، الجدران اللا مرئية، العنصرية ضدّ السود، عنصريتنا المتزاحمة، كتاب رقمي نشر على الأنترنت، بتاريخ 3 فيفري 2009، دون دار نشر.
4. أحمد بن عبد الله الزغي، العنصرية اليهودية وآثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1998.
5. نشوان حميد أحمد الفائق، مقاصد الشريعة وأثرها في القضاء على التمييز العنصري، أطروحة دكتوراه في الشريعة، كلية الشريعة والقانون، جامعة أم درمان، السودان، 2014.
6. محمد فايق، قضية العنصرية والمؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري، المجلة العربية لحقوق الإنسان، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، 2001، العدد رقم 08.
7. أحمد أمل محمد إمام، الإثنية والنظم الحزبية في إفريقيا، دراسة مقارنة، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2015.
8. آلان إتش جودمان وآخرون، ترجمة شيماء طه الريدي، وهبة عبد المولى أحمد، الأعراق البشرية، هل نحن حقاً على هذا القدر من الاختلاف، دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع، 2019.
9. أكرم فرج الربيعي، الخطاب الإعلامي وتكتيك استعمال مفارقة التورية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2017.
10. رانيا صالح، الكاريكاتير السياسي منذ ثورة عرابي وحتى ثورة 25 يناير، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013.

11. أحمد عزوي، سيمياء صورة الكاريكاتير، الأنظمة العربية أنموذجا، مداخلة مقدمة ومنشورة في كتاب الملتقى الدولي السادس السيميائي والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، بين 18 و20 أبريل 2011.
12. أحمد عبد النعيم، حكايات في الفكاهة والكاريكاتير، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 2017.
13. عبد الحميد سالم المحادين، من ذاكرة البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.
14. ستيفن سلايطة، ترجمة فاضل جتكر، العنصرية المعادية للعرب في الولايات المتحدة الأمريكية، منشؤها وما تعانيه اليوم، دار العبيكان، الرياض، 2007.
15. شاكر النابلسي، أكله الذئب، المسيرة الفنية للرسم ناجي العلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.
16. أحمد عبد التواب شرف الدين، الكاريكاتير السياسي محلياً وعالمياً، اللغة والفكاهة والنظرية البراجماتية، مجموعة النيل العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2018.
17. مالكوم إكس، ترجمة وتعليق حمد العيسى، النصوص المحرمة ونصوص أخرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2007.
18. John Grand Carteret, Les mœurs et la caricature en France, paris, 1888.
19. Petit Larousse illustré, librairie Larousse, Paris VI, dictionnaire encyclopédique.
20. Jean Pierre, Maraudant, Dictionnaire d'histoire de l'art, Presse universitaire de France, paris, 1996.
- تراث-العنصرية-بالولايات-<https://www.alaraby.co.uk/investigations/2018/12/6/>
- المتحدة-نضال-ضد-أفكار-أميركا-العميقة
21. إليكس هيلي، ترجمة أحمد عبد الرحمن، مالكوم إكس الزعيم الشهيد لمسلمي أمريكا السود، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، الطبعة الأولى، 2012.
22. إبراهيم أبوكيلة، باراك أوباما حلم التغيير وإعادة البناء، منشورات كتاب الجمهورية، القاهرة، 2008.
23. نجاة الفقيري، العنصرية في أمريكا: تاريخ قاتم، مقال منشور في موقع بوابة إفريقيا الإخبارية، بتاريخ 06 جوان 2020، متاح على الرابط التالي:
- العنصرية-في-أمريكا-الصورة-القائمة-تحت-شعار-<https://www.afrigatenews.net/article/>
- الحرية

24. محمد أبو خليف، تعريف العنصرية، مقال منشور على موقع هويتنا، متاح على الرابط التالي :
<http://whoyiah.com/topics/s-329>
25. حنا عيسى، التمييز العنصري وأسبابه، مقال منشور بجريدة دنيا الوطن، صفحة مقالات، العدد الصادر يوم 29 أكتوبر 2014. متاح على الرابط :
<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2014/10/29/346211.html>
26. فاطمة غزالي، تراث العنصرية في الولايات المتحدة، نضال ضد أفكار أميركا العميقة، مقال منشور في موقع العربي الجديد، بتاريخ 6 ديسمبر 2018، متاح على الرابط التالي:
<https://www.alaraby.co.uk/investigations/2018/12/6/> - تراث-العنصرية-بالولايات المتحدة-نضال-ضد-أفكار-أميركا-العميقة
27. منى سلمان، العنصرية وأشكالها في المجتمعات العربية والغربية، مقال منشور على موقع الجزيرة، بتاريخ 2009/04/27، متاح على الرابط التالي :
<https://www.aljazeera.net/programs/al-jazeera-platform/2009/4/27/>
العنصرية-وأشكالها-في-المجتمعات
28. مكى معمري، بعد عقدين من إلغاء الأبارتايد، العنصرية تعود بقوة إلى جنوب إفريقيا، مقال مترجم عن لوس أنجلوس تايمز، منشور بموقع الإمارات اليوم، صفحة سياسة، بتاريخ 25 جوان 2015، متاح على الرابط التالي:
<https://www.emaratalyoun.com/politics/weekly-supplements/beyond-politics/2015-06-25-1.796932>
29. دينيس ستوت، ترجمة علي المخلافي، أسطورة انتهاء التمييز العنصري في أمريكا، مقال منشور يوم 21 أوت 2014، متاح على الرابط التالي:
<https://www.dw.com/ar/a-17868213> /أسطورة-انتهاء-التمييز-العنصري-في-أمريكا
30. محمد المنشاوي، ماضى وحاضر العنصرية الأمريكية، مقال منشور في جريدة الشروق نيوز، يوم الجمعة 8 ماي 2015، متاح على الرابط التالي :
<https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=08052015&i>
[d=da30ed8f-45db-4edb-a678-8b06e4c4cb0c-](https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=08052015&i)
31. خالد منصور، العنصرية في أمريكا، جورج فلويد ليس القاتل الأخير، مقال منشور يوم 30 ماي 2020، متاح على الرابط التالي : <https://daraj.com/47496/>
32. ليون تروتسكي، النضال الطويل للسود الأميركيين، مقال منشور في 19 جوان 2015، متاح على الرابط:

<https://www.union-communiste.org/it/2009-04/Indl-ltwyl-llswd-lmyrkyyn-ns-mfsl-2015-4815>

- ¹ - بطرس البستاني، محيط المحيط، مؤسسة الجواد للطباعة والنشر، بيروت، 1977، ص 637.
- ¹ - محمد أبو خليف، تعريف العنصرية، مقال منشور على موقع هويتنا، يوم 23 أبريل 2019، متاح على الرابط التالي:
<http://whoyiah.com/topics/s-329>
- ¹ - حنا عيسى، التمييز العنصري وأسبابه، مقال منشور بجريدة دنيا الوطن، صفحة مقالات، العدد الصادر يوم 29 أكتوبر 2014. متاح على الرابط:
<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2014/10/29/346211.html>
- ¹ - حلمي الشعراوي، رياح العنصرية تعصف ببلدان الجنوب، قراءة في الوثائق التحضيرية للمؤتمر العالمي ضد العنصرية ديربان، مركز البحوث العربية للدراسات العربية والإفريقية، القاهرة، 2001، ص 10.
- ¹ - مكي معمري، بعد عقدين من إلغاء الأبارتايد، العنصرية تعود بقوة إلى جنوب إفريقيا، مقال مترجم عن لوس أنجلوس تايمز، منشور بموقع الإمارات اليوم، صفحة سياسة، بتاريخ 25 جوان 2015، متاح على الرابط التالي:
<https://www.emaratalyoun.com/politics/weekly-supplements/beyond-politics/2015-06-25-1.796932>
- ¹ - إبراهيم محمود، الجدران اللا مرئية، العنصرية ضد السود، عنصريتنا المتزاخمة، كتاب رقمي نشر على الأنترنت، بتاريخ 3 فيفري 2009، دون دار نشر ودون طبعة، ص 4.
- ¹ - أحمد بن عبد الله الزغي، العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1998، صفحة 262.
- ¹ - منى سلمان، العنصرية وأشكالها في المجتمعات العربية والغربية، مقال منشور على موقع الجزيرة، بتاريخ 2009/04/27، أطلع عليه بتاريخ 2023/06/12، على الساعة 14.05، متاح على الرابط التالي:
<https://www.aljazeera.net/programs/al-jazeera-platform/2009/4/27/-وأشكالها-العنصرية>
في-المجتمعات
- ¹ - نشوان حميد أحمد الفائق، مقاصد الشريعة وأثرها في القضاء على التمييز العنصري، أطروحة دكتوراه في الشريعة، كلية الشريعة والقانون، جامعة أم درمان، السودان، 2014، ص 18.
- ¹ - التعريف الذي وضعه عالم الاجتماع الفرنسي من أصل تونسي "ألبير تيممي"، والذي تبنته الأنسيكلوبيديا العالمية سنة 1964.
- ¹ - أحمد بن عبد الله الزغي، مرجع سبق ذكره، ص 01.
- ¹ - محمد فايق، قضية العنصرية والمؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري، المجلة العربية لحقوق الإنسان، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، 2001، العدد رقم 08، الصفحة 153.
- ¹ - أحمد أمل محمد إمام، الإثنية والنظم الحزبية في إفريقيا، دراسة مقارنة، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2015، ص 22.

- ¹ - آلان إتش جودمان وآخرون، ترجمة شيماء طه الريدي، وهبة عبد المولى أحمد، الأعراق البشرية، هل نحن حقاً على هذا القدر من الاختلاف، دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع، 2019، ص 57.
- تراث-العنصرية-بالولايات-المتحدة- /https://www.alaraby.co.uk/investigations/2018/12/6/ -¹
نضال-ضد-أفكار-أميركا-العميقة
- ¹ - إليكس هيلي، ترجمة أحمد عبد الرحمن، مالكوم إكس الزعيم الشهيد لمسلمي أمريكا السود، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، الطبعة الأولى، 2012، ص 55.
- ¹ - إبراهيم أبوكيلة، باراك أوباما حلم التغيير وإعادة البناء، منشورات كتاب الجمهورية، القاهرة، 2008، ص 28.
- ¹ - نجا الفقيري، العنصرية في أمريكا: تاريخ قائم، مقال منشور في موقع بوابة إفريقيا الإخبارية، بتاريخ 06 جوان 2020، أُطلع عليه يوم 11 جوان 2023، على الساعة 11.05، متاح على الرابط التالي:
العنصرية-في-أمريكا-الصورة-القائمة-تحت-شعار-الحرية- /https://www.afrigatenews.net/article/
- ¹ - إبراهيم أبوكيلة، مرجع سبق ذكره، ص 08.
- ¹ - مالكوم إكس، ترجمة وتعليق حمد العيسى، النصوص المحرمة ونصوص أخرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2007، ص 30.
- العنصرية-في-أمريكا-الصورة-القائمة-تحت-شعار-الحرية- /https://www.afrigatenews.net/article/ -¹
- *- (EEOC) وكالة اتحادية تدبر وتفرض قوانين الحقوق المدنية ضد التمييز في مكان العمل تأسست في 2 يوليو 1965.
- **- "موليفي كيتي أسانتي"، أستاذ الدراسات الأفريقية الأميركية بجامعة تمبل في مدينة فيلادلفيا
- ¹ - فاطمة غزالي، تراث العنصرية في الولايات المتحدة، نضال ضد أفكار أميركا العميقة، مقال منشور في موقع العربي الجديد، بتاريخ 6 ديسمبر 2018، تم الاطلاع عليه يوم 15 جوان 2023، على الساعة 13.30، متاح على الرابط التالي:
تراث-العنصرية-بالولايات-المتحدة-نضال- /https://www.alaraby.co.uk/investigations/2018/12/6/
- ضد-أفكار-أميركا-العميقة
- ¹ - دينيس ستوت، ترجمة علي المخلافي، أسطورة انتهاء التمييز العنصري في أمريكا، مقال منشور يوم 21 أوت 2014، تم الاطلاع عليه يوم 16 جوان 2023، على الساعة 10.05، متاح على الرابط التالي:
أسطورة-انتهاء-التمييز-العنصري-في-أمريكا- /https://www.dw.com/ar/a-17868213
- ¹ - محمد المنشاوي، ماضى وحاضر العنصرية الأمريكية، مقال منشور في جريدة الشروق نيوز، يوم الجمعة 8 ماي 2015 على الساعة 9:00، متاح على الرابط التالي:
 /https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=08052015&id=da30ed8-f-45db-4edb-a678-8b06e4c4cb0c
- ¹ - خالد منصور، العنصرية في أمريكا، جورج فلويد ليس القاتل الأخير، مقال منشور يوم 30 ماي 2020، تم الاطلاع عليه يوم 19 جوان 2020، على الساعة 12.25، متاح على الرابط التالي: /https://daraj.com/47496/
- ¹ - فاطمة غزالي، مصدر سبق ذكره.
- ¹ - خالد منصور، نفس المصدر السابق.

- ¹ - شاكرا النابلسي، أكله الذئب، المسيرة الفنية للرسم ناجي العلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007، ص 85.
- ¹ - أحمد عبد التواب شرف الدين، الكاريكاتير السياسي محلياً وعالمياً، اللغة والفكاهة والنظرية البراجماتية، مجموعة النيل العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2018، ص 29.
- ¹ - John Grand Carteret, **Les mœurs et la caricature en France**, paris, 1888, p11
- ¹ - **Petit Larousse illustré**, librairie Larousse, Paris VI, dictionnaire encyclopédique, p 96.
- ¹ - Jean Pierre, Maraudant, **Dictionnaire d'histoire de l'art**, Presse universitaire de France, paris, 1996, p p 82- 83.
- ¹ - أكرم فرج الربيعي، الخطاب الإعلامي وتكتيك استعمال مفارقة التورية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2017، ص 64.
- ¹ - رانيا صالح، الكاريكاتير السياسي منذ ثورة عرابي وحتى ثورة 25 يناير، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013، ص 8.
- ¹ - أحمد عزوي، سيمياء صورة الكاريكاتير، الأنظمة العربية أنموذجاً، مداخلة مقدمة ومنشورة في كتاب الملتقى الدولي السادس السيميائي والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، بين 18 و 20 أبريل 2011، ص 693.
- ¹ - أكرم فرج الربيعي، مرجع سبق ذكره، ص ص 65-66.
- ¹ - أحمد عبد النعيم، حكايات في الفكاهة والكاريكاتير، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 2017، ص 125.
- ¹ - عبد الحميد سالم المحادين، من ذاكرة البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007، ص 61.
- ¹ - أحمد عبد التواب شرف الدين، مرجع سبق ذكره، ص 20.
- ¹ - المرجع نفسه، ص 22.
- ¹ - المرجع نفسه، ص ص 23-24.
- ¹ - المرجع نفسه، ص 24.
- ¹ - المرجع نفسه، ص 26.
- ¹ - المرجع نفسه، ص 20.
- ¹ - ليون تروتسكي، النضال الطويل للسود الأميركيين، مقال منشور في 19 جوان 2015، تم الاطلاع عليه يوم 19 جوان 2023، على الساعة 12.45، متاح على الرابط التالي:
<https://www.union-communiste.org/it/2009-04/Indl-ltwyl-lswd-lmyrkyyn-ns-mfsl-2015-4815>
- ¹ - ستيفن سلايطه، ترجمة فاضل جتكر، العنصرية المعادية للعرب في الولايات المتحدة الأمريكية، منشؤها وما تعانيه اليوم، دار العبيكان، الرياض، 2007، ص 47.

- المقدمة:

عادة ما يؤشّر زمنيا لبداية عصر الحداثة من حيث أنها تتردد إلى القرن السابع عشر للميلاد وهي مرحلة شهدت ظهور ما يسمى بالفلسفة الحديثة والتي أسهمت في تحويل الثقافة الغربية إلى شكلها الحداثي. مرحلة مليئة بلحظات البقطة التي نبّه إليها العقل الفلسفي وهو ينازع سلطان المعرفة الدوغمائية ويزيح عن الفكر رواسب الجهل المؤسس الذي عمّر طويلا في أوروبا يغشى العقول ويُخفي الحقيقة ويصنع المخيال والوهم.

لحظات يقظة أعاد فيها فلاسفة القرن السابع عشر العقل البرهاني الذي أعلن أفلاطون في محاوره الدفاع عن وفاته، لقد أحيوا عقل سقراط الذي حُكم عليه بالموت، وبهذا الإحياء وهاته العودة بدأت تلوح في الأفق حركة الانزياح عن الثقافة القروسطية والارتحال نحو الحداثة.

فالعقل البرهاني الذي سيشهد مخاضا فكريا تنهافت فيه الأفكار المختلفة وتصارع المعارف الموروثة محاولات التغيير فيه، وتحنقه الأسبجة الأرثوذكسية الثقافية والأخلاقية والسياسية لواقعه المعيش محاولة قتل شوقه الطموح نحو التحرر، إنها الحركية التفاعلية التي ستنتهي بذلك التغير الذي ينتج الإنسان الحداثي ويجدد ببيان العقل فيه ويصنع هوية مختلفة وثقافة جديدة.

لكن إذا كان هذا هو الحال الذي توحى به تلك الحركية، فبات يلزمننا الوقوف على المتغيرات السوسيولوجية والانثروبولوجية التي ارتبط بها، لأن في ذلك إشارات على أن هناك حركات كثيرة أدت إلى المثاقفة والنهضة والتعليم والتغير في البنى الاجتماعية الغربية قبل عصر الحداثة ينبغي أن نقف عندها بتأمل، وننظر في تلك اللحظات التي أعادت العقل الفلسفي في بنيته البرهانية وخلصته من الأسبجة السردية الخيالية واتجهت به نحو الابداع، فأبدع فلسفة الحداثة واستشعر قيم التنوير من حرية ومساواة وعدالة وعلمانية وإنسانية وديمقراطية التي صارت واقعا غريبا معيشا مع نهاية القرن 18 شكلت مكونا أساسيا لهويته ورافدا لثقافته ومطلبا للإنسانية جمعاء.

هنا يطيبُ لنا أن نتساءل: كيف تكوّن العقل الحداثي؟ وكيف أمكنه استشعار قيم التنوير والتفتح عليها معلنا عن بداية عصر جديد هو عصر الأنوار؟

- المنهجية والاليات:

للإجابة على هذه الإشكالية، اعتمدت على مناهج متنوعة في وظائفها بين التحليل والنقد والاستنتاج وبشكل متكامل، فبالمنهج التحليلي نتعمّق في المفاهيم التي حوتها النصوص المطروقة بالقراءة والتي أتاحتها المؤلفات المتوفرة، حيث أتوجه إليها بالقراءة مستخلصا منها الأفكار وأعمل على وضعها في سياقها الصحيح، وأما بالمنهج النقدي المقارن، فإنني استخدم النقد كثيرا فهو من طبيعة الفلسفة، والمقارنة المتاحة لأقف على الاختلاف والتناقضات التي توحى بها الكثير من الأفكار والرؤى المختلفة، ثم أنظر فيها بنظرة تقييمية، والتي من خلالها أستطيع أن أقف على حقيقة عصر التنوير ودلالة قيمه وأثرها على الإنسان الغربي الحداثي.

1- الفلسفة الحديثة وبداية التحول في الثقافة الغربية:

السياق التاريخي لحركة التحول الثقافي في الفكر الغربي تقودنا دائما لحديث البدايات والنهايات، لذا فالتحليل الظاهر لتاريخ الثقافة الغربية في العصر الحديث يوحي أنها بدأت مع ديكارت (القرن 17)، وبالرغم من أن هذا الإيحاء يتضمن الكثير من الصدق، إلا أن الحقيقة أن هذا الملمح الوصفي يخفي عواملا كثيرة ومحطات متنوعة شهدتها عملية التحول لتنتهي بذلك الوصف الظاهر، أي أن مرحلة ديكارت والقرن 17 ما هي إلا منتهى ثقافي ومحصلة منتج معرفي لمراحل سابقة، لذا ينبغي أن نعود إلى التحليل الوضعي والسوسيولوجي للفلسفة الغربية الحديثة باعتبارها ظاهرة ثقافية متميزة، وسيضعنا أمام مجموعة من العوامل المتشابكة والمتداخلة لأحداث معرفية وسياسية واجتماعية متنوعة وفي حقب مختلفة كان لها دورا في تشكيل هاته الظاهرة المسماة الفلسفة الغربية الحديثة.

لقد نشأت الفلسفة الغربية الحديثة بانتقال من مركزية اللاهوت إلى مركزية الإنسان، ومن المثل الدينية إلى المثل الدنيوية، انتقال ثقافي واجتماعي كبير شهدته أوروبا في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، يعبر عن الانزياح عن الروافد الدينية التي ظلّت قرونا تصنع المعرفة وتكون الثقافة إلى روافد جديدة مختلفة ترتبط بالإنسان والحياة، سيكون لها دورا في تكوين العقل الغربي وتنشيط حركيته المعرفية والفلسفية تنتهي بهوية جديدة وثقافة مختلفة، هي ثقافة الإنسان الغربي الحديث، ولقد أسهم في هذا التحول أربع حركات كبرى مترابطة فيما بينها هي:

أ- النهضة الإيطالية:

بالرغم من الجمود السياسي في إيطاليا خصوصا في القرنين 12 و 13 وتفككها، إلا أنها عرفت ازدهارا في التجارة البحرية، خاصة وأن سكان مدنها الساحلية (جنوة البندقية فلورنسا)، تمكنوا من الاحتكاك مع التجار الوافدين من حضارة مختلفة بدأت تشق طريقها بخطى متسارعة نحو الازدهار والتطور وعلى جميع الأصعدة، إنحاز الحضارة العربية الإسلامية، فازدهرت حركة المثاقفة مدعومة بحركة الترجمة للأعمال الفلسفية والعلمية والأدبية العربية إلى اللاتينية (ما كتبه ابن رشد وابن سينا والمعري)

بدأت حركة المثاقفة تمضي تكسر الجمود الفكري الذي خيم طويلا على العقل الغربي وبدأت تنير هنا وهناك ومعها بدأت تعود أفكار ارسطو في حلة جديدة تختلف عن تلك التي يتم توظيفها في الدير والكنيسة لتبرير قضاياها (مصطفى ابراهيم، 2000، صفحة 56)، وذاع صيت النظريات الطبية لابن سينا وانتشرت القصص والأشعار العربية التي تحكي الأبطال والعظماء، مما جعل الفضول يأخذ الغرب في الاطلاع على ثقافة هؤلاء وما يعتقدون به، من عقيدة جديدة وثقافة مختلفة بدأت تشيع وتزدهر .

استشعرت الكنيسة بتهديد هاته الثقافة لسلطانها ولثقافتها التي تفرضها على المجتمعات الأوروبية القروسطية، ورأت الخطر فيما تحمله من أفكار مختلفة، واتجهت لمواجهتها، بإتاحة الكتابة والسماح بها لمنعها من الولوج إلى عمق الواقع الغربي، حتى لا تزعزع كيانه الثقافي والديني والاجتماعي، فأوعزت لطلابها بالكتابة وأول مؤلف ظهر سنة 1308 وهو (الكوميديا الإلهية) لأليغري دانتي (1265-1321).

كانت (الكوميديا الإلهية) ملحمة شعرية، بلغة بسيطة عامية تسمح للكلمة أن تكون متاحة بين الأوروبيين، تُقدم صورا ومشاهدا ذات اهتمام بالحضارة العربية الإسلامية في علومها وعقيدتها، لكن بطريقة نقدية ساخرة، وشكّلت بذلك بداية الدراسات الاستشرافية.

المتتبع لصور تلك الملحمة الشعرية ومشاهدها يجدها مليئة بالخيال وبلغة ساخرة وبلهجة عامية تداولية، تجسّد لحظة المحاكمات الإلهية كما نصّت عليها المسيحية في تعاليمها لرسول المسلمين وصحابته (Kritreck، 1964، صفحة 63).

والآخذ لتلك المشاهد برؤية تأويلية، سيجد أن ما كتبه أليغري دانتي يُظهر مدى ارتباطه بالعقيدة الكاثوليكية وأنه مشدود بالكهنوت المسيحي يحاكي الوصايا الإيمانية ومعتقدات الدين، كما تُظهر له الكوميديا الإلهية أيضا حجم التشويه والسخرية المسيئة لنبي المسلمين وعقيدة الإسلام، فالمشاهد الساخرة والمسيئة المترامية في أجزاء "الكوميديا الإلهية" الثلاثة، تبعث في ظاهرها رسائل العداء للإسلام والمسلمين، كيف لا وهي تتضمن مشاهد تعذيب نبي الإسلام وبعض صحابته.

لكن الغريب أن القارئ لهاته الملحمة يمكنه أن يقف على مشاهد أخرى توحى بالتناقض، حيث يجد فيها دانتي العلم العربي وحكمة المسلمين، متجاهلا عقيدة هؤلاء على الرغم من أنه مشدود بالوصايا والعقيدة الكهنوتية من جهة، ومن جهة أخرى الذين لا قوا التمجيد من العرب المسلمين كانوا أكبر مناصري الإسلام والمدافعين عنه، ويذكر لنا ابن سينا وابن رشد على وجه الخصوص (Nardi، 1949، صفحة 284).

إن هذه التناقضات الظاهرة والمترامية بين ثنايا الكوميديا الإلهية وخلف مشاهدها الساخرة من الإسلام ونبيه والممجدة في نفس الوقت لمفكري الإسلام، أدت في نهاية المطاف إلى فضول الإنسان الغربي لما أتت به هاته الحضارة والبحث في خصوصياتها الثقافية، الأمر الذي جعل الإنسان الغربي يتفتح ثقافيا ويهتدي بعقله إلى التناقضات التي تحتويها عقيدته المقدسة.

لقد وجد الإنسان الغربي الوسيط أن الحضارة الإسلامية تهتم بالمثل الدنيوية وتعلي من قيمة الإنسان وتبرز دور العقل، والأهم من ذلك تفتح أبواب الاجتهاد للعقل في كل مناحي المعرفة من فقه وأدب وتصوف وفلسفة وعلم وغيرها، هنا تبلورت ثورة الشك في أنفس الأوروبيين التي ستكبر لتَهزّ أركان العصور الوسطى منذرة بزوال أرضيتها والانتقال إلى أرضيات جديدة ستغيّر الثقافات والعقول والهويات.

لأجل ذلك بدأ الغرب في أواخر العصر الوسيط يهتمون بحركة النهضة الأدبية والفكرية في الحضارة العربية الإسلامية، فاتجهوا إلى الترجمة التي انطلقت باندفاعية وشوق يحركها جهل عميق ذاك الذي يخالج الأنفس الغربية وقد جعلوا من اللغة العربية مبلغ اهتماماتهم باعتبارها لغة العلم والمعرفة، وبفضلها تعرّفوا على أعمال الأدباء والشعراء والمفكرين خصوصا الفلاسفة العرب والمسلمين من أمثال ابن رشد وابن سينا وأبي العلاء المعري وغيرهم، فلم يكن لهؤلاء المفكرين من نظير في بلاد الغرب في العصر الوسيط (عاشور، 1986، صفحة 200)، وانتظروا قرونا ليظهر

أمثالهم (ديكارت وبيكون وغاليلي..)، بل كانت لأعمالهم الدفعة القوية في بزوغ عصر النهضة الأوروبية، وقد تميّزت تلك الترجمة والأبحاث بجانب كبير من الموضوعية.

لا شك من أن الملحمة الشعرية (الكوميديا الإلهية) قد أسهمت في انتشار الكتابات الساخرة لكن هذه المرة اتجهت السخرية للواقع الأوروبي المعيش وللمثل الأخلاقية التي تحكمه، ونذكر هنا ما كتبه (بوكاتشو جيوفاني 1313-1375) (اللهب الصغير) وهي قصيدة غزلية يتمرد فيها على الوصايا، وما كتبه أيضا (فرنسيسكو براتراك 1304-1374) كتابه الأغاني في الحب والأخلاق ومشاهير الرجال في السياسة، هنا بدأت المركزية تتجه فعلا نحو الإنسان، ومعها ازدهرت الفنون والشعر والتاريخ في إيطاليا إلى جانب ازدهار التجارة، معلنة عن بداية فجر جديد لثقافة ستعيد الاهتمام للمثل الدنيوية والإنسانية.

ب- الحركة الإنسانية :

ولدت الحركة الإنسانية من رحم النهضة الإيطالية مؤذنة بالتحول من الثقافة المدرسية القروسطية إلى ثقافة جديدة تصنعها روافد وأدوات جديدة مختلفة، فكما رأينا مع بوكاتشو ازدهر الشعر العامي (وفيه استمالة العقل السردى إلى حكايات خيالية رومنسية ومنها يتم هدم الثوابت الكاثوليكية خصوصا ما تعلق بالوصايا) ومع فرنسيسكو برترارك (تم العودة إلى الاهتمام بثقافة القدماء) وجعل الإنسان مركزا لكل عمل فني وأدبي وتاريخي، ويتم إحياء التراثين الإغريقي والروماني وتحوّل المركزية إلى في كل عمل علمي أو فني، ومعها بدأت ترسم معالم الحركة الإنسانية.

صارت الحركة الإنسانية واقعا معيشا نقلت الإيمان من قداسة الرهبان إلى الإيمان بكل قدرات الانسان، والعمل على تحرير قواه الإبداعية، بما يعني النزوح نحو الحرية، والتي سيكون لها دورا كبيرا في تكوين ثقافة جديدة وهوية مختلفة، تلك الحركة التي ستكتمل ملامحها بشكل أوضح وعلمي مع ارازموس (1466-1536).

لقد أنتج ارازموس أعمالا مهمة يدعو فيها الإنسان إلى الحرية وعدم تسليم مصيره للكنيسة ومن أبرز ما أنتجه (امتداح الحمافة) وفي هذا المؤلف أوضح بأن (الإنسان يمكنه أن يتصل بالله اتصالا مباشرا ولا حاجة له للاهوت) وهي الفكرة التي ستعود بقوة في بداية عصر الحداثة وفي منتصفه القرن الثامن عشر مع الفلاسفة الموسوعيين بشكل أكثر تطرفا للإنسان، ليبرز توماس مور (1483-1546) ويطلق العنان للخيال واقتحم السياسة بروايته (البحار) مستلهما القيم من جمهورية أفلاطون وراح يخطط نظرية في السياسة.

استطاعت الحركة الإنسانية التي احتوت الموروث الديني واتجهت لإحياء التراثين الإغريقي والروماني أن يكون لها تأثيرا على الساحة الثقافية الأوروبية، فإذا كانت النهضة الإيطالية قد أثرت على العامة، فإن الحركة الإنسانية أثرت بشكل واضح على النخبة، حتى من رجال الدين ونذكر هنا (مارتن لوتر) الذي استلهم من الحركة الإنسانية الحرية وقيم الدنيوية، خصوصا بعدما نقل بذور الحركة الإنسانية كل من بروجيو براكسيني وإنياس سيفيوس إلى ألمانيا،

فكان من أبرز روادها ورأى بضرورة أن يكتب العهد الجديد بلغة العامة كما يتمثلها الإنسان (أي الكلمة للجميع)، هذا ما مهد إلى ثورة داخل الكنيسة وظهرت حركة الإصلاح الديني.

ج- حركة الإصلاح الديني:

حاول (مارتن لوتر 1483-1546) رفقة القس الفرنسي (جون كالفن) مستندين على فكرة (الكهنة للجميع) اصلاح الكنيسة من الممارسات السيئة التي أبانت على الفوارق بين تعاليم الدين والواقع الاجتماعي، خاصة ما تعلّق بما عُرف بصكوك الغفران، ولعل أشهر من ارتبط اسمه بصكوك الغفران (البابا ليو العاشر) وهو المحب للفخامة والبذخ يقال أنه أفلس الكنيسة باتفاقه على الأعمال الفنية والموسيقية حتى وجد البابا نفسه مرغما للجوء الى هاته الخصلة التي دله عليها وهي (اصدار صكوك الغفران) (عبد الغني ابراهيم، صفحة 92)

جاءت إصلاحات لوثر لتلغي تلك الممارسات المشينة التي تضر بقداسة الدين وتسيء لصورة الرهبان والقساوسة، ليجد نفسه يصارع واقعا أتاح لحظاته الآنية وجوب الإصلاح، هنا يمكن أن نشير إلى أن صكوك الغفران كانت موجودة منذ أكثر من 3 قرون وانتقدها الكثيرون مثل القديس فرنسيس الأسيري (1181-1226) وكذلك جون ويكليف (1324-1384)، لكن لم تتحول انتقادات هؤلاء إلى ثورة لأنها لم تكن هناك سياقات مناسبة ولحظات ملائمة التي تتوافر فيها الدوافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع الدافع الديني كالتى قدمتها الحركة الإنسانية واستفاد منها لوثر.

انتشرت كتابات لوثر بفضل ظهور الطباعة حيث صارت بلغة الشعب (الألمانية) بدلا من اللغة اللاتينية الاكاديمية، وانتقلت الى فرنسا وانكلترا وإيطاليا وشاعت اللوثرية في البداية كتيار مبتدع لكن مع القرن 16 صارت اسم أول عقيدة بروتستانتية، وهو وصف تمّ توصيف الامبراطور به الواقع تحت سيطرة رجال الدين أولئك المتأثرين بأفكار لوثر، فوصفهم بالمحتجين. (عمر، 1992، صفحة 180).

فكان من نتاج الإصلاح الديني الحركة البروتستانتية، التي ترفض التشدد وتميل إلى التربية الأخلاقية وتأسيس منظومة أخلاقية من رسائل المسيحية، وتأكيدا على الحرية فكل إنسان يفهم الكتاب المقدس وحده وفق قواه الإدراكية، (هنا يبرز الوثوقية في العقل) (عمر، 1992، صفحة 179).

مع هاته الحركة أصبح الكتاب المقدس متاحا للجميع وبلغات مختلفة، وأضحى التأويل والتفسير لنصوصه ممكنا، فتنوعت التفسيرات وتعددت العقائد المسيحية بين (الكاثوليكية والبروتستانتية والكالفينية) وأصبحت التأويلات ليست واحدة، هذا الاختلاف فيما بينها زرع ما يسمى (بالنزعة الشكوكية).

د- الحركة العلمية: النزعة الشكوكية وتحطيم سلطة العلم الدوغمائي

إن النزعة الشكوكية قوّت الوثوقية في العقل، وانتهى تعاقبهما إلى انطلاق الحركة العلمية، هنا يمكن التأكيد على حقيقة ما، وهي ارتباط العلم بالفلسفة، فمعظم الفلسفات لا تفهم إلا من خلال موقفها من العلم (يكون ديكارت

لينيتز كانط هيغل هوسرل..). وقد بدأ العلم يستعيد عافيته تحت تأثير المتغيرات السابقة (الحركة الإنسانية والنهضة الإيطالية والإصلاح الديني)، وسيصبح العلم في المراحل اللاحقة مرتبطاً بالفلسفة إما ممهداً لها أو ناتجاً عنها. لكن الذي مهد للحركة العلمية هو بعض الاكتشافات منها اختراع الطباعة، التي شكلت مرحلة يقظة في تاريخ البشرية، وبعدها ظهرت الكثير من الاختراعات، ونذكر اللاسلكي والتلفاز والبوصلة، ونتج عنها تكوين فكرة صحيحة لدى الإنسان عن الأرض التي يعيش فيها، ورفعت عنه الخوف من المغامرة وبدأ فعلاً يخوض المغامرات بعيداً عن سواحل البحار والمحيطات، ونتج عن هذا أيضاً الاكتشافات الجغرافية (اكتشاف رأس الرجاء الصالح وهو طريق الهند وشرق آسيا، وتم اكتشاف القارة الأمريكية سنة 1492)

لكن في خضم هاته المتغيرات ثمة مفارقة عظيمة، وهي أنه بقدر ما بدأ الإنسان يثق في قدراته التي حررتها الحركات السابقة بدأت تتكسر القيود المفروضة على ثقافته ومعارفه وبثّ فيه روح الكبرياء والتعالي، لكن في المقابل بدا له الكون أكبر مما يتصوره، فهذه المفارقة زعزعت الصورة الهادئة للإنسان الغربي بعد سكون هادئ محكم التنظيم كسكون النجوم في السماء، أي مفارقة بين ثقة في قدرة الإنسان وفي ذاته يقابله الشك في مركزية الإنسان في هذا الكون الذي بدا شاسعاً غير متناهي.

ستكون هاته المفارقة هي أول مدخل حداثي، حيث ستنتهي بزعة الوثوق في المنطق السكوني والمعرفة السكولائية وفي المطلقية والتحول إلى الاعتماد على النظريات الرياضية التي ستعيدها المثل الأفلاطونية. هنا سينتج المخاض الفلسفي بين عقل مدمن مازال متمسكاً بالمعرفة الجاهزة وبين عقل بدأ يتخلى عن الإدمان ويتجه نحو الشك والنقد.

غير أن الحضور الديني الكنسي لم يختفي من المشهد الثقافي الغربي في بدايات عملية التحول نحو الحداثة، فبالرغم من كل هاته المتغيرات، إلا أن الكنيسة مازالت تتحكم في السياسة والقوانين المنظمة للبنى الاجتماعية وصناعة للوصايا الأخلاقية، لذا حاولت في ظل هذا المخاض أن تقاوم تلك التصدعات التي بدأت تهزّ كيائها، وأنشأت محاكم التفتيش وجعلت من كل خطأ خطيئة، يقابلها الحرق فأحرق برونو فيما بعد لأنه قال بالعالم اللانهائية عكس ما تقوله الكنيسة بنظرياتها البطليمية المقدسة (دوران الكواكب حول الأرض) وتم تهديد غاليلي بالحرق (الذي فضّل الحياة عن العلم)، وظل الكثير ممن بدأوا يتمردوا على هاته الثقافة يشتغلون في العلن والخفاء (فأعمال دافنشي كان يخفيها لأنه يهتم بالجسد الإنساني وبحث فيه ورسمه وهو ما تكفّره الكنيسة وتجزمه).

2- بناء العقل الحداثي (فجر جديد يلوح في أفق الثقافة الغربية):

كان ذاك المخاض هو آخر ليالي الجهل القروسطي، وليلته الأخيرة ستكون مع عودة الفلسفة بأسس فيثاغورية وأفلاطونية، والغريب أن نهاية الثقافة القروسطية ستكون على من تكوّنوا ونشأوا داخلها وفي مقدمتهم (ديكارت)، فهو ابن النظام التعليمي المدرسي، وتكوّنه لاهوتي كاثوليكي، تأثر بأوغسطين في تفسيره للوجود، حينما قدم أربعة

احتمالات (الوهم، موجود بذاته، مخلوق بذاته، شيء موجود لذات خلقه) ، فوقف متأملاً في الاحتمال الأول أي مجرد وهم، وحاول تبرير ذلك تحت تأثير الرياضيات، وهو ما أدخله مرحلة التهافت الفلسفي. لقد بدا لديكارت أن العلم الذي يحمله ليس كافياً ولا يسد رمقه المعرفي، وأن ما يشعره بعدم الكفاية لا يمكن أن يكون يقينياً، فبقي يطارد اليقين في اشتياق كبير رافضاً وغير مقتنع بكل معرفة بني عليها عقله (برينتون، صفحة 144).

ولأنه عالم رياضيات اتجه إلى الحساب (التفحص والجرد)، وقضى زمناً طويلاً من حياته في تفحص المتن المدرسي -هنا ينبغي الإشارة إلى أن القبض على الموضوعية في تفحص المعرفة والحكم عليها تقتضي الحفاظ على مسافة معرفية وجمالية وعقائدية، لأن كل تماهي مع المعرفة يرمي بك في الاعتقاد والانابة، فالاعتقاد هو منفذ الجهل والمعارف الجاهزة لأنها تسمح بفراغات تكون جاهزة للملأ بالمعرفة الجاهزة- فانتهى ديكارت إلى عدم قناعته بكل معرفة تأتيه ومهما كان مصدرها ونوعها ما لم يتم بنائها من داخل الذات (بيصار، 1980، صفحة 63)، تحت تجربة معايشة يتم فيها إخضاعها للمختبر العقلي، ما يعني أن ديكارت يبني المعرفة في الذات، (وهذه أهم سمة لفلسفة الحداثة بدأ ديكارت يلوّح بها وهي الذاتية. وهي رافد مهم للثقافة الحديثة).

يجب أن يفهم ديكارت من هذا المنطلق -بعكس ما يُقدم في الكثير من المؤلفات التي تحكي عن ديكارت والديكارتية- أي يفهم على أنه يدعونا إلى عيش التجربة داخل الذات وليس بالتسليم المسبق المفارق لها، ولعلّ ما جاء به في كتابه (تأملات في الفلسفة الأولى) أراد من الإنسان الغربي أن يعيش تجربة وعي (وكأنه يقول له لا تصدق أفكار أحد ما كان وما عليك إلا أن تختبرها في ذاتك فإذا أحسست بيقينيتها فإنك قد عشت تجربة وعي صادقة)، فما يفهم من هذا أن ديكارت يتجه إلى محاربة الجهل السائد وتغيير بنية العقل المدمن بسحبه من تجارب الاعجاب التي تصنع المعارف الدوغمائية إلى تجارب الوعي الناقدة، أي ينطلق من الشك لينقله إلى تجربة ذاتية ليصنع الوعي بحثاً عن اليقين.

لأجل ذلك بحث ديكارت في المنهج لا المعرفة، وكان منهجه يقوم على عدم الاطمئنان من المعارف السابقة والسائدة والتوجه نحو العلم الذي يجعلنا نعيش تجربة اليقين، فديكارت عاش الشكوكية وأنه يبحث عن اليقين، الذي يمكنه الاعتماد عليه لتأسيس المعرفة والثقافة (فضل الله، 1986، صفحة 74)، لهذا بدأ بمقال في المنهج سنة 1637 باحثاً عن الطريقة والأداة التي يفكر بها للوصول إلى اليقين.

ثم انتقل إلى كتابة التأملات في الفلسفة الأولى سنة 1641 وسنة 1647 باللغة الفرنسية، (متأملاً قلقاً غير واثق يشعر بتهافت الأفكار) يعني المخاض الفلسفي.. مستعملاً طريقته الجديدة في التفكير في تجربة ذاتية، فالمقصود من هذا المؤلف (الابتعاد عن تجربة الاعجاب والتوجه إلى الشك لأجل اليقين) فهو الذي يحوّل الاحساسات والذوق وجميع الانطباعات إلى معرفة بفعل الظن والاعتقاد بعيد عن اليقين، لكن هنا ينبغي التفريق بين الوعي والذاكرة (فالذاكرة تعني أن يكون الإنسان ملماً بالمعارف الدينية والعلمية) بينما على مستوى الوعي يقول ديكارت: (تعلمت

أنه لا أعتقد اعتقاداً جازماً في شيء ما بحكم التقليد والعادة، وتخلصت شيئاً فشيئاً من الكثير من الأوهام التي تخمد فينا النور الفطري... (ديكارت، 2009)، وكأن ديكارت يستشعر بالنور القادم في عصر لاحق هو عصر الأنوار. يبدو أن ما أراده ديكارت هو: (إعادة بناء أساس الثقة فيما تعلق بالحقيقة فكان يبحث عن أفكار لا يطأها الشك، أفكار لا يمكن رفضها قادرة على أن تكون لنا تجربة يقين) (فضل الله، 1986، صفحة 73)، وتبعاً لذلك انتشرت النزعة الشكوكية وقابلها الوثوقية في العقل لتحقيق تلك النزعة والانزياح عن كل الثوابت الكلاسيكية والتوجه نحو الذات، وهذه هي أبرز معالم فلسفة الحداثة تبرز ثقافة الإنسان الحديث التي تتجاوز الجهل المؤسس والمعرفة الدوغمائية القروسطية.

إن فلسفة الحداثة هي لحظة يقظة للعقل البرهاني وتمرد على الجهل القروسطي الذي عمّر طويلاً في أوروبا، وستعبر فلسفة الحداثة عن الشعور بعدم صحة وكفاية كل المعارف السابقة، وهنا يمكن أن نشير إلى أن الأمر يتعلق بإنسان يريد أن يصنع هوية جديدة يثبت بها وجوده في هاته الحقبة والرقعة، فبدون هذا الشعور لا يمكن أن يحدث التغيير في الثقافة وبالتالي الهوية وبالتالي نحو منتج فلسفي جديد ومختلف. وتؤكد الفلسفة الديكارتية على أن بناء العقل الحداثي يكون:

أ- الشك:

بحسب ما ذكره ديكارت في كتابه مقال في الطريقة فإنه يجب بناء تحقيقاتنا ليس على أساس ما ظنه الآخرون ولا أساس الحدس الذي نشعر به، بل ما نعانیه بوضوح ونستنتجه بثقة (ديكارت، مقال الطريقة، 1970، صفحة 77)، ما يعني طريقة البحث عن الحقيقة تتضمن الوضوح (البداية) والاستنتاج، ولا يعني بقوله هذا رفض وتجاهل مساهمات العلماء والحكماء السابقين، بل أراد أن يقول أن تداولية أي فكرة لا يعني أنها يقينية بل يجب التأكد منها وإثباتها (يبدو أن هذه فكرة منطقية سكولائية سبقه إليها توما الإكويني)، لكنه أي ديكارت أراد اقتحام كل الحقائق التي ظلت تقدم على أنها أساسية وموثوق فيها عن طريق (الشك المنهجي).

عاش ديكارت تجربة الشك حتى شك في يده التي يمدّها أمامه فيراها، وشك في حواسه، وشك إن كان ما يراه في العالم الخارجي موجود فعلاً فربما يكون مجرد هلوسة أو وهم ناتج عن روح شريرة مخادعة (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 96)، (هنا بداية التعالي الذي ينتهي إلى الفصل بين الفكر والمادة).

انتهى الأمر بديكارت إلى أنه سيشك في كل ما يمكن الشك فيه (هنا ينبغي الانتباه إلى إحدى مسببات انتكاسة الحداثة لاحقاً وهي بداية تعالي الفكر أو الذات والمعروفة بنسقية الفصل بين الفكر والمادة، وحينما شرع في عملية الشك في كل شيء انتهى إلى أن الأمر الوحيد الذي تعذر فيه شكّه هو كونه يشك (فالشك يتطلب شكاً وإثباتاً من عدمه هو شك في حد ذاته) ليستنتج فكرة واضحة وهي أن الشك هو أول يقين، وصاغ فكرته الشهيرة (أنا أفكر إذن أنا موجود) (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 97) وطالما أن الشك هو

تفكير فإن التفكير يتطلب وجود مفكر. (فاليقين المتمثل في الشك الذي يقوم به الفكر هو بداية تثبيت إعلاء من الفكر أو الوعي الذي ستسير عليه كل الثقافة الأوروبية بدءاً من القرن السابع عشر)

ب- التحليل:

هي ضمن عملية الشك المنهجي وتعني تجزئة كل المعارف بإرجاعها إلى عناصرها الأولى الدقيقة المكونة لها، وتعني أن تقارن الكل بعناصره المكونة له (ديكارت، مقال الطريقة، 1970، صفحة 27)، فمثلاً فالطبيب يقوم برؤية خلف ما يظهر من عمل أعضاء الجسد فيشخص الداء ويقدم الدواء ليمتلك المعرفة اليقينية بينما معرفة المريض بالرغم من شعوره بالآلام لكنها ليست حقيقية، فكذلك في المعرفة القدرة على تجزئة الأفكار إلى عناصرها لا متلاك المعرفة بالشيء.

ج- التركيب:

هذه القاعدة مهمة جداً، وكأن ديكارت أراد أن يبني في العقل الغربي القدرة على التأليف والتطوير وتقديم الجديد دون الركون إلى ماهو جاهز يتم تكراره (ديكارت، مقال الطريقة، 1970، صفحة 29)، ويعني أن روح الفلسفة الديكارتية هي الابتكار وتجاوز التكرار، ونفس الشيء يجب أن يقال هنا مثلما قلنا في دعوة ديكارت إلى الابتعاد على تجارب الإعجاب، حيث أن عملية التركيب تبقى مستمرة ملازمة للعقل، وهذا ما يثبت حضور تلك الروح في الفلسفات المعاصرة التي أرادت إعادة قراءة الفلسفات السابقة بأدوات جديدة (نيتشه، فوكو ودريدا).

د- الإحصاء:

تعني استمرارية التفكير وعدم توقف عمل العقل (ديكارت، مقال الطريقة، 1970، صفحة 32)، هنا يتحوّل ديكارت إلى فيلسوف متمرد على الرياضيات) لأنه لا يؤمن بالثبات حينما يدعو إلى المراقبة والإحصاء باستمرار، فمهمة العقل هي البقاء على الشك في كل شيء وتحليله وتركيبه وبأدوات مختلفة وعلى الدوام، وقاعدة الإحصاء لها تأثير على ما قدمه فلاسفة العلم المعاصرين (كارل بوبر يقول ما توصلت إليه يمكن أن يكون قابلاً للتكذيب..)

يبدو أن الفلسفة الحديثة وثقافة الإنسان الحديث بُنيت على التجربة الديكارتية والتي سعت لبناء للذات الغربية على التحليل (التفكيك والنقد) والتركيب (روح الابداع) والإحصاء (استمرارية المراقبة والتحقيق بمعنى استمرارية التفكير) فإنها تبني العقل الغربي على التدقيق والحساب والنقد والشك والابداع، (آمين، 1954، صفحة 20) فتتحول الديكارتية إلى طريقة وأداة وليست فلسفة شمولية كما تم التسويق لها.

2.2- عودة الحركة الإنسانية في القرن 18 (والانفتاح على عصر التنوير):

لكن بالرغم من هذا التحول العظيم في المعرفة والثقافة والهوية التي تتعلق بالذات الغربية بدءاً من القرن السابع عشر والذي أسهمت فيه الكثير من الحركات خاصة الحركة الإنسانية وما تبعها من حركات فلسفية قاومت الجهل

المؤسس والثقافة السكولائية خاصة الفلسفة الديكارتية، إلا أن الاعتقاد بزوال تأثير الكنيسة على حياة الشعوب الغربية في تلك الفترة خاصة في القرنين 17 و 18 هو اعتقاد خاطئ، فبالرغم من أنه عصر سيادة تصورات الفلسفة التجريبية في مسائل المعرفة (لوك، هيوم) إلا أن الحركة الإنسانية التي برزت في القرن 16 وانتصرت للمثل الدينيوية مع "برتراند" و "لوكاتشو" و "مور" و "ارازموس" وأثرت على رجال الدين الذين أصلحوا الكنيسة و انتهوا إلى بروز النزعات الشكوكية التي مهدت للعقل الحداثي، إلا أن جدالها مع الإصلاحيين "لوثر" و "كالفن" حول طبيعة الإنسان لم يغير الاعتقاد من أن الإنسان كما تصوره الكنيسة هو نتاج خطيئة وذو طبيعة شريرة وظل سائدا زمنا طويلا.

بالرغم من تفتح الإصلاحيين على الحركة الإنسانية خصوصا مسألة الحرية لكن ظل تصورهم لطبيعة الإنسان مشدود بالأطر الكهنوتية، وانتصرت الكاثوليكية وظهرت متناغمة مع التحولات التي عرفها عصر النهضة أي نجاح الإصلاح الديني لكن دون أن يتم التغيير في أمهات العقيدة فاستمرت المسيحية بأسس أفلاطونية جاثمة على الفكر الغربي حتى بعد عصر النهضة إلى القرنين الأولين من العصر الحديث.

لذا فالاعتقاد بأن الحركة الإنسانية قد انتصرت وكانت سببا في ذاك الإصلاح الكنسي هو اعتقاد مبتور غير مكتمل، وبالتالي "ارازموس" وحركته الإنسانية قد خسروا الكثير من الجدالات في القرن 16.

لكن مع بلورة العقل الفلسفي البرهاني وتحليلات لحظات يقظته المتكررة في كل مناحي المعرفة، أعاد الجدل حول الطبيعة الإنسانية (وكان الحركة الإنسانية تعود من جديد في القرن 18) من خلال حركة التنوير التي ستعيد إحياء السؤال الفلسفي حول طبيعة الإنسان ومحاولتها لإعادة فهم الإنسانية بعيدا عن الأطاريح الأرثوذكسية.

لقد تم إحياء سؤال الطبيعة الإنسانية في القرن الثامن عشر في ردّة فعل عنيفة هذه المرة على الكثير من التصورات الكهنوتية الكنيسة، أحيته حركة التنوير التي انطلقت من ألمانيا وامتدت إلى فرنسا وإنجلترا، وما انبثق عنها من فكر كان له أثر على البشرية بأكملها.

ينبغي أن نشير هنا إلى نقطة في غاية الأهمية أن الذين يدرسون حركة التنوير وخاصة المؤرخون يظنون أنها حركة بمنهجية واحدة تشكّل مذهبا أو مدرسة في حين الحقيقة أنها حركة متنوعة بأشكال أخرى الناطم بينها هو العقل البرهاني والقدرة على التبرير، نظم أدباء وفلاسفة ولاهوتيين. تضم أكثر من 150 مؤلفاً روجوا لتقدم العلم ودعموا التسامح والعقلانية والانفتاح الذهني في عصر التنوير.

3- حركة التنوير والطرق العلمية (علمنة الظواهر الاجتماعية والإنسانية) :

استفاد التنويريون من المناهج العلمية التي انتجتها مختبرات العلم الطبيعي، وخاصة المنهج التحليلي، ويتفقون على أنه المنهج هو الأصلح للتوجه نحو الأنسنة وتشريع القوانين العلمية في الظواهر الانسانية والاجتماعية، متأثرين بالثورات العلمية التي أحدثها المنهج التجريبي في الفلك والفيزياء والرياضيات.

يبدو أن تبني الموسوعيين لهذا النهج هو بداية الانفلات عن النسقية الديكارتية، أي إن المنهج التحليلي يبحث في منطق الوقائع يعني تم التراجع عن فكرة الانطلاق من منظور فكري، ومحاولة تفسير الواقع ضمنه إلى البحث عن

منطق الوقائع لتأسيس منظومة فكرية معينة تبعث بها متغيرات الواقع، هذا ما يثبت أن حركة التنوير انطلقت من التأثير بالثورة العلمية والتوجه إلى تطبيق منهج التحليل لفهم العلوم الاجتماعية.

1.3- منهج تحليل الوقائع وازدهار الفلسفة السياسية :

برز شارل لويس دي سيكوندا مونتسكيو (1689-1755) وهو أحد التنويريين الذي ألف كتابه (روح القوانين) ثمرة المنهج التحليلي الذي طبقه في بحثه التاريخي للحضارات وتصنيف المجتمعات (ممالك وأجناس)، فما قام به هو استقراء لأنواع السلطة التي تظهر وتختفي عبر التاريخ الغربي، ورأى على أن هناك ثلاثة أشكال حكم عامة وأساسية (الدكتاتورية، الملكية، الديمقراطية) ثم بدأ يبحث عن القوانين التي تميز كل حكم (مونتسكيو، 1953، صفحة 21).

ونجد آدم سميث (1723-1790) في كتابه (غنى "ثروة الأمم") إذ رأى أن هناك قوانين تحكم الاقتصاديات مثل قانون العرض والطلب، والنقود خفض العملة سحب النقود الفضية.... فكل منهما أي مونتسكيو وآدم سميث قد حلّلا الوقائع وبحثا عن المنطق الذي يحكمها (فال، 1988، صفحة 47)، فمونتسكيو لاحظ في استقراءه لأشكال الحكم وجود شروط ينبغي الحفاظ عليها لبقاء شكل الحكم، فمثلا الشرط الحافظ لبقاء الدكتاتورية هو الخوف، وإذا اختفى الخوف سقط الحكم الدكتاتوري ليحلّ محله شكل آخر، وشرط بقاء الملكية هو مظاهر الإجلال (التعظيم والأبهة وطقوس معينة كالانحناء والركوع)، أما شرط بقاء الحكم الديمقراطي فهو المسؤولية واحترام القوانين والولاء المدني، وتنهيار الديمقراطية حينما يتم التعدي على القوانين (مونتسكيو، 1953، صفحة 25).

لقد استعمل هؤلاء التنويريين في القرن الثامن عشر الطرق العلمية في فهم العلوم الاجتماعية وهذا ما أدى إلى بروز الفلسفة السياسية، وبعدها ازدهر هذا المبحث القيمي واتجه الباحثون إلى تأليف نظريات حول البناء السياسي للمجتمعات، فأسهم عمل هؤلاء في تغيير النظرة التشاؤمية عن الطبيعة الإنسانية (الخطيئة) والتي مصدرها الكنيسة ومنها تم التوجّه نحو مجادلة الدين والتوجه مدفوعين بالتطورات العلمية نحو الأنسنة والعلمانية، أي نحو خلق أشكال جديدة من الأنظمة السياسية والاقتصادية وتحسّن المجتمعات.

2.3- العلم بديل الدين:

إن حركة التنوير مدفوعة بالتفاؤل الكبير الذي بعثت به الثورات العلمية، ساعدت المفكرين على جدال ما بقي من معتقدات كنسية مركونة في الثقافة السائدة، لذا شهد القرن الثامن عشر مشادة كبيرة بين الفلسفة والكنيسة هاته الأخيرة كانت لاتزال مقيدة بالدوغمائية، وكان أهم فيلسوف ناقد للكنيسة بشدة هو فرانسوا ماري المدعو "فولتير" (1694-1778) بالرغم من أنه لم يكن ضد الإيمان بل كان ضد الأصنام الخرافية التي وضعتها الكنيسة على الثقافة والفكر، هنا ينبغي أن نشير إلى أن التنويريين لم ينقدوا الإيمان بل نقدوا المعتقدات الخرافية (رسل، 1977، صفحة 30).

فانتقد فولتير باسكال لأنه كان وراء نهضة الفكر الأغسطيني وعودة الكنيسة الكالفينية، أي أن كالفن يرفض كل مقارنة لفهم الدين، فولتير الناقد كان أدبيا هذا الذي يثبت أن الثورة الاستيعابية تسبق الثورات الأخرى وممهدة لها دائما (رسل، 1977، صفحة 27).

كان الموسوعيون الفرنسيون من أمثال بارون دي هولباخ (1723-1789) ودينس ديدرو (1713-1784) أكثر نقدا للدين والمسيحية، واضعين فكرة التنوير الأساسية والمتمثلة (فرضية الله لم تعد ضرورية لفهم مشاكل الحياة وللبحث في الطبيعة الإنسانية فالعلم بعيدا عن الدين يمكنه أن يجيب عن أسئلة الحياة والوجود والمصير).

لتبلغ حركة التنوير ذروتها مع جان جاك روسو (1712-1778) بعدما اكتمل الدين الطبيعي وتم تبرئة الطبيعة الإنسانية من التصور المسيحي، وأضحى في المنظور الفلسفي أن الإنسان قد ولد حرا خيرا لكن التشيئة المسيحية قيّدت من كل الجوانب، وأفسدت طبيعته يجب عليه أن يتغلب على جميع القيود (روسو، 1995، صفحة 85). اصلاح الطبيعة الإنسانية وإخراجها من براثن الفساد الكنسية بحسب روسو يكون بممارسة السياسة وتشريع القوانين وفق الوسائل الأنثروبولوجية الراهنة، لذا دعا إلى حلّ التعاقد كلما زاد الاستبداد (بمعنى التعاقد يفرض قيودا) ويزداد الاستبداد كلما تحوّل إلى مؤسسات وإلى نظام حكم، فيتم إبعاد الإنسان عن طبيعته الحرة، وانتهى روسو إلى أن كل إنسان يصبح كما تجعله سلطته لذا يدعو إلى الانسحاب الكامل من المجتمع وإعادة بناء مفهوم جديد للسلطة.

الأفضل بحسب روسو أن تُبنى السلطة على التعاقد الاجتماعي وعلى عهد بين الحكام والمحكومين ويتم توضيح ذلك من خلال قوانين عادلة وهي التي تعكس الإرادة العامة وتحقيق الرفاه وتحسّن أحوال البشر، هذا النوع من التفكير هو الذي أدى إلى قيام الثورة الفرنسية (روسو، 1995، صفحة 108).

لكن يمكننا أن ننظر لهاته الرؤية التي قدمها روسو برؤية تقييمية ونقول فإذا كان الإنسان خيرا كما يذهب هو فمن أفسد الحضارة التي هي من صنعه، ثم أن فكرة التعاقد الاجتماعي برغم من جمالها لكن يصعب لها أن تحقق رفاه المجتمعات.

صحيح أن رؤيته قد خلقت استنارة جديدة للبشرية واسقطت معتقدات الكنيسة وأزالت التصورات الخاطئة عن الإنسان وفكرة الخطيئة، وفعلًا قد تم التحول من الدين الطبيعي إلى القانون الطبيعي معلنا بداية القرن 19، وانتشار قيم التنوير التي كانت رافدا مهما في تكوين ثقافة الإنسان الحداثي وتعبر عن هويته، والتي صارت مطلب الكثير من المجتمعات الأخرى التي انتقلت إلى عمليات التحديث لمجتمعاتها وفق تلك القيم المرتبطة بالأنسنة والعلمانية والحرية والديمقراطية.

- الخاتمة :

في الأخير تبقى الحركة التنويرية تمثل مرحلة فارقة في تاريخ أوروبا والغرب عموماً، تعبّر عن منتج ثقافي لعقل حداثي استطاع أن يأخذ المركزية في صناعة قيم جديدة في السياسة والأخلاق والذوق وحتى الدين، فبالعقل الحداثي تم الانتصار للذات الإنسانية بدلا من الأدوات الخلاصية الأخرى التي عجزت عن تحقيق رفاهية الإنسان وسعادته، وبه شُرعت القوانين وأمكنه مناقشة الأسس العقائدية والأخلاقية، وبه أيضا تم الانزياح عن السرديات والميتافيزيقا إلى الواقع بحثا عن المنفعة وترقية الذوق والتشريع للقوانين التي تبني المجتمعات وتراعي حقوق الشعوب بدلا من التشريعات الثيولوجية وحقوق الكهنة والأمراء.

لكن المؤسف أنه ذلك العقل قد سقط في براثن التعالي وتم تحويل تلك القيم إلى إيديولوجية غربية خالصة تم توظيفها في التسلط والسيطرة، ولأدّل ذلك الحملات الاستعمارية التي انطلقت تفرض تلك الإيديولوجية بالقوة. هذا التعالي والانتصار إلى الثقافة الغربية طبع العلاقات بين المجتمعات والثقافات المختلفة بطابع التوتر والعداء، أدّت في نهاية المطاف إلى الصدمات التي خيّبت ظن الإنسان الأوروبي في العقل وفي قيم التنوير ومنظوماته الأخلاقية والمعرفية، تلك التي تشير إلى نهاية الأنساق الفلسفية والعلمية والسياسية الكبرى، وتوحي بالانهيار الأخلاقي عند محتشدات الإبادة في الحروب العالمية.

لأجل ذلك اتجه العقل الغربي منذ منتصف القرن العشرين إلى البحث عن خطابات فلسفية جديدة ورؤى إيتيقية مختلفة عساها أن تضمن للإنسانية حياة المؤانسة والمعايشة والاعتراف والاحترام وتزيل عنه همومه الأنطولوجية الحاضرة والمستقبلية التي بدأت تزداد وتتعدد في ظل التطورات الرهيبة والغريبة للعلم والتكنولوجيا والذكاء الاصطناعي.

المراجع:

1. Bruno Nardi. (1949). Dante e la cultura Medievale. Bari: Laterza editori.
2. James Kritreck. (1964). Peter the venerable and Islam. Princeton, University Press.

3. برتراند رسل. (1977). تاريخ الفلسفة الغربية. (محمد فتحي الشنيطي، المترجمون) مصر: المكتبة المصرية العامة للكتاب.
4. جان جاك روسو. (1995). العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية (المجلد 2). (عادل زعيتر، المترجمون) بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
5. جان فال. (1988). الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر (المجلد 4). (مروان خوري، المترجمون) بيروت: منشورات عويدات.
6. رينيه ديكارت. (1970). مقال الطريقة (المجلد 2). (جميل صليبا، المترجمون) بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع.
7. رينيه ديكارت. (2009). التأملات في الفلسفة الأولى. (أمين عثمان، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
8. عبد العزيز عبد الغي ابراهيم. (1997). محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث. مالطا: منشورات E.L.G.A.
9. عثمان أمين. (1954). ديكارت (المجلد 4). القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.
10. كرين برينتون. (بلا تاريخ). تشكيل العقل الحديث. (شوقي جلال، المترجمون) الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
11. محمد عبد الرحمن يبصار. (1980). تأملات في افلسفة الحديثة والمعاصرة (المجلد 3). بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
12. مهدي فضل الله. (1986). فلسفة ديكارت ومنهجه (المجلد 2). بيروت: دار الطليعة.
13. مونتسكيو. (1953). روح الشرائع. (عادل زعيتر، المترجمون) القاهرة: دار المعارف.

- المقدمة:

تطرح هذه الورقة البحثية قضية من القضايا لها ارتباط عضوي بالتاريخ الاجتماعي-الديني للجزائر، ويتعلق الأمر بمسألة تأثير الدين في استقرار السلطة والمجتمع بالجزائر خلال الحكم العثماني، حيث أثارت هذه المسألة اهتماما كبيرا من طرف العديد من الكتابات التاريخية في الفترة الحديثة والمعاصرة، وهذا بالنظر للأهمية التاريخية لهذه القضية التي شكّلت موضوعا للنقاش.

لقد سجل الحضور التركي بالجزائر حدثا جديدا على مسرح الأحداث، حيث فرض هذا الواقع بروز علاقة بين الأتراك والمحليين، فالحكم العثماني يمثل مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر الحديث، خصوصا في شقيه الاجتماعي والديني منه، ومن روافد هذا الوجود في جانبه الاجتماعي، التنوع السكاني من حيث الانتماء العرقي-الديني، بالإضافة إلى التنوع المذهبي، حيث عرف القضاء تعايشا متميزا بين المذاهب المالكي والحنفي، فقد أدخل العثمانيون المذهب الحنفي إلى إيالة الجزائر، على غرار السلطة المركزية في الباب العالي، فقد ظهر نوع من التنافس بين المذاهب مما أثر هذا بشكل مباشر على الجانب التشريعي.

كما عرف نظام الحكم نوع من المرونة في تعامله مع قضايا مختلف الشرائح والطوائف المكونة لمجتمع المدينة، من خلال سنه لجملة من التنظيمات والتشريعات تتماشى وطبيعة المجتمع الجزائري، بما فيها العناصر الوافدة والدخيلة، ويتعلق الأمر بدرجة أكبر بأهل الذمة، حيث أصبحت الطائفة اليهودية تتمتع بكامل حريتها في ممارسة شعائرها الدينية وبناء معابدها.

هذه المنظومة من التشريعات والقوانين مصدرها قوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى قوانين وضعية في شكل فرمانات وأوامر سلطانية¹ وقد رسمت قوانين الدولة العثمانية وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، وبناء عليه فالرعية ملزمة بتطبيق هذه القوانين طاعة لولي الأمر، بموجب قوله تعالى: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي

1- قام شيخ المؤرخين أحمد توفيق المدني بجمع وتصوير حوالي 3300 وثيقة، وهناك من ذهب إلى أربعة آلاف (4000) فرمانا أو أمرا سلطانيا، قام بإحضارها من الأرشيف التركي باستانبول وهي عبارة عن مراسلات بين ولاية الجزائر والباب العالي وتقارير مختلفة عن الجزائر قدمت من جهات متعددة للسلطان باستانبول قام بترجمتها الأستاذ التركي فكري طونة، حيث ترجم ألف وثيقة، ثم عاد الأستاذ فكري إلى بلاده دون أن يكمل ترجمة كل الوثائق، وتوجد الوثائق المذكورة اليوم في الأرشيف الوطني الجزائري ويعتبر القسم المترجم منها (2500) وثيقة مادة مصدريّة مهمة بالنسبة للباحثين والمؤرخين، راجع:

- خليفة حماش، الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر تاريخها وواقعها، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد 11، ذو الحجة 1422 / فيفري 2002، ص. ص. 184-198.

- مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي، من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات، 2000، ص. 17.

الأمر منكم"² كما أن القضاة وحكام الولايات ملزمين بتطبيقها³، لذلك كانت الفرمانات العثمانية تتضمن دائما جملة تفيد أن هذه الفرمانات تنسجم مع الشريعة والقوانين الصادرة من قبل.⁴

ولعل ما يجسد أكثر ارتباط الحكم العثماني بالشّرع الإسلامي، هو النظر في شكاوى الرعية، وتقديم المساعدة للجماعات الساكنة للمدينة، وهذا ما أشارت إليه بعض الأوامر السلطانية، حيث كان السلطان العثماني في الباب العالي، ينظر إلى الشكاوى التي كانت ترفع إليه، من مختلف السناجق و الإيالات، وبعد النظر في هذه الشكاوى، يرسل إلى حكام هذه الأقاليم والولايات العثمانية بتطبيق القانون وأحكام الشريعة الإسلامية، حتى وإن كانت هذه الشكاوى ضد أعضاء الديوان، أو كبار الموظفين في الإيالات العثمانية.

من هذا المنطلق جاءت إشكالية هذه الورقة البحثية تتمحور حول مدى تأثير المسألة الدينية في استقرار السلط والمجتمع بالجزائر خلال الحكم العثماني، وقد قمنا بتقسيم هذه الورقة البحثية إلى ثلاثة محاور رئيسية هي:

1- السلطة المركزية وشعار الرابطة الدينية.

2- أهل الذمة والتعايش الديني داخل المدينة.

3- التعايش بين المذهبين المالكي والحنفي وتأثيره على المجتمع.

وقبل الخوض في حيثيات هذا الموضوع، أردت أن أوضح بأن هذه الورقة البحثية لا تمثل دراسة مستفيضة لهذا الموضوع، وإنما تمثل حلقة من حلقات هذا البحث المتشعب، لذلك بداية افتح قوسا يخص العنصر الأول من الدراسة ويتعلق الأمر بالسلطة المركزية وشعار الرابطة الدينية .

أولا السلطة المركزية وشعار الرابطة الدينية:

لا شك أن الدين يشكّل أهم ركائز النظام الاجتماعي في المجتمع الجزائري، هذه الحقيقة أكّدها العديد من الباحثين والرحالة أمثال لويس بولار الذي يرى بأن الدين في المجتمع الإسلامي من أقوى النظم الاجتماعية- الثقافية التي يبني من خلاله الفرد شخصيته داخل المجتمع، كما له تأثير على الجماعة من خلال السلوك و نمط الحياة الروحية والاجتماعية.⁵

2- سورة النساء، الآية: 59.

3- أورهان، قوانين الدولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي، أطروحة دكتوراه في الفقه وأصوله، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2009، ص. 106.

4- خليل أيناالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر، محمد الأرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002 ص. 112.

5- Baulard, (L), un Voyage en Afrique ou Description d'Alger, Bibliothèque Royale, p5

لقد أثر الكثير حول مدى ارتباط الحكم العثماني بالشريعة الإسلامية، وتمثيله للخلافة الإسلامية، ومدى نجاح نموذج الحكم في إدارة الولايات العثمانية، بعيدا عن تغليب الجانب العسكري في إدارتها، لقد كان لمعادلة فتح القسطنطينية عام 1453 وسقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس (سقوط غرناطة) سنة 1492 أثر كبير في تأهيل العثمانيين لحمل راية الإسلام والدفاع عنه، ضد الحملات الصليبية في الحوض البحر الأبيض المتوسط، فقد نالت المسألة الأندلسية اهتماما بالغ الأهمية لدى الحكام العثمانيين في إطارها العفدي⁶، وهذا ما توضّحه هذه الرسالة التي بعثها أهل الأندلس إلى خير الدين وجاء فيها: "فكتب أهل الأندلس كتابا إلى خير الدين يعلمونه فيه بما وقع من النصارى من هذه المحن ويتضرعون إليه في إنقاذهم بما هم فيه فوصل إليه كتابهم فامتعض من أجلهم ودخلته حمية الإسلام والغيرة للدين المحمدي فعند ذلك حضر ستة وثلاثين جفنا⁷ فلما رآهم الأندلسيون خرجوا إلى ذلك الجبل المتقدم، فتجرد في طلبهم النصارى، فلما وصلوا إلى الجبل، نزل إليهم أهل الأجفان من المسلمين وأتوهم من ورائهم ووقع بينهم قتال عظيم، قيص الله للمسلمين المسلمين عليهم فأخذ الكفار في الفرار وتبعهم المسلمون في الأثر حتى أبعدهم عن مكائهم، ثم أنهم رجعوا، ولما رأى أهل الجبل من الأندلس ما منح الله عسكر خير الدين من النصر نزلوا إليهم من الجبل وسلموا عليهم واستبشروا بقدمهم وذهبوا إلى مدينتهم، فرفعوا نسائهم وأبنائهم وما قدروا عليه من أموالهم وآبائهم، فأتوا بها إلى الأجفان ووسعوها بذلك، وركب فيها عدد كثير منهم ورجعوا إلى الجزائر بعد ما خلفوا ألف مقاتل من العسكر يحرسون جماعة المسلمين الباقية من الأندلس خوفا عليهم من النصارى لعنة الله عليهم، فلما وصلت الأجفان إلى الجزائر خلفوا ما حملوه من الأندلس، ورجعوا إلى ذلك الجبل لحمل بقية المسلمين فتكرر ذلك منهم سبع مرات، فكان جملة ما حملوه من أهل الأندلس على ما قيل سبعين ألفا، وبقيت عادة أجفان الجزائر، أنهم في كل سفر يسافرونه برسم الغنيمة يأتون إلى سواحل بلاد الأندلس برسم حمل جماعة المسلمين بها".⁸

وما يجسد هذه الرابطة الدينية وارتباط الحكم العثماني بالشريعة الإسلامي، هو النظر في شكاوى الرعية، وتقديم المساعدة للجماعات الساكنة للمدينة، وهذا ما أشارت إليه بعض الأوامر السلطانية، حيث كان السلطان العثماني في الباب العالي، ينظر إلى الشكاوى التي كانت ترفع إليه، من مختلف السناجق والإيالات، وبعد النظر في هذه

6 مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر، دمشق، 1999، ص. 81.

7- أجفان: مفردا جفنة وهي من أنواع السفن المعروفة عند العرب المسلمين، استعملوها لنقل البضائع والركاب وهي أشبه بالقصعة، معروفة في الإمارات الإيطالية باسم *Round Ships* أي: السفن المستديرة، راجع مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص. 124-125.

8- جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987، ص. 42-41.

الشكاوى، يرسل إلى حكام هذه الأقاليم والولايات العثمانية بتطبيق القانون وأحكام الشريعة الإسلامية، حتى وأن كانت هذه الشكاوى ضد أعضاء الديوان، أو كبار الموظفين في الإيالات العثمانية.

فقد أورد الباحث " بن حموش " مجموعة من الأوامر السلطانية من خلال " مهمة دفترية " تبرز مدى حرص الحكام العثمانيين في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، حيث جاء في وثيقة " مهمة دفترية " رقم 23، حكم رقم 244، بتاريخ 981/07/19 هـ ، أمر بتحسين معاملة المهاجرين الأندلسيين ومنحهم أراضي مخصصة⁹، حيث نجد السلطان سليم الثاني (1566-1574) أمر القضاة والموظفين على توزيع الأراضي على من يستحقها بما فيهم الأندلسيون الذين كانوا قد اشتكوا من حرمانهم من حقهم في الأراضي التي وزعت حسبهم - على السكان المحليين فقط¹⁰

وما يشير إلى ذلك ما جاء في الوثيقة: " وذكروا بأنه يوجد مخصصات { جهات } كثيرة لبلادهم في الجزائر، إلا أن القضاة والمباشرين يعطون تلك المخصصات في حالة شغورها إلى أهالي البلاد ويدعون بأنها ليست من حق الأندلسيين أو من حق أعرب (مدجر؟) وبناء عليه فإننا نأمر: بإعطاء تلك المخصصات في حالة توفرها إلى المستحقين من فقراء المسلمين من أهل العلم والقرآن، سواء كانوا من أعرب أو من أندلسيين أو غيرهم"¹¹ ودائما في باب الشكاوى من جانب الرعية، نجد أن بعض الشكاوى كانت موجهة ضد كبار الموظفين في الإيالة، هؤلاء الموظفين سواء أكانوا مدنيين أو عسكريين، كانوا يستغلون مناصبهم ونفوذهم لاضطهاد السكان، حيث وصل الأمر، أنه إذا لقي أحد السكان جنديا إنكشاريا، فإنه يتنحى عن طريق للتركي¹² وهذا لإدراكه المسبق أنه سوف يتعرض إلى عقاب شديد في حالة رفضه لعدم الامتثال لأمر فسخ الطريق.

ففي عهد السلطان مراد الثالث (1574-1594)، قام بإرسال فرمان للبيلرباي حسن فنزيانو، مكلفا إياه بإجراء تحقيق موسع حول الاعتداءات على الرعية، خاصة بعدما أصبح الجنود يهددون بقتل أو قطع يد كل من يحتك بهم أثناء مشيهم في الطريق، كما كلفه بإجبار الجنود على الامتثال للشرع والأوامر¹³ ففي وثيقة مهمة دفترية رقم 30، حكم 532، بتاريخ 985/03/13 هـ ما يتضمن هذا الأمر: "

9- بن حموش، فقه العمران، المرجع السابق، ص. 112.

10- محمد بوشناق، الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 09، ديسمبر 2014، ص. 301.

11- بن حموش، فقه العمران ، المرجع السابق، ص. ص. 112-113.

12- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تع، تع، تق، لإسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 55.

13- محمد بوشناق، الوثائق العثمانية وأهميتها، المرجع السابق، ص. 301.

إن الامتثال لأوامر الحق جل وعلا، ولأوامر شريعة صاحب الرسالة، وإطاعة أولي الأمر واجب، بل هو فرض عين على المسلمين، وإن قتل أو صلب أو قطع عضو من الأعضاء، أو قطع اليد دون الحق، وما أشبه ذلك من العقوبات والتعذيب هو أمر مخالف للشرع الشريف، وإن ممارسة الظلم والتعدي على أي فرد خلاف للشرع والقانون في ظل عدالتنا {و} لن يقابل رضانا، وعليه، فإننا نأمر:

حال وصوله، ينبغي التقيد بهذا الأمر، وفيما إذا تكررت مثل هذه التصرفات وحاول - خدمنا - الإنكشاريين قتل أو قطع عضو لأحد ما خلافا للشرع، وإذا لم يمتثلوا للأوامر فعليكم باستدعاء أغواتكم وشيوخكم وتكليفهم بقراءة هذا الحكم الهمايوني على مسمع منهم، وعليكما بإرغامهم للرضوخ وإطاعة أمر الشرع الشريف كما يجب تطبيق الشرع لإنصاف كل من قاموا بالهجوم عليهم سابقا، ولا تسمحوا بعد الآن لأحد بالتصرف خلافا للشرع والقانون".¹⁴

ويذكر "أحمد الشريف الزهار" نقيب الأشراف في مذكراته أن الارتباط بالشرعية الإسلامية كانت هي السمة الغالبة على العهد العثماني بإيالة الجزائر، من خلال عرضه لسير بعض الحكام العثمانيين المعتدلين أمثال الداوي علي الذي حكم الجزائر، فيذكر أنه كان مستقيما وملتزما بالإسلام، كان حريصا على تطبيق حدود الشرع، فقد كان يمنع كل ما حرّمته الشريعة الإسلامية، كما كان يأمر التجار بغلق الحوانيت عند سماع الأذان والتوجه إلى المساجد، ومن يخالف الأمر يتعرض للعقوبة.¹⁵

ثانيا أهل الذمة والتعايش الديني داخل المدينة:

وفي مجال التسامح الديني يقول *Laugier detassy* "في الميدان الديني نجد أحسن شيء وأروع التسامح، وهذا التسامح موجود في الجزائر، ويستحق سكانها الشكر والاعتراف الجميل... وإن حكومة الجزائر لها سلوك ممتاز في هذا الميدان، فإنها تترك الحرية التامة للمتدينين الساكنين بلادها، ويقدر ما يشتهر عندهم الإنسان بالتدين إلا ويرتفع قدره عندهم ويحترمونه ويحّمونه".¹⁶

14- بن حموش، فقه العمران، المرجع السابق، ص. ص. 121-122.

15- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، (نقيب أشراف الجزائر)، تحقيق وتعليق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص. 136.

16- LAUGIER DE tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Préface Noël Laveau et André Nouschi, Editions, Loysel, Paris, 1992, PP95-106.

تعامل الأتراك مع أهل الذمة معاملة خاصة، وهذا راجع إلى طبيعة الإسلام السمحاء، فهو الذي حفظ لليهود حقوقهم في إطار أهل الذمة مصداقا لقوله تعالى: "فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وأن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين"¹⁷

لم يرى الحكام الأتراك مانعا في السماح لليهود للعيش إلى جانبهم، سواء السلاطين في استانبول أو الحكام العثمانيين في الجزائر، فقد أصدر السلطان العثماني بايزيد الثاني بن محمد الفاتح (1481-1512 م) فرمانا سمح بموجبه لليهود بالإقامة في الأراضي التابعة لدولته، وفي إيالة الجزائر رحب العثمانيون باليهود المطرودين من إسبانيا، حيث رأوا فيهم عنصرا حليفا يستخدمونه في صراعهم ضد الإسبان، وعاملا اقتصاديا مهما لتنشيط الصناعات الحرفية والنشاط التجاري.¹⁸

ويعتبر الترخيص الذي سمح بموجبه السلطان سليم الأول لليهود - رعايا الدوق الأكبر بتوسكانيا الذين لجئوا إلى ليفورن بعد طردهم من اسبانيا خلال الفترة ما بين 1492 إلى 1496 - بإمكانهم ممارسة أنشطتهم التجارية بالموانئ العثمانية حافزا لأعداد منهم للهجرة إلى إيالة الجزائر، وكان هذا ابتداء من أواخر القرن 17 م وبداية القرن 18 م.¹⁹

وفي مجال الحرية الدينية يقول القنصل الأمريكي وليام شالر: "...فهم يتمتعون بحرية تامة في ممارسة عقائدهم، وهم يخضعون لقوانينهم الدينية في الأحوال الشخصية (الزواج، الطلاق، الميراث...) وبوصفهم رعايا جزائريين يتمتعون بحرية التنقل والإقامة حيث يرغبون، وبممارسة المهنة التي يرونها في حدود القانون في جميع أنحاء المملكة، واليهود غير قابلين للاسترقاق"²⁰

ويلاحظ كذلك أن العثمانيون، وفي ظل التسامح منحوا حرية إقامة المعابد لليهود، حيث نجد أن المصادر الأوروبية في معظمها تجمع على أنه لم تكن هناك قيود على إقامة دور عبادة في الأحياء اليهودية، يقول روزي (Rozet) في هذا الصدد: "أن اليهود كانوا أحرارا في بناء الكنس والأروقة التي كانت تستخدم غرضا للتعليم الديني"²¹

17- سورة المائدة الآية: 42.

18- بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، ط1، بيت الحكمة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص. 53.

19- عبد الرحمن المودن، عبد الرحيم بنحادة، العثمانيون والعالم المتوسطي، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2003، ص. 301.

20- وليام شالر، مذكرات وليام شالر، المصدر السابق، ص. 89.

21- Rozet, m.p, Voyage dans la régence d'Alger t2, Paris, 1833, p83.

كما وجد اليهود كل التسهيلات في المناطق التي حلوا بها، فقد أقطعهم الباي محمد الكبير (1193 هـ / 1212 هـ - 1779 م / 1797 م)، قطعة أرض لدفن أمواتهم، دون أن يدفعوا مبلغا ماليا²² وقد أجمعت المصادر على أن اليهود في الجزائر، كانوا يعاملون معاملة حسنة، وهذا القول يناقض ويدحض ما قاله الضباط الفرنسيون عن اليهود، إذ قالوا أنهم أصبحوا عبيدا تحت حكم الأتراك، ولم يحرروا من قيودهم، إلا بعد أن دخل الجيش الفرنسي للجزائر عام 1830 م²³

لقد اتسع نطاق التعايش بالنسبة للطائفة اليهود داخل الفضاء المدني إلى المعاملات الاقتصادية، حيث أعطيت حرية لليهود للقيام بالنشاطات التجارية من بيع وشراء وإيجار بالإضافة إلى معاملات مالية كالاستدانة. تشير بعض سجلات المحاكم الشرعية إلى أن أهل الذمة (اليهود والنصارى) قد تملكوا العقارات عن طريق عمليات البيع والشراء، وقد تمت معاملاتهم مع بعضهم البعض ومع الفئات الاجتماعية الأخرى داخل مجتمع مدينة الجزائر، وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية من خلال تطبيق مبادئها فيما يتعلق بالمعاملات بين الأفراد، وقد كانت هذه العقود توثق في المحاكم الشرعية تحت إشراف القاضي، ويتم تسجيلها في سجلات كغيرها من المعاملات الأخرى، ومن أمثلة قضايا المعاملات بالنسبة لأهل الذمة نذكر:

1-2-1 البيع:

وهو من العقود الشائعة، التي حرص أهل الذمة على توثيقها بالمحاكم الشرعية الإسلامية، لما لها من سلطة قضائية، وتسجيلها في سجلاتها كغيرها من التصرفات القانونية الناقلة للملكية، وضمن نظام توثيق، وتسجيلها بقواعده المستقرة وأصوله المرعية على أهل الذمة مثلهم في ذلك مثل المسلمين حيث كان يجوز لأهل الذمة اللجوء للمحاكم الإسلامية.²⁴

وهذه جملة من المعاملات المتعلقة بالبيع لأهل الذمة من خلال بعض عقود سجلات المحاكم الشرعية الخاصة بالأماكن المكرية والمبيعة بالمحكمة الحنفية المؤرخة من الثالث والعشرين ربيع الأول إلى اليوم الثالث والعشرين من ربيع الثاني لسنة 1227 هجرية وفي عقود أخرى إلى شهر جمادى الثانية من نفس السنة، حيث نقرأ: "البايعة خدوجة

22- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، (1519-1830) دكتوراة دولة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006، ص

134.

23- شويتام، المرجع نفسه، ص. 134.

24- سلوى على ميلاد، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1983، ص.

29.

بنت عثمان، المبتاع النصراني بيكافورابن ماركوا، المبيع جميع جلسة البيت الكاينة بفندق القهوة بثمان قدره ثمانماية ريال كلها بوجه بتاريخ الثاني والعشرين ربيع الثاني، سنة 1227 هـ ، ولم يخرج من السجل لعدم استيفاء البيع".²⁵ ونقرأ في عقد آخر: "البائع الذمي شلوموا بن دايد بن دحمان بنيابته عن ورثة الحاج العربي، المبتاع اليهودي بن دحمان، المبيع جميع الجنة الكاينة بفحص الأبيار بثمان قدره ثمانمائة دينار"²⁶

2-2-1 الإيجار:

من العقود التي لجأ أهل الذمة إلى القضاء الإسلامي لتوثيقها وتسجيلها في سجلات المحاكم الشرعية، وقد استنبطت إجراءات الإيجار بالنسبة لأهل الذمة من الشريعة الإسلامية من خلال تحديد العين أو العقار ومبلغ الإيجار ومدة²⁷ وهذا ما توضحه بعض العقود، حيث نقرأ: "أكرى السيد محمد بن علاّل في حقه وحق باقي شركايه {كذا} من الذمي شاول بن شلوموا جميع الدار و الدويرة الكاينة بحومة جامع علي بجنين لثلاثة أعوام بما قدره مائة دينار وخمسة ثلاثون دينار بتاريخ اليوم الثاني من جمادى الأولى"²⁸ ونقرأ في عقد آخر كراء الحوانيت: "أكرى عمران بونظيروا من الذميين وهما شلوموا عبو ابن مسعود ومريم كهين جميع الحانوت الكاينة بالصفارين لثلاثة أعوام بما قدره مائة وعشرون دينار"²⁹ وما يعزز هذا التعايش الديني داخل المدينة بين أهل الذمة والأتراك والسكان المحليين، مسألة الزواج.

3-2-1 زواج المسلمين من أهل الذمة :

رغم أن الديانة اليهودية تمنع الرجل من أن يتزوج أكثر من امرأة، فإن كثيرا من اليهود خالفوا هذه القاعدة³⁰، حيث ظهروا تأثرهم بالمجتمع الجزائري واضحا، على أساس أن الإسلام أحل الزواج بأربعة نساء. وبالرجوع إلى الشرع الكريم فقد أجاز للمسلم، أن يتزوج من امرأة كتابية من المسيحيات أو اليهوديات والذين لهم من المسلمين ذمة وعهد، مصداقا لقوله تعالى: "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم

25- A .O. M, 1 Mi ,10/6 ,Z21 .

26- A .O. M ,1 Mi ,10 ,Z21 .

27- سلوى على ميلاد، وثائق أهل الذمة، المرجع السابق، ص.30.

28- A.O. M, 1MI, 10/ 7,Z21.

29- A.O. M, 1MI, 10/ 23,Z21.

30- كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر، المرجع السابق، ص.47.

وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم"³¹، بينما لا يجوز للمرأة المسلمة أن تتزوج إلا مسلما، لقوله تعالى: "فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن"³². تشير الباحثة "نجوى طوبال" إلى وجود حالات عديدة لزواج المسلمين بالأجانب وتعني بهم الأسرى الأوروبيون والأسيرات الأوروبيات المعروفين بالأعلاج أو المهنتدون الذين كانوا يتخلون عن ديانتهم ويعتقدون الإسلام، فيختارون اسما جديدا، ويتجهون للاندماج في الحياة العامة عن طريق مصاهرة الأهالي.³³

وقد قدمت السلطة الحاكمة بالجزائر حوافز كبيرة لهذه الفئة، حيث تحدث سبنسر حول هذه المسألة قائلا: "...لكن كان هناك عامل اجتماعي له فاعليته في كل من مدينة الجزائر و بورسا، وإن هذا العامل الاستحقاق كان يوفر جاذبية للأسرى المسيحيين كي يرتدوا عن دينهم، وبمجرد ارتداد أحدهم فإنه يستطيع الدخول في خدمة الحكومة ويصبح له الأمل التأهل لكل المناصب العالية، وهذه الوضعية القانونية لكل المرتدين، تبدو وكأنها كانت أحسن من سكان الجزائر المسلمين من غير الأتراك"³⁴.

وعن زواج المسلمين من نساء أهل الذمة (الإسلاميات)³⁵ تذكر الباحثة "قشي" خمس حالات تتعلق بمصاهرات مع بنات الذميين، حيث لم تستغرب الأمر، لأن الزواج من العلجيات وغيرهن من الأجنيبات وارد بين الأوساط الحاكمة والميسورة على الأقل.³⁶

أما في مدينة الجزائر، فلم تعثر الباحثة "طوبال" سوى على ثلاث حالات مصاهرة تخض الإسلاميات، منها حالتين خلال الفترة المدروسة، كان فيها الزوجين مسلمين والزوجتين إسلاميتين، والحالة الثالثة تعود إلى بداية الاحتلال كان وضعها مغايرا، حيث كان الزوج أصله ذميا (إسلاميا) والزوجة مسلمة.³⁷

وفي باب الزواج كذلك نجد الذميين يجذبون الذهاب إلى المحاكم الشرعية الإسلامية والوقوف أمام القاضي المسلم في إتمام مراسيم الزواج، حيث تساءلت الباحثة "قشي" هل كان هذا اللجوء للمحاكمة المالكية مرده انعدام

31- سورة المائدة، الآية: 5.

32- سورة الممتحنة، الآية: 10.

33- نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر-الفترة العثمانية- (1710-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، ج 1، قسم التاريخ، جامعة الجزائر-2، 2013-2014، ص. 76.

34- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، وتق عبد القادر زبادة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006، ص. 98-99.

35- كان يطلق على الذمي الذي يعتنق الإسلام ب"الإسلامي" بالنسبة للذكور، و"بالإسلامية" بالنسبة للإناث، فعبارة "الإسلامي" كانت مستعملة في فاس في القرن السادس عشر وكان يراد بها نفس المعنى، راجع فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18، دار القصة للنشر الجزائر 2007، ص. 174.

36- قشي، الزواج والأسرة في قسنطينة، المرجع نفسه، ص. 175.

37- طوبال، الزواج وواقع المصاهرات، المرجع السابق، ص. 77.

مجلس للقضاء خاص بأهل الذمة في قسنطينة؟ فهي ترى أن هذا الأمر مستبعد، فهي ترجح احتمال إقدام اليهود على محاكم المسلمين وعزوفهم عن مؤسساتهم القضائية يعود إلى الشروط القاسية التي تفرضها مؤسسات اليهود.³⁸ إلى جانب تعايش أهل الذمة داخل المدينة، نجد فئة أخرى انفردت بمذهبها ويتعلق الأمر بالميزابيين الذين أسسوا عصابة مدن دينية - مذهبية في عمق الصحراء خلال القرن العاشر بعد أن أبعدهم الفاطميون من المغرب الأوسط، حيث وجدوا تجاوبا كبيرا مع الأصالة الدينية التركية، فاحترمت تيوقراطية الميزابيين، وسمح لهم بالمحافظة على أمين الطائفة في مدينة الجزائر، كما اعترف لهم بمذهبهم الإباضي كعلامة شرعية لملتهم.³⁹

ثالثا التعايش بين المذهبين المالكي والحنفي:

عرفت المؤسسة القضائية بالجزائر خلال الفترة العثمانية تعايشا متمائزا بين مذهبين فقهيين المالكي والحنفي، فقد أدخل العثمانيون المذهب الحنفي إلى الجزائر واعتمدوه في المجال القضائي، غير أنهم أفسحوا المجال كذلك للمذهب المالكي الذي استقر في المنطقة منذ مجيء المسلمين الفاتحين. فالمذهب المالكي ينسب إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي (93 هـ - 179 هـ)، وهو ثاني المذاهب الأربعة من حيث القدم، وقد نشأ هذا المذهب بالمدينة المنورة، ثم انتشر في الحجاز والبصرة ومصر وإفريقية والأندلس، ويعود انتشار هذا المذهب بشمال إفريقيا إلى المعز بن باديس سنة 407 هـ، حيث حمل أهل إفريقية ومن والاه من بلاد المغرب على هذا المذهب، وحسم مادة الخلاف في المذاهب فاستمرت له الغلبة على سائر بلاد المغرب، وفي ذلك يقول بن المرحل المالكي شاعر المغرب:

مذهبي تقبيل خد مذهب سيدي ماذا ترى في مذهبي

لا تخالف مالكا في رأيه فعليه جل أهل المغرب⁴⁰

ولكن بمجيء العثمانيين تغير مسار الحركة الفقهية في الجزائر، من خلال وجود ثنائية مذهبية تفصل في قضايا أفراد المجتمع، تستند إلى اعتماد المذهب الحنفي⁴¹ من طرف السلطة العثمانية بالجزائر، إلى جانب المذهب المالكي

38- قشي، الزواج والأسرة، المرجع السابق، ص. 176.

39- سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، المرجع السابق، ص. 100.

40- أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة وانتشارها عند جمهور المسلمين، تق الشيخ محمد أبو زهرة، ط1، دار القادري للطباعة والنشر، بيروت، 1990، ص. ص. 61-64.

41- المذهب الحنفي وهو أقدم المذاهب الأربعة، وصاحبه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان الكوفي (80 هـ-150 هـ)، وكان منشأ هذا المذهب بالكوفة، ثم انتشر في سائر بلاد العراق ومصر وبلاد فارس وإفريقية التي بقي فيها هذا المذهب حتى مجيء المعز بن

الذي يرتبط به السكان المحليين، مما سمح بالانفتاح على هذه الحركة مع حرية الاقتداء بها في المسائل المتعلقة بالمجتمع.⁴²

أدى الوضع الجديد الذي عرفته الجزائر في المجال المذهبي، إلى بروز محكمتين محكمة حنفية وأخرى مالكية لمعالجة قضايا السكان والمتعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث أو المعاملات كالبيع والشراء والقرض فكان لكل واحد منهما قضائهما ومفتييهما كما تمتعت كل واحدة بالاستقلالية عن الأخرى غير أنه كان بإمكان المتقاضين طرح قضاياهم على أي محكمة من المحكمتين، وفي حالة لم يعجبهم الحكم الذي أصدره القاضي في محكمة من المحاكم يعاد طرحها على المحكمة الأخرى⁴³

وبالرغم من هذه السياسة العثمانية التي عملت على ترسيخ العمل بهذه الثنائية المذهبية والتي ساهمت بشكل ما في زحزحت المذهب المالكي عن الصدارة، حيث كان لفترة طويلة من الزمن مذهب سكان الجزائر بل وافريقية، إلا أن السلطة الحاكمة حافظت على علاقتها بالمذهب المالكي لتضمن الاستمرارية والاستقرار وعدم تأليب العلماء المحليين عليها⁴⁴ وهذا ما يبرز التعايش ما بين المذهبين .

باديس كما قلنا، الذي حمل بلاد المغرب على المذهب المالكي، راجع : أحمد تيمور، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية، ص. 50-53

42- حمصي لطيفة، المجتمع والسلطة القضائية المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1710-1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2011 ص. 95.

⁴³ محمد بوشناني، علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19م)، مجلة عصور الجديدة، العدد 16-17، أبريل 1436هـ/2014-2015، ص 221-222.

44- حمصي لطيفة، المجتمع والسلطة القضائية، المرجع نفسه، ص. 94.

- الخاتمة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة على جملة من التساؤلات التي لها ارتباط عضوي بهذا الموضوع الذي يعالج مسألة تأثير الدين في استقرار السلطة والمجتمع بالجزائر خلال الحكم العثماني، حيث خلصنا إلى جملة من النتائج كانت كالآتي: .

- أن الوجود العثماني بالجزائر كان حدثا مهما بالنسبة لإيالة الجزائر حيث أفرز واقعا جديدا، منس العديد من الجوانب، خصوصا الجانب الاجتماعي والديني من خلال ظهور نسق اجتماعي جديد يقوم على بنية اجتماعية شكّلت لوحة فسيفسائية ذات أبعاد عرقية - دينية ومذهبية.

- حرص الأقلية التركية في إطار علاقتها بسكان المجتمع المحلي، إلى جانب العناصر الوافدة الجديدة على مجتمع المدينة، على عدم الدخول في أي مجابهة مباشرة مع هؤلاء السكان مع إبداء نوع من الاحترام والتحفّظ في المعاملة، كما تميز نظام الحكم بنوع من المرونة في تعامله مع قضايا مختلف الشرائح والطوائف المكونة لمجتمع المدينة، من خلال سنه لجملة من التنظيمات والتشريعات تتماشى وطبيعة المجتمع الجزائري، بما فيها العناصر الوافدة والداخلية، ويتعلق الأمر بدرجة أكبر بأهل الذمة، حيث أصبحت الطائفة اليهودية تتمتع بكامل حريتها في ممارسة شعائرها الدينية، كما اعتمدت على مؤسسات مدنية من شأنها أن تخلق التوازن داخل المجتمع .

- أن علاقة أهل الذمة بمختلف فئات المجتمع المدني، هي الأخرى عرفت انفتاحا لليهود على المجتمع المحلي من خلال معاملات البيع والشراء إلى جانب معاملات الكراء أو الإيجار وهذا ما أشارت إليه السجلات الشرعية كما أن حياتهم ضمن المجتمع المدني جعلتهم يتأثرون بتفاعلاته على أكثر من صعيد، حيث الكثير من اليهود خالفوا القاعدة التي تمنع اليهودي من أن يتزوج أكثر من امرأة وهذا يطرح مسألة التعدد، كما أن المرأة اليهودية أصبح لها الحق في الميراث في ظل الشريعة الإسلامية، وفي قبول شهادتها وحققها في الملكية، هذا الانفتاح والتعايش كثيرا ما كان يصطدم بنزاعات وخلافات مما يؤدي هذا إلى الترافع بين المسلم واليهودي أمام الهيئات القضائية .

- قامت فلسفة الحكم العثماني في الجزائر على مبدأ التعايش بين المذاهب (الحنفي والمالكي)، إلى جانب المذهب الإباضي، مما كان لهذا التعايش الأثر الإيجابي على سير الهيئات القضائية، وعمل المؤسسات، كما تم صياغة قوانين وتشريعات تتماشى وطبيعة المجتمع المحلي، وهذا من أجل كسب ثقة السكان المحليين والزعامات المحلية، كما كانت هناك مرونة في معالجة المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية .

- قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر والمراجع بالعربية:

- القرآن الكريم:

- سورة النساء، الآية: 59.

- سورة المائدة، الآية: 5

- سورة المائدة الآية: 42.

- سورة الممتحنة، الآية: 10.

الكتب العامة:

- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، (نقيب أشرف الجزائر)، تحقيق وتعليق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة وانتشارها عند جمهور المسلمين، تق الشيخ محمد أبو زهرة، ط1، دار القادري للطباعة والنشر، بيروت، 1990.
- بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، ط1، بيت الحكمة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987.
- خليل أيناجليك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر، محمد الأرنؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
- سلوى على ميلاد، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1983.
- عبد الرحمن المودن، عبد الرحيم بنحادة، العثمانيون والعالم المتوسطي، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2003.
- فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18، دار القصة للنشر الجزائر 2007.
- مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي، من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات، 2000.
- مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر، دمشق، 1999.
- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.
- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تع، تق، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، وتق عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006.

الدوريات:

- خليفة حماش، الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر تاريخها وواقعها، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد 11، ذو الحجة 1422 / فيفري 2002.
- محمد بوشنافي، علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19م)، مجلة عصور الجديدة، العدد 16-17، أبريل 1436هـ/2014-2015.
- محمد بوشنافي، الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 09، ديسمبر 2014.

الرسائل والاطروحات الجامعية:

- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، (1519-1830) دكتوراة دولة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006، ص
- أورهان، قوانين الدولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي، أطروحة دكتوراه في الفقه وأصوله، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2009.
- حمصي لطيفة، المجتمع والسلطة القضائية المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1710-1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2011.
- نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر-الفترة العثمانية- (1710-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، ج 1، قسم التاريخ، جامعة الجزائر-2، 2013-2014.

2-المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

- A.O. M, 1 Mi, 10, Z21 .
- A.O. M, 1 Mi, 10 /6, Z21 .
- A.O. M, 1MI, 10/ 23, Z21.
- A.O. M, 1MI, 10/ 7, Z21.
- Baulard, (L), un Voyage en Afrique ou Description d'Alger, Bibliothèque Royale.
- LAUGIER DE tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Préface Noël Laveau et André Nouschi, Editions , Loysel ,Paris , 1992 .
- Rozet, m.p, Voyage dans la régence d'Alger t2, Paris, 1833.

الملخص:

تهدف هذه الورقة العلمية إلى معرفة دور العمل الجماعي في المؤسسة الاقتصادية وإبراز مكانة استخدام العمل الجماعي في الأدبيات التنظيمية من خلال الإطار النظري، وكذا معرفة كيفية مساهمة العمل الجماعي كضرورة إستراتيجية لتحسين أداء المؤسسة الاقتصادية الحديثة، لذلك أصبح لازمًا على المؤسسات الاقتصادية أن تحتكم للعمل الجماعي، ذلك من أجل زيادة أداء الموارد البشرية، وخلق حصانة تنظيمية تراعي جل التغيرات، فالعمل الجماعي من بين المواضيع البارزة في الأدبيات الأكاديمية نظرا للتأثير الذي يمارسه على سلوك المنظمة، فضلًا عن إسهامه في فهم الأسلوب الناجح لتسيير النشاطات، وتحديد سياسة التعامل الداخلية، كما يعزز هوية المنظمة وترسيخها في مخيال العاملين، وقد توصلت الدراسة الراهنة إلى عدة نتائج حيث توصي بضرورة تنميين العمل الجماعي الداعم للتميز التنظيمي، والعمل على تحفيز الأفراد وتشجيعهم واستثمار ما لديهم من طاقات ومعارف لفائدة نشر وتعزيز العمل الجماعي، كما يجب تطوير فرق العمل وإجراء المزيد من البحوث العلمية في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية باستخدام شبكة من أدوات التحليل الكيفي والاستفادة من تجارب وخبرات المؤسسات الناجحة في توظيف العمل الجماعي.

الكلمات المفتاحية: العمل الجماعي، المؤسسة، الاستدامة، الموارد البشرية

Abstract :

During the recent decades, the global economy has witnessed clear developments in the field of human resource management. This organizational development requires the presence of specialized managers in economic establishments. Therefore, economic institutions – in their various forms – must believe in the advantages and benefits of teamwork at the micro, macro and economic levels of the organization. In order to increase the performance of human resources quantitatively and qualitatively, and to create organizational strength against all external changes, the topic of teamwork is among the prominent topics in scientific research, and for this we find contemporary organizations use teamwork as a tool to achieve the strategic goals of the institution.

Keywords.: *teamwork. Enterprise sustainability. Human resources.*

1. المقدمة:

إن تشعب دور المؤسسات وكبر حجمها وتشابك علاقاتها وتنوع البنيات الداخلية، وتأثرها بالبيئة الخارجية من فواعل اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، هي أمور تستدعي البحث عن أساليب وتطبيقات تقنيات جديدة وحديثة في عالم الأعمال، فالمؤسسات الاقتصادية تعمل اليوم في بيئة أكثر ديناميكية وعلى درجة عالية من عدم التأكد.

ولا نبالغ عندما نقول إن شدة التغيرات المختلفة المتمثلة بسرعة وتنوع التطورات التكنولوجية، وحدة المنافسة وشدها، وكثرة البدائل المتاحة، أوجدت مفاتيح النجاح التي تتناسب مع متطلبات العصر وأعطت فرصة ثمينة لعالم المؤسسات بضرورة إعادة النظر في رسالة المؤسسة، ومراجعة الحسابات فيما يتعلق بتسيير الموارد البشرية.

وقد يكون العمل الجماعي بمثابة «جهاز التنفس» في زمن الاقتصاد المعرفي، وعماد التطور والنجاح وجلب الأرباح المادية والمعنوية، فخلق التوليفة والوئام بين الثقافات السوسيو مهنية داخل معمة النشاط اليومي هو بمثابة سياسة وقائية تهدف إلى تسيير الأهداف الفردية والجماعية بطريقة حازمة وجدية، ويدفعها للتحسين من السلوكيات اللاعقلانية التي تفقد المؤسسة فعاليتها الإنتاجية.

من هذا المنطلق يمكن أن يساهم العمل الجماعي بوصفه ظاهرة تنظيمية داخل المشروع الإنتاجي في نمذجة الأفعال التنظيمية وبلورة المسؤولية الاجتماعية المشتركة، وتعزيز الإيجابيات التنظيمية، كما يمكن أيضاً أن يسهم القائد وكافة الجهاز الإداري في نشر وتعميم الإيمان الجماعي بضرورة العمل الجماعي التنظيمي وتعزيزه وتثمينه، كونه أصبح في الآونة الأخيرة يمثل سمة مميزة للمنظمات الحديثة.

2. مشكلة البحث:

تفرض التطورات السوسيو- اقتصادية الراهنة على منظمات الأعمال ضغوطاً كبيرة لتغيير أساليبها الإدارية التقليدية وتبني مفاهيم إدارية حديثة ووضعها موضع التنفيذ، لتحقيق أهدافا عديدة على المستوى الكمي والنوعي للأداء والإنتاج ويعد العمل الجماعي من المواضيع التي لقيت اهتماما واضحاً وجلياً من طرف المختصين والباحثين في مجال السلوك الإنساني عامة، والفكر التنظيمي والإداري خاصة، كونه يمثل القلب النابض للمنظمات ذات الطابع الصناعي والإنتاجي، حيث يعتبر عاملاً مهماً لنجاح المؤسسات في أداء مهامها ووظائفها، وتحسين البنية الداخلية والعلاقات بين شخصية في أية مؤسسة كانت.

كما يلعب العمل الجماعي دوراً هاماً داخل المؤسسات والشركات، حيث يمثل العمود الفقري للتنظيم وفعاليتها في تحقيق الأهداف، وفي خلق القابلية والاستعداد لمواجهة الضغوط المختلفة من أجل ضمان البقاء والتطور. فالمنظمات لا تكتفي فقط بأن تنتج، بل هي بحاجة إلى تقوية العلاقات الإنسانية داخل المنظمة، وفي تحقيق الاندماج الداخلي بين الفئات السوسيو- مهنية.

وبناءً على هذا يمكن القول بأن العمل الجماعي من العوامل الضرورية التي تقوم عليها أي مؤسسة أو منظمة سواء كانت مؤسسة اقتصادية أو تربوية أو اجتماعية أو أخرى، فربما نجاح هذه الأخيرة يبدأ من مستوى التحكم في مكوناتها المختلفة.

وباعتبار الإنسان هو العامل الأكبر الفعال والمحرك في نجاح المؤسسة لذا كان من الطبيعي إحداث أرضية ثرية داخل المنظمة، فالمتنوع على سبيل المثال في المؤسسات الرائدة في العالم يستنبط تلك الفعالية والديناميكية بين القائد (المدير) والعمال والمستشارين وكل من لهم علاقة بالتأثير في المؤسسة، ويسود نظامهم الإنتاجي الكثير من الشفافية وروح المؤسسة مما يخلق في نفوس العاملين الكثير من حب الإيثار للمؤسسة على حساب أنفسهم لتحقيق أهدافها الإنتاجية بكل كفاءة، فشقت تلك المؤسسات طريقاً طويلاً نحو العالمية والتميز وشكلت لنفسها اسماً لا يمكن بلوغ مده إلا بجهد جهيد لتحقيق ذلك لم يُبنى من فراغ، وإنما بني على العمل الجماعي وأسس رصينة متينة من جوانب مترابطة تتكامل فيما بينها مهدت لبروز إدارة متحضرة ناجعة وفعالة وبيئة عمل محفزة.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي:

هل العمل الجماعي في المؤسسة مصدر استدامة أم مصدر جمود؟ كيف هي التأثيرات السوسيو- سيكولوجية للعمل الجماعي دخل فضاء المؤسسة؟ وكيف يمكن جعل خاصية العمل الجماعي عربوناً تميز ونجاح تنظيمي؟

3. أهمية الدراسة :

- التحولات المورفولوجية واللوجيستية (زمن عدم اليقين) التي تشهدها المنظمات الاقتصادية والتي تفرض عليها تبني خيار العمل الجماعي بهدف النمو والتطور.
- تعقد المشكلات البيئية وتشابك المتغيرات الخارجية المؤثرة على أهداف المؤسسة.
- أهمية العمل الجماعي في تسهيل وتسريع وتيرة الأنشطة في الوقت المناسب داخل المنظمة.

4. أهداف الدراسة :

- معرفة دور العمل الجماعي في المؤسسة الاقتصادية.
- إبراز مكانة استخدام العمل الجماعي في الأدبيات التنظيمية من خلال الإطار النظري، خاصة من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة والتراث النظري.
- معرفة كيفية مساهمة العمل الجماعي كضرورة إستراتيجية لتحسين أداء المؤسسة الاقتصادية.

5. مفهوم العمل الجماعي:

تسعى العلوم في حقول علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي لفهم العمل كواحد من أهم الأنشطة في الحياة مع دمج الأبعاد الذاتية والموضوعية في الحياة اليومية على وجه التحديد بهدف دراسة الديناميات النفسية والاجتماعية (Fabio, 2015. 96) وقد تعددت وتنوعت مفاهيم العمل الجماعي تبعاً لاختلاف

وجهات نظر الباحثين، واختلاف الجوانب التي يهتمون بها، والمجالات التي يتناولونها، مما يجدر ذكر بعض هذه التعاريف ونذكر منها:

- يطلق على كل نشاط أو عمل نشأ عن اجتماع إنساني أيا كان نوع هذا الاجتماع، فهو نتيجة لاجتماع الأفراد بعضهم مع بعض في جماعة أو مجتمع ما ، واحتكاك أفكارهم وتقابل وجدانهم ونزاعاتهم ، مع ما يحيط بهم من ظروف ويكتنفهم من أحوال وشؤون ، وليس نتيجة لتفكير أو سلوك فردي ، كما لا نقصد هنا بكلمة عمل اجتماعي الظواهر التي تتمثل في حركات فحسب بل يقصد به كل ما يشمل النظم و القواعد و الاتجاهات الفكرية و الوجدانية و النزوعية التي تسود في مجتمع ما(دهيمي ،2015، ص09)
- يقصد بالعمل الجماعي التعاون الذي يؤديه مجموعة من الأفراد لتحقيق هدف واحد محدد ويجمع بينهم ليس فقط التعاون في الأداء ولكن يشمل إحساس الأفراد بالاحتياج لبعضهم البعض وتقدير الخبرات العلمية والعملية للتخصصات المختلفة المشاركة في تنفيذ العمل ويتحدد دور كل عضو في الفريق من منظور العمل الذي يقوم به وكذلك من منظور ورؤية باقي أعضاء الفريق (الفنجري وآخرون،2019، ص145)
- وقد عرف آرثر بيل العمل الجماعي بأنه " مجموعة من الأشخاص الذين يتعاونون فيما بينهم وكذلك يتفاعلون لتحقيق الهدف المرجو، فالفريق يتكون من قائد الفريق الذي يقوم بالتنسيق بين عمل أعضاء الفريق وهو غالبا ما يشار إليه بالمرافق أو الصديق (آرثر 2003، ص01)

6. المؤسسة حاضنة العمل الجماعي:

علينا أن نطرح تساؤلات عديدة حول الوضعية الفردية والجماعية داخل الجسد التنظيمي، هل هناك انسجام بين ثقافة الفرد وثقافة الجماعة؟ هل هناك وئام أم صدام أثناء العمل الجماعي؟ هل نقبل الاختلاف الفردي كما نقبل الإجماع المختلف؟ هل لغة النحن أم لغة الأنا هي المهيمنة؟ هل القناعات الفردية هي المعيار أم الجماعية فحسب؟ نظرياً يمكن القول أن العمل في ظل هذا الواقع الراهن والمعتقد مسّته تغيرات عديدة حيث تتطلب هذه التغيرات أنماطاً جديدة لتسيير المجموعات، فإذا كنا نلزم العمال بضرورة تعلم العمل والاندماج في مجموعات تسيير تتميز بتعدد الثقافة، فسيتعين على المسيرين تعلم ظاهرة تعدد الثقافات داخل المؤسسة و تعلم تنسيق العمل بين الأشخاص من ثقافات مختلفة (Helena , 2010,p34)

ومن الناحية التنظيمية ومن خلال أنشطة المؤسسة، يحدث تواصل كثيف بين المشتغلين لنقل المعلومات وتبادلها. وهؤلاء المنشغلون مترابطون لأن كل منهم يحتاج إلى الآخر للقيام بأنشطته الخاصة، سواء من حيث تخطيط وتنفيذ الطرق، أو من حيث الانجاز. إن هذا الاعتماد المتبادل سيقبل من ضغط المهن الصعبة؛ حيث تضمن حالات الاعتماد المتبادل أداء العمل وتعكس متطلبات المؤسسة فيما يتعلق بنشاطهم، وقد يكون لدى هؤلاء المنشغلين

عمليات عمل مشتركة أو موارد أو أن يكونوا ملتزمين بالقوانين التي يحتفظ بها كل منهم في التسلسل الهرمي للمؤسسة، ف وراء هذه الجوانب يبرز العمل الجماعي كمصدر استدامة.

إن العمل الجماعي الذي يتم إنجازه داخل سياق المؤسسة هو بمثابة نتاج التفاعلات الاجتماعية والاتصالات بين الأنشطة الوظيفية والفردانيات، والتي يشترك خلالها المشتغلون في أهداف مشتركة وأهداف فرعية وتنسيق ودعم اجتماعي واضح، أي بمجمل المعتقدات والقناعات المشتركة بين أعضاء المؤسسة بما في ذلك التعليم الجماعي الذي يعكسه الفكر الجماعي والأنماط والروتينات التنظيمية (Sonia, 2012, P59)

ويتم تنفيذ هذا العمل الجماعي في حالات التواجد المشترك والمسافة التي يمكن أن تؤثر على آليات تنفيذ الأنشطة وتنسيقها (المسافة الجغرافية)، كما أن العمل الجماعي يتم إدراكه من خلال الإجراءات الجماعية وعمليات التنسيق ومظاهر الدعم الاجتماعي في العمل داخل مجموعات العمل، هذا الإجراء العملي يبدو مثيراً للاهتمام بهدف تحليله من أجل خلق بيئة العمل صحية ومحفزة للأداء الأمثل، ومن ناحية أخرى يعمل المسيرون بكل الطرق والإمكانات المتاحة على زرع ثقافة قوية و مرنة يتقبلها الأفراد طوعية دون أي مقومات ظاهرية أو صدامات ثقافية و إذا كان من الصحيح أن قائد وحدة عمل يلعب دوراً أساسياً في اتخاذ النشاط الجماعي فسيكون مثيراً للاهتمام معرفة مدى مساهمة شخصيته في قبوله ثقافة المؤسسة أكثر منها تعداد للقيم و للخصائص ولأساليب التسيير أو التوجيهات الإستراتيجية، فاكشاف شخصية القائد يُسهل فهم الحقيقة بصفة كاملة (الأساليب) وتقدير القيم وطرق الإيمان وتعديلها (مواقف و استراتيجيات) (Gérard ; 2007, P60)

وفي سياق تنظيمي معين، يمكن أن لا يمتلك عامل واحد خبرة مجال عمل ما، وفي هذه الحالة تتولد المعرفة وتنتج جماعياً من خلال العمل الجماعي، حيث يتم تلقين تصوّر الأداء والأنشطة واتخاذ القرار في المواقف الجماعية، هذه المواقف الجماعية وبعض الأنواع المختلفة في مواقف العمل. تعبر بصورة أو بأخرى عن البُعد الجماعي، وتعكس علاقات الترابط بين المشتغلين، لذلك فإن المشتغلين لديهم أدوار مختلفة تحدد موقعهم الهرمي وأبعاداً تنظيمية محددة سلفاً من هذه العلاقات المترابطة الموجودة في معظم مواقف العمل.

تأسيساً على ما سبق يمكن القول أن النشاط الجماعي نفسه والذي ينشأ من التفاعلات والممارسات التبادلية بين العاملين هو العمل الجماعي والذي تعبر عنه ديناميات كيانات المشتغلين الذين يعملون معا .

7. شروط ظهور العمل الجماعي:

إن ظهور العمل الجماعي داخل جسد المؤسسة يقوم على ثلاثة شروط محددة وهي:

- 1.7 - يجب أن يكون العمل الجماعي جزءاً من بناء جماعي قائم على القواعد المهنية يحدد تفاعلاتهم فيما يتعلق بعلاقتهم بالوقت وبالوظيفة وتعتبر هذه القواعد المهنية عامل تماسك للجماعة لأنها مساحة مشتركة حيث يمكن تحقيق رغبات كل عامل موازنة مع اللوائح والمعايير والإرشادات التي تحددها المؤسسة. ولا يقتصر تعلم المهنة على تعلم الإيماءات المهنية، فمن المهم استيعاب القواعد وتسمح هذه القواعد بوجود اللعب على

حد تعبير ميشال كروزيه في علاقات العمل حيث أنها لا تقيد الأفراد، بل على العكس من ذلك يمكن للجميع تنمية تفردهم وخصوصياتهم لتنفيذ العمل الجماعي. وتهدف هذه القواعد إلى توضيح الالتزام الشخصي لكل عضو، كما تسمح لكل عامل بدمج مساهمة شخصية في إطار العمل الجماعي، فضلاً عن ذلك تساهم هذه القواعد المهنية المتعارف عليها في تقديم الدعم الجماعي لتنمية المهارات الفردية.

2.7 - يجب أن تسمح المجموعة بظهور كفاءة جماعية بين المشغلين، وعلى الرغم من تنوع الأدبيات في ضبط مفهوم الكفاءة إلا أنه من وجهة نظر اجتماعية يمكن القول أن كفاءة الموظف والاعتراف بها لا ينتج عن اختيار نهائي أو من دليل؛ إنها النتيجة الهشة والديناميكية للتفاوض غير المرئي بين الفاعلين المختلفين في مستويات تنظيمية مختلفة. إن الطابع الاجتماعي للكفاءة يتم التفكير فيه من خلال نظام ديناميكي يتطور وفقاً لحالات العمل ويخضع لحكم اجتماعي محدد من خلال العمل الجماعي، وهذا الحكم ليس فقط تحديداً عمودياً للكفاءة، بل يتم تحديده أفقياً أيضاً مع تقييم الأقران في المهنة الاجتماعية، وبناءً على هذا يمكن القول أن الاعتراف بالعمل يجعل من الممكن حشد الذكاء الفردي (المهارة والإبداع) والذكاء الجماعي (التعاون والتنسيق).

3.7 - يتطلب العمل الجماعي تنمية الثقة بين أعضائه على نطاق واسع، فالثقة تولد إحساساً بالأمان لدى الآخر في بيئة العمل، كما أنها فكرة معرفية أو عاطفية، وفي سياق تنظيمي نتحدث عن علاقة ثقة لوصف المعاملة بالمثل بين مشغلين في سياق تنفيذ المهام المنوطة بهم، وعلى الرغم من صعوبة تحديد مفهوم الثقة في ميدان علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي بحكم أنه مفهوم يصعب إتقانه ولا يوجد إجماع راسخ إلا أنه يمكن تطوير صفة الثقة مع مرور الوقت داخل المجموعة، فمن المهم أن يثق الأعضاء ببعضهم البعض، ومن الضروري تمهيتها في إدارة مواقف العمل الصعبة؛ حيث تكون مقتنعة بالاعتماد على الآخرين لضمان إكمال العمل، وبالتالي يثق المشتغلون في معرفة مهارات زملائهم والشعور بالاطمئنان في موقف تنظيمي معين. في الواقع من المهم أن يثق الأعضاء في كفاءة الأعضاء الآخرين وخاصة لإدارة مواقف العمل ذات الطابع الإشكالي، لهذا يعتبر بعض المؤلفين الثقة في الآخرين أو على الأقل في قدراتهم وتفانيهم في العمل عنصراً أساسياً للعمل الجماعي. فضلاً عن أن الثقة عامل مهم لتقليل المخاطرة وعدم اليقين، وبالتالي تساهم في صنع القرار الجماعي.

8. العمل الجماعي مورد استراتيجي مستدام:

ظاهرة العمل الجماعي ليست وليدة الراهن التنظيمي الحالي، وإنما نشأت منذ ظهور غريزة العمل الاجتماعي، حيث عرفت تقنين واسع تبعاً لمحددات المشهد الاقتصادي والاجتماعي، لذلك يمكن القول أنها بمثابة بنيت اجتماعية

تم تطويرها في سياقات محددة، واعتمدت النماذج الإدارية المعاصرة على قبولتها وتوظيفها داخل أماكن العمل وبصيغ مختلفة تبعاً للبراديغمات المعرفية المنتشرة على نطاق واسع والتي تقدم نقاطاً مرجعية مشتركة لمختلف أصحاب المصلحة، فالتصور التقليدي للاقتصاديين الذين كانوا يعتمدون على المواد الأولية، الأرض، واليد العاملة، والرأسمال، كعوامل وحيدة للإنتاج تمّ تصحيحها بالاعتراف بالمعرفة كمزايا تنافسية دائمة، ما دامت الموارد البشرية من الآن فصاعداً تشتري والرأسمال يقرض و التكنولوجيات تنسخ (Mamlouk et Nasef , 2007, P173)

إن العمل الجماعي مثله مثل أي عنصر من عناصر التمثيل الاجتماعي والتفكير المشترك يقدم مزايا لا يستهان بها، وعلى سبيل المثال لا الحصر ينتج العمل الجماعي نوع الخطاب السائد الذي يمكننا من خلاله استنتاج الثوابت البنيوية التي ستشكل بدورها العناصر الجوهرية والمركزية للتمثيل الاجتماعي، أي القاسم المشترك الأكبر الذي يوحد الكيانات والفردانيات في إطار الأنشطة المهنية.

وبالنسبة للمستقبل التنظيمي، فإنه معروف جداً في علم التسيير منذ أكثر من أربعين سنة أن نظرية الاحتمال تعتبر المؤسسات أنظمة مفتوحة يجب أن تستجيب للاحتياجات الداخلية وكذا إلى مستلزمات التكيف مع البيئة (Christain et al, 2013, P59)

ومنه سيكون من المفيد توجيه الاهتمام نحو الممارسات الجماعية، وما يمكن ابتكاره لتطوير منهج جماعي في إدارة العمل المنظم بهدف تقليل نقاط الضعف، أيضاً دعم المساهمات البراغمية والتنظيمية للخروج من القصة اللانهائية للطموحات المحبطة وخيبة الأمل في عالم الأعمال.

إن زراعة المواهب وإذاعة الإبداع داخل المجموعة التنظيمية لتنمية العمل الجماعي وتفعيله الذي يؤدي إلى الفعالية الجماعية ليست أمنية سهلة داخل الحياة التنظيمية للمؤسسة، وليست خياراً متاحاً لكل المديرين، فالأمر يحتاج إلى وعي تنظيمي لتمشية العمل التنظيمي الهادف إلى تحقيق نجاحات متكررة يوماً بعد يوم، وبالتالي يصبح العمل الجماعي هو عقل المؤسسة لاستكشاف سبل جديدة ورؤية ما وراء أسوار المؤسسة لمواجهة التحديات الخارجية، وإذا كان يتعين على المؤسسة زيادة نشاطها وإثراء نجاحاتها فيجب أن تظل مرنة في بيئة متغيرة وتؤمن بمكاسب النشاط الجماعي، وهنا يمكن استحضار أمثلة عديدة كشركات: General Motors ,IBM ,Peugeot , Microsoft

9. خصائص العمل الجماعي:

للعمل الجماعي ميزات نختصر أهمها فيما يلي (عبير، 2018، ص41،40):

- ✓ **المشاركة:** بحيث يكون الهدف المرجو من العمل ضمن فريق واحداً بين جميع أعضائه، فيشعر كل فرد أنه جزءاً من الفريق، فيشارك خبرته ونقاط القوة التي يمتلكها، إلى جانب معلوماته ومعرفته.

- ✓ الخبرة الجماعية: وهي الحكمة المستخلصة من أعضاء الفريق جميعهم على اختلاف خبراتهم ومعرفتهم، والتي تُقدّم بدورها نتائج عميقة ومتنوعة.
- ✓ مواجهة المشاكل المعقدة: بحيث يمكن للمجموعات مواجهة المشاكل المعقدة والصعبة والمثنية بشكل أفضل من عمل الفرد لوحده، أي حل المشكلات التي تحدث بين الأفراد حيث تتكون القدرة لدى المجموعة على حلها ومعالجتها مباشرة حيث تعمل على تعليمها كيفية إزالة مسببات التوتر والتغلب عليها، فغالباً ما تعتبر المجموعات التي تتمكن من توظيف الاتصال الفعال بين أفرادها هي المجموعات الأقوى.
- ✓ الشعور بالأمان: فقد يشعر الفرد بالوحدة والتراجع الوظيفي وعدم الإتقان عند العمل بشكل مُنفرد، لهذا يوفر العمل الجماعي شعوراً إيجابياً، حيث يشعر الفرد بالأمان الوظيفي والإنجاز، بالإضافة إلى قدرة أفراد الفريق على تبادل المعرفة والمسؤولية.
- ✓ القدرة على حل المشكلات: فالعمل ضمن فريق يتيح لأعضاء الفريق تقديم الحلول المناسبة والممكنة لأي مشكلة، ثم التعاون لمعرفة الحل الصحيح لهذه المشكلة.
- ✓ تقديم أسرع القرارات: فالعمل ضمن فريق يولد الحلول والأفكار بشكل سريع وفعال، وبالتالي يمكن إيجاد حلول للمشاكل وإنجاز المهام بشكل أفضل من عمل الشخص بمفرده.
- ✓ التنظيم: هو أسلوب و منهج رصين في أي عمل، يبدأ هذا المبدأ من خلال معرفة الفرد كيفية القيام بمسؤولياته و الأعمال الموكلة له بصورة تنظيمية وبكفاءة عالية، فالإدارة الناجحة تضع مخطط مدروس و محكم ودقيق يتوافق مع التغيرات الراهنة، وعمل اجتماعات دورية تتأكد فيها من سير العمل و أهداف المؤسسة.

10. أهمية العمل الجماعي:

- العمل ضمن فريق واحد هو تكاتف مجموعة من الأشخاص على العمل معاً، يداً بيد، لإنجاز الأهداف المطلوبة بدقة عالية ووقت قياسي، مع ضرورة إلزام كل فرد من أفراد الفريق بتنفيذ مهامه بمصداقية كاملة، وبوضوح تام، فهذا النوع من العمل يقوم في أساسه على الوضوح والتركيز، مع تجنب العمل بطريقة فردية، فهو يؤدي إلى تحقيق التطور وحل جميع المشكلات والعقبات، ويكون ذلك من خلال تحديد واختبار المشكلة، وضع الخطط الصحيحة لدراسة وعلاجها بطريقة جماعية، والعمل كجزء أساسي ومهم في الفريق، وهذا النوع من العمل من ضروريات الحياة، لأن كثيراً من الأعمال التي لا يمكن إنجازها بشكل فردي، بل تحتاج إلى جماعة من الأفراد المتنوعين في الخبرات والمهارات.
- ويُعتبر العمل الجماعي سبباً مهماً في تحقيق أهداف العمل، كما أنّ هناك الكثير من الأعمال التي لا يمكن لشخص بمفرده إنجازها في الوقت المحدد وبالفعلية المطلوبة، وفيما يأتي أهمية العمل الجماعي:
- التعزيز من كفاءة العمل وجودته: وإنجاز كافة المهام الصعبة التي لا يستطيع الفرد بمفرده إنجازها

- توفير الوقت والجهد: العمل الجماعي يختصر المسافات ويوفر الوقت والجهد، فالإنسان حين يكون وحيداً ويريد أن ينجز عملاً معيناً تراه يحتاج إلى وقتٍ أطول وجهد أكبر، بينما تراه إذا اجتمع مع غيره من الناس وتعاون معهم اختصر الوقت وقَلَّ من الجهد، وهذا بلا شك من مميزات العمل الجماعي.
- تعمّق من روح التعاضد والتكاتف بين جميع أفراد المجتمع الواحد، وتُعزز أن العمل الجماعي أفضل من العمل الفردي.
- تدخل إداري أقل: يعني هذا السلوك المصحح للذات أن المدير ليس مضطراً إلى الانخراط في كثير من الأحيان مع الأفراد هذا جيد لك، وفي النهاية، لفريقك الذي يستفيد الآن من المزيد من الاستقلالية.
- التشجيع على تقليص حجم التسلسل الهرمي، والوصول إلى المسؤول دون وجود أي قيود.
- تعزيز الحماسة وسرعة الاستجابة لدى العاملين، تحديداً الاستجابة لمتغيرات العمل.
- تعزيز كفاءة العمل وإزالة المسببات التي تقوّد أي فرد لعدم القيام بالمهام بشكل صحيح.
- يوفر العمل الجماعي استخدام قدرات وخبرات ومهارات متعددة للأعضاء فريق العمل كل في تخصصه مما يساعد في توسيع نطاق المعرفة والخبرة والمهارة التي تؤدي إلى تقديم أفضل خدمة ممثلة على أحسن وجه ممكن ومن ثم تحقيق الهدف بكفاءة وفاعلية حيث تعاون أعضاء الفريق لتحقيق الهدف أكثر فائدة من العمل الفردي حيث إن لكل عضو في فريق العمل معارفه وخبراته ومهاراته التي لا يستطيع أن يحقق أهداف العمل بمفرده أو دون تعاون مع أدوار الآخرين وتكامل أدواره مع أدوارهم (الفنجري وآخرون، 2019، ص 147)
- تُنمي الإحساس بمستوى الإنجاز وروح الزمالة بين الأفراد.
- تُعطي الفرصة للزبائن للعمل مع أفراد العمل وخصوصاً أولئك الذين يفضلون فكرة العمل ضمن الفريق الواحد.
- توطيد العلاقات الاجتماعية: يُقوّي العمل الجماعي العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الفريق الواحد، لذلك يصبح الموظفون أكثر دعماً وتعاوناً فيما بينهم، كما يساهم التواصل بين الأفراد بحرية وانفتاح في تكوين روابط قوية مع بعضهم، وهذا ينعكس على إيجاد بيئة مُريحة تسمح بطرح الأسئلة حول الأمور غير المفهومة دون إحراج.
- التنوّع في الآراء والأفكار: يوفر العمل الجماعي الفرصة للأفراد لمشاركة آرائهم، وخبراتهم، وأفكارهم، وأساليب حلّ المشكلات بطرق أكثر فاعلية وإبداعاً، كما يسمح لهم بتقديم التغذية الراجعة والتنفيذ بكفاءة أكبر
- تحسين الكفاءة والإنتاجية: يقلّل العمل الجماعي والتدريب الكافي من ضغط العمل على الأفراد؛ لأنّه قائم على توزيع المهام، وبالتالي مشاركة عبء العمل بين الأفراد، ممّا يساهم في إنجاز العمل بسرعة، ويُحسّن الإنتاجية، ويزيد من رضا الفرد عن أدائه. اكتساب مهارات جديدة: وذلك من خلال تعلّم أفراد الفريق جميعهم من أخطاء بعضهم، وعدم تكرار هذه الأخطاء في المستقبل، واكتساب نظرة ثاقبة من وجهات النظر المختلفة، ومنحهم القدرة على اتّباع طرق وحلول أكثر فاعلية.

- دعم بيئة العمل: فعندما يشترك أعضاء الفريق بالهدف وتتوزع المسؤولية على الجميع، تنشأ بيئة عمل متعاونة تسود فيها الزمالة والاحترام المتبادل، ودعم الأفراد فيما بينهم.
- توفير شبكة تعاون: عند مشاركة أفراد الفريق الواحد في مساندة بعضهم، والتعاون في التوجيه، والاستمرار في التركيز على الهدف المراد إنجازه، فإنّ هذا الأمر يُتيح لأعضاء الفريق القدرة على إنجاز المشروع بكفاءة أعلى.
- رفع الروح المعنوية: وذلك من خلال الشعور بالإنجاز في تحقيق هدف لا يستطيع شخص واحد إنجازه بمفرده، لا سيّما أنّ مشاعر التقدير والاعتراف والانتماء تزيد من شعور الموظف في تقدير ذاته وتُشعره بالفرح والسُرور.
- جذب المواهب: تستطيع الشركات جذب أصحاب المواهب والقدرات العالية، والاحتفاظ بها من خلال تعزيز العمل الجماعي فيها، والذي من شأنه إشعارهم بأنّهم جزء من هذه الشركة.
- تحسين الخدمات: يميل الناس إلى الاستفادة من الشركات التي يتمتّع موظفوها بأخلاقيات العمل، وروح الفريق بشكل عام، ولذلك تكون لدى هذه الشركات قدرة أكبر على تلبية احتياجات العملاء، وتقديم الخدمات بأفضل صورة.
- توفير بيئة عمل مرنة: وذلك من خلال تدريب الأعضاء، ومعرفة نقاط قوتهم، والتعاون والاتّفاق فيما بينهم لإنجاز المهام، مع مراعاة أوضاعهم الشخصية، فالعمل ضمن فريق يساعد الموظف على عمل موازنة بين عمله وحياته الشخصية
- تحسين القدرة على حلّ النزاعات: لا يمكن لأيّ مجموعة من الأفراد أن تعمل معاً دون حدوث مشاكل ونزاعات بين أعضاء المجموعة، وذلك بسبب اختلاف كيفية تعامل الأشخاص مع الموقف ذاته، لذلك يتعلّم الموظفون في هذه الحالات القدرة على تحطّي هذه النزاعات والسير نحو الهدف؛ لأنّه هدف مشترك بين الموظّفين جميعهم.
- تطوير الحياة المهنية: يُؤلّد التعاون بين الأفراد تشابك الخبرات، وبالتالي تنميتها، كما يزيد من معرفة الأشخاص بعضهم مهنيّاً، فيتمكّن الفرد من بناء شبكة مهنية تساعد على الحصول على موقع وظيفي أفضل في المستقبل.
- يشجع الأفراد بعض حاجاتهم النفسية مثل احترام النفس وتقدير الآخرين وتأكيد الذات (عوض، 2008، ص111)

11. الأهداف التنظيمية للعمل الجماعي:

يهدف العمل الجماعي باعتباره ممارسة تنظيمية أو منهجية عملياتية محركة لإعادة هندسة العمليات التسييرية وإعادة تصميمها إلى تحقيق الميزة التنافسية والاستجابة السريعة لتقلبات البيئة وتقوية النظام المناعي للمؤسسة، وبالتالي يمكن أن يكون صيغة عملية تصلح لتطبيقات مختلفة وبيئات متنوعة وعديدة، ولهذا فإن أي مؤسسة لا تضع العمل الجماعي هدفاً أسمى من أهدافها الإستراتيجية سيكون مصيرها الزوال في عالم يتصف بالسرعة والمنافسة الشديدة،

فكل مؤسسة مطالبة بأن تضع العمل الجماعي جزءًا من سلوكها الإداري، وسنحاول ذكر الأهداف التنظيمية للعمل الجماعي فيما يلي:

- **رفع الروح المعنوية:** العمل الجماعي يساهم في رفع الروح المعنوية للعمال وتشجيعهم، فيرسخ شعور حسن في نفس الأفراد ، فكل فرد كان لديه شيء مميز قام بتقديمه من أفكار وحلول ، وبهذا يشعر أفراد الفريق بالانتماء والالتزام بروح الفريق الواحدة والهدف المشترك الواحد هذا يحقق قيم الانتماء الذي أضحي من القيم التنظيمية.
- **الإبداع:** ينجح الابتكار حني يجتمع أشخاص من تخصصات وخلفيات مختلفة، لوضع احتمالات جديدة لم يكن أي منهم يستطيع تصوورها بمفرده، يتطلب تحقيق هذا أن يتعاون الأفراد المختلفون في العمل على أفضل نحو ممكن، حيث أن أفراد الفرق الذين يحققون الابتكارات، لا يكتفون بمجرد وضع خبراتهم وأفكارهم ونزعاتهم في مشروع بعينه ثم مزجها معاً، بل يجدون سبلاً فاعلة للعمل معاً والتعاون المثمر فيما بينهم. إنهم يجدون طرقاً لإحداث تكامل بني وجهات نظرهم المختلفة تماماً؛ وذلك من أجل وضع احتمالات غري مسبوقة؛ وهذا هو العمل الجماعي (إيمي سي، 2016، ص 09)
- **تشكيل فريق العمل:** إن الابتكار لعبة جماعية؛ فقليلة هي الطموحات المؤسسية المهمة التي يمكنك تحقيقها بمفرده، أو التي تستطيع حتى مجموعة من الأشخاص ذوي الخبرات المتشابهة تحقيقها. إن إنتاج شيء جديد ومفيد يتضمن غالباً، تقريباً ، تجاوز حدود المعرفة، وهذا يعني أن أفراد الفريق لن يتفوقوا على كل شيء طوال الوقت. وبالرغم من أن الصراع يمكن أن يولد أفكاراً جديدة ومبدعة، فإنه يستطيع كذلك أن يؤدي إلى الشعور بالاستياء والإحباط وخروج قطار الابتكار عن قضبانها. إنني أتحدث عما تتطلبه إدارة الاختلافات لصالح المشروع وكيفية تجنب مخاطر الخلاف أو التخفيف من وطأتها (إيمي سي، 2016، ص 21)
- **تحقيق الرضا الوظيفي:** يعتبر استخدام فرص العمل مصدراً جيداً لتحقيق الرضا الوظيفي للعاملين وذلك من خلال تحسين الأداء وزيادة المتعة في العمل.
- **تحسين السمعة الكلية للمنظمة:** الاعتماد على العمل الجماعي وفر العمل يساعد على خلق بيئة عمل حسنة للعاملين ويسودها جو التواصل والتعاون وبالتالي خلق سمعة حسنة للمنظمة ككل (عليان، 2014، ص 67).
- **زيادة سرعة انجاز العمل:** المنظمات الراهنة تتميز بسرعة الانجاز والتصنيع، هذه ميزة تتطلب يد عاملة محترفة ذات خبرة وضمن فريق واحد، كما يجب تقسيم المهام ومختلف المسؤوليات للحفاظ على سمعة المؤسسة.

12. خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية نصل إلى استنتاج خلاصي مفاده أن المؤسسة في رهان استراتيجي معقد يتعين عليها مواجهة العديد من التحديات الصعبة بسبب البيئات الاقتصادية العالمية والديناميكية المعقدة، ولعل بعض المؤسسات أصبحت على دراية بهذه التحديات والمخاطر المحدقة بعالم الأعمال. صحيح أن التغييرات الهيكلية ضرورية

وحتمية، ولكن هذه التغييرات لا تقتصر على التعديلات الإضافية في محيط العمل ولا حتى إعادة توزيع الموارد التقنية، ولكنها تتطلب تحولات نموذجية تثير التساؤل حول طرق تصور العمل الجماعي، وهذا يعني أنه من الضروري تعبئة مجموعات جاهزة من المفاهيم والأساليب والأدوات للتشغيل الجماعي بسرعة البرق والتي تسمح بنشر ثقافة موحدة إلى حد معين؛ وبمعنى آخر فإن الآلية الاجتماعية الداخلية للمؤسسة تهدف إلى فرض الوحدة وعدم التضارب، وعطفا على ما سبق يمكن تقديم التوصيات التالية:

- ضرورة تعزيز وتثمين العمل الجماعي الداعم للتميز التنظيمي.
- العمل على تحفيز الأفراد وتشجيعهم واستثمار ما لديهم من طاقات ومعارف لفائدة نشر وتعزيز العمل الجماعي.
- تطوير فرق العمل والعمل على تحقيق التطوير الجماعي.
- إجراء المزيد من البحوث العلمية فيما يخص العمل الجماعي في مؤسسات اقتصادية جزائرية باستخدام شبكة من أدوات التحليل الكيفي.
- الاستفادة من تجارب المؤسسات الناجحة في توظيف العمل الجماعي.

13. قائمة المصادر والمراجع:

1. آرثر بيل، (2003). بناء فريق العمل، ترجمة؛ تيب توب. لخدمات التعريب والترجمة، ط. رقم 01، القاهرة: دار الفاروق للنشر والتوزيع
2. أم الخير بنت إبراهيم أحمد عبده، (1431هـ/2010). فرق العمل وأثرها على الإنتاجية في قطاع التعليم الجامعي النسائي دراسة ميدانية على قسم الطالبات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. قسم الإدارة العامة، كلية الاقتصاد والإدارة جامعة الملك عبد العزيز بجدة.
3. إيمي سي ادموند سون، (2016)، العمل الجماعي من اجل الابتكار، ترجمة؛ سارة عادل، مراجعة : مصطفى محمد فؤاد رقم ط 01، مصر : مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة
4. دهيمي، بلخير، (2015)، العمل الجماعي ودوره في تحسين المردود الدراسي، دراسة ميدانية أجريت بمجموعة من الثانويات بولاية مسيلة، رسالة دكتوراه غير منشورة، علم الاجتماع، تخصص تنمية الموارد البشرية، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر
5. عامر عوض، (2008). السلوك التنظيمي الإداري، ط 4. دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن

6. عبد الله الطجيم، (2000)، قياس العوامل المؤثرة على وظائف جماعات العمل في المؤسسات العامة السعودية. مجلة دراسات، مجلد، 29 (ع02) الجامعة الأردنية،الأردن،251-275
7. عليان علي رحمة عليان (2014)، العمل الجماعي وأثره في تحسين أداء العاملين في قطاع الخدمات بولاية الخرطوم، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
8. عبير الحاج صالح التكروري، (2018)، الإبداع في العمل الجماعي وتأثيره على الميزة التنافسية من وجهة نظر العاملين، في القطاع الصناعي في محافظة الخليل، رسالة ماجستير غير منشورة. تخصص إدارة الأعمال، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخليل، فلسطين
9. حسن عبد الفتاح حسن الفنجري وآخرون، (2019)، تحسين العمل الجماعي لدى طلاب الصف الثامن المتوسط بدولة الكويت من خلال تصميم وحدة تدريسية في التربية الفنية باستخدام مهارات تطبيق التعلم التعاوني، مجلة كلية التربية النوعية للدراسات التربوية والنوعية، (ع09)، مصر،138-155
10. Helena Karjalainen. (2010).La Culture D'entreprise Permet- elle De Surmonter ; Les Différences Interculturelles, Revue Française De Gestion, Vol 5. (N0240)
11. Gérard Quimet.(2007) . Psychologie Des Leaders et Culture Organisationnelle ; Une Typologie Métaphorique, Revue De Gestion, Vol 2.(N⁰ 32)
12. Sonia Couprie.(2012) . Le Management Stratégique des ONG Ou Le Quête De Légitimité, Revue Monde en développement, Vol 3 ,(N⁰ 159)
13. Mamlouk Zieneb Ben Ammar & Nasef Dhaouadi. (2007).E-Formation et Développement Des Compétences, La Revue Des Sciences De Gestion , Vol 4 .(N⁰226-227)
14. Christain Defelisc al(2013) : Elargir La Gestion Des Ressources Humaines Au Dimension Du Territoire : Quelles Régolites Derrière Les Discours, Revue Management et Avenir, Vol 1,(N⁰59)
15. Fábio de Oliveira. (2015). PSYCHOLOGIE SOCIALE DU TRAVAIL, RENCONTRES ENTRE RECHERCHE ET INTERVENTION. Revue de « Bulletin de psychologie » V2 ,(N 536).

المقدمة:

في المدارس الابتدائية، يمثل التفاعل اليومي بين المعلمين والإداريين والطلاب محورًا أساسيًا للبيئة التعليمية. ومع هذا التفاعل تأتي فرص للتعاون والتنسيق، ولكن تنشأ أيضًا احتمالات لنشوء الصراعات التنظيمية. هذه الصراعات يمكن أن تنبع من اختلاف في وجهات النظر، أو تعارض في الأولويات، أو تنافس على الموارد المتاحة. بغض النظر عن الأسباب، فإن التعامل مع الصراع بشكل فعال يعدّ ضروريًا لضمان بيئة تعليمية منتجة وصحية. غالبًا ما يُنظر إلى الصراع على أنه أمر سلبي يجب تجنبه، لكن الواقع قد يكون مختلفًا. إذا تمت إدارة الصراع بشكل صحيح، فإنه يمكن أن يصبح محفزًا للإبداع وتوليد أفكار جديدة، بل ويمكن أن يعزز العلاقات بين الأطراف المتعارضة من خلال تشجيعهم على حل المشكلات معًا.

في بيئة المدارس الابتدائية، يحتاج المديرون والمعلمون إلى مهارات واستراتيجيات خاصة للتعامل مع الصراع التنظيمي. فهم أنواع الصراع المختلفة وكيفية التعامل معها يُعدّ خطوة مهمة في هذا الاتجاه. يمكن استخدام أساليب مثل التعاون أو التنافس البناء أو حتى التجنب في بعض الحالات، لإيجاد حلول تحقق التوازن بين مصالح الأفراد وأهداف المؤسسة التعليمية، مع تجنب التوترات التي قد تؤثر سلبيًا على البيئة المدرسية.

في هذه الدراسة، سنتناول ديناميات الصراع التنظيمي في المدارس الابتدائية وفق نموذج بيكر وزملائه، والذي يركز على طرق التعامل مع الصراع مثل التعاون والتنافس والتجنب. سنستعرض أهمية إدارة الصراع التنظيمي في المدارس، ونقدم رؤى حول كيفية تحويل الصراع من تحدٍ إلى فرصة للنمو والتحسين في سياق التعليم الابتدائي.

1- الاشكالية:

في المدارس الابتدائية، تبرز ديناميات الصراع التنظيمي كجزء من التفاعلات اليومية بين المعلمين والمديرين والعاملين الآخرين. قد تنشأ هذه التوترات من عدة عوامل، مثل اختلاف الخلفيات الثقافية والقيم والآراء بين الأفراد، أو من أوجه القصور في الهيكل التنظيمي، أو من توزيع غير متوازن للمهام والأدوار. هذه العوامل قد تؤدي إلى سوء التفاهم، وتزايد التوتر، وربما حتى حالات من النزاع الصريح.

تعتمد إدارة المدارس الابتدائية بشكل كبير على المديرين وفرقهم الإدارية، الذين يلعبون دورًا حاسمًا في تشكيل بيئة العمل والتعامل مع الصراعات التنظيمية. التعامل الفعال مع هذه التوترات يتطلب استراتيجيات متعددة، تبدأ من فهم الأسباب الجذرية للصراع، وتمتد إلى إيجاد حلول مستدامة تضمن التوازن بين احتياجات الأفراد وأهداف المدرسة.

من منظور سوسيولوجي، يمكن للصراع التنظيمي أن يكشف عن اتجاهات خفية في المؤسسة، مثل ديناميات السلطة، أو أنماط التواصل، أو مدى شفافية الإدارة. هذا التحليل يوفر رؤى مهمة لمديري المدارس حول كيفية التعامل مع الصراعات بطريقة تعزز التعاون وتقلل من التوتر. فالمقاربة التي تسعى إلى الحد من الصراعات دون

مواجهتها قد تؤدي إلى تفاقم المشكلات على المدى الطويل، بينما يمكن للتعامل المنفتح والمدرس أن يسهم في تحسين بيئة العمل وتعزيز ثقافة الحوار والبناء.

هذه الدراسة تستند إلى منظور سوسيولوجي لفهم عمق ديناميات الصراع التنظيمي في المدارس الابتدائية، واستكشاف الطرق التي يعتمد عليها مديرو المدارس للتعامل معها. من خلال تحليل الأسباب والأنماط المتكررة للصراعات، يمكن تطوير استراتيجيات تهدف إلى تحويل التوترات إلى فرص للتعلم والنمو التنظيمي، مما يعزز بيئة عمل إيجابية ومستدامة.

السؤال الرئيسي الذي توجهه هذه الدراسة هو:

"ما هي الأساليب التي يستخدمها مديرو المدارس الابتدائية في الجزائر للتعامل مع الصراع التنظيمي، وفقاً لنموذج بيكر وزملائه؟"

للإجابة على هذا السؤال، سيتم استكشاف سؤالين فرعيين:

- ما مدى استخدام مديرو المدارس الابتدائية لأساليب التعاون والتنافس والتجنب عند التعامل مع الصراع التنظيمي؟

- ما هو الأسلوب الأكثر شيوعاً بين مديرو المدارس الابتدائية في معالجة الصراعات التنظيمية؟

2- أهمية الدراسة:

ديناميات الصراع التنظيمي في المدارس الابتدائية تمثل تحدياً قد يؤثر بشكل مباشر على جودة التعليم وبيئة العمل. الاختلافات في القيم والخبرات، بالإضافة إلى التوترات التنظيمية، يمكن أن تؤدي إلى أجواء عمل متوترة، تؤثر على المعلمين والطلاب. أهمية هذه الدراسة تكمن في تقديم رؤية سوسيولوجية لفهم أسباب هذه التوترات وتأثيرها، وبالتالي توفير أساس يمكن المديرين من التعامل معها بفعالية، مما ينعكس إيجاباً على جودة التعليم وأداء المؤسسات التعليمية.

3- أهداف الدراسة:

الهدف من هذه الدراسة هو فهم الاستراتيجيات التي يستخدمها مديرو المدارس الابتدائية في الجزائر للتعامل مع ديناميات الصراع التنظيمي، وفقاً لنموذج بيكر وزملائه. من خلال دراسة أساليب التعامل مع الصراع، تهدف الدراسة إلى تحديد أفضل الممارسات التي يمكن أن تساعد في تحويل التوترات إلى فرص للتحسين، وتعزيز بيئة عمل إيجابية ومنتجة في المدارس الابتدائية.

4- تحديد مفاهيم الدراسة:

(أ) الصراع التنظيمي:

يمكن تعريف الصراع التنظيمي إجرائياً بأنه حالة من حالات عدم التوافق أو التعارض حول قضايا متعلقة بالعمل كالمهام والأهداف التنظيمية أو الخلافات حول قضايا شخصية بين الأساتذة والمدير أو بين الأساتذة أنفسهم.

(ب) التعامل مع الصراع التنظيمي:

يعرف إجرائياً بأنه استخدام مدير المدرسة الابتدائية لأساليب (التعاون، التنافس، التجنب) لمعالجة الصراعات التنظيمية

(ج) أساليب التعامل مع الصراع التنظيمي:

هي تلك الأنماط والطرق والأساليب السلوكية التي يمكن للمدير استخدامها للتعامل مع حالات الصراع التنظيمي التي تحدث في المدرسة، واتخاذ القرارات المناسبة لحلّها، بحيث يتدخل المدير ليتدخل الصراع التنظيمي على شكل خلاف مفيد وبناء يعود بالفائدة على المدرسة أو التدخل لمنع الضرر من هذه الصراعات التنظيمية وحلّها.

- أسلوب التعاون (التشارك):

ويتميز هذا الأسلوب باهتمامه ببعدي الحزم والتعاون واللجوء إلى القوة وإلى العلاقات الإنسانية، حيث يقوم المدير بدراسة أسباب الصراع مع كافة الأطراف ذوي العلاقة وطرح بدائل الحل ومناقشتها مع الأطراف حتى يتم علاج الأمر علاجاً فعالاً مقبولاً من الجميع، وهذا الأسلوب يلزمه الوقت الكافي الذي قد لا يتوفر للمدير أحياناً.

- أسلوب التنافس (الإجبار):

يلجأ المدير في استخدامه لهذا الأسلوب إلى قوة السلطة والمركز والحل الذي يتوصل إليه يكون في صالح أحد الأطراف فقط، عندما يكون الصراع بين الزملاء يلجأ المدير لممارسة السلطة على الطرف الآخر.

- أسلوب التجنب (التفادي):

ويقصد به عملية الانسحاب من التعامل مع الصراع التنظيمي وذلك بمحاولة المحافظة على التهدة النسبية للاختلافات الموجودة داخل المنظمة، عن طريق استخدام التأجيل أو التجاهل أو الفصل بين الأطراف المتنازعة.

(د) المؤسسة:

(أ) التعريف الإجرائي للمؤسسة التربوية: مؤسسة عمومية ذات شخصية معنوية: التعليم فيها أساسي وإلزامي،

يستغرق لمدة خمس سنوات .

هي المرحلة الأولى من مراحل التعليم الابتدائي بالجزائر التي يلتحق بها الطفل بعد بلوغ سن الخامسة وينتهي منها في سن الحادية عشرة، وتمتد من الصف التحضيري إلى الصف الخامس الابتدائي.

هـ) مدير المدرسة للمرحلة الابتدائية:

من الزاوية التربوية، المدير هو أستاذ مقتدر له أقدمية في قطاع التربية، اكتسب خبرة لا بأس بها في التسيير البيداغوجي واحتكّ بالطّاقم الإداري بالمؤسسة عن قرب وأخذ ولو الجزء اليسير عن تقنيات الإدارة والتسيير . أما من الجانب التشريعي فالمدير هو مستخدم في قطاع الوظيفة العمومية كموظف في إدارة مؤسسة مدرسية تابعة للتربية الوطنية من فئة مستخدمي إدارة مؤسسات التعليم والتكوين . وفي مجال الدراسة الحالية يعرف الباحث مصطلح مدير المدرسة للمرحلة الابتدائية

إجرائيا بأنه " قائد تربوي ومشرف يتولى إدارة المدرسة وتنظيمها والإشراف عليها وتنسيق مختلف الجهود وتوفير التسهيلات والإمكانيات الكفيلة بتحقيق أهداف مدرسته المنبثقة من فلسفة أهداف التربية في مجتمعه . هو المسؤول المباشر عن جميع العاملين بالمدرسة والمسؤول الأول عن تحقيق المدرسة لأهدافها وبلوغ غاياتها، كما أنه المسؤول عن توثيق العلاقة بين البيت والمدرسة.

5- منهجية الدراسة:

- منهج الدراسة:

الدراسة الرّاهنة تعدّ من الدّراسات الوصفية التي تهدف لوصف وتشخيص ظاهرة البحث بهدف لفت النّظر إلى أبعاد الصّراع التّنظيمي، بمعنى وصف وجهة نظر مدير المدرسة الابتدائية للأساليب المستخدمة للتعامل مع الصّراع التّنظيمي، بغرض الحصول على معلومات وبيانات عن مشكلة الدّراسة في مجتمع البحث.

6- مجالات الدّراسة:

أ) **المجال الموضوعي:** وتقتصر هذه الدّراسة على أحدث النّماذج المقترحة لأساليب التعامل مع الصّراع التّنظيمي، ذلك أنّ النموذج الذي اقترحه («بيكر وزملائه» 1988م)، يعدّ تطورا للنموذج الذي اقترحه "بلاك وموتون"، "Blake and Mounon" (1964)، وتطويرا للنموذج الذي وضعه "طوماس وكيلمان" "Thomas & Kilmann" (1985) وهو بهذا يعكس وجهة نظر المدخل الكلاسيكي، والمدخل الوظيفي للصّراع التّنظيمي. ويحتوي هذا النّمودج على ثلاثة أساليب للتعامل مع الصّراع التّنظيمي وهي: أسلوب التعاون(التّشارك)، وأسلوب التنافس (الاجبار)، وأسلوب التّجنّب(التّفادي).

ب) **المجال المكاني:** تم اختيار ولاية البيض كمجال مكاني تجرّى فيه الدراسة الميدانية. ومنه فقد أجريت الدّراسة في (43) مدرسة ابتدائية من مدارس المقاطعة الإدارية الأولى بالبيض.

ج) **المجال البشري:** طبّقت الدّراسة على جميع مديري المدارس الابتدائية بولاية البيض.

د) **المجال الزّمني:** امتدت من فيفري 2021 إلى جوان 2021.

7- عينة الدراسة وأسس اختيارها:

اكتفى الباحث بأخذ عينة قصدية بلغت (43) مديرا من مديري المدارس الابتدائية بمدينة البيض وهي تمثل نسبة (25.14%) من إجمالي عدد المديرين بالولاية البالغ (171) مديرا.

- ولقد تمّ تحديد العينة وفق الشروط التالية:

- لم يتم إجراء مسح شامل لجميع المديرين الذين يشغلون في المؤسسات الابتدائية بسبب كثرة عددهم من جهة وبسبب صعوبة التنقل إلى هذه المدارس الابتدائية لتواجدها في أماكن متباعدة ومتفرقة جغرافيا.

- تمّ استبعاد مديرو المدارس الذين خبرتهم المهنية في منصب مدير مدرسة أقل من سنتين بسبب أنهم ليست لديهم سوابق في التعامل مع الصراعات التنظيمية في المدارس الابتدائية، وقد بلغ عددهم (03) مديرا، وهي تمثل نسبة (1.76%) من إجمالي عدد المناصب المالية المخصصة لإدارة المدارس الابتدائية بالولاية والبالغ عددها (171) منصبا.

8- الدراسات السابقة:

■ هدفت دراسة " هنكن وكيستون ودي" and Dee،Henkin & Cistone ، سنة (2000) بعنوان "

أساليب إدارة الصراع لدى مديري مدارس الإدارة الذاتية" (Henkin، 2000)

إلى معرفة الأساليب المفضلة لحلّ الصراع لدى مديري هذه المدارس، وتكوّنت عينة الدراسة من (103) مدير من مديري المدارس الواقعة في المدن الحضرية بجنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية، وتوصّلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- نادرا ما يلجأ المديرون إلى استخدام أسلوب التجنب في إدارة الصراعات التي تحصل في المدارس.

- أكثر الأساليب استخداما من قبل المديرين هو أسلوب التعاون.

- أساليب إدارة الصراع المستخدمة حسب تفضيل المديرين لها هو: أسلوب التعاون ثم أسلوب استخدام السلطة ثم أسلوب التجنب.

- كلما زاد عدد المشاركين في حلّ الصراع زاد اللجوء إلى أسلوب التعاون كأسلوب للحلّ.

■ هدفت دراسة " ناصر قاسيمي" سنة (2005) بعنوان " الصراع التنظيمي وفعالية التسيير الإداري دراسة حالة

الجماعات المحلية"

إلى معرفة أسباب الصراع التنظيمي وعلاقته بالفعالية داخل التنظيمات الإدارية. واستخدم الباحث منهج الدراسة التجريبية، واستعمل تقنية الاستمارة والمقابلة نصف الموجهة، أما العينة المختارة هي عينة عن طريق الصدفة قدر عدد المبحوثين ب (96) مبحوثا. وقد توصّلت هذه الدراسة إلى عدّة نتائج أهمّها فيما يتعلق بموضوعنا هو:

- تسهم بعض أنماط السلوك الرسمية، وغير الرسمية في إثارة مظاهر الصراع داخل التنظيم والتي تأثّر في فعالية التسيير فكلّما تجانسست الخصائص الشخصية والاجتماعية للموظفين تراجع الصراع وازداد التعاون التنظيمي.

■ هدفت دراسة " محمد فراس شاهر العويوي " سنة (2013) بعنوان " دراسة وتحليل إدارة الصراع التنظيمي في مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل " (محمد فراس شاهر العويوي، 2013) إلى التعرف على واقع الصراع التنظيمي .. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي المسحي، واعتمد الباحث على الاستبانة كأداة رئيسية لهذه الدراسة.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كانت على النحو التالي:

- أن مستوى الصراع التنظيمي في مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل كان بدرجة متوسطة
- أن درجة اتجاهات مديري المدارس ورؤساء الأقسام نحو أسباب الصراع التنظيمي كانت مرتفعة.
- أن أهم أسباب الصراع التنظيمي من وجهة نظر مديري المدارس ورؤساء الأقسام جاء على النحو التالي؛ حيث تبين أن أعلى هذه الأسباب (محدودية الموارد، يليه الأسباب الشخصية، ثم عدم وضوح الصلاحيات، وأخيراً عدم وضوح المسؤوليات)
- أن أهم أساليب التعامل مع الصراعات التنظيمية من وجهة نظر مديري المدارس ورؤساء الأقسام جاءت على النحو التالي: أعلى هذه الإستراتيجيات والأساليب (أسلوب التعاون، يليه أسلوب التجنب، وأخيراً أسلوب التنافس).

- أدوات جمع البيانات:

(أ) الاستبانة:

اعتمدت الدراسة لجمع البيانات والمعلومات الرئيسية من مجتمع الدراسة على أداة الاستبانة والتي تعدّ أفضل طريقة لجمع البيانات نظراً لكبر مجتمع الدراسة.

(ب) الأساليب الإحصائية المستخدمة:

- التكرارات والنسب المئوية لتوصيف الإجابات وفقاً للمقياس المستخدم من طرف الباحث (المقياس الخماسي)، وكذا لوصف خصائص عينة الدراسة.
- اعتمدت المتوسطات الحسابية للمستجيبين والانحرافات المعيارية لتحديد الأسلوب المستخدم من طرف المدير للتعامل مع الصراع التنظيمي.
- وقد اقترح المحكمون استخدام المقياس الخماسي حسب نظام "ليكرت" (likert) لأنه يتيح حرية أكبر للمستجيب في اختيار نوعية ودرجة الإجابة التي يريدونها كما يلي:

دائماً = 5، غالباً = 4، أحياناً = 3، نادراً = 2، أبداً = 1

وبناء على المعادلة الإحصائية: طول فئة المستوى = (الحد الأعلى - الحد الأدنى) / عدد المستويات نحصل على المعادلة التالية: $5 - 1 = 4/5 = 0.8$ وهو المدى بين مستوى وآخر أو طول فئة المستوى. ولتحديد دلالة المقياس فقد تمّ وضع خمسة حدود للمجالات المستخدمة لدرجة الموافقة على النحو التالي:

الجدول رقم (02) يوضح حدود المجالات المستخدمة لدرجة الموافقة

المدى	مجال المتوسط الحسابي	درجة التوفر
الأول	[1.8_ 1]	ضعيفة جدا
الثاني	[2.6_1.9]	ضعيفة
الثالث	[3.4 _2.7]	متوسطة
الرابع	[4.2 _3.5]	مرتفعة
الخامس	[5 _4.3]	مرتفعة جدا

المصدر: من إعداد الباحث

(ج) صدق الأداة:

قام الباحث بعرض الاستبانة في صورتها الأولية على عدد من المحكمين. وذلك للحكم على مدى صلاحية المقياس وصدقه وملاءمته لقياس ما وضع لأجله.

(د) ثبات الأداة:

تم الاعتماد على استجابات 10 أفراد من عينة الدراسة تم اختيارهم بطريقة عشوائية أين تم تسجيل استجاباتهم على مرحلتين بعد ذلك تم صَبّ بياناتهم في برنامج الحزم الإحصائية الاجتماعية APSS أين وجدنا قيمة $\alpha = 0.71$ وفي هذه الحالة فإن α ثبات أداة جمع البيانات يمكن أن نقول إنه ثابت بشكل مقبول.

9- عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

تقييم مدى استخدام أساليب (التعاون، التنافس، التجنب) للتعامل مع الصراع التنظيمي بالمؤسسة الجزائرية: الجدول رقم (03) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب لإجابة المبحوثين على العبارات المتعلقة بمدى استخدام أساليب (التعاون، التنافس، التجنب) للتعامل مع الصراع التنظيمي بالمؤسسة الجزائرية مرتبة تنازليا:

الرقم	الأسلوب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتبة	درجة التطبيق
1	التجنب	3.87	1.31	الأولى	مرتفعة
2	التعاون	3.43	1.29	الثانية	متوسطة
3	التنافس	3.35	1.33	الثالثة	متوسطة
الأداء الكلي		3.55	1.31		مرتفعة

- يلاحظ من الجدول رقم (03) أنّ مدى استخدام أسلوب التجنّب حصل على الرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.87) وبانحراف معياري قدره (1.31) وبدرجة مرتفعة، أمّا أسلوب التعاون فحصل على الرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.43) وبانحراف معياري قدره (1.29) وبدرجة متوسطة. أمّا أسلوب التنافس فحصل على الرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (3.35) وبانحراف معياري قدره (1.33) وبدرجة متوسطة أيضا. أمّا الأداء الكلي حصل على متوسط حسابي قدره (3.55) وبانحراف معياري قدره (1.31) وبدرجة مرتفعة.
- من خلال الجدول رقم (3) الذي يوضح أساليب التعامل مع الصراع التنظيمي حسب نموذج بيكر وزملاؤه نلاحظ ما يلي:
- بالنسبة لعبارات المقياس ككل فإنّ أعلى عبارة من حيث درجة الممارسة كانت من بين عبارات أسلوب التجنّب "أتجنّب الصراع عندما تكون المشكلة قليلة الأهمية"، حيث حصلت أغلب عبارات هذا الأسلوب تراوحت متوسطاتها ما بين (4.77) و (4.09) مما يدلّ على أنّ أسلوب التجنّب يمارس بدرجة مرتفعة من قبل المديرين في المدارس الابتدائية بولاية البيض. أمّا أقلّ عبارة من حيث درجة الممارسة كانت من بين عبارات أسلوب التعاون (2.49) "أحاول الضغط على أطراف الصراع للحصول على تنازلات تنهيه"، والذي كان ترتيبه الأخير في ترتيب أساليب التعامل مع الصراع التنظيمي التي بحثتها الدراسة.
- بالنسبة لأسلوب التجنّب، يلاحظ أنّ أغلبية مديري المدارس الابتدائية بولاية البيض يتفادون مواجهة الصراع بشكل مباشر ويتلافون اتخاذ مواقف قد تؤدّي إلى جدل ويتفادون أيضا تكوين علاقات مع أيّ طرف من الأطراف المتصارعة.
- وقد جاء أسلوب التعاون ثانيا ذلك أنّ مديرو المدارس الابتدائية بالبيض يسعون لتعزيز هذا الأسلوب كونه أسلوب يكسب الجميع من استخدامه ويساهم في تحقيق العديد من النتائج الايجابية عن طريق إشراك جميع أفراد المدرسة في وضع الأهداف والخطط السنوية والشهرية واليومية، والتعامل معها بكلّ شفافية ووضوح. والعمل على خلق الرغبة للعمل.
- بالنسبة لأسلوب التنافس، يلاحظ أنّ بعض مديري المدارس الابتدائية بولاية البيض يهتمّون برفع الصراع إلى جهات أعلى عندما لا يتعاون معهم أطراف الصراع. ويجعلون مصلحة العمل في سلّم أولوياتهم. ويجعلون من الضغط على أطراف الصراع مطية للحصول على تنازلات تنهي الصراع.

أ) عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

سوف نحاول في هذا العنصر الإجابة على التساؤل الأول الذي مفاده: ما مدى استخدام أسلوب التعاون للتعامل مع الصراع التنظيمي بالمؤسسة الجزائرية؟

الجدول رقم (04) يوضح التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب لإجابة الباحثين على العبارات المتعلقة بمدى استخدام الباحثين لأسلوب التعاون للتعامل مع الصراع التنظيمي بالمؤسسة الجزائرية.

العبارة	أسلوب التعاون	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الدرجة
1	أرى التعاون في حل الصراع يمكن أن يؤدي إلى نتائج أفضل لجميع الأطراف	3.98	1.08	1	مرتفعة
8	اعمل على تهيئة مناخ يسوده روح التعاون لحل بوادر نشوب الصراع داخل المدرسة	3.70	1.24	2	مرتفعة
2	أعزز فكرة "أنا في قارب واحد"	3.53	1.14	3	مرتفعة
4	أشجع أطراف الصراع على مناقشة الخلافات الموجودة بينهم بصراحة ووضوح	3.33	1.19	4	متوسطة
6	أتيح الفرصة بقدر متساو لأطراف الصراع لعرض وجهات نظرها	3.23	1.41	5	متوسطة
3	أتعاون مع المعلمين للوصول إلى قرارات ترضي الأطراف المتصارعة	3.21	0.97	6	متوسطة
7	أميل دائما لمناقشة المشكلة بطريقة مباشرة	3.00	1.53	7	متوسطة
5	أبذل جهود واضحة لمعرفة أسباب الصراع مع كافة المتصارعين	2.81	1.31	8	متوسطة
	الدرجة الكلية	3.43	1.29		متوسطة

- يتبين من الجدول رقم (04) أنّ العبارات التي تقيس أسلوب التعاون، حصلت متوسط حسابي عام قدر ب (3.43). ومن خلال المتوسط الحسابي نجد أنّه ينتمي لجال المدى الثالث: [2.7_3.4] وهو يدلّ على مستوى متوسط من الموافقة لأفراد عينة الدراسة على استخدامهم أسلوب التعاون للتعامل مع الصراع التنظيمي. من خلال المناقشة التي تمت بخصوص نتائج كل عبارة من عبارات محور التعاون - سوف نقوم الآن بإعطاء نظرة تحليلية
- تدل النتائج التي تم عرضها سابقا والتي تتعلق بمحتوى السؤال الأول من أسئلة الدراسة أنّ الأطراف الفاعلة في التعامل مع الصراعات التنظيمية بالمؤسسات التي شملتها الدراسة تميل إلى استخدام أسلوب التعاون بدرجة ثانية وهذا يعكس الجهود التي تبذلها الأطراف الفاعلة من أجل تأكيد أنّ حل الصراع يمكن أن يؤدي إلى نتائج أفضل

للجميع ، وليس بالغريب أن يدفع هذا الاعتقاد على أن تتم معالجة الصراعات الموجودة داخل التنظيم بالعمل على تهيئة مناخ يسوده روح التعاون لحل بوادر نشوبه بكلّ صراحة و وضوح خاصّة عندما تكون للأطراف الفاعلة معلومات مفيدة حول الموضوع المختلف فيه ، والتعاون في مثل هذه المواقف يساعد كلّ الأطراف على تعميق أفكارهم ، كما يتمّ كذلك من خلال هذه الأسلوب، إحداث نوع من التّكامل في إثراء الموضوع .. كما يبرز لدى مستخدميهم قدرات مثل :القدرة على سماع الآخر لفهم وجهات النظر وإدارة الحوار من خلال محاولة استيعاب المواقف المتباينة بهدف الوصول إلى حل يرضي كل الأطراف، كذلك عدم السماح لأي طرف بالمساس بالمصالح المشتركة. وأنّه لا يوجد في نهاية المطاف طرف رابح على حساب طرف خاسر، من خلال التركيز على تحقيق أهداف التنظيم بطريقة ايجابية تعاونية التي ما كان يمكن التوصل إليها عند التعامل مع الصّراع من منظور آخر.

ب) عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

سوف نحاول في هذا العنصر الإجابة على التساؤل الثاني الذي مفاده: ما مدى استخدام أسلوب التنافس للتعامل مع الصّراع التنظيمي بالمؤسسة الجزائرية؟

الجدول رقم (05) يوضح التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب لإجابة الباحثين على العبارات المتعلقة بمدى استخدام الباحثين لأسلوب التنافس للتعامل مع الصراع التنظيمي بالمؤسسة الجزائرية.

الدرجة	الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	أسلوب التنافس	العبرة
مرتفعة	1	0,97	4,23	أرفع الصراع إلى جهات أعلى عندما لا يتعاون مع أطراف الصراع.	9
مرتفعة	2	1,23	3,70	أضع مصلحة العمل في سلم الأولويات في سبيل إيجاد حلول للصراع.	10
مرتفعة	3	1,26	3,53	أعتمد في تعاملي مع الصراع على اللوائح التنظيمية الرسمية والصلاحيات.	16
متوسطة	4	1.13	3,23	أطبق اللوائح والأنظمة بشدة على من يختلف معي في وجهات النظر.	15
متوسطة	5	1,27	2,91	أحاول البحث عن أسباب الصراع لمعالجتها	14
متوسطة	6	1,26	2,88	أحاول الضغط على أطراف الصراع لقبول الحل الذي يعتبر مناسباً لمصلحة العمل.	13
متوسطة	7	1,32	2,86	لا أهتم كثيراً بالمشاعر والحاجات الشخصية لأطراف الصراع.	12
ضعيفة	8	1.33	2.49	أحاول الضغط على أطراف الصراع للحصول على تنازلات تنهيه.	11
متوسطة		1.33	3.35	الدرجة الكلية	

- يتبين من الجدول رقم (05) أنّ العبارات التي تقيس أسلوب التنافس، حصلت على متوسط حسابي عام قدر ب (3.35) وبانحراف معياري قدر ب (1.33). من خلال المتوسط الحسابي نجد أنّه ينتمي لمجال المدى الثالث: [2.7_3.4] وهو يدلّ على مستوى متوسط من الموافقة لأفراد عينة الدراسة على استخدامهم أسلوب التنافس للتعامل مع الصراع التنظيمي.
- تدل النتائج التي تم عرضها سابقا والتي تتعلق بمحتوى السؤال الثاني من تساؤلات هذه الدراسة أنّ الأطراف الفاعلة في التعامل مع الصراعات التنظيمية بالمؤسسات التي شملتها الدراسة لا تميل إلى استخدام أسلوب التنافس بدرجة مرتفعة وهذا ممّا يشير إلى أنّ الأعضاء الفاعلة في هذه العملية لا يحاولون تحقيق مصلحتهم الذاتية وأهدافهم بصرف النظر عن مصالح الآخرين لقناعة المبحوثين بوجود أرضية مشتركة يمكن استخدامها كأساس للحوار والاتفاق والتعاون بين أطراف الصراع وبموجب هذا الأسلوب فإنّ المدير وبسبب قلة الصلاحيات الممنوحة له فقد يضطرّ إلى رفع الصراع إلى جهات أعلى عندما لا يتعاون معه أطراف الصراع. بمعنى تدخّل مسؤول أعلى في مركز أقوى حيث يتدخل هذا الأخير بأمر أطراف الصراع بإنهائه وإلا سيتم استعمال العقاب وقد يبعد الأطراف المتصارعة عن الموقف ويعيّن في وظائف أخرى أو يتمّ استعمال أنواع أسوء من العقاب.
- لا يهتمّ بعض مديرو المدارس كثيرا بالمشاعر والحاجات الشخصية لأطراف الصراع، ويضعون دائما مصلحة العمل في سلّم أولوياتهم، بقدر ما يركّزون على إنهاء الصراع آخذين في الاعتبار مصالح الإدارة والعمل بالدرجة الأولى أو مصلحة أحد الأطراف.
- إنّ الهدف من هذه الأسلوب هو إدارة الصراعات التنظيمية بأسرع وقت ممكن بعد التعرف على مصادرها الحقيقية حيث تتضمن اللجوء إلى القوّة لحسم الصراعات، ولا يستخدم هذه الأسلوب الكثير من المديرين لوجود أرضية مشتركة يمكن استخدامها كأساس للحوار والاتفاق والسعي للمحافظة على التجانس والتهدئة النسبية للاختلافات الموجودة داخل المنظمة أو حينما تكون أطراف الصراع متعاونة.
- والملاحظ أنّ المديرون لم يحاولوا تطبيق اللوائح والأنظمة بشدّة عل من يختلف معه في وجهات النظر ويرى الكثير من المبحوثين أنّ تطبيق أسلوب التنافس أو الإكراه لا يجب استعماله للتعامل مع الصراعات التنظيمية إلا في حالة فشل جميع الأساليب.

ج) عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث:

- سوف نحاول في هذا العنصر الإجابة على التساؤل الثالث الذي مفاده:
ما مدى استخدام أسلوب التجنب للتعامل مع الصراع التنظيمي بالمؤسسة الجزائرية؟

الجدول رقم (6) يوضح التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب لإجابة المبحوثين على العبارات المتعلقة بمدى استخدام المبحوثين لأسلوب التجنب للتعامل مع الصراع التنظيمي بالمؤسسة الجزائرية.

العبارة	أسلوب التجنب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الدرجة
21	أتجنب الصراع عندما تكون المشكلة قليلة الأهمية.	4.77	0.61	1	مرتفعة
18	أتلافى اتخاذ مواقف قد تؤدي إلى جدل	4.33	0.89	2	مرتفعة
17	أتفادى مواجهة الصراع بشكل مباشر.	4.19	0.96	3	مرتفعة
22	أتجنب المناقشات المفتوحة بشأن الخلافات مع المعلمين.	4.14	1.01	4	متوسطة
19	أتفادى تكوين علاقات مع أي طرف من الأطراف المتصارعة.	4.14	1.17	5	متوسطة
24	أحاول المحافظة على العلاقة الجيدة مع جميع أطراف الصراع مظهرا تعاطفا وتفهما لموقف كل طرف	4.09	1.15	6	متوسطة
23	أترك مشكلة الصراع للأطراف المتصارعة لتجد حلاً.	3.53	1.40	7	متوسطة
20	أقوم بتأجيل قضايا الصراع حتى أجد وقتا كافيا للتفكير فيها		1.19	8	ضعيفة
الدرجة الكلية		3.87	1.31		متوسطة

- يتبين من الجدول رقم (6) أن العبارات التي تقيس أسلوب التجنب، حصلت على متوسط حسابي عام قدر ب (3.87) وبانحراف معياري قدر ب (1.31)، ومن خلال المتوسط الحسابي نجد أنه ينتمي لمجال المدى الرابع: [3.5_4.2] وهو يدل على مستوى مرتفع من الموافقة لأفراد عينة الدراسة في استخدامهم أسلوب التجنب للتعامل مع الصراع التنظيمي.
- تدل النتائج أن الأطراف الفاعلة في التعامل مع الصراعات التنظيمية بالمؤسسات التي شملتها الدراسة تميل إلى استخدام أسلوب التجنب بدرجة مرتفعة فقد حصلت على متوسط حسابي عام قدر ب (2.81). وبانحراف معياري قدره (1.31)، مما يشير إلى أن المبحوثين يستخدمون أسلوب الانسحاب من الصراع أو يتجنبوه مع الطرف الآخر وأنها تنتهج طريق تجنب الصراع عندما تكون المشكلة قليلة الأهمية.
- التأجيل أو التجاهل أو الفصل بين الأطراف المتنازعة، ورغم إن هذا الموقف يؤدي إلى إحداث نتائج سلبية على تحقيق الأهداف إلا أنه يمكن اللجوء إليه كأن يكون هناك آخرون يمكنهم التعامل مع الصراع أفضل من المدير مثل احد المرؤوسين. ويعني أيضا إهمال الفرد لمصالحه ومصالح الآخرين بتفادي أو تجنب نقاط التعارض أو الصراع، أو محاولته المحافظة على التجانس والتهدئة النسبية للاختلافات الموجودة داخل المنظمة، ويحاول منع انتشار شعور الغضب أو الإحباط لدى المرؤوسين. ويتضح ذلك أيضا عند المديرين بإهمالهم أو تجاهلهم مواقف معينة في التعامل مع الصراع كتجنبه الحديث عن الأمور الخلافية والمسائل التي تمس المرؤوسين مباشرة ضنا منه أنه بهذا التفادي يحقق استقرار وهدوءا في منظمته، هي في الحقيقة تغذية لمشاعر الغضب وتزيد من احتمالات المقاومة والصراع بسبب عدم إتاحة فرص التنفيس، وبهذا فهو يتفادى الصراع مباشرة أو في بعض الحالات يقف موقف المتفرج بترك الأطراف المتصارعة تجد حلا وذلك بتفادي تكوين علاقات مع الأطراف المتصارعة.
- يفضل المدير اللجوء إلى هذا الأسلوب عندما يعتقد أن هناك أطرافا أخرى يمكنها التعامل مع الصراع أفضل منه أو يؤجله بعدم اتخاذ القرار خوفا من عدم تقبله من طرف الأساتذة أو لعدم توافر حقائق ومعطيات حل الموضوع نقطة الخلاف.
- إذا وكننتيجة عامة وإجابة على السؤال الرئيسي الذي انطلقت منه الدراسة الزاهنة، فإنه ومن خلال الجدول رقم (03) نستنتج أنه انسجاما مع نتائج الدراسة بخصوص تفوق استخدام أسلوب التجنب من بين الأساليب الأخرى في المدارس الابتدائية بولاية البيض، رأت الدراسة أن الأسلوب التجنبي هو أكثر الأساليب استخداما وهو الأسلوب السائد، وأن المديرين يستخدمون جميع الأساليب وأن أساليب التجنب والتعاون والمنافسة تستخدم بدرجات متباينة من قبل المديرين.

خاتمة:

- تدل النتائج أنّ الأطراف الفاعلة في التعامل مع الصّراعات التنظيمية بالمؤسّسات التي شملتها الدّراسة تميل إلى استخدام أسلوب التّجنّب بدرجة مرتفعة فقد حصلت على متوسط حسابي عام قدر ب(2.81). وبانحراف معياري قدره (1.31)، ممّا يشير إلى أنّ المبحوثين يستخدمون أسلوب الانسحاب من الصّراع أو يتجنبوه مع الطّرف الآخر وأتمّوا تنتهج طريق تجنب الصّراع. ويعمد المدير لانتهاج هذا الأسلوب بصفة عامّة للتّغاضي عن أسباب الصّراع، على أن يستمر تحت ظروف معيّنة ومحكومة بإتباع عدّة أساليب، كالإهمال والتّفاعل المحدود.
- يتبيّن أنّ أسلوب التّنافس حصل على متوسط حسابي عام قدر ب (3.35) وبانحراف معياري قدر ب (1.33). من خلال المتوسط الحسابي نجد أنّه ينتمي لمجال المدى الثالث: [2.7_3.4] وأنّ الأطراف الفاعلة في التعامل مع الصّراعات التنظيمية بالمؤسّسات التي شملتها الدّراسة لا تميل إلى استخدام أسلوب التّنافس بدرجة مرتفعة وهذا ممّا يشير إلى أنّ الأعضاء الفاعلة في هذه العملية لا يحاولون تحقيق مصلحتهم الدّائية وأهدافهم بصرف النظر عن مصالح الآخرين لقناعة المبحوثين بوجود أرضية مشتركة يمكن استخدامها كأساس للحوار والاتفاق والتّعاون بين أطراف الصّراع.
- يتبيّن أنّ أسلوب التّعاون، حصل متوسط حسابي عام قدر ب (3.43) وهو يدلّ على مستوى متوسط من الموافقة لأفراد عينة الدّراسة على استخدامهم أسلوب التّعاون بدرجة ثانية للتعامل مع الصّراع التنظيمي. كما أنّ إتباع الأطراف المتعاملة مع الصّراع الأسلوب التعاوني يساهم في نظرهم في زيادة إحساس المتعاملين مع الصّراع بفاعلية مجهوداتهم. وقد يرجع ذلك إلى أنّ المدير هو الذي يستطيع أن يتعامل مع الصّراعات التنظيمية بطريقة إيجابية ويقع على عاتقه مسؤولية تحقيق الأهداف التنظيمية بدرجة عالية من الكفاءة، ويلعب دوراً هاماً في إكساب الأساتذة بالمدرسة الكثير من الخبرات والأساليب المهارية و الوظيفية، وذلك من خلال عملية تحديد المهام، والاختصاصات وتقسيم الأدوار بين الأساتذة والتنسيق فيما بينهم، وباختصار شديد فهو المتحكّم الرئيسي في المصادر التنظيمية المسبّبة للصّراع.
- إتباع مدير المدرسة لأسلوب التّعاون للتعامل مع الصّراع التنظيمي يساهم بشكل أساسي في تحقيق العديد من النتائج الإيجابية.

- التّوصيات:

- بالنظر إلى النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة حول ديناميات الصراع التنظيمي في المدارس الابتدائية، يمكن تقديم التوصيات التالية:
- تشجيع مديري المدارس على اعتماد أسلوب التعاون عند التعامل مع الصراعات التنظيمية، حيث يمكن أن يساهم ذلك في خلق بيئة عمل أكثر تناغمًا، ويساعد في حل المشكلات بشكل بناء.

- على المديرين أن يحرصوا على تطوير مهاراتهم في التعامل مع الصراعات التنظيمية، من خلال التدريب المستمر والاستفادة من الأساليب الحديثة في إدارة النزاعات. هذه المهارات أصبحت أكثر أهمية من أي وقت مضى لضمان إدارة فعالة للمدارس.
- دعوة الباحثين والمهتمين بمجال التعليم إلى توسيع نطاق الدراسات المتعلقة بأساليب التعامل مع الصراع التنظيمي، بهدف تطوير فهم أعمق لديناميات الصراع في المدارس الابتدائية وتقديم حلول فعالة ومستدامة.
- من خلال اتباع هذه التوصيات، يمكن للمدارس الابتدائية تحسين طرق التعامل مع الصراعات التنظيمية، وبالتالي تعزيز بيئة تعليمية إيجابية وصحية.

- قائمة المصادر والمراجع:

1. محمد فراس شاهر العويوي، 2013، "دراسة وتحليل إدارة الصراع التنظيمي في مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم إدارة الأعمال، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، فلسطين.
2. مؤيد السالم، 1990، "التوتر التنظيمي: مفاهيمه، أسبابه، واستراتيجيات إدارته"، مجلة الإدارة العامة، ال عدد 68، الرياض، السعودية.
3. ناصر قاسمي، 2005، "الصراع التنظيمي وفعالية التسيير الإداري دراسة حالة الجماعات المحلية لولاية الجزائر"، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنظيم، غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.
4. Henkin. & Cistone, and Dee, J, , « 2000 Conflict Managemenet Strategies of Principals in site-"Based Managed Schools, Journal of Educational Administration,« U.S.A.

الملخص:

تطرت في مداخلتي -ياذن الله- إلى قضية التواصل اللغوي عند العرب القدامى، من خلال أهم الإرهاسات والإشارات الفكرية الأولى لدى بعض الباحثين العرب شارحا إياها في ضوء النظرية اللسانية المعاصرة، فاستهلت المداخلة بمقدمة مبينا فيها فضل التواصل اللغوي عند الإنسان وانفراده على بقية المخلوقات الأخرى " المرئية " ثم تطرقت لمفهوم اللغة عند العرب وعند الغرب مقارنا بينهما من خلال إجماعهم على أنها ذات طابع صوتي ووظيفة اجتماعية غايتها التبليغ والتواصل، ثم عرجت على مفهوم الدليل اللغوي عند العرب وعند الغرب، حيث تطرق العرب الأوائل للدليل اللغوي من خلال حديثهم عن اللفظ والمعنى وتشبيه علاقتهما وترابطهما وتكاملهما بالمقص، والجسم والروح، والماء الإناء، أما الغربيون فأهم وصف لهم في هذه الفكرة العملة " الورقة النقدية " ثم بينت أصالة نظرية التواصل والتبليغ عند العرب من خلال طرح مجموعة من التعاريف للباحثين العرب خاصة أصحاب علم البلاغة، وفي الأخير وضحت قيمة ودور المقام السياق وهي الظروف الاجتماعية والقدرات العقلية في تأدية الدورة الخطابية بين الباحث والمتلقي.

الملخص باللغة الإنجليزية:

In my intervention, God willing, I touched on the issue of linguistic communication among the ancient Arabs, through the most important foreshadowings and the first intellectual signals of some Arab researchers, explaining them in the light of contemporary linguistic theory. "Visual" and then touched upon the concept of language among the Arabs.

In the West, we compared them through their unanimous agreement that it has a phonemic character and a social function that aims to inform and communicate. Then I came to the concept of linguistic evidence among the Arabs and in the West, where the early Arabs touched on the linguistic evidence by talking about the pronunciation and meaning and likening their relationship, interdependence and integration with scissors, the body and the soul. And the water is the vessel. As for the Westerners, the most important description of them in this idea is the currency "the banknote".

Then it showed the originality of the theory of communication and communication among the Arabs by putting forward a set of definitions for Arab researchers, especially those with the science of rhetoric

- مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- أما بعد:

لقد خلق الله عز وجل الإنسان وأكرمه على بقية المخلوقات الأخرى المرئية بالعقل الذي بواسطته استحق التكليف والمسؤولية والجزاء كما خصه أيضا باللسان يتواصل به مع بقية جنسه بالألفاظ والعبارات إذ يفهم الغرض بالدلالات ويقضي به حاجاته، هذه الخاصية الثانية تسمى بالتواصل اللغوي الذي كتب فيه كثير من الباحثين قديما وحديثا وهذا الأخير يسمى بالدليل اللغوي لأن الإنسان في بعض الأحيان يتواصل بالدليل غير اللغوي مثل الإشارات (مرورية وجسمانية) والألوان والرموز يكون متفقا مسبقا على معانيه ، مثلا اللون الأحمر في الإشارات الضوئية يدل على عدم السير في جميع أنحاء العالم إلا في اليابان حيث يوجد هذا اللون في علمهم فرفضوا أن يكون مانعا للسير... يبدأ أن الدليل اللغوي يكون كلاما مرسلا بين الباعث والمتلقي بواسطة ألفاظ وعبارات لها معان ودلالات بما يحصل الفهم والإفهام في الدورة الخطابية ولعل هذا هو الفرق الحاصل بين الدليل اللغوي وغير اللغوي لأن اللغوي يحتاج في كثير من الحالات إلى عنصر خارج عن الدورة الكلامية، ألا وهو السياق والمقام الذي نص عليه كثير من الباحثين عربا وعجما فالعرب القدامى كانت لهم إرهاسات وإشارات وملامح حول نظرية التواصل اللغوي عليها أصيلة نابعة من فكرهم وليست دخيلة عليهم مقلدة.

لذا أردت طرح إشكالية في هذا البحث المتواضع ، مفادها هل تتطرق العرب القدامى لشيء من أمور التواصل اللغوي لهم فيه تأسيس وأصالة؟ وهل بينوا ووضحوا عناصر الدورة التواصلية؟ كما فصلها لاحقا اللسانيون الغربيون.

للإجابة على هذه التساؤلات والاستفسارات حاولت تتبع الخطة - الطريقة التالية-؛ ذكر تعاريف اللغة عند العرب والغرب، تبيان الدليل اللغوي وعناصره بين العرب والغرب. أهم العلوم العربية التي تطرقت لعملية التواصل اللغوي.

■ أولا: تعريف اللغة:

لعل المتصفح لكتب العربية قديما وحديثا يجد في بطونها وثناياها تعريفا خاصا باللغة ، فعند العرب من أوائل ما وصل إلينا تعريف ابن جني الذي قال عنها : " حدها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم." ¹

¹ ابن جني أبو الفتح عثمان : الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة التوثيقية القاهرة، مصر، الطبعة 1995، ج1، ص101.

ومن العرب المعاصرين نذكر تعريفاً لمحمد أسعد النادري قائلاً: " اللغة ظاهرة انسانية عامة في المجتمعات البشرية كلها وهي تتكون من أصوات منتظمة في كلمات منتظمة في جمل لتأدية المعاني المختلفة".²
أما تعريف الغرين للغة فقد ركزت على تعاريف بعض اللسانيين منهم: أولاً أوندري مارتيني قائلاً: " يشير مصطلح اللغة بالضبط في المتداول من الكلام إلى الملكة التي يستعملها البشر للتفاهم في ما بينهم بواسطة الأدلة الصوتية".³

فالتأمل والمتعمّن لهذا التعريف قد يلحظ بأن مارتيني قد ركز أيضاً على الجانب الصوتي للغة مثل ابن جني، ثم بين الوظيفة الأخرى المتمثلة في التبليغ من خلال قوله (الوظيفة لهذه الأداة هي التبليغ).⁴ قاصداً بالأداة اللغة. ثم يضيف (ونهاية المطاف فإن التبليغ أي التفاهم المتبادل هو الجدير بالإعتبار كوظيفة مركزية لهذه الوسيلة التي هي اللسان).⁵

■ ثانياً: إدوارد سابير " عالم أمريكي " عرفها (بأنها وسيلة إنسانية خالصة وغير غريزية إطلاقاً لإيصال الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة نظام من الرموز التي تصدر بطريقة ارادية)⁶

التأمل لهذه التعاريف لعله يدرك أن أصحابها قد أجمعوا أن الجانب الصوتي "المادي" للغة وكذلك الوظيفة الاجتماعية المراد بها التواصل "التبليغ" هناك من الغربيين من أعطى للغة بعداً سيكولوجياً مثل فرديناند دي سوسير قائلاً: " وفي الحقيقة أن كل شيء في اللغة ذو طابع سيكولوجي وتدخل في هذا جميع المظاهر المادية والحركية ثم إنه لما كان علم اللسان يقدم لعلم النفس الاجتماعي معطيات جد ثمينة أفلا يصبح القول أنه جزء ملتحم بها"⁷، كما أعطاهما مالبينوفسكي بعداً سلوكياً يضاف إلى دور التواصل قائلاً: " إن وظيفة اللغة ليست أنها مجرد وسيلة للتفاهم أو التواصل بل وظيفة اللغة أنها حلقة في لسلة النشاط الإنساني المنتظم هي أنها جزء من السلوك الإنسان، إنها ضرب من العمل وليست أداة عاكسة للفكر واستعمال اللغة على هذه الصورة ليس قاصراً على الجماعات البدائية بل إنه لا يلاحظ في أرقى الجماعات تمدناً"⁸ توصل إلى هذا العدد دراسته للمجتمعات البدائية. وعليه فاللغة وسيلة إنسانية خالصة، غايتها

²: محمد أسعد النادري ، فقه اللغة مناهله ومسائله ، المكتبة العصرية، سيداء، بيروت 1433/2012، ص: 10.

³: اندريه مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة ، سلسلة العلوم والمعرفة، دار الأفاق ، ترجمة: سعدي زبير، الأبيار الجزائر ص: 12.

⁴: المصدر السابق. ص: 14.

⁵ " نفسه ص: 15.

⁶: Edward sapir language newyork har court 1921 p07.

⁷ : دو سو سور فارديناند، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة : عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيب، إفريقيا الشلوق،

المغرب 1987، ص: 15.

⁸ : محمود السعمران اللغة، اللغة والمجتمع " رأي ومنهج " دار المعارف مصر 1987م، ص: 15.

الأساسية التواصل والتبليغ ونقل الأفكار والأحاسيس، استقل بها الدليل اللغوي الذي نصت عليه اللسانيات.

* **مفهوم الدليل اللغوي:** الدليل اللغوي تصوره عند اللساني إفرديناند دي سوسير والذي أخرجه إلى الوجود بعض تلاميذه في الكتاب الذي نسبوه إليه "محاضرات في علم اللسان العام" في إطار حديثه عن اللسانيات والسميولوجيا أيهما أوسع من الآخر، حيث يرى بأن اللسان جزء من السميولوجيا قائلاً في ذلك: "نستطيع إذن أن نتصور علماً يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي، وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تقتنص بها أنواع الدلالات والمعاني وليس إلا جزء من هذا العلم"⁹. حيث إن المتأمل لهذا التعريف قد يدرك أنه تحدث عن علم الأدلة التي قسمها دو سوسير إلى قسمين ، أدلة غير لغوية وأدلة لغوية التي هي موضوع بحثنا كون الدليل اللغوي عند دي سوسير يتكون من الدال والمدلول فالدال هو الصورة الصوتية المتمثلة في سلسلة الأصوات المكونة للفظ والمدلول هو الصورة الذهنية المشكلة والمترتبة عن سماع السلسلة الصوتية أي الشكل التي يتحدد في ذهن الفرد أو الإنسان ولعل هذا الذي قصده في فصل الأحمر قائلاً: "السيمائية علم يهدف إلى تحليل أنظمة الدلالة وتعني في جميع التجليات بالنصوص والأقوال والصور والحركات... أي أنها تهدف إلى أن تكون لسانيات متفتحة وذكية وتمر عبر اللسان بالضرورة"¹⁰ ورحم الله علياً بن طالب رضي الله عنه قديماً لما قال: "الخبر مجموع في أربعة ، الصمت والنطق والنظر والحركة لأن السميولوجيا مأخوذة من اللفظ الإغريقي semeion والتي تعني أنواع الدلالات للإشارة فقط أن دي سوسير شبه الدال والمدلول في علاقتهما وترابطهما بالورقة النقدية "العملة" فوجهها هو الدال ، وقفها المدلول ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض . أما اللساني رولان بارث صاحب علم الدلالة فذهب نقيض ما ذهب إليه دوسوسير كون علم اللسان هو العام والأوسع أما السميولوجيا فهي فرع عنه ولعل أغلب اللسانيين قد تبناوا طرح دي يسوسير لا فكر رولان بارث في قضية العام والخاص بين اللسانيات والسميولوجيا.

أما عن الدليل اللغوي عند العرب فقد تطرقوا إليه باكراً سبقوا في ذلك الغرب بمآت السنين وذلك في إطار حديثهم عن اللفظ والمعنى خاصة في علم البلاغة فقديماً قال الفيلسوف الإسلامي القاضي عبد الجبار الألفاظ أوعية للمعاني حيث شبه اللفظ بالوعاء والمعنى بالماء لكن ما يظهر في تصور العرب للماء أنهم فاضلوا في بعض الأحيان باللفظ عن المعنى، فمثلاً العلامة ابن خلدون رحمه الله ذهب تقريباً في تعريفه للدليل اللغوي لما ذهب إليه القاضي عبد الجبار ضارباً في ذلك مثلاً حسياً لتقريب الفكرة للقارئ قائلاً: «فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف،

⁹ : دو سو سور فاللسان فرديناند ، محاضرات في علم اللسان العام ترجمة عبد القادر قنيني، ص: 28

¹⁰ فيصل الأحمر الدليل السميولوجي، دار المعية للنشر والتوزيع ، ط: 1 قسنطينة الجزائر 2011، ص, 13

والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء¹¹ حيث شبه المعاني بالماء الذي هو واحد في كل الأحوال بينما الألفاظ شبهها بمجموعة من الأواني المتباينة فيما بينها حيث إن الذهب أعز من الفضة والزجاج خير من الخزف ملوحا في ذلك إلى الألفاظ التي تتفاوت كتفاوت الأواني منها الجيد ومنها الرديء وكل يؤدي وظيفة الإفهام لأنه قالها صراحة: «اعلم أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني وإنما المعاني تتبع لها وهي أصل»¹²

أما ابن رشيق القيرواني فهو الآخر تحدث عن الدليل اللغوي المتكون من اللفظ والمعنى مشبها إياهما بالجسم والروح: "واللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه كارتباط الجسم بالروح يضعف بضعفه ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح"¹³ المتأمل لهذا التعريف لعله يدرك جليا بأن ابن رشيق جعل من تلازم اللفظ والمعنى بالجسم والروح وغياب أحدهما يفقدهما الحياة والتلازم فإذا ظهر الجسم ظهرت الروح والعكس صحيح فكذلك اللفظ والمعنى "الدليل اللغوي"

وقد شبههما في موضع آخر بالمقص فالحديث عن أفضلية أحدهما على الآخر كالحديث عن شفتري المقص أيهما أسن وأحد من الأخرى حيث نلاحظ أن تشبيه اللفظ والمعنى أو الدال والمدلول في الفكر العربي أجود وأفضل وأوضح وأبين من تشبيه اللسانيين الغربيين.

■ ثالثا: علوم العربية التي تطرقت لعملية التواصل اللغوي.

إن المطلع على علوم اللغة العربية لعله يدرك أن أهم علم تطرق لنظرية التواصل اللغوي عند العرب القدامى هو علم البلاغة كونه قائم على أساس التواصل الذي يتطلب باثا "مرسلا" ومتلقيا "المرسل إليه" ورسالة بينهما لأن العرب عنيت بصناعة الكلام والخطابة والشعر حيث علق طه حسين على الأوضاع السائدة خصوصا من عهد الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني قائلا: "إن العرب منذ القرن الثاني أخذوا يعنون بصناعة الكلام عناية شديدة وقد دفعهم إلى ذلك أمران أولهما ما كان بين الأحزاب السياسية في ذلك العصر وثانيهما الحركة الفكرية القوية التي ظهرت في العهد نفسه فلم تكن مساجد الكوفة والبصرة يومئذ مساجد يتعبد فيها المسلمون ويفصل في أفضيتهم بل كانت فوق ذلك مدارس يغشاها العلماء لتدريس اللغة والنحو والفقه، والإخباريون ليقصوا على مسامعهم أخبار المغازي والفتوح والفتن وزعماء

¹¹ المقدمة، تحقيق أم كارتر مير، مطبعة باريس 1958، مكتبة لبنان بيروت، 1992، ج3/345.

¹² المصدر السابق، ج3/345.

¹³ ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق محمد بن علي الجبلاي المكتبة التوفيقية ط1،

2013 القاهرة، مصر، ج1، ص92/93.

الأحزاب السياسية والفرق الدينية للجدل والمناظرة وكان يجلس إلى هؤلاء جميعاً أفناء من الناس ما بين مسلم ويهودي ونصراني ومجوسي، وما بين عربي عاطل مزهو طموح تستهويه فصاحة اللسان وأعجمي مثقف نشط ولكنه متبرم بحاله غير راض عنها لا شك أن من يتصدى للكلام أمام هؤلاء ينبغي أن يكون موفور الحظ من وضوح العبارة وظهور الحجة وخفة الروح والقدرة على الإفهام ومن ثمة نشأ بحث دقيق عما ينبغي أن يتجلى به الخطيب من الصفات وما ينبغي أن يتجنبه من العيوب سواء كان ذلك من حيث الكلام أو من حيث الإشارة¹⁴ لعلنا نستنتج من هذه المقولة لطف حسين أصالة نظرية التواصل العربية التي ديدناها الفهم والإفهام والتبليغ المفضي إلى الوضوح.

كما كان لبعض الفرق الإسلامية دور كبير في عملية التبليغ لأنهم: "اشتهروا في التاريخ ببلاغتهم وشدة عارضتهم وفصاحة لسانهم وذلك لما حملتهم عليه مهمتهم في مدارس اللغة وإحاطة بفتونها وطرائق تعبيرها فانكبوا على الآثار الأدبية يتدارسونها فتمرسست ألسنتهم وقويت ملكاتهم وأصبحوا مثلاً يحتذى به في بلاغة القول وفصاحة اللسان"¹⁵

لعل الجاحظ من العرب الأوائل الذين تحدثوا عن عملية التواصل لما جعل من البيان عملية تواصلية قائلاً: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يضيئ السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"¹⁶ في هذا القول المنسوب إلى الجاحظ جعل الغاية الأساسية والجوهرية لعلم البيان الفهم والإفهام سواء أكان بالدليل اللغوي أو غير اللغوي، لأنه ترك الباب مفتوحاً لما قال فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.

ابن فارس هو الآخر تحدث عن الدليل اللغوي وغايته من خلال الحديث عن التفاهم بين المخاطب والمتكلم كونه: "يقع ذلك بين المتخاطبين من وجهين أحدهما الإعراب والآخر التصريف هذا فيمن يعرف الوجهين فأما من لا يعرفهما يمكن القائل إفهام السامع بوجوه يطول ذكرها، من إشارة وغير ذلك"¹⁷ لعله يقصد بالإعراب الألفاظ والعبارات أو ما يعرف بالدليل اللغوي تضاف إليه الإشارة أو ما يدخل في صفها.

¹⁴ طه حسين، من تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي والعصر العباسي دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1981، ج2، 480.

¹⁵ عبد الحكيم بلع أدب المعتزلة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النهضة للطباعة والنشر مصر، ط2، 1969، ص19.

¹⁶ الجاحظ أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، ت عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، 1955، ج1، ص78.

¹⁷ ابن فارس أبو الحسن أحمد زكرياء، الصحاح في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ت أحمد حسن الشيخ دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط1991، ص190.

كما تحدث ابن وهب الكاتب عن أربعة أنماط يحصل بها التواصل والتبليغ قائلا: "البيان على أربعة أوجه فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبين بلغاتها ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب ومنه البيان باللسان ومنها البيان بالكتاب والذي يبلغ من بعد أو غاب"¹⁸ فلعله يقصد ببيان الأشياء بذواتها الإشارات الرموز الألوان والبيان الحاصل في القلب الناشئ من التدبر أو كما أطلق عليه الجاحظ اسم النصبه وهي أدلة غير لغوية وما تبقى أطلقه على الدليل اللغوي الذي يقع باللسان أو الكتابة وابن المقفع يرى التبليغ حاصل بالسكوت الإصغاء، الإشارة، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يرى الخبر مجموع في أربعة: الصمت، النطق، النظر، الحركة.

تحدث الباقلاني هو الآخر عن الطرق التي بها يحصل التبليغ قائلا: "ولكل شيء طريق يتوصل به إليه، وباب يؤخذ نحوه فيه ووجه يؤتى منه ومعرفة الكلام أشد من المعرفة ما وصفت لك وأغمض وأدق وأنطق وتصوير ما في النفس وتشكيل ما في القلب حتى تعلمه وكأنك مشاهد وإن كان يقع بالإشارة ويحصل بالدلالة والأمانة كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح فللإشارات مراتب وللسان منازل ورب وصف يقصر عنه... ثم إذا صدق الوصف انقسم إلى صحة وإتقان وحسن وإحسان وإلى جمال وشرح، وإلى استغناء وتقريب وإلى غير ذلك من الوجوه ولكل مذهب طريق وله سبيل"¹⁹

الجاحظ سبق فرديناند دي سوسير ورومان ياكبسون بمئات السنين في الحديث عن وظائف اللسان وفي وصف هذا الأخير وما يقوم به من أدوار قائلا في ذلك: "هو أداة يظهر بها البيان وشاهد يعبر عن الضمير وحاكم يفصل الخطاب وناطق به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الأشياء وواعظ ينهي عن القبيح مغر يرد الأحران ومعتذر يدفع الضنونية ومله يوافق الأسماع وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد ومادح يوافق يستحق الزلفة ومؤنس يذهب بالوحشة"²⁰ فالمتمعن في هذا القول يرى بأن الجاحظ عدد وظائف اللسان "اللغة" كما وظف المتأخر زمانا رومان ياكويسون، حيث يرى العلامة عبد الرحمن الحاج صالح رحمه الله أن الجاحظ من الأوائل السابقين الذين استعملوا اللغة بمعنى اللسان، بل يعطي الجاحظ تعريفا للسان فيه بعد لسانی معاصر قائلا في ذلك: "واللسان يصنع في جوبة الفم وهوائه الذي في جوف الفم وفي خارجه، وفي لهاته، وباطن أسنانه مثل ما يصنع القلم في المداد واللغة والهواء والقرطاس وكلها صور وعلامات وخلق موائل"²¹ حيث إن اللسانيين المعاصرين أجمعوا في تعريفهم

¹⁸ ابن وهب الكاتب أبو الحسن اسحاق بن إبراهيم بن سليمان، البرهان في وجوه البيان تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديشي، بغداد 1961، ص 139.

¹⁹ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر دار المعارف، مصر، ط 1، 1987، ص 244.

²⁰ الجاحظ البيان والتبيين، ت عبد السلام محمد هارون، ج 2، ص 75.

²¹ الجاحظ، الحيوان، ت عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1950، ج 1، ص 70.

للغة بأنها رموز وإشارات ، والجاحظ هو الآخر قال: صور ورموز لأنه باللسان تحصل صناعة الكلام التي هي: "علق نفيس وجوهر ثمين، وهو الكنز الذي لا يفنى ولا يبلى، والصاحب الذي لا يمل ولا يلقى، وهو العيار على كل صناعة والزمام لكل عبادة والقسطاس الذي يستبين به ثقل كل شيء ورجاحته والرواق الذي به صفاء كل شيء وكدر، كل علم عليه عيال وهو لكل شيء آلة ومثال"²² .

لعل الجاحظ في نظرية التواصل العربي قد احتفل باللفظ، لأنه يتحكم في المعنى ويضبط الدلالة، ويكفل نجاح التواصل اللغوي قائلاً في ذلك: "المعاني مطروحة في الطرقات يعرفها الأعجمي والعربي، والبدوي، والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة وجودة السبك"²³ ومعيار صحة اللفظ ينسبها إلى الصوت لأن: "الصوت آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف".²⁴ حيث اشترط البلاغيون واللغويون لهذا الصوت شروط في عملية التواصل والإبتعاد عما يعكر العملية التواصلية مثل مراعاة الأصوات من خلال التباعده في المخرج، فهذا ابن جني مثلاً يقول: "أحسن التأليف ما بوعده فيه بين الحروف، فمتى تجاوز مخرجاً الحرفين فالقياس ألا يأتلف وإن تجشموا ذلك بدأوا بالأقوى بين الحرفين"²⁵ حيث أدل الجاحظ دلوه في هذا الباب قائلاً: "فأما افتراق الحروف فإن الجيم لا تفارق الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد والذال بتقديم ولا تأخير"²⁶ . أبو هلال العسكري هو الآخر سار في درب الجاحظ وشد عضده في اختيار اللفظ والاهتمام به في الدورة الخطائية قائلاً في ذلك: "وليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وإنما الشأن في جودة اللفظ وصفاء وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم"²⁷. كما بين أبو هلال العسكري بأن من أدوات حسن التبليغ والتواصل سهولة اللفظ وسلاسته، لأن: "الكلام يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخيره لفظه وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، فتجد المنظوم مثل المنثور، في سهولة مطالعه، وجودة مقطعه".²⁸

²² الجاحظ، الرسائل، ت عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1، 1991، ج4، ص244.

²³ الجاحظ، الحيوان، ج3، ص131/132.

²⁴ الجاحظ، البيان والتبيين، ت محمد هارون، ج1، ص79.

²⁵ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ت حسين صنداوي، دار القلم، ط2، لبنان 1993، ج2، ص814.

²⁶ الجاحظ، البيان والتبيين، ت عبد السلام محمد هارون، ج1، ص69.

²⁷ أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، ت علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، ط1، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه القاهرة، 1952، ص72.

²⁸ المصدر السابق، ص69.

ونعز رأي الجاحظ أيضا بما ذهب إليه العلامة عبد الرحمن بن خلدون لما قال: "اعلم أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي الألفاظ لا في المعاني، وإنما المعاني التي تبع لها وهي أصل لأن المعاني موجودة عند كل واحد وفي طواع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج إلى تكليف"²⁹. لأنه كما قال أبو هلال العسكري: "الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ أن الخطب الرائعة، والأشعار الراقية ما عملت لإفهام المعاني فقط لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيدة منها على الأفهام... وإنما يدل على حسن الكلام، وأحكام صنعته، ورونق الفاظه، وجودة مطالعه، وحسن مقاطعه، وبديع مباديه، وغريب مبانيه، على فضل قائله، وفهم منشأه وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني"³⁰، وهذا هو المغزى الذي أكد عليه الجاحظ في العملية التواصلية لأنه برأيه: "أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك في كثيره ومعناه في ظاهر لفظه، وإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا كان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ومنزها عن الاختلال، مصونا عن التكلف، صنع في القلب صنع الغيث في التربة الكريمة"³¹. لعل الجاحظ يقصد بالقلب الفؤاد أو النفس في ظل التواصل بين الطرفين وقديما قالوا: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان"³²، حيث تذكر إحدى الروايات أن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنصت لمتكلم فلم تقع موعظته في قلبه فقال: يا هذا بقلبك شرا أو بقلبي، أو كما قال علي بن يحيى: "لو كان الناس سيعرفون جملة الحال في فصل الاستبانة وجملة الحال في صواب التبيين لأعربوا عن كل ما تلج في صدورهم، وقديما قد قال أعرابي عن الكلام: شي تبيش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا"³³. وهذا الأمر نص عليه بعض الغربيين أمثال marouizou في حديثه عن الأسلوب كونه يرى في هذا الأخير موقف يتخذه الباحث مما تعرضه عليه اللغة من شتى الوسائل التعبيرية"³⁴ كذلك نص bally على التأثير والتأثر في العملية التواصلية معلقا على لغة الشعر قائلا: "اللغة الشعرية التي هي لغة انفعالية تتوجه إلى القلب وتعتمد بشكل رئيسي على اللغة الموسيقية التي يمكنها هي الأخرى أن تثير انفعالات وإحساسات لا تحصى"³⁵

الباقلاني ذكر شروطا بها يتأتى الفهم والإفهام قائلا: "الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس وإن كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد وأوضح في الإبانة

²⁹ ابن خلدون، المقدمة، ت أم كارتر مير، ج3، ص345.

³⁰ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ت محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، ص73.

³¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ت عبد السلام محمد هارون، ج1، ص83.

³² المصدر السابق، ج1، ص84/83.

³³ المصدر السابق، ج1، ص96/84/83.

³⁴ عبد السلام المسدي، المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين، الحوليات، عدد13، 1976، ص137.

³⁵ ينظر صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة، ص49.

على المطلوب ولم يكن مستكره المطلاع على الأذن ولا مستنكر المورد على النفس حتى يتأتى في اللفظ على الإفهام أو التمتع بتعويض معناه عن الإبانة ويجب أن يتجنب ما كان عامي اللفظ مبتذل العبارة ركيك المعنى سفسافي الوضع مجتلب التأسيس على غير ممهّد ولا طريق مؤطد³⁶ المتأمل لقول الباقلاني يجده واف الغرض مؤد الهدف بل قريب جدا مما ذهب إليه الجاحظ حين قال: "ومتى شاكل ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقاً وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمي عرضه من اعتراض العايين ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة"³⁷ ومنه نستنتج أن علماء العربية الأوائل قد تفتنوا لعملية التواصل بنوعيه اللغوي وغير اللغوي وأدلو دلوهم في المسألة بأقوال وتعريف مقدمين في ذلك أدلة وحجج ومبينين كيفية التواصل بين المرسل والمرسل إليه.

لقد تفتن علماء العربية القدامى باكراً لعنصر ضروري وجوهري في عملية التواصل والتبليغ وهو التناسب بين الباث "المرسل" والمتلقي "المرسل إليه" في فهم الرسالة بينهما ألا وهو المقام أو الشوط الاجتماعية والثقافية والعقلية التي نص عليها العقل اللسانيون الغربيون المتأخرين زماناً فهما غريمان في حديثه عن التواصل والتبليغ قائلاً عنه: "التواصل لا يكفي بركنيه الكلاسيكيين وما حولهما حسب ماهو وارد في نظرية التبليغ أي المتلقي والباث، بل يتعداهما على السياقات والخلفيات الفكرية والنفسية والاجتماعية لركني التبليغ، ومن الباث والمتلقي انتقل الإهتمام مع المدرسة السيميائية إلى الرموز والإشارات الخفية التي تكون وراء الكلمات وابتعد بكثير منها"³⁸. لأن التبليغ أة التواصل هو انتقال صورة ذهنية عن طريق قرينة هي الصورة السمعية من الباث إلى المتلقي ثم جاء علماء الدلالة ليطوروا الأطروحة باحثين عن الملابس الخفية لهذه العملية فدرسوا من ضمن أهم ما درسوه فكرة السياقات والظروف المحيطة بالباث والمتلقي"³⁹.

لعل من العرب القدامى الذي نص على السياق والمقام بشر بن المعتمر في صحيفته من خلال نصيحته للأدباء والخطباء قائلاً: "إياك والتوعر فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن اراد معنا كريما فليتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف"⁴⁰ فلعله في هذا القول ينص على انتقاء الألفاظ التي تستلزم انتقاء المعنى ثم يتطرق بعدها إلى مراعاة المعطى الاجتماعي قائلاً: "إنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامي والخاص فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف

³⁶ الباقلاني، إعجاز القرآن، ت أحمد صقر، 118/117.

³⁷ الجاحظ، البيان والتبيين، ت عبد السلام محمد هارون، ج 2، ص 8.

³⁸ فيصل الأحمر، الدليل السيميولوجي، ص 18.

³⁹ المرجع السابق، ص 22.

⁴⁰ الجاحظ، البيان والتبيين، ت عبد السلام محمد هارون، ج 1، ص 136.

مداخلك واقتدارك على نفسك على أن تفهم العمدة المعاني الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسعة التي لا تلتطف عن الدهماء ولا تجفوا عن الإكفاء فأنت البليغ التام"⁴¹، حيث لا يكتفي بشر بن المعتمر بهذا المعطى الاجتماعي بين طبقات المستمعين وعلاقتهم مع الباعث بل يتعداه إلى أمر آخر وهو الفوارق الفطرية والعقلية قائلا: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار تلك الحالات"⁴² ثم يتطرق إلى معطى آخر نعي به الجانب النفسي للسامع قائلا في ذلك: "للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا إلى الاستقلال والملا ل فذلك الفاصل هو الهذر وهو الخطل وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيونه"⁴³، وهذه الفوارق الفطرية نص عليها الجاحظ هو الآخر قائلا: "ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم"⁴⁴، والجاحظ من الأوائل الذين تحدثوا عن شروط ينتفع بها الخطيب أو الباث والمرسل والتي منها: "أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفها كل التصفية حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا"⁴⁵

ومن علماء العرب القدامى الذين أشاروا إلى المقام أيضا ابن قتيبة الذي يرى: "لكل مقام مقال ولو كان الإيجاز محمودا في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن الكريم ولم يفعل ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذفها تارة للإيجاز وكرره تارة للإفهام"⁴⁶ كذلك ابن بسام ركز على المقام في الدورة الخطابية بين المرسل والمرسل إليه قائلا: "وكما أن لكل مقام مقال مقالا، فكذلك لكل عصر بيان ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة، وضرب من البلاغة ولا يوافقها غيره، ولا تهمش سواه، فكما أن للدنيا دولا وكذلك للكلام نقل وتغاير في العادة"⁴⁷،

ابن قتيبة مثل الجاحظ فصل اعتبارات المقام آخذا ذلك من الواقع عند العرب قائلا في ذلك: "فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاما في نكاح أو حمالة أو تحضيض أو صلح أو ما أشبه ذلك لم يأت له

⁴¹ المصدر السابق، ج1، ص136.

⁴² المصدر السابق، ج1، ص138/139.

⁴³ المصدر السابق، ص99.

⁴⁴ المصدر السابق، ص93.

⁴⁵ المصدر السابق، ص92.

⁴⁶ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، ت محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1982، ص19.

⁴⁷ ابن بسام علي الشنترين، الذخيرة في محاسن الجزيرة، ت إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، ج1، ص237.

من واد واحد بل يفتن فيختصر تارة إرادة التخفيف ويطيل تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين ويشير إلى الشيء ويكن عن الشيء وتكون عنايته بالكلام على حساب الحال وقدر الحفل، وكثرة الحشد وجلالة المقام⁴⁸، كما قدم ابن تيمية نصائح للكاتب، حيث تتمثل هذه النصائح في مراعاة المقام: "فينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضع الكلام"⁴⁹. الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم راعى القدرات والفوارق العقلية في مخاطبة العرب، وفي مخاطبة بني إسرائيل وكذلك فعل نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا الذي ذكره الجاحظ لما قال: "الله سبحانه وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكا عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام"⁵⁰ فالعرب قديما قالت: القتل أنفى للقتل⁵¹، لأنه إذا قتل القاتل امتنع غيره من التعرض للقتل وجاء القرآن الكريم وخاطبهم بهذه الإشارة "ولكم في القصص حياة يا أولي الأبصار"⁵² وانظر كيف خاطب الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل في القتل بإطناب مراعاة لعقولهم: "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا"⁵³

فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان إذا كتب إلى فارس سهل اللفظ وإذا كتب على قوم من العرب فخم وأجزل"⁵⁴ حيث نعرز ما ذهبنا إليه آنفا بكلام ابن بسام: "... فكذلك لكل عصر بيان ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة، وضرب من البلاغة، ولا يوافقها غيره ولا تهمش سواه فكما أن للدنيا دولا وكذلك للكلام نقل وتغاير في العادة"⁵⁵. فالله سبحانه وتعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم قد راعا المقام والظروف والفوارق الاجتماعية والعقلية للشعوب والأمم من أجل نفاذ الخطاب إليهم ووصله إلى عقولهم وقلوبهم والآية الكريمة أصدق دليل على ذلك "لقد وصلنا لهم القول لهم يتذكرون"⁵⁶

⁴⁸ ابن قتيبة، أدب الكاتب، ت محمد الدالي، ص18.

⁴⁹ المصدر السابق، ص18.

⁵⁰ الجاحظ، البيان والتبيين، ت عبد السلام هارون، ج1، ص94.

⁵¹ الجاحظ، الحيوان، ت عبد السلام هارون، ج1، ص94.

⁵² سورة البقرة، من الآية 179.

⁵³ سورة المائدة من الآية 32.

⁵⁴ الجاحظ، الحيوان، ت عبد السلام هارون، ج1، ص94.

⁵⁵ ابن بسام علي الشنترين، الذخيرة في محاسن الجزيرة، ت إحسان عباس، ج1، ص237.

⁵⁶ سورة القصص، من الآية 51.

الخاتمة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد على توفيقه لنا في إتمام هذا البحث المتواضع حيث مما سبق ذكره وتحليله نستنتج أن نظرية التواصل " التبليغ " متأصلة ومتجذرة في البحث العربي عند القدامى من خلال اهتمامهم بالخطاب وعناصر الخطاب " الباث، المتلقي، الرسالة " وقد سبق العرب القدامى اللسانيين الغربيين في تعريف اللغة، الدليل اللغوي، " اللفظ، المعنى، الدال، المدلول " والعلاقة بينهما حيث شبهها بالماء والإناء والجسم والروح، أو دوسوسير فقد شبهها بالعملة النقدية " الوجه، القفى " وقد اهتم العرب بالدورة الخطابية وما يناسبها حيث اعتنوا بالألفاظ من السهولة والجزالة والسبك وتجنب ما يعيق الفهم والإفهام كون المعاني موجودة في ذهن كل متكلم وإنما الشأن في اختيار اللفظ واستقامة الوزن وحسن الإفهام.

تفطن العرب قديما إلى الظروف والمعطيات الخارجية التي تؤثر في الدورة الخطابية وكذلك القدرات والفوارق العقلية المتمثلة في السياق والمقام من خلال الحديث عن شروط الخطيب الناجح والكاتب الناجح وكذلك ما ينبغي توفره عند السامع من عدم الملل والضيق وهذا الذي تحدث عنه اللسانيين الغربيين أمثال تشومسكي وغيره وفي الأخير يمكننا القول بأن العرب القدامى قد احتفظوا بنظرية التواصل بأتم وأكمل المعايير التي نظر عليها أصحاب اللسانيات المعاصرة.

- قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 2- ابن بسام علي الشنترين، الذخيرة في محاسن الجزيرة، ت إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، ب ت.
- 3- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت محمد علي النجار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 1995. سر صناعة الإعراب، ت حسن صنداوي، دار القلم، ط2، لبنان، 1993.
- 4- ابن خلدون، عبد الرحمان محمد، المقدمة، تحقيق المستشرق الفرنسي أم كاترمير، عن مطبعة باريس، 1958، مكتبة بيروت، لبنان، 1992.
- 5- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت محمد بن علي الجبلاني، المكتبة التوفيقية، ط1، القاهرة 2013.
- 6- ابن فارس، أبو الحسن أحمد زكرياء، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ت أحمد حسن الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1991.
- 7- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، ت محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992.

- 8- ابن وهب الكاتب، أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، البرهان في وجوه البيان، ت أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، بغداد 1961.
 - 9- أندريه مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة سلسلة العلوم والمعرفة، دار الأفاق، ت سعدي زبير، الأبيار الجزائر.
 - 10- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، ت أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط1، 1987.
 - 11- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، ت عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت 1955.
 - الحيوان، ت عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، لبنان 1950.
 - الرسائل، ت عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1، 1991.
 - 12- دوسوسير فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيب، أفريقيا الشرق، المغرب، 1987.
 - 13- عبد الحكيم بليغ، أدب المعتزلة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، ط2، 1969.
 - 14- عبد السلام المسدي، المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين، الحوليات، عدد 13، 1976.
 - 15- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، ت محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، القاهرة، 1952.
 - 16- طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1981.
 - 17- فيصل الأحمر، الدليل السميولوجي، دار الأملية للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة، الجزائر، 2011.
 - 18- محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، صيدا بيروت لبنان، 2012.
- المصادر الأجنبية:

1981 Edward sapir language newyork har court-1

الملخص:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن مستوى الاغتراب الوظيفي من خلال أبعاده (الانعزالية، اللامعيارية، الغربة عن الذات، نقص المعرفة، التشاؤم) لدى الأتذة بثانوية سيدي ابراهيم لولاية عنابة، التعرف على الاختلافات الموجودة في مستوى الاغتراب الوظيفي تبعا لكل من متغير الجنس و السن و الأقدمية، وقد تم إتباع المنهج الوصفي ولغرض جمع البيانات تم بناء استمارة، طبقت على عينة قوامها 55أستاذ وأستاذة، أختيرت بطريقة مقصودة عن طريق الحصر الشامل، ولمعالجة البيانات المجمعة تم استخدام النسب المئوية والمتوسط الحسابي واختبار مربع كاي وأسفرت النتائج على وجود مستوى منخفض للاغتراب الوظيفي من حيث بعدي الغربة عن الذات و التشاؤم ومستوي متوسط للاغتراب الوظيفي من حيث بعد نقص المعرفة والانعزالية واللامعيارية لأساتذة التعليم بثانوية سيدي إبراهيم لولاية عنابة، ووجود اختلافات في مستوي الاغتراب الوظيفي تبعا لمتغير الجنس والسن والأقدمية.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب الوظيفي، الغربة عن الذات، التشاؤم، نقص المعرفة، الانعزالية، اللامعيارية أساتذة التعليم الثانوي.

Summary:

The study aims to reveal the level of functional alienation through its dimensions (isolation, non-normativeness, alienation from oneself, lack of knowledge, pessimism) among teachers at Sidi Ibrahim Secondary School in Annaba Province, and to identify the differences in the level of functional alienation according to the variables of gender, age, and seniority. The descriptive approach was followed, and for the purpose of collecting data, a questionnaire was constructed and applied to a sample of 55 male and female professors. It was chosen in an intentional way through a comprehensive inventory, and to process the collected data, percentages, arithmetic mean, and the Chi-square test were used. The results resulted in a low level of job alienation in terms of the dimensions of alienation from oneself and pessimism, and a medium level of job alienation in terms of the lack of knowledge, isolation, and non-normative dimensions for secondary school teachers. Sidi Ibrahim for the state of Annaba, and there are differences in the level of occupational alienation according to the variables of gender, age and seniority.

Keywords: job alienation, alienation from oneself, pessimism, lack of knowledge, isolation, non-standardization, secondary education teachers.

1- المقدمة:

نظرا للتطورات التكنولوجية التي مست مختلف الميادين الحياتية لاسيما منها مجال التعليم أصبحت المؤسسات التربوية تعيش ظاهرة الاغتراب الوظيفي. أمام التغيرات المفاجئة على أساليب التدريس ومناهجه، سبب ذلك ضغط نفسي للأستاذ بشأن الظروف الغامضة والمعقدة التي دخلت حياته المهنية، فأصبح يعاني من مظاهر مختلفة من الاغتراب الوظيفي والمتمثلة أساسا في العزلة، الغربة عن الذات، نقص المعرفة اللامعيارية، التشاؤم وغيرها من المظاهر الأخرى، هاته الأخيرة جعلت الأستاذ يعاني من صعوبة في تكوين علاقات مع زملائه في العمل ويفقد الانتماء للوظيفة والمنظمة التي يعمل بها. ففقدان الشغف والانتماء ناتج عن اعتقاده بأن وجوده في المؤسسة وما يقوم به فيها لا قيمة له، فالشعور بالاغتراب الوظيفي له آثار سلبية على أداء الفرد العامل وعلى انتمائه خاصة عندما يكون في مستوى مرتفع . عليه جاءت دراستنا لتشخص مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم ومنه تمحورت إشكالية دراستنا في التساؤلات التالية:

- ما مستوى الإغتراب الوظيفي بأبعاده الخمسة (الانعزالية، اللامعيارية، الغربة عن الذات، نقص المعرفة، التشاؤم) لدى أساتذة التعليم الثانوي بثانوية التقنية لولاية عنابة؟
- __ هل توجد إختلافات في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بثانوية التقنية لولاية عنابة تبعا للمتغيرات الشخصية (الجنس، السن، الأقدمية)؟

2- الفرضيات :

1-2- الفرضية الأساسية :

- مستوى الإغتراب الوظيفي بأبعاده (الانعزالية، اللامعيارية، الغربة عن الذات، نقص المعرفة، التشاؤم) مرتفع لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة .

2-2- الفرضيات الصفرية :

- __ لا يوجد إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة تبعا لمتغير الجنس.
- __ يوجد إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة تبعا لمتغير السن.
- __ لا يوجد إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة تبعا لمتغير الأقدمية.

3-أهداف الدراسة : تهدف الدراسة إلى :

- الكشف عن مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة الثانوية التقنية بولاية عنابة.
- التعرف على الاختلافات الموجودة في مستوى مظاهر الاغتراب الوظيفي تبعا لمتغير الجنس والسن والأقدمية.

4- ضبط المفاهيم الإجرائية للدراسة

- 4-1- الاغتراب الوظيفي : نقصد به هو حالة نفسية يعاني منها العامل ويشعر بعدم الصلة بالواقع المهني المعاش بحيث يؤدي هذا الانفصال إلى عدم قدرته على إعطاء إضافة إلى عمله وتظهر في صورة مظاهر ومن أبعاده:
- 4-2- التشاؤم : نقصد به كل توقع سلبي لأي حدث بحيث تجعل الأستاذ ينتظر الأسوأ و يتوقع الفشل و الخيبة و الخسارة في عمله.
- 4-3- الانعزالية: ونقصد بها فقدان الأستاذ القدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع زملائه و الانفصال عنهم و تبني عادات مخالفة لهم.
- 4-4- اللامعيارية: نقصد بها اختلاف المبادئ والمعايير التي تنظم سلوك الأستاذ و توجهه
- 4-5- الغربة عن الذات : نقصد بها إحساس الأستاذ و شعوره بالابتعاد عن ذاته.
- 4-6- نقص المعرفة : نقصد بها هي صعوبة التحكم والتعامل مع الوسائل التكنولوجية الحديثة.

5- الدراسات السابقة :

5-1- الدراسات العربية :

- دراسة العسال رنا (2009) بعنوان " الإغتراب الوظيفي لدى معلمي المدارس الثانوية العامة في الأردن من وجهة نظر مدري مدارسهم " جامعة عمان العربية للدراسات العليا، هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الإغتراب الوظيفي لدى معلمي المدارس الثانوية العامة في الأردن من وجهة نظرهم وعلاقته بأدائهم الوظيفي من وجهة نظر مديري مدارسهم كما هدفت إلى بيان أثر كل من الجنس و الإقليم في متغير الإغتراب. إشتملت عينة الدراسة على 110 مديرا و مديرة، و حوالي 330 معلما و معلمة تم إختيارهم بالطريقة العشوائية الطبقية. توصلت الدراسة للعديد من النتائج كان أهمها أن هناك مستوى متوسطا من الإغتراب الوظيفي لدى أفراد العينة، وتبين أن الإغتراب لدى الذكور كان أكثر منه لدى

الإناث. أما متغير الإقليم فإن معلمي إقليم الوسط أظهروا إغترابا وظيفيا أكثر من معلمي إقليم الشمال و الجنوب في مجال فقدان السيطرة فقط.(العسال رنا،2009)¹

- دراسة منصور بن زاهي(2007) بعنوان " الشعور بالإغتراب الوظيفي و علاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات دراسة ميدانية شركة سوناطراك بالجنوب الجزائري "

هدفت الدراسة إلى محاولة تعرف مستوى الشعور بالإغتراب الوظيفي الذي تميز به الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات الجزائري. وكذا مستوى الدافعية للإنجاز لديهم، بلغت عينة الدراسة 231 إطارا من الإطارات الوسطى العاملة بقطاع المحروقات الجزائري، حيث شملت الدراسة على أبعاد الإغتراب الوظيفي وهي العجز، الإنعزالية، اللامعيارية، الارضا، التشاؤم، اللامعنى. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن مستوى الشعور بالإغتراب الوظيفي كان أقل بقليل عن المتوسط لدى أفراد العينة و أن مستوى الدافعية للإنجاز كان مرتفعا جدا لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات.²

5-2-الدراسات الأجنبية :

- دراسة فانسو روسو وآخرون (2001) حول: علاقة الإغتراب الوظيفي بدور الجماعات غير الرسمية كان هدف الدراسة هو البحث عن ما إذا كانت هناك علاقة بين مختلف أبعاد الإغتراب الوظيفي المتمثلة في (الإنفصال النفسي، الشعور بالعجز، اللامعنى، اللامعيارية) و الإنتماء إلى جماعة غير رسمية، و أجريت هذه الدراسة على عينة قوامها 217 عامل من مختلف قطاعات العمل و قد أكدت النتائج أن العمال الذين ينتمون إلى جماعات غير رسمية أقل انفصال نفسي و أقل شعور بالعجز مقارنة بالأعضاء الذين لا ينتمون إلى جماعات العمل غير رسمية.

- دراسة شارل بيرو و آخرون(1998)، قام شارل بيرو وآخرون بقياس العلاقة بين الإغتراب الوظيفي و الخبرة داخل الجماعة غير الرسمية، لدى عينة قوامها 182 عامل من منظمة "كيك" بكندا و كان الهدف من هذه الدراسة هو إستكشاف العلاقة الممكنة بين الإغتراب الوظيفي و الخبرة داخل الجماعة و الإنتماء إلى جماعة غير الرسمية، و قد إنطلقت من فرضية أن الشعور بالإنتماء إلى جماعة غير رسمية يقلل من درجة شعور العامل بالإغتراب الوظيفي، و قد أكدت كذلك نتائج الدراسة أن هناك علاقة سلبية بين الشعور بالإغتراب الوظيفي و الخبرة داخل الجماعة غير الرسمية.

¹ - العسال، رنا: الإغتراب الوظيفي لدى معلمي المدارس الثانوية العامة في الأردن من وجهة نظرهم و علاقته بأدائهم الوظيفي من وجهة نظر مديري مدارسهم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان (2009)

² - منصور بن زاهي: الشعور بالإغتراب الوظيفي و علاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، قسنطينة، الجزائر 2007

- الإطار النظري

1- مفهوم الإغتراب

- لغة

يبين المنجد الأبجدي أن الإغتراب يعني التباعد، الغياب، النزوح، الاختفاء، و تتفق على أنه حالة شعورية يمر بها الفرد نتيجة تغيير المكان الذي يعيش فيه.³

- اصطلاحا

الاغتراب الوظيفي :

- حسب كارل ماركس، فقد إستخدم مفهوم الإغتراب في كتاباته الدينية والسياسية إلا أن تركيزه على استخدام هذا المصطلح كان في تحليلاته الاقتصادية، خاصة ما يتعلق منها بمجال تحليل العمل وقد أرجع أسباب الاغتراب إلى أن بعض الأفراد يغتربون عن أعمالهم لأسباب موضوعية كامنة في علاقات الإنتاج ونسق السيادة الطبقي مما يؤدي إلى انفصالهم عن العمل و الإنتاج، كما يؤدي إلى إغترابهم عن الطبيعة و عن ذاتهم.⁴

- وعرفه "روسو": أن تغترب يعني أن تعطي أو أن تبيع، فالإنسان الذي يصبح عبدا لآخر لا يعطي ذاته و إنما يبيعها على الأقل من أجل بقاء حياته وهذا التعريف يصور تمايزا بين مفهوم العطاء وبين البيع.⁵

- وعليه فقد إستخدم مصطلح الاغتراب بمعنى حالة الانفصال بين الفرد والموضوع و بين الفرد و الأشياء المحيطة به، و بين الفرد و المجتمع، مما يعني أن علاقة الفرد بالأشياء أو بالموضوع علاقة غير سوية، فهو يعيش بين أهله و في مجتمعه و لكن في دائرة الغربة و الانفصال، إنه يعيش في عالم مجرد من القيم لدرجة أنه لا يرفض الحياة فقط بل يعاديهها، فيدخل الفرد إلى عالم الانتماء و يفقد الحس و الوعي.

- أما "خيرى حافظ" (1980): يقول إنه شعور بعدم الإنتماء و السخط و القلق و ما يصاحبه ذلك من الشعور بفقدان المعنى و اللامبالاة و مركزية الذات و الإغتراب الإجتماعي و ما يصاحبه من أعراض إكلينيكية.

- ويرى عزام 1997 أن الإغتراب المهني يدور في محورين رئيسيين هما سلوك العاملين و إتجاهاتهم نحو الخيارات و الفرص المتاحة لهم من قبل الأنظمة العمالية و مدى إستعدادهم لمحاولة تبديل ما لا يرضون عنه و من تلك الخيارات و الفرص الوظيفية المطروحة في تلك المجتمعات.

³ - المنجد الأبجدي: لويس معلوف اليسوعي، دار النشر دار المشرق، الطبعة الخامسة 1986، لبنان ، ص 110

⁴ - أبو عبد الله مجدي: الإغتراب و علاقته ببعض المتغيرات السمات الشخصية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2001، ص 38.

⁵ - مراد وهيبة: الإغتراب والوعي الكوني ، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلة 10 عدد 1، 1979، ص 56

- ويرى أحمد عزت راجح أن الإغتراب المهني هو شعور الفرد بالإغتراب عن عمله فينشأ حين لا يجد الفرد لشخصيته صورة في عمله، حين يشعر أن العمل قد سلبه شخصيته وجرده من حريته وقدرته على الابتكار، أما إغتراب الفرد عن نفسه فيبدو في شعوره أنه أصبح مسلوب الحرية والإرادة.⁶

- إرتكز مفهوم الإغتراب المهني في دراسات الإغتراب على فكرة الفاعلية الوظيفية بمعنى شعور الفرد بمدى قدرته على التأثير في مجريات العمل الذي يمتنه سواء على مستوى القرار الوظيفي أو مستوى الأحداث الناتجة عنه في المجتمع الذي يعيش فيه و على هذا الأساس أعتبر الفرد الذي يشعر بضالة الفرص أمامه للتأثير على هذه العملية في المجتمع بأنه مغترب وظيفيا.⁷

2- العوامل المؤدية للإغتراب الوظيفي

تتنوع العوامل المؤدية للإغتراب الوظيفي بين العاملين في المنظمة وإن كانت في الغالب تعود لعاملين رئيسيين هما:

2-1- العوامل التي تعود إلى المنظمة

- **المكننة والأتمتة:** يذكر "شتا" أن الثورة التكنولوجية ساهمت في إنتشار ظاهرة الإغتراب بين العاملين في المنظمة الإنتاجية و الخدماتية على حد سواء، و ذلك نتيجة لهيمنة الأتمتة و أجهزة الحاسوب و الأجهزة الإلكترونية على العمل اليومي، فظهر هذا الخطر التكنولوجي و كأنه مهدد للعلاقات الإنسانية و مثير للأمراض و المشاكل النفسية، فبعدها كان الحرفيون و المهنيون و الإداريون سادة على أجهزتهم و مكاتبهم أصبحوا خدما لها خاضعين لإرادتها.⁸

- **الخلل في تقارير كفاية الأداء:** تفتقر تقارير الأداء السنوية للموظفين إلى الأسس الموضوعية لإعتمادها في الغالب على تقارير فردية من جانب المشرفين مما يجعلها تتأثر بالاعتبارات و الأهواء الشخصية، و يؤثر في النهاية على حسن العلاقات الوظيفية التي ينبغي أن تقوم بين الموظفين و بين الإدارة.⁹

- **ضعف الفعالية الإدارية:** إن عدم فعالية الإدارة تؤدي إلى عدم قدرتها على أداء المطلوب منها، و بالتالي التفكير في إعادة بناءها على مبادئ الإدارة السلوكية بأن تأخذ بعين الاعتبار العمل الواجب أدائه و المهارات التي تحتاجها لأداء العمل لتصبح قادرة على مجاراة الخطى السريعة للتطور التقني و لتحتمل كافة

⁶ - أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، الطبعة العاشرة، الكتاب المصري الحديث، الإسكندرية، مصر 1996، ص16

⁷ - عزام إدريسي : الإغتراب السياسي لدى المتعلمين الشباب و علاقته ببعض المتغيرات، مجلة جامعة دمشق، مجلة 13، عدد2، سوريا 1999

⁸ - الكبيسي عامر، خضير حميد : سيكولوجية التدريب (الإستراتيجيات و التقنيات و الإشكاليات)، مركز الدراسات و البحوث، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ص16.

- الغمري إبراهيم: السلوك الإنساني في الإدارة الحديثة، دار الجامعات المصرية، القاهرة، مصر، 2002، ص57.

مسؤولياتها و لن يتحقق لها ذلك إلا إذا كانت شروحات ووصف العمل تسمح للكل بالمشاركة في صنع القرارات التي تؤثر به و تتعلق بعمله.¹⁰

- **ضعف نظام الخوافز:** إن عدم وضوح نظام الخوافز أو خضوعه للمجاملات و العلاقات الشخصية بين الموظفين و القيادات العليا و المباشرة يعتبر أحد العوامل المؤدية للإغتراب الوظيفي لأن الموضوعية في تطبيق نظام الخوافز شرط لنجاحها، و مستوى الإغتراب الوظيفي بشكل عام يتأثر بغياب الخوافز لا سيما أن هناك عددا من النظريات و الدراسات التي سعت إلى معرفة العلاقات بين الإغتراب الوظيفي والخوافز، و عموما قد لا يكون الإغتراب ناتج من العمل بذاته بل قد يكون الإغتراب ناتج عن الظروف المحيطة بالعمل و الزملاء في العمل و بيئة العمل و نوعية الخدمات.

- **الإحتفاظ بالمعلومات:** إن من أخطر الآثار السلبية في مواقع العمل الإحتفاظ بالمعلومات و الخبرات و عدم نقلها للعاملين و الصف الثاني من القيادات، و كذلك وجود القيادات و المشرفين و العاملين و أصحاب الخبرات الطويلة في العمل، ممن يحتفظون بمعلوماتهم و لا يقومون بدورهم التدريبي لمن يعملون معهم، و قد يكون السبب وراء الإحتفاظ بالمعلومة و الخبرات خوف صاحب الخبرة من الإستغناء عن خدماته أو نقله إلى مكان آخر إذا وجد من يقوم بعمله، و قد أثبتت جميع التجارب الميدانية أن كل النظم و القوانين و الفلسفات لم تنجح في علاج هذه المشكلة و تغيير هذا السلوك.

- **عدم إستعمال عوامل التحفيز:** من أهم مظاهر الإلتزام هو إندفاع العاملين في العمل، والذي يعتبر مظهرا صحيا وحيويا من مظاهر العمل الجيد لتحقيق الأهداف المحددة من قبل إدارة المؤسسة. وأهم مظاهر المهبوط في المعنويات والإحباط و الإستياء لدى العاملين هي:

- عدم وجود الهمة و النشاط في العمل، عدم التعاون بين العاملين، عدم المحافظة على الدوام الرسمي الشكوى و التذمر المستمر من العمال، عدم إحترام مواقيت إنجاز الأعمال،

عندما تنحرف الأمور عن مسارها الطبيعي في العمل غالبا ما يتخذ البعض مواقف وردود أفعال تدل على سخطهم و إستيائهم فضلا عن التهكم و السخرية مما يدل على إحباطهم و إغترابهم و المشكلة أنهم قد يجرون عدد كبير من أقرائهم إلى دائرة الإحباط و عند ذلك يكون من الصعب إحياء معنوياتهم و تحسين أدائهم.¹¹

- **العمل في مواقع منفصلة:** إن العمل في أماكن منفصلة لمؤسسة واحدة من شأنه أن يؤدي إلى شعور العاملين بعدم المساواة نتيجة لوجود مميزات لبعض المواقع لا تتوفر للبعض مثل: الخوافز و البدلات و أوقات

¹⁰ - سناء حامد زهران: إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر و معتقدات الإغتراب، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، مصر،

2004، ص98.

¹¹ - أحمد إبراهيم: الإدارة في الإسلام، عالم الكتاب، القاهرة، مصر 1991، ص59.

و ساعات العمل و وجود بعض الجوانب السلبية في الأماكن التي تبعد عن الإدارة المركزية مثل: عدم ملائمة ظروف العمل (التهوية و الإضاءة و الحرارة....). كذلك عدم متابعة مشكلات العاملين في المواقع البعيدة بنفس درجة أقرائهم الموجودين في الموقع الرئيسي أو الفروع القريبة منه.¹²

- عدم ظهور دور الفرد: يتعرض العامل لعدد كبير من المواقف داخل المنظمة التي يعمل بها، هذه المواقف قد تدفعه إلى إتخاذ موقف ما. إذا ما تضمنت تهديدا حقيقيا بالنسبة لوجوده أو لسعادته المادية و المعنوية، فإذا ما شعر العامل أن دوره في المنظمة التي يعمل بها يتعرض للتعتيم من طرف بعض العاملين بقصد أو دون قصد، فإن ذلك من شأنه أن يعرض العامل لمجموعة من مثيرات الإنفعال التي تتناوبه مثل: الخوف، الغضب، الضيق، هذه العمليات الفيزيولوجية من شأنها أن تعرقل وظائف الجسم و من ثم تساعد على إنتشار الإغتراب في إحدى صوره لدى العامل.

- ضعف مستوى التدريب إن ضعف مستوى تدريب الموظفين بوجه عام و رفع مستوى كفايتهم و إنتاجهم من أهم العوامل المؤدية إلى الإغتراب الوظيفي، فالفرد يقوم بالتعلم إذا إشتدت لديه حاجة يريد إشباعها، معنى الرغبة في إشباع الحاجة وجود مشكلة أو أكثر ستلزم حلولا، و يعتبر كسب العيش مشكلة و كثيرا ما يجابه القادة في مستويات الإدارة الثلاث مشاكل يستعصي عليهم حلها، بالمحاولة و الخطأ يصلون إلى الحل و العلاقة بين المحاولة و الخطأ و ذكاء المتعلم علاقة طردية فإذا زاد ذكاء المتعلم زادت قدرته على التعلم بالبصيرة و كذلك تزيد قدرته بزيادة خبراته و زيادة عمره.¹³

2-2- العوامل التي تعود إلى الفرد

- الخوف و عدم الأمن الوظيفي: يعرف (ثروب كاتز) الخوف على أنه إنفعال تثيره المواقف الخطرة أو المندرة بالخطر و التي تصعب على المرء مواجهتها أي أنه إنفعال مصاحب لغريزة الهرب. إن شعور العاملين بالخوف و عدم الأمن الوظيفي يؤدي حتما إلى محاولتهم الهروب من تلك المشاعر و الإنفعالات، كما أن تشتت الجهود المبدولة أثناء وقت الدوام الرسمي من شأنه أن يؤدي إلى إنتشار الإغتراب الوظيفي بين العاملين بالمنظمة.¹⁴

-نقص الكفاءة: إن نقص كفاءة العاملين في المنظمة من شأنه أن يؤدي إلى إنخفاض الأداء الوظيفي بين العاملين. حيث يسعى كل منهم إلى محاولة إرجاع أسباب ضعف أدائه إلى ظروف خاصة بالمنظمة التي يعمل بها. ونتيجة لنقص الكفاءة فإن بعض العاملين يلجئون إلى الغياب عن العمل، كما ينصرف البعض منهم قبل الدوام، و أيضا يكثر الصراع بين العاملين و هذا يمثل وجها من أوجه الإغتراب الوظيفي.

¹² - السباعي زهير أحمد، عبد الرحيم شيخ إدريس: القلق و كيف تتخلص منه، دار القلم، دمشق سوريا 1996، ص 98.

¹³ - البطري أحمد إبراهيم: القيادة و فاعليتها في الإسلام، المكتب الجامعي، الإسكندرية، مصر 2001

¹⁴ - عبد الرحمان محمد العيسوي: دراسات في علم النفس الإجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1997 87.

- قيم و اتجاهات العاملين: قد ينجم الإغتراب الوظيفي من عدم ملائمة قيم العمل، ضوابطه و أهدافه مع قيم الفرد و اتجاهاته و أهدافه، أي أن الهدف الذي يتجه عمل الفرد نحوه غير مرغوب فيه و أن محيط العمل في أجوائه لا يعطيه ما يستحقه من إهتمام، و أن حاجات الفرد و رغباته لا تحظى بالرعاية بل لا تستشعر من قبل الآخرين.¹⁵

- ضعف الإيمان: ذكر القرآن الكريم الإيمان مقرونا في أكثر من تسعين آية من آياته، و لذا نرى المؤمن الفعلي هو الذي يندفع للعمل بحافز من نفسه و باعت ذاتي مصدره الإيمان بالله و رسوله صلى الله عليه و سلم و المؤمن الحق هو الذي يتيقن بأن النجاح في الدنيا متوقف على العمل و أن الجنة في الآخرة ليست لأهل البطالة و الكسل بل لأهل الجد و العمل و الإتقان، قال الله تعالى " و تلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون" (سورة الزخرف الآية 72)

- اليأس و الإستسلام للفشل: إن عدم الإعتماد على النفس و الثقة و المقدرة على العمل، و عدم مواصلة العمل يجعل سلوك الإنسحاب و السلبية في ميادين العمل ظاهرة سيئة و مدمرة في مواقع الإنتاج و في الحياة. إن العامل قد يمر بتجربة فاشلة في عمله، وليس معنى ذلك الإستسلام للفشل لأنه يحطمه و يدخله اليأس في قلبه ولكن عليه أن يحاول مرة أخرى لأنه من السهل جدا أن يحقق ما يريد بتكرار المحاولة. إن الإستسلام للتخلف و عدم تصحيح الخطأ له أثر سلبي ينعكس على العامل و بالتالي على العمل، إن اليأس و الإستسلام والفشل هي إحدى العوامل الرئيسية لظاهرة الإغتراب الوظيفي الذي بدأت تعرف طريقها إلى مجتمعاتنا.¹⁶

- الكبت و اللاوعي: إن الأعراض النفسية و الفيزيولوجية للكبت و اللاوعي تتمثل في القلق و التوقع السيء و التحفز دون أن يكون هناك سبب لذلك مع سهولة الإشتارة العصبية و عدم الإستقرار الحركي و الأرق و الملاحظة على العامل الذي يعاني من الكبت عدم قدرته على أداء العمل الذي يمارسه بحيوية و نشاط و هذا من شأنه أن يساعد على إغترابه عن العمل الذي يمارسه سواء كان يدويا أو فكريا.

- الإنطوائية و الإنعزالية: إن العامل الإنطوائي و الإنعزالي هو الذي ينتابه شعور بالغرابة و الإنعزال عن التيارات السائدة في المؤسسة التي يعمل بها، و من ثم فهو لا يشعر بالإنتماء إلى هذه المنظمة، أو إلى المجتمع الذي يعيش فيه و هذا النوع من العاملين يعاني الإغتراب النفسي الذي يؤثر على سلوكه داخل المنظمة.¹⁷

¹⁵ - الكبيسي عامر، خضير حميد: (مصدر سابق)، ص 45.

¹⁶ - الغمري إبراهيم : مصدر سبق ذكره، ص 87.

¹⁷ - الزغل علي: الشباب و الإغتراب، مجلة مؤتة للبحوث و الدراسات، مج 2، عدد 2، الأردن 1990، ص 77.

3- مظاهر الإغتراب الوظيفي

- الإحساس بالعجز (powerlessness): إحساس المرء أن مصيره و إرادته ليسا بيده بل تحددهما قوى خارجة عن إرادته الذاتية، ومن ثم فهو عاجز تجاه الحياة و يشعر بحالة من الإستسلام و الخضوع.
- الإحساس باللامعنى (meaninglessness): إحساس الفرد أن الحياة لا معنى لها و أنها خالية من الأهداف التي تستحق أن تحيا و أن يسعى من أجلها.
- الإحساس باللامعيارية (normlessness): إحساس الفرد بالفشل في إدراك و فهم و تقبل القيم و المعايير السائدة في المجتمع و عدم قدرته على الإندماج فيها نتيجة عدم ثقته بالمجتمع و مؤسساته المختلفة.
- العزلة الإجتماعية (social isolation): إحساس الفرد بالوحدة و محاولة الإبتعاد عن العلاقات الإجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه.
- الإغتراب الثقافي (cultural estrangement): حين يعاني المرء صراعا قيميا كما يتجلى في حالات التمرد لدى بعض الشباب و فئات من المثقفين على المجتمع و مؤسساته و تنظيماته.
- الغربة عن الذات (soft estrangment): إحساس الفرد و شعوره بتباعده عن ذاته و يمثل هذا البعد النتيجة النهائية للأبعاد الأخرى.¹⁸

- الإجراءات الميدانية للدراسة

1- المجال المكاني للدراسة:

أجريت الدراسة الميدانية بالثانوية التقنية (عنابة) والتي تقع وسط المدينة بنهج بن وهيبة محمد رقم 44، تعتبر من أعرق الثانويات عبر القطر الوطني، أطلق عليها إسم الشهيد محمد الصالح هاشمي راشدي 01 نوفمبر 2002، و قد فتحت أبوابها سنة 1944، أين كانت تستقطب التلاميذ من مختلف ولايات الشرق في نمط التعليم الثانوي التكنولوجي و التقني تستقبل كل مطلع سنة التلاميذ الوافدين من متوسطة ماكس مارشان و متوسطة شايب عمارة/سيبوس، في نمط التعليم الثانوي العام و التكنولوجي.

2- المجال الزمني للدراسة:

امتدت الدراسة في الفترة الزمنية مابين 22جانفي 2024 إلى غاية 07فيفري 2024.

¹⁸ - الكندري جاسم : المدرسة و الإغترابالإجتماعي، المجلة التربوية، جامعة الكويت ، العدد 46 ، المجلة 12 ، 1990، ص 66.

3- منهج الدراسة:

تم اتباع المنهج الوصفي حيث يهتم هذا المنهج بوصف وتحليل الظاهرة عن طريق التعبير عنها، ويعرف على أنه دراسة الظاهرة كما هي موجودة في الواقع، دون تدخل متعمد فيها فهو يصف الظاهرة وصفا كيفيا وكما. حيث يعتمد على تحليل المعطيات والنتائج المتوصل إليها في معالجة بيانات الدراسة بأسلوب علمي.

4- مجتمع البحث وعينة الدراسة:

يتمثل مجتمع البحث في أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية في مختلف التخصصات و عددهم 55 أستاذ وأستاذة، وبذلك فقد إعتمدنا على العينة المقصودة عن طريق المسح الشامل لجميع الأساتذة و يمكن توضيح خصائص عينة الدراسة فيما يلي:

جدول رقم (1): يوضح خصائص مفردات الدراسة من حيث متغير الجنس

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية
ذكور	15	27.3%
إناث	40	72.7%
المجموع	55	100%

من خلال الجدول رقم (01) الذي يبين خصائص مفردات الدراسة من حيث متغير الجنس يتضح أن أكبر نسبة تمثلها الإناث، حيث بلغ عددهم 40 أستاذة أي ما يعادل 72.7% ، في حين كان عدد الذكور 15 أستاذ ما يعادل 27.3%.

جدول رقم (2): يوضح خصائص مفردات الدراسة من حيث متغير السن

السن	التكرارات	النسبة المئوية
من 26 إلى 37 سنة	17	30.90%
من 38 إلى 49 سنة	30	54.55%
من 50 إلى 60 سنة	8	14.55%
المجموع	55	100%

من خلال الجدول رقم (02) الذي يوضح خصائص مفردات الدراسة من حيث متغير السن يتضح أن أكبر نسبة من مفردات الدراسة تتراوح أعمارهم ما بين 38 إلى 49 سنة حيث بلغت نسبتهم

54.55%، في حين نجد أن هناك 30.90% منهم تتراوح أعمارهم ما بين 26 إلى 37 سنة، بينما الفئة العمرية ما بين 50 إلى 60 سنة تمثل عدا 14.55%.

جدول رقم (3): يوضح خصائص مفردات الدراسة من حيث حسب متغير الأقدمية

مدة العمل في المنصب	التكرارات	النسبة المئوية
من 1 إلى 10 سنوات	22	40%
من 11 إلى 20 سنة	24	43.64%
من 21 إلى 30 سنة	9	16.36%
المجموع	55	100%

من خلال الجدول رقم (03) الذي يبين يوضح خصائص مفردات الدراسة من حيث متغير الأقدمية يتضح أن: 40%، من مفردات الدراسة لديهم 10 سنوات أقدمية، في حين 43.64% منهم تتراوح مدة أقدميتهم ما بين 11 إلى 20 سنة، و نسبة 16.36% منهم مدة أقدميتهم تتراوح ما بين 21 إلى 30 سنة، أي أن معظم الأساتذة مدة أقدميتهم أكثر من 11 سنة فما فوق.

5- أدوات جمع البيانات:

لغرض جمع البيانات من مفردات الدراسة تم الاعتماد الإستبيان (الإستمارة) لإعتبارها أداة فعالة في جمع المعلومات و الحقائق، و هي عبارة عن بنود أو فقرات تقيس أبعاد الدراسة حيث تناولت الاستمارة محورين: خصص المحور الأول للبيانات الأولية (الديموغرافية) و الثاني لأبعاد الدراسة ،حيث تم بناء إستمارة كانت في صورتها الأولية متكونة من 41 بند و بعد إخضاعها للقياس السوسيومتري (الصدق ،الثبات).توصلت في صورتها النهائية الى 33 بند كما هو مبين في الجدول الموالي:

جدول رقم (4) يبين توزيع النود على أبعاد الدراسة (مظاهر الاغتراب الوظيفي)

الأبعاد	البنود
التشاؤم	1، 2، 3، 4، 5، 6
الإنعزالية	7، 8، 9، 10، 11، 12، 13
اللامعيارية	14، 15، 16، 17، 18، 19، 20
الغربة عن الذات	21، 22، 23، 24، 25، 26، 27
نقص المعرفة	28، 29، 30، 31، 32، 33

8- الأساليب الإحصائية:

تم الاعتماد على الأساليب الإحصائية لمعرفة درجات إجابات أفراد العينة نحو بنود الاستمارة بكل أبعادها وذلك بحساب:

- النسب المئوية %

- المتوسط الحسابي: لحساب مستوى الإغتراب الوظيفي اعتمادا على المجالات التالية :

[1، 1.66] مستوى منخفض، [1.67 ، 2.33] مستوى متوسط، [2.34، 3] مستوى مرتفع.

- كما تم الاعتماد على اختبار كاي² لمعرفة تأثير العوامل الديموغرافية على مظاهر الإغتراب الوظيفي.

- عرض بيانات الدراسة

جدول رقم (5) يبين إستجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث بعد التشاؤم

البنود	دائما		أحيانا		نادرا		المتوسط الحسابي	المستوى
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%		
1	21	38.2	31	56.4	3	5.5	1.67	متوسط
2	0	0	33	60	22	40	1.40	منخفض
3	21	38.2	33	60	1	1.8	1.64	منخفض
4	0	0	22	40	33	60	1.40	منخفض
5	0	0	21	38.2	34	61.8	1.38	منخفض
6	7	12.7	27	49.1	21	38.2	1.58	منخفض
المتوسط الحسابي العام								منخفض

من خلال بيانات الجدول رقم (5) الذي يبين إستجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث بعد التشاؤم يتضح أن مستويا لاغتراب من حيث هذا البعد جاء بمستوى منخفض ، و هذا ما تؤكده قيمة المتوسط الحسابي و المقدرة ب 1.51 ، حيث أن 61.8 % من مفردات الدراسة بينوا أنه نادرا ما يبدو مستقبلهم المهني في المؤسسة غامضا، و 60% أكدوا أنه نادرا ما يشعرون بالإحباط نتيجة عملهم، كما أكد 40% منهم على أنه نادرا ما ينتابهم شعور بأنهم عديمي الفائدة، غير أن 38.2% من مفردات الدراسة بينو أنهم دائما ما يجدون صعوبة في الانتماء للمؤسسة التي يعملون بها، و 38.2% أكدوا أنهم دائما يتناقلون في أداء مهامهم.

جدول رقم (6) يبين إستجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث

بعد الإنعزالية

البنود	دائما		أحيانا		نادرا		المتوسط الحسابي	المستوى
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%		
7	0	0	40	72.7	15	27.3	1.73	متوسط
8	0	0	28	50.9	27	49.1	1.51	منخفض
9	15	27.3	35	63.6	5	9.1	2.18	متوسط
10	2	3.6	38	69.1	15	27.3	1.76	متوسط
11	2	3.6	35	63.6	18	32.8	1.71	متوسط
12	0	0	32	58.2	23	41.8	1.58	منخفض
13	1	1.8	32	58.2	22	40	1.62	منخفض
المتوسط الحسابي العام								متوسط

من خلال بيانات الجدول رقم (06) الذي يبين إستجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث بعد الانعزالية يتبين أن مستوى الإنعزالية جاء بمستوى متوسط و هذا ما تؤكده قيمة المتوسط الحسابي المقدرة ب 1.73 ، حيث أن 72.7% من مفردات الدراسة بينوا أنهم أحيانا ما يشعرون بعدم الإنسجام مع زملائهم في العمل، وأن 69.1% منهم أكدوا أنهم أحيانا ما يشعرون بأنهم وحيدون في مكان عملهم، كما أعربت نسبة 63.6% على أن علاقتهم بزملائهم في العمل رسمية، غير أن 49.1 أكدوا أنهم نادرا ما يشعرون بالضيق عندما يكونون مع زملائهم في العمل، و 41.8 % منهم بينوا أنهم يتجنبون قدر الإمكان التواجد وسط زملائهم.

جدول رقم (7) يبين إستجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث

بعد اللامعيارية

البنود	دائما		أحيانا		نادرا		المتوسط الحسابي	المستوى
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%		
14	1	1.8	32	58.2	22	40	1.62	منخفض
15	4	7.3	26	47.2	25	45.5	1.62	منخفض
16	5	9.1	28	50.9	22	40	1.69	متوسط
17	2	3.6	26	47.2	27	49.1	1.55	منخفض
18	3	5.5	31	56.4	21	38.2	1.67	متوسط
19	6	10.9	32	58.2	17	30.9	1.80	متوسط
20	9	16.4	28	50.9	18	32.7	1.81	متوسط
المتوسط الحسابي العام								متوسط

من خلال بيانات الجدول رقم (07) الذي يبين إستجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث بعد اللامعيارية يتضح أن حيث أن مستوى اللامعيارية جاء بمستوى متوسط و هذا ما تؤكد قيمة المتوسط الحسابي و المقدرة ب 1.68، حيث أن 58.2% من مفردات الدراسة بينوا أنهم أحيانا ما يرون بأن معظم زملائهم مستعدون لأن يكذبوا في سبيل التفوق في العمل، و 58.2% منهم أكدوا أنه أحيانا ما يقومون زملائهم بإستغلال بعضهم البعض لتحقيق نجاحهم، كما أكد 56.8% أنهم أحيانا ما يرون أن طريق في النجاح في العمل هو الاعتماد على الطرق الملتوية، غير أن 49.1% بينوا أنه نادرا ما يؤمنون بوجود معنى للوفاء و الإخلاص، و 45.5% أكدوا أنه نادرا ما تكون لديهم قناعة بأن كل شيء مباح ما داموا يستطيعون تحقيق ما يريدون.

جدول رقم (8) يبين إستجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث بعد الغربة عن الذات

البنود	دائما		أحيانا		نادرا		المتوسط الحسابي	المستوى
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%		
21	3	5.5	33	60	19	34.5	1.71	متوسط
22	1	1.8	24	43.6	30	54.5	1.47	منخفض
23	3	5.5	23	41.8	29	52.7	1.53	منخفض
24	1	1.8	16	29.1	38	69.1	1.33	منخفض
25	2	3.6	16	29.1	37	67.3	1.36	منخفض
26	2	3.6	17	30.9	36	65.5	1.38	منخفض
27	0	0	9	16.4	46	83.6	1.16	منخفض
المتوسط الحسابي العام								منخفض

من خلال بيانات الجدول رقم (08) الذي يبين استجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث بعد الغربة عن الذات، حيث أن مستوى الغربة عن الذات جاء بمستوى منخفض وهذا ما تؤكد قيمة المتوسط الحسابي و المقدرة ب 1.42، حيث أن 83.6% من مفردات الدراسة بينوا أنه نادرا ما يشعرون باللبؤس في العمل، و 69.1% منهم أكدوا أنهم نادرا ما يشعرون بأنهم مسلوبو الإرادة، كما أكد 67.3% من مفردات الدراسة بأنهم أحيانا ما يحسون بفقدان الاهتمام بأنفسهم، غير أن 60% أكدوا أنهم أحيانا ما يشعرون بأنهم أشخاص آخرون غير الذين اعتادوا عليهم، كما بين 43.6% أنهم أحيانا ما يشعرون بعدم الاطمئنان في العمل.

جدول رقم (09) يبين استجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث بعد نقص المعرفة

البنود	دائما		أحيانا		نادرا		المتوسط الحسابي	المستوى
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%		
28	10	18.2	30	54.5	15	27.3	1.91	متوسط
29	11	20	23	41.8	21	38.2	1.82	متوسط
30	9	16.4	23	41.8	23	41.8	1.75	متوسط
31	12	21.8	26	47.3	17	30.9	1.91	متوسط
32	10	18.2	23	41.8	22	40	1.78	متوسط
33	10	18.2	21	38.2	24	43.6	1.75	متوسط
المتوسط الحسابي العام								متوسط

من خلال بيانات الجدول رقم (09) الذي يبين استجابات مفردات الدراسة نحو مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث بعد نقص المعرفة، حيث أن مستوى نقص المعرفة جاء بمستوى متوسط و هذا ما تؤكدته قيمة المتوسط الحسابي و المقدرة ب 1.82، حيث أن 54.5% من مفردات الدراسة بينوا أنه أحيانا اما يجدون صعوبة في مواكبة التكنولوجيا، و 47.3% أكدوا أنهم يجدون صعوبة في عرض الدروس التي تستلزم استخدام POWER POINT ، كما بينت نسبة 41.8% من مفردات الدراسة أنهم يجدون صعوبة في إتمام أي عمل يحتاج للكمبيوتر، غير أن 18.2% منهم دائما ما يرون أنه من الصعب التدريس بالكمبيوتر لعدم معرفتهم لكيفية استخدامه، كما يؤكد 18.2 أنهم دائما ما يجدون صعوبة في التواصل مع الأساتذة خارج الولاية عن طريق التكنولوجيا بسبب عدم تمكنهم منها.

- إختبار ومناقشة وتحليل النتائج في ضوء فرضيات الدراسة

إختبار الفرضية الأساسية القائلة ب: مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة مرتفع.

جدول رقم (10) يبين إختبار الفرضية الأساسية

البند	المتوسط الحسابي	المستوى
التشاؤم	1.51	منخفض
الإنعزالية	1.73	متوسط
اللامعيارية	1.68	متوسط
الغربة عن الذات	1.42	منخفض
نقص المعرفة	1.82	متوسط
مستوى الاغتراب الوظيفي	1.63	منخفض

من خلال الجدول رقم (10) الذي يبين مستوى الاغتراب الوظيفي من حيث كل من بعد (التشاؤم، الانعزالية، اللامعيارية، الغربة عن الذات، نقص المعرفة) لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة جاء منخفض، وهذا ما تؤكد قيمة المتوسط الحسابي للاغتراب الوظيفي بأبعاده الخمسة والمقدرة ب 1.63، وبالتالي عدم قبول الفرضية.

استنادا إلى نتائج أبعاد الدراسة يتضح أن أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة يعانون من انخفاض مستوى الاغتراب الوظيفي، خاصة في بعدي الغربة عن الذات والتشاؤم و بمستوي متوسط لكل من بعد نقص المعرفة ، الانعزالية واللامعيارية ، بالنسبة لبعد الغربة عن الذات جاء بمتوسط حسابي 1.42 و هو مستوى منخفض حيث تبين أن الأساتذة لا ينتابهم شعور بالغربة عن الذات هذا ربما كون مهنة التدريس تتطلب المعاملات مع الآخرين و الاستشارات في أمور التدريس لذلك لا يشعرون بالغربة عن الذات ، أما بعد التشاؤم فكانت قيمة متوسط حسابه هي 1.54 و كان مستواه منخفض يرجع ذلك كون أساتذة الثانوية يشعرون بأن عملهم كمدرسين هو فخر و إعتزاز لهم وهي رسالة يجب إيصالها على أكمل وجه، أما بعد اللامعيارية فكان متوسطه الحسابي 1.68 و هو مستوى متوسط ، فحسب اعتقاد أغلبية الأساتذة أن التفاني في العمل غير مجدي به و لذلك يرون أن الطرق الملتوية هي الأصح ، أما بعد الإنعزالية فكانت قيمة المتوسط الحسابي له تقدر ب 1.73 و هو مستوى متوسط وربما يرجع ذلك الى خوف الأساتذة من تكوين العلاقات مع زملائهم قد يخلق لهم مشاكل لذلك نرى أن الأساتذة يفضلون العزلة، أما التكلم عن بعد نقص المعرفة الذي جاء مستواه فوق المتوسط 1.82 كون التكنولوجيا حديثة و لا يمكن إستعابها بنفس القدرة من أستاذ لآخر فمثلا الأساتذة كبار السن لا يمكنهم إستعابها مثل الصغار K وهذا ما يوافق دراسة ' منصور بن زاهي 2007 على عينة قوامها 231 إطار من الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات التي دلت على أن مستوى الاغتراب الوظيفي أقل من المتوسط. و من الدراسات

المخالفة لنتيجة ما توصلت إليه الدراسة " دراسة رنا العسال 2009، على عينة قوامها 330 معلما حيث أكدت الدراسة على أن هناك مستوى متوسطا من الاغتراب الوظيفي لدى أفراد العينة.

-اختبار الفرضيات الصفرية

-اختبار الفرضية الصفرية الأولى القائلة :

لا يوجد اختلاف في مستوى الاغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة تبعا لمتغير الجنس

جدول رقم (11) نتائج الفرضية الصفرية الأولى

ك ² المحسوبة	درجة الحرية	ك ² الجدولة	مستوى الدلالة	النتيجة
31.30	26	38.89	0.05	نقبل الفرضية البديلة

من خلال نتائج الجدول رقم (11) تبين لنا أن قيمة ك² المحسوبة (31.30) أقل من قيمة ك² الجدولة (38.89) مما يدل على وجود إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية تبعا لمتغير الجنس و بالتالي الفرضية غير محققة.

دلت النتائج على أنه يوجد إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي تبعا لمتغير الجنس وربما ذلك راجع لكون الإناث أكثر قدرة على التحمل من الذكور و ذلك من خلال كثرة الأدوار التي تقوم بها كونها مدرسة، أم، زوجة، ربة بيت. وأيضا لكثرة عدد الإناث من الذكور، وهذا ما يخلق التواصل للإناث مع بعضهن أكثر منه لدى الذكور. وهذه النتيجة جاءت موافقة لدراسة " العسال 2009 " على عينة قوامها 330 معلما والتي دلت على أن الإغتراب لدى الذكور أكثر منه لدى الإناث.

إختبار الفرضية الصفرية الثانية القائلة:

يوجد إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة تبعا لمتغير السن.

جدول رقم (12) نتائج الفرضية الصفرية الثانية

ك ² المحسوبة	درجة الحرية	ك ² الجدولة	مستوى الدلالة	النتيجة
49.94	52	79.08	0.05	نقبل الفرضية الصفرية

من خلال نتائج الجدول رقم (12) تبين لنا أن قيمة χ^2 المحسوبة (49.94) أقل من قيمة χ^2 الجدولة (79.08) مما يدل على وجود إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية تبعاً لمتغير السن، و بالتالي الفرضية محققة.

دلت النتائج أنه يوجد إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي تبعاً لمتغير السن و ربما يرجع ذلك لنقص المعلومات في المجال التكنولوجي لدى الأساتذة كبار السن، لكون التكنولوجيا حديثة النشئ، و لكون الشباب أكثر تحكماً في التغيرات التي تحدث خاصة بصورة مفاجئة، وهذه النتيجة جاءت غير موافقة لما توصلت له دراسة " بن زاهي منصور 2007 " على عينة قوامها (231) إطار من الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات ، التي دلت على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الشعور بالإغتراب الوظيفي و عوامله بإختلاف السن " بن زاهي منصور 2007".

- إختبار الفرضية الصفرية الثالثة القائلة:

لا يوجد إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة تبعاً لمتغير الأقدمية.

جدول رقم (13) نتائج الفرضية الصفرية الثالثة

النتيجة	مستوى الدلالة	χ^2 الجدولة	درجة الحرية	χ^2 المحسوبة
نقبل الفرضية البديلة	0.05	79.08	52	56.67

من خلال نتائج الجدول رقم (13) تبين أن قيمة χ^2 المحسوبة (56.67) أقل من قيمة χ^2 الجدولة (79.08) مما يدل على عدم وجود إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي بالثانوية التقنية بولاية عنابة تبعاً لمتغير الأقدمية، و بالتالي الفرضية غير محققة. وبالتالي فالنتائج دلت أنه يوجد إختلاف في مستوى الإغتراب الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي تبعاً لمتغير الأقدمية، ربما ذلك راجع لكون مهنة التدريس تستلزم النضج و الخبرة و ذلك ما نجده لدى الأساتذة كبار السن و التي تم نتائج الدراسة المتعلقة بهذا المتغير جاءت موافقة لما توصلت إليه دراسة " شارل بيرو و آخرون 1998 " عن عينة قوامها 182 عامل من منظمة 'كيك' التي دلت على أن هناك علاقة بين الشعور بالإغتراب الوظيفي و الأقدمية " شارل بيرو و آخرون 1998 ". وكذلك موافقة لدراسة " بن زاهي 2007" التي كانت موافقة أيضاً لدراستنا حيث دلت على وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزي لمتغير الأقدمية في العمل.

خاتمة

يعد الاغتراب الوظيفي أحد الظواهر التنظيمية التي تحد من تقدم المورد البشري وتؤثر على انتمائه للمنظمة فشعوره بالتشاؤم والعزلة الاجتماعية والغربة عن الذات وكذا نقص المعرفة، كل هاته المظاهر تعبر عن اغترابه وسط بيئة عمله وتؤثر بشكل سلبي على أدائه وبالتالي على المنظمة ككل وعليه كل منظمة تسعى الى امتلاك موارد بشرية تتمتع بصحة نفسية جيدة خالية من لأي مرض أو اضطراب وعليه علينا كباحثين في مجال السلوك التنظيمي تفقد المنظمات من حين لآخر والقيام بدراسات علمية تشخص لنا مختلف الظواهر التي تعرقل السير الحسن لمختلف عمليات التنظيم للتحكم فيها والقضاء عليها.

- قائمة المصادر والمراجع:

- 1- العسال رنا، الإغتراب الوظيفي لدى معلمي المدارس الثانوية العامة في الأردن من وجهة نظرهم و علاقته بأدائهم الوظيفي من وجهة نظر مديري مدارسهم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان، 2009.
- 2- المنجد الأبجدي، (1986)، لويس معلوف اليسوعي، دار النشر دار المشرق، الطبعة الخامسة ، لبنان، 1986.
- 3- أبو عبد الله مجدي: الإغتراب وعلاقته ببعض المتغيرات السمات الشخصية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2001.
- 4- مراد وهبة، الإغتراب والوعي الكوني، مجلة عالم الفكر، مجلة 10 عدد 01، الكويت، 1979.
- 5- أحمد عزت راجح، (1996)، أصول علم النفس، ط10 الكتاب المصري الحديث، الإسكندرية.
- 6- عزام إدريسي، الإغتراب السياسي لدى المتعلمين الشباب وعلاقته ببعض المتغيرات، مجلة جامعة دمشق، مجلة13، عدد2، سوريا، 1999.
- 7- الكبيسي عامر، خضير حميد، سيكولوجية التدريب (الإستراتيجيات والتقنيات والإشكاليات)، مركز الدراسات و البحوث، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2004.
- 8- الغمري إبراهيم، السلوك الإنساني في الإدارة الحديثة، دار الجامعات المصرية، القاهرة، مصر (2002).
- 9- سناء حامد زهران، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الإغتراب، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، 2004.
- 10- أحمد إبراهيم، الإدارة في الإسلام، عالم الكتاب، القاهرة، 1991.
- 11- السباعي زهير أحمد، عبد الرحيم شيخ إدريس، القلق و كيف تتخلص منه، دار القلم، دمشق، 1996.
- 12- البطري أحمد إبراهيم، القيادة و فاعليتها في الإسلام، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 2001.
- 13- عبد الرحمان محمد العيسوي، دراسات في علم النفس الإجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1997.
- 14- الزغل علي الشباب و الاغتراب، مجلة مؤتة للبحوث و الدراسات، مجلد2 ، عدد 2، الأردن، 1990.
- 15- الكندري، جاسم ، المدرسة والاعتراب الاجتماعي، دراسة ميدانية لطلاب التعليم الثانوي بدولة الكويت .المجلة التربوية (جامعة الكويت) العدد (46) المجلد (12)، 1998.

الملخص

تعتبر الكائنات المجهرية من ضمن العوامل التي تساهم في إتلاف المعالم الأثرية، بالأخص تلك المتواجدة في الطبيعة وعرضة لكل العوامل الطبيعية المختلفة، من رطوبة، حرارة، رياح وإلى جانب ذلك المكونات الداخلية.

تعتبر السطوح الرطبة من محفزات التلف البيولوجي، بحيث تتسبب في نمو نباتات مختلفة الأنواع، وتتطور بشكل كبير في الشقوق السطحية للمادة المعدنية (الصخرة)، أين تنبت وتنمو بشكل سريع مثل الطحالب، تظهر على شكل بقع وتساعد في ذلك العوامل البيئية والجوية وكذلك العوامل الفيزيائية والكيميائية، وتظهر على شكل زنجرة سطحية.

الكلمات المفتاحية: المباني الأثرية، التلف ، الكائنات المجهرية، العوامل الطبيعية

Abstract:

Microorganisms are among the factors that contribute to the destruction of archaeological monuments, especially those found in nature and exposed to all the various natural factors, such as humidity, temperature, wind, and in addition to the internal components.

Wet surfaces are considered a catalyst for biological damage, as they cause the growth of different types of plants, and they develop greatly in the surface cracks of the mineral material (rock), where they become established and grow rapidly, like algae. They appear in the form of spots and are aided in this by environmental and weather factors, as well as physical and chemical factors. It appears as a superficial .

المقدمة

تعتبر عمليات تلف المباني الأثرية محل العديد من الدراسات حول العلاقة بين البيئة و آليتها المختلفة و مدى تأثير البيئة على المكونات المعدنية للأحجار، و أيضا الطبيعة الكيميائية للمواد المكونة لها، و منذ أوئل القرن الحالي فان ظاهرة التلف على المباني الأثرية الحجرية المكشوفة نتيجة عوامل التجوية تعمل باستمرار على إضعاف أحجارها ، و هذا يعتبر من المشاكل الكبيرة التي تعاني منها المباني الأثرية ، و كانت دائما محط اهتمام الأنشطة البحثية في السنوات الأخيرة، والتي أوضحت بدورها أن مقاومة الأحجار لعوامل التلف تعتمد أيضا على خواص الحجر الميكانيكية ،الفيزيائية، الكيميائية بالإضافة إلى اعتمادها على الظروف المحيطة بها.

في عملنا هذا سنركز على التلف البيولوجي الذي يؤثر سلبا على المباني الأثرية، إذ يتمثل في كل المتغيرات الناتجة لنشاط الجسيمات المجهرية أو الأجسام المنتمية إلى نظام المجموعات. فالجسيمات المجهرية و الأجسام تلعب في العادة دوراً هاماً في بعض التطويرات الجيولوجية الأساسية كإتلاف الحجارة ، تكوين و تحويل الأرضية و الرسوبات و ونشوء و إتلاف المعادن. يؤثر التلف البيولوجي سلبا على المباني الأثرية من الناحية الفيزيائية- كيميائية، نجد مثل النباتات الكبيرة، الفطريات، الطحالب المجهرية ، الحزاز و البكتريات.¹ و قد تؤدي هذه التفاعلات الى تكوين احماض تؤثر على المكونات الاصلية للصخور مما يؤدي الى تفكك الرابطة المكون لها فيؤثر على التركيبة الحبيبية و الترسيبية² و يحفز فعل هذا التلف اتحاد مجموع بعض العوامل الطبيعية كالمياه والحرارة والرياح ، و ما يؤدي بعد ذلك في تغيير خصائص الحجارة، كما تعمل جذور النباتات بالتأثير ميكانيكيا بالضغط الذي يؤدي الى تصدعات وتشققات و فيزيوكيميائيا وذلك بتآكل الصخور تدريجيا عن طريق الإفرازات الحمضية التي تفرزها الجذور³.

1- أنواع التلف البيولوجي

1-1 البكتيريا:

هي كائنات ذات وحيدات الخلية procaryotes و يوجد نوعين منها الأول يسمى أي ذاتية التغذية تصنعه بنفسها عن طريق ، تكون مادة عضوية خلال أكسدة المعادن بينما النوع الثاني فيتمثل في

¹ Vergès-Belmin (V.), Bromblet (P.), Le Nettoyage de La Pierre, Monumental, Paris, 2000, p. 227.

² Roquebert ,M.F , les contaminants biologiques des biens culturels ,muséum d'histoire naturelle , 2002, p. 16

1- عزت زكي حامد قادوس ، عمم الحفائر وفن المتاحف، مطبعة الحضري، الإسكندرية، مصر، 2005 ، ص . 258

نوع عضوية التغذية *hétérotrophe* تعتمد على جزيئات عضوية التي تتحول إلى كربون ، تنمو بشكل سريع على الأماكن المعرضة مباشرة إلى للمياه ، وتتواجد أنواع كثيرة من البكتريا تعمل على اللصق أو تتعلق بالجزيئات المبلورة في الصخرة بحيث تكون أكثر قوة و صمودا على مساحة الصخرة و المسامات ، و يمكن أن تؤدي إلى ذوبان كربونا الكالسيوم CaCO_3 انتاج احماض عن طريق الايض حمضية من خلال التنفس أو اطراح CO_2 و ترسيب الكربونات ، الاوكسالات و معادن أخرى و تعمل على تشكيل القشور فوق سطح الصخرة ، تنمو البكتريا بشكل كبير و قوي بحيث انها تتسبب في تغيير خصائص الفيزيوكيميائية و البنية المعدنية .⁴

تنمو هذه البكتريا بكثرة في نسبة رطوبة تصل حوالي 90% و درجة حرارة تتراوح بين 52° و 30° ، و يكون حضورها أكثر في الصخور الكلسية و الرمل الكلسي .⁵

• البكتريا الكبريتية

يرتبط عملها بحضور الكبريت في الصخرة على شكل اكاسيد ، هذه المركبات تنتشر في أماكن مختلفة و توجد أنواع كثيرة من هذه البكتريا تنتج مواد متلفة مثل بكتريا اللاهوائية من نوع *desulfovibrio* *desulficans* التي تعيش في التربة منتشرة بشكل كبير خاصة في البنايات و لنموها تستعين بالكبريت *sulfate* المتواجدة في الهواء أو التربة (الشكل 1) ، تتواجد هذه المكونات في الأماكن الصناعية أكثر منها في الأماكن الريفية.

تقوم البكتريا من نوع (*anaerobie desulfovibrio*) بتحويل الكبريتات المتواجدة في التربة إلى كبريتيد ، وتعمل المياه الجوفية على نقل هذه المواد إلى أعلى المبنى و بالتالي فان مركبات الكبريت المحولة تصعد إلى الأعلى كذلك تحمل معها كائنات مجهرية قد تصل عددها الى 100000 خلية لتجد نوع اخر من البكتريا الهوائية و هي *thiobacillus thioparus* ، الي تعمل على اكسدة الكبريت الى حمض الكبريتي *acide sulfurique* بحضور كبريتيد الهيدروجين *sulfure d'hydrogène* .⁶ تنتج بكتريا من نوع *thibacillus thiooxidans* الحمض الكبريتي ذو تركيز 5% بحضور الاوكسيجن كما تحول CO_2 و الذي هو مصدر اساسي لحدوث عملية الايض و هذا يعني ان عمل هذا النوع من البكتريا يتركز على الاماكن المجاورة لسطح الارض .

⁴ Wiktor Virginie, Biodétérioration d'une matrice cimentaire par des champignons : Mise au point d'un test accéléré de laboratoire, Ecole des Mines de Saint-Etienne, 2008, p. 12-13.

⁵ Irina Woszyck , la Conservation préventive de la pierre, imprimeries Populaires, Arts graphiques, Genève UNESCO 1982.p43.

⁶ Roquebert M.F, - Les contaminants biologiques des biens cultures. 2002, P 16-19.

يتفاعل الحمض الكبريتي مع كربونات الكالسيوم الموجودة داخل الصخرة و تنتج كبريتات الكالسيوم sulfate de calcium او الجبس .

لقد اثبت باحثون فرنسيون ان بكتريا من نوع thiobacillus تتواجد بشكل كبير في المناطق التي يكثر فيها الغبار و يمكن تواجدها أيضا على 10 سم من السطح ، كل هذه التدهورات تتواجد بشكل كبير في المناطق السكنية أكثر منها في الأرياف ، كما انها هذه البكتريا تتواجد اكثر على الصخور الكلسية اكثر منها على الصخور الرملية.⁷

• البكتريا النتريّة

نجد البكتريا الهوائية على المساحات القريبة من السطح ،تقوم باكسدة الامونياك المتواجدة في مياه الامطار (الشكل 2)، الغبار ،الاورساخ ، بقايا الطيور الى احماض نيتريكية⁸ هذه الاحماض تحلل كربونات الكالسيوم و تستعين بثاني اوكسيد الكربون CO2 لبناء ايدرات الكربون و الالبومين hydrate de Carbon et le squelette de l'abumine داخل الخلايا و حضور الكربونات او المكونات المعدنية الاخرى يحفز ظاهرة النتريجة nitrification.

تتحد جزيئات الكالسيوم مع الاحماض لتشكل les nitrate et les nitrites و هي مكونات سهلة الذوبان في الماء .

من نتائج تأثير هذا النوع من البكتريا نجد ظاهرة التفكك الصخرة التي تصبح اكثر مسامية و بالتالي تتفتت على شكل غبار و تظهر كثيرا على الاماكن المعرضة للأمطار و العوامل الجوية و اماكن انحدار المياه.

عموما فان كل من النوعين من البكتريا النتريّة و البكتيرية ،تظهر بشكل متطور على الصخور الكربوناتيّة caco3

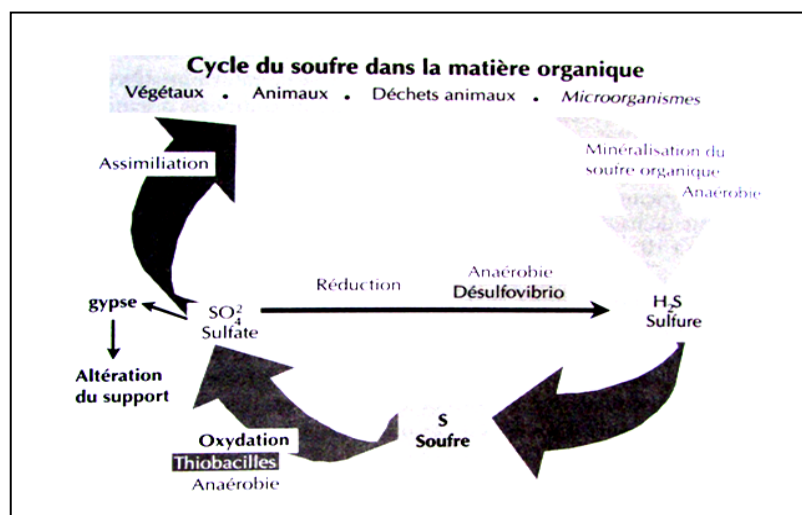
• البكتريا المؤكسدة للسيليكات

لقد أثبتت دراسات من طرف باحثين برطانيين على وجود بكتريا عضوية التغذية (hétérotrophe) التي تتواجد بكثرة في التربة ،على الصخور الكلسية و ملاط سليكو كلسي ،تنتج هذه البكتريا حمض سيتنغليكونيك cetonegluconique المتلف للصخور ، كما تعمل على ذوبان فوسفات الكالسيوم⁹

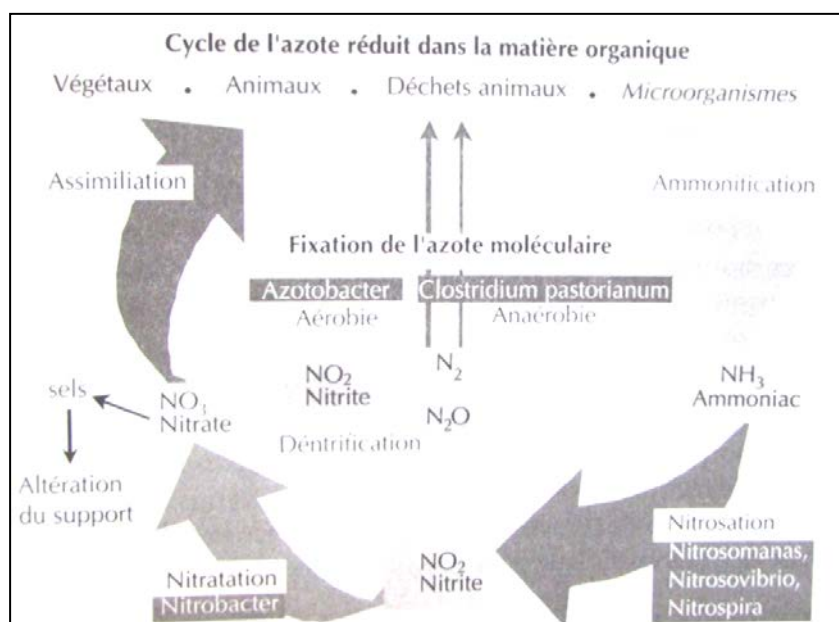
⁷ Bromblet Philipe et autre, Altération des pierres des monuments volume III, imprimerie louis-jean France, 2002, p.19-20

⁸ Kumar Rakesh et Anuradha V. Kumar Biodétérioration , of Stone in Tropical Environments, The Getty Conservation Institute , United States of America, 1999.p. 14.

⁹ Irena Woszyck, op.cit.p. 43-46.



الشكل 1 البكتيريا المؤكسدة للكبريت (Bromblet Philipe et autre, 2002)



الشكل 2 البكتيريا المؤكسدة للأزوت (Bromblet Philipe et autre, 2002)

2-1 حلقات أخرى

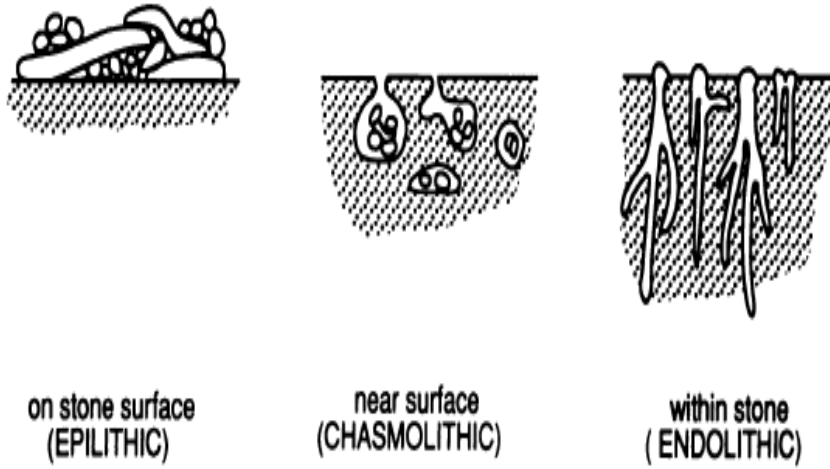
تلون الصخرة بالأسود سواء في أماكن حضرية معرضة للتلوث الجوي، أو في المناطق الأخرى، حيث تمثل هذه العملية هجرة الحديد والمنغنيز كنتيجة للتأكسد عن طريق الجراثيم. فعند تحول الحديد، تتدخل البكتيريا بأشكال متعددة وتساهم في تأكسد الحديد وتحول الذرات الحديدية إلى Ion ferrique . كما أن نقص الحديد يحدث مع نوع Anaérobiose ، وغالبا ما تكون حلقة المنغنيز مرتبطة بحلقة الحديد، إذ تتحول من (Mn²⁺) إلى (Mno₂)، وتحولات الشوارد السالبة للحديد والمنغنيز تشترك في تكوين قشرة سوداء وتقشر سطح الصخرة ¹⁰

¹⁰ Roquebert M.F, Les contaminants biologiques des biens cultures. 2002 P. 16-19.

• الطحالب

تتميز الطحالب بكونها اجسام ذاتية التغذية وفي بعض الاحيان تستطيع ان تعيش بعد تحولها الى عضوية التغذية¹¹ ، تحتوي على مادة خضراء chlorophylle و الوان اخرى ولكن هي اساسا ذات لون ازرق تستخدم الضوء كمصدر لطاقتها و شروط تطورها تتمثل في الرطوبة الحرارة الضوء و مواد غير عضوية تنمو كثيرا على المساحات الحامضية، و تقوم الطحالب بحجز الماء المتواجد داخل الصخرة، هذا ما يجعل المساحة رطبة دائما و صعبة التجفيف و كما نجد الطحالب مع الملوثات الجوية من غبار بقايا مواد عضوية الخ، و هنا تشكل خطرا اشد منه في اول تشكيله، بحيث تؤدي الى ظهور كائنات حية اخرى على المساحة مثل الحزازيات و البكتريا.¹²

و يمكن تقسيم الطحالب الى انواع (الشكل 3)، نجد طحالب (épilithes) التي تنمو فوق سطح الصخرة ، و طحالب التي تستعمر اعماق الصخرة (endolithes)، و طحالب (chasmoendolithics) التي تعيش داخل الشقوق المفتوحة الى الخارج و طحالب (cryptoendolithic) التي تنمو داخل المسامات.¹³



الشكل 3 انواع الطحالب 2011 E.M. Winkler

¹¹ Lazzarini,L,Tabasso,M.L, La restauration de la pierre. Trad. de l'italien par J. Philippon ERG Edition1989,.p. 123.

¹² Caneva Guilia et Salvadori Ornella, altération biologique de la pierre in la dégradation et la conservation de la pierre, Ed. UNESCO, n°09, Paris, 1988, p .165.

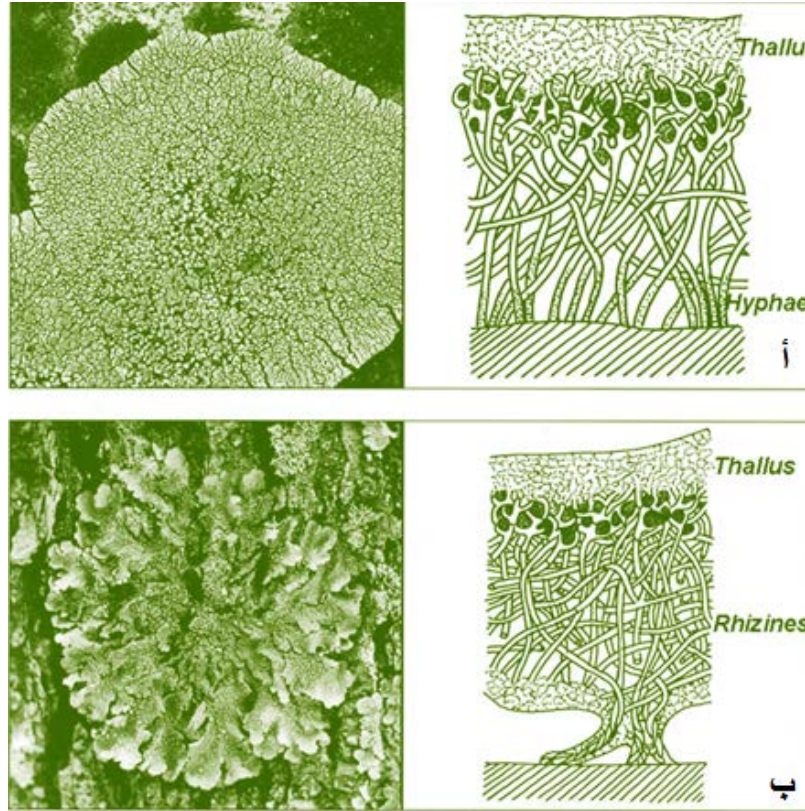
¹³ Wircar Virginie, op .cit ,p .13 -14.

• الحزازيات

الأشنيات هي عبارة عن نباتات يخضورية ناتجة عن تعايش فطر وطحلب، إذ يقوم الطحلب بعملية التركيب الضوئي في حين يقوم الفطر بتوفير الماء والأملاح المعدنية، وتحتاج الأشنيات لنموها كل من الضوء والرطوبة و الآزوت¹⁴ و تسمى الحزازيات التي تنمو على سطح الاحجار بالحزاز الصخري saicoles وتنتمي الى مجموعة القشريات crustacée كما يمكن تصنيفها ضمن مجموعة الورقيات foliacés او مجموعات اخرى (الشكل 4).

تستطيع الحزازيات ان تنمو و يتمركز نموها على سطح الصخرة أو تتغلغل في اعماقها اذا كانت متموقعة كلياً على الحجارة الكلسية.¹⁵

تختلف ألوانها يمكن أن تكون بلون أصفر أو أبيض أو رمادي ويمكن للحزازيات ان تعيش و تنمو (الشكل 5) على ا سطح الصخور (épilithique) أو في اعماقها (endolithique) و غالبا تتواجد بكثرة في المناطق التي يتفص فيها التلوث و تؤثر الحزازيات على الصخور ميكانيكيا وكيميائيا

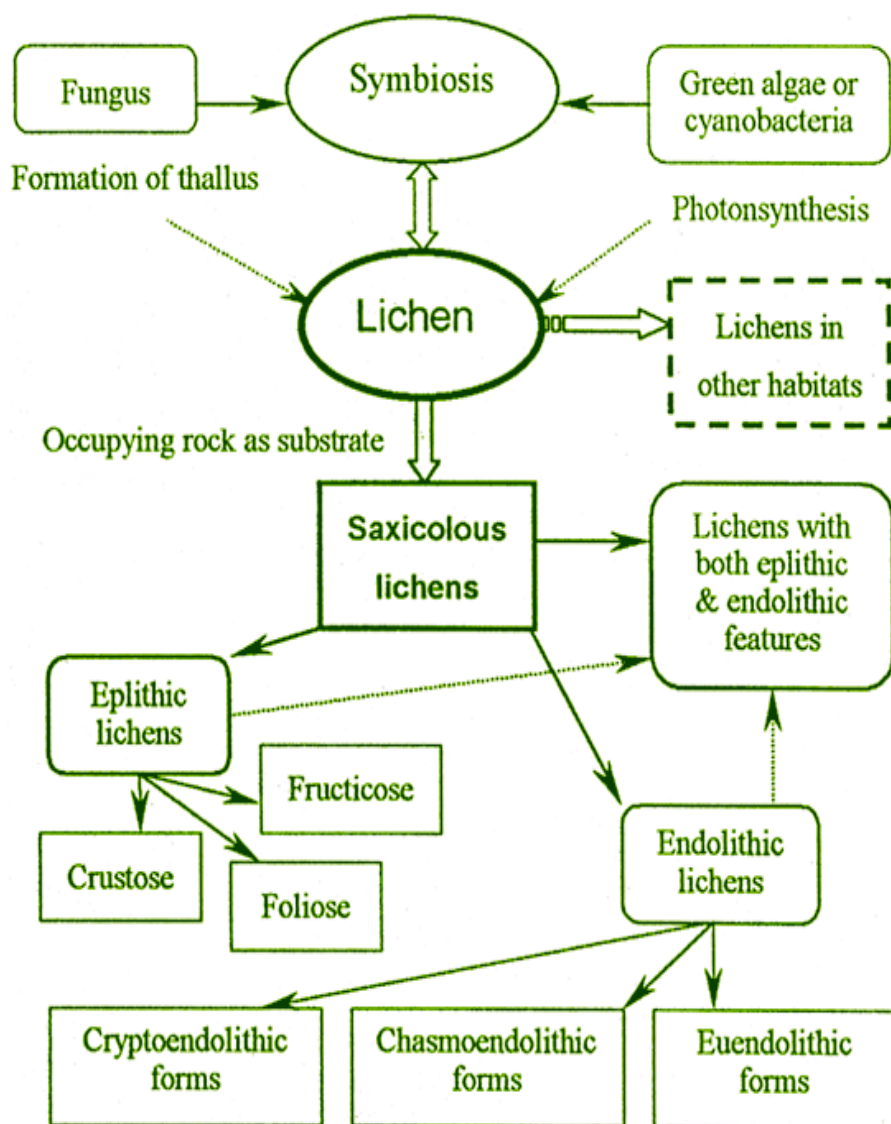


الشكل 4 مورفولوجية الحزازيات، أ. قشريات، ب. ورقيات Elaine Debra 2006

Dandridge

¹⁴ Roqueert M.F , op.cit; P 5.4

¹⁵ Ibid . p 116 .



الشكل 5 الحزازيات و تصنيفها في مختلف البيئات Jie Chen and all . 2000

• الفطريات

الفطريات هي أجسام عضوية التغذية (hétérotrophes)، كما تستطيع ان تكون من الزمام (نبتة تعيش على العضويات المنحلة saprophytes)، متعايشة (symbiote) او طفيلية، حيث يكون تأثيرها في إتلاف البنية تأثير مزدوج وهما ميكانيكي وكيميائي.

لفطريات قدرة عالية في التغلغل داخل الصخرة عن طريق نمو اجسامها (hyphe)، تؤدي الى تاكل الصخرة نتيجة لاطراح الاحماض العضوية او الاكسدة، كما تسبب في ازالة لون السطح و ذلك نتيجة لاطراح مادة الميلامين melamine¹⁶.

¹⁶ wiklor Virginie op.cit. p 12.

تمثل الأحماض التي تنتجها في ، أحماض كربونية، نيتريكية و كبريتية و العديد من الأحماض العضوية: oxaliques citriques gluc oniques glucuroniques, lactiques fumariques...الخ. وهذه الأخيرة تعمل على انتاج مركبات ل de chélation مع كاتيونات cations المعدنية للحجارة، كما تستطيع ان تذيب الكلس و المعادن السيليكية : الميكا l'orthoclases...الخ، و المعادن التي تحتوي على الحديد والمغنيزيوم مثل (pyroxène l'olivine, biotite) و الفوسفات المختلفة ، وتهاجم الفطريات الصخور القاعدية أكثر من الصخور الغرانائية و الروابط مثل سليكات الالومنيوم تحوله الى الرمل¹⁷ ولقد اقيمت تجارب مخبرية في هذا المجال اثبتت أن الفطريات تذيب كميات ،من من Si, Al, Fe و Mg¹⁸.

تتعلق ظاهرة التمييه في الصخور المتحولة و النارية بزيادة الحموضة في المحاليل او الوسط ،ناتج عن بعض الكائنات مثل, Aspergillus afiger, Spicaria sp و Pénicillium sp التي تنتج احماض الاوكساليك و الستركي .

يتسبب حمض الاوكساليك في تاكل و صدد المعادن الاولية و تفتت و تجزئة و تحلل المعادن الطينية الحديدية و ترسب اوكسيد الحديد، و اوكسالات الكالسيوم oxalates de calcium. كما ان حمض الاكساليك هو ناتج عن تفتت هيدرات الكربون والاكسالات oxalates المكونة تكون متكافئة مع كمية التربة الحمراء و بالتالي وجود القواعد الحرة (les cations) التي هي ضرورية لتشكيل الاملاح.

كما يعتبر الفطر مسؤولا في تكوين حمض الاكساليك في الحزاز، حيث تتوضع الخيوط الفطرية على سطح الحجارة بكمية كبيرة ل Whewellite ($\text{CaC}_2\text{O}_4\text{H}_2\text{O}$) و Weddellite ($\text{CaC}_2\text{O}_4 \cdot 2\text{H}_2\text{O}$).¹⁹

● النباتات العالقة

يكون تأثيرها على الاحجار ميكانيكا و كيميائيا، تكون ميكانيكا عن طريق النمو و زيادة سمك الجذور و تنمو بشكل ملاحظ في اماكن الملاط على الجدران بينما الاماكن المتراصة و الصلبة لا يمكن

¹⁷ Caneva, G. Salvadori, O , Altération biologique de la pierre, in « La dégradation et la conservation de la pierre », Ed. Unesco, n°09, Paris, 1988, p 153.

¹⁸ Orial (G.), Bousta (F.), Les altérations biologiques et les biens patrimoniaux, chapitre IV, Monumental, Paris, 2005, semestriel 1, p.111

¹⁹ Caneva Guilia et Salvadori Ornella, op.cit.p. 162.

لها، ماعدا عندما تفقد هذه الأخيرة تماسكها الناتجة عن تأثيرات فيزيوكيميائية مثلما تسببه الأمطار و الجليد من تأثيرات مباشرة.

بينما التأثير الكيميائي يكون عن طريق الحوامض المتواجدة في الجذور، فهذه الأخيرة لديها دائما تفاعل حامض ناتج عن حمولتها السلبية وهي تسبب في تكوين القشور. في رأي بعض الباحثين انه بمستطاع النباتات المتواجدة على جدران المعالم ان تسبب في نيران في الفترات الجافة، وكما تعمل على خلق عوامل تلف من حشرات والفطريات، فيما يرى البعض الآخر ان اختفاء سطوح الجدران بالأوراق يعود بها بالفائدة اذ ان هذه الأخيرة تعمل على انخفاض نسبة تبخر الماء المتواجد في الصخرة وهذا يؤدي إلى انخفاض ظاهرة تبلور الأملاح ولكن في الأماكن التي يكثر فيها التلوث الجوي، قد تعود عليها بالسلب إذ إن ترسبات أحماض الغازات الجوية على السطوح الرطبة للصخور الكلسية ينتج عنها تدهور أكيد.

2- العوامل المساعدة في زيادة التلف البيولوجي

يساهم التلف البيولوجي في تكسر وانشقاق الصخور بفعل الضغط أثناء زيادة وتكاثر المكروبات التي تنمو على السطح، كما تدخل في أعماق الصخرة إذ تحتجز الماء، ومنه يمكن أن تسبب خطر إثر الفترات الجليدية وذوبانها، هذه المكروبات تنتج تجاويف وتشققات، ومنه تتعرض لعوامل أخرى مثل الرياح، الأمطار... الخ. أما إذا كان كيميائيا، فتنتج مواد عن طريق عملية الأيض على الصخرة، تتفاعل الأحماض مباشرة مع المعادن للصخرة، وتتسبب في تشكيل الأملاح، غاز الكربون (CO_2) وتتكون من طرف نوع هوائية *Aérobies organisme* عبر تنفس الخلايا، بينما البكتيريا، الفطريات، الحزاز والطحالب تنتج مواد حمضية في وسط مائي وتحول غاز الكربون إلى حمض الكربون⁴⁷

كما سلفنا الذكر أن نمو المكروبات يتعلق مباشرة بعوامل تساعد على التكاثر مثل الضوء الذي يؤدي إلى ظهور بكتيريا (Chlorophyllienne) و (Microflore Photontotraphe)، ويساعدها في ذلك اللون مثل (Photoantotraphes) التي تعيش في الضوء، بينما توجد مكروبات وبكتيريا تتغذى على معادن الصخرة و تكون مركبات معقدة (Biosynthèse)، إذ تستعين بالأملاح في التفاعلات، أكسدة الحديد، الكبريت وتؤدي إلى تكون ميكروبات، كما تنمو الفطريات في محيط حامضي إذا كان تحت النسبة العادية (جدول 1).

تساعد التغيرات الفصلية في نموها مثل الطحالب، فهي تتغير مع تغير الفصول، مثلا في الجفاف تزول، لكي تترك غبيرة. (جسم صغير في الازهريات، وظيفته إحداث التناسل اللاشقي) وهذه الأخيرة تسمح بإعادة نمو الطحالب مع الرطوبة، وارتفاع الحرارة.

⁴⁷Lazarini L .op.cit. pp 143-150

يؤدي إلى زيادة نمو المكروبات لأنها تزيد من التفاعلات الكيميائية، والكثير منها ينمو بين 15° - 20°، بينما مكروبات (chrophiles thermophiles) ، تنمو بين 0°-10° ، أو أكثر من 30° - 70°⁴⁶، إضافة إلى ذلك تساعد في نموها الجدارية المائية والمعرضة دائما لمياه الأمطار.

الشروط المساعدة على التفاعل والتأثير	الخصائص العامة
خصائص فزيائية	خشونة السطح نسبة الرطوبة العالية المسامية العالية
التركيب الكيميائي	نسبة الكربونات $p/v > 3\%$ وجود مركبات عضوية و مستحاثات نسبة الفلسبات، الطين و المعادن الحديدية $p/v > 5\%$
الموقع والتعرض	الحرارة المعتدلة، الرطوبة العالية، وجود نسبة عالية من الاملاح
التلوث الجوي	اوكسيد الازوت، الكبريت، والمركبات العضوية

جدول 1 العوامل المساعدة على نمو و استعمار العامل البيولوجي على الصخور Warscheid T. and Braams, 2000

3- تأثير التلف البيولوجي

3-1 الطحالب

تؤدي الطحالب من نوع (épilithes) و (chasmolithes) الى إتلاف الحجارة و ذلك بمسك الماء في حجم صلب الذي يختلف عن حجمه وكذا تأثيراته وهو سائل بفعل دورة تجمد- ذوبان (gel-dégel) ، و هذا ما يؤدي هذا الفعل الى اقتلاع القشرة السطحية الصخرية الغير المتمسكة جيدا، او انها تطلق مواد حمضية Acides و خاصة الأحماض (citriques ، aspartiques ، glycoliques، glutamiques ، و oxaliques²⁰) بينما طحالب

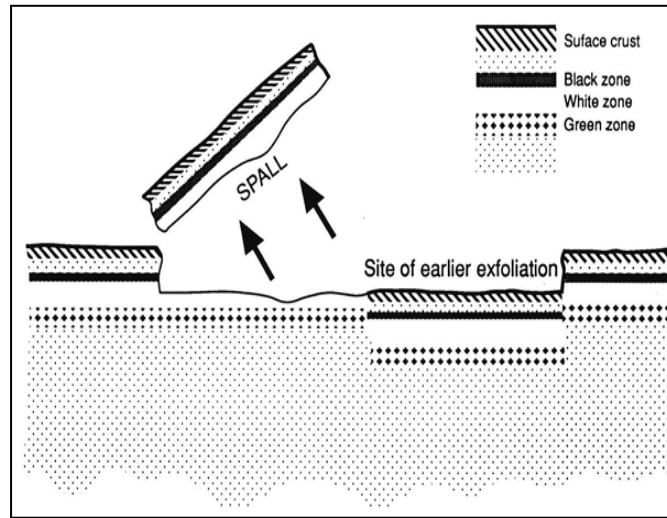
⁴⁶ Gailaine-Pierre Vidal, art rupestre en pénit, un patrimoine mondial à sauver ,2001 . P 25.

²⁰ Caneva Guilia et Salvadori Ornella, Op .Cit.p 165

ال endoliths فإنها تذيب بسرعة للكربونات وتدخل في اعماق الحجارة، حيث نشئ بها فراغات صغيرة و بمورفولوجية مختلفة.

و للضوء هو العامل الذي يشجع او العكس من ذلك نمو الطحالب، لان هذه الاخيرة بحاجة الى الضوء في عملية التركيب الضوئي، فاذا كان الضوء ناقص فالطحالب تنمو على سطح الحجارة وهذا الجلب اكبر حصة ممكنة من الضوء ²¹، كما ان كثير من المركبات العضوية الأخرى مثل الاحماض الأمينية (polypeptides) تستطيع أن تشكل مركبات بأيونات عضوية أو غير عضوية كما تعتبر من أول المستعمرين للحجارة لأنها لا تحتاج لنموها إلا للضوء و بعض المعادن و المركبات الغير العضوية. فوجود الطحالب على الحجارة يكون عموما ملاحظ عن طريق العين المجردة، فهي تستطيع أن تشكل غشاءات أو طبقات واسعة من حيث السمك و المتانة و بألوان مختلفة. و الغشاءات تكون رقيقة و صلبة ، خضراء اللون أحيانا و لكن عموما ما تكون رمادية او سوداء اللون في الأماكن المضيئة و الجافة نسبيا (مساحات في الهواء الطلق) المعرضة في الجهة الجنوبية او الجنوبية-الشرقية. و تكون سميكة و هلامية ذات ألوان مختلفة في الأماكن الرطبة و قليلة الإضاءة (داخل المباني) .²²

كما ان الطحالب ضمن العوامل التي تهاجم اسطح الصخور تؤدي بها الى التدهور ويمكن ان تساهم هي ايضا في ظاهرة تقشر السطوح الكلسية و الرملية (الشكل 4) .²³



الشكل 6 تأثير الطحالب على الصخور E.M. Winkler 2011

²¹ Ibid .

²² Oriol (G.), Bousta (F.), Op .Cit 1 p.111-114.

²³ Erhard. M Winkler, Op .Cit,p..224.

2-3 التأثير الكيميائي

يأتي العامل الكيميائي مكملاً لما سبقه، إذ يدخل الخيط النباتي في الصخرة وتقوم إتلافها بعدة أشكال، ينتج حمض الكربون الذي يأتي من ديوكسيد الكربون عن طريق تنفس الفطريات والطحالب المذابة في الماء، سواء أكانت محجوزة في المشرة Thalle (جسم نباتي لا يحتوي على محور مركزي) أو في الصخرة.²⁴ يحدث هذا النوع من التلف في المناطق ذات المناخ الاستوائي، و الأماكن التي تجري فيها المياه في غياب ايونات الأحماض العضوية، و يسمى بتلف هيدرولي الذي يسبب في تدمير المعادن عن طريق إفشال العناصر الكيميائية: Si, Na, Mg, Ca, K و تراكم احدى العناصر خاصة تجمع عنصر Ca في المشرة يؤدي الى تدهور البنية الفيزيائية للصخرة²⁵

كذلك ينتج حمض الأوكساليك Acide oxalique عن طريق بعض أنواع الحزازمثل (Tephromelarata, Pertusariacorallina) إذ تتلف الفلدسبات الغنية بالكالسيوم (Feldspaths plagiodase).

أو المعادن الحديدية المنغنيزية Ferromangnisiens في البازلت ، وهذا الحمض يتشكل مع سيليكات المغنيزيوم كما يظهر في المشرات الحزازية، كذلك هذا الحمض ينبعث من طرف Mycosymbiote الحزازية المسؤولة عن ظهور بلورات من أكسيالات الكالسيوم على سطح المشرات، وهي متواجدة بكثرة خاصة على الحزاز ذو القشريات البيضاء التي تغطي الجداريات الغير معرضة للأمطار تتكون من أوكسالات الكالسيوم في حالات كثيرة من التمي.تقوم ببعث مواد حزازية ناتجة عن تحول غذائي ثانوي الذي يؤدي إلى التلف الكيميائي للصخرة، هذه المواد المنتجة تكون قليلة الذوبان أو عديمة كليا، وتتسبب في تفتت السطح (الشكل 6)²⁶

3-3 التأثير البيوفيزيائي

خشونة و متانة جذور النباتات يؤدي إلى خلق الضغط على الجدران و النباتات التي تنمو داخل الشقوق و التكسرات على الصخرة، تجذ جذورها مكان أوسع من اجل زيادة حجمها، إذا ما أسندنا إلى رأي باحثين آخرين فانه مثل winkler 1975 فان نسبة ضغط الجذور تكون حوالي 15 atmospheres و التي تعتبر اقل بكثير من الضغط على التربة التي تصل الى 25-30

²⁴ Roquebert M.F, Op .Cit,p .16-1.

²⁵ Piero Tiano, Biodegradation of Cultural Heritage: Decay Mechanisms and Control Methods, Italy, 2002, p.6.

²⁶ Roquebert . M.F, Op.Cit, P. 16.

atmospheres و بالتالي فان الجذور لا تدخل في الصخور التي تنعدم فيها الشقوق ولكن تأخذ الاماكن الغير قوية من اجل تغللها .

فيما يتعلق بالمعالم، فان الجذور تنمو بشكل سريع في الاماكن الضعيفة مثل الملاط و الاجر، و لا نجدها على الصخور القوية، إلا في حالة فقدانها لصلابتها و تماسكها جراء تأثير عوامل طبيعية اخرى مثل مياه الامطار الجليد الرطوبية، التي تساعد على تغلل الجذور أكثر فأكثر²⁷

3-4 التأثير الكيميائي

يظهر التأثير الكيميائي المتلف للصخور من خلال الأحماض التي تتواجد في الجذور، إذ تمثل هذه الأخيرة كقناة تسمح للمياه بالمرور والهواء و ديوكسيد الكربون .
تعمل المياه والهواء على زيادة إنتاج حمض الكربون الذي يعمل على انخفاض الحموضة و بالتالي يسبب ذلك في ذوبان بعض المعادن.

يبدأ التلف من خلال مهاجمة ايونات الهيدروجين H^+ على السليكات أو الكربونات و تكون درجة التلف حسب تركيز هذه الايونات و تتدهور السليكات من خلال تجزئة ايونات H^+ الهيدروجينية على ذرة الأوكسجين و التفاعل و التبادل الكبير للكثيونات، بينما يعود سبب تلف الكربونات الى تجزئة و تحرك ذرة الأوكسجين من الكربونات و الذي يتبعه زوال C^{+2}

تتفاعل في السوائل الايونات H^+ التي تسبب في تجزئة المعادن مع الكاتيونات ، تقوم الاحماض العضوية بتجزئة كربونات الكالسيوم التي تتصلب فيما بعد لتكوّن طبقات صلبة و سميكة .
كما يسبب الغاز الكربوني الذي تطرحه الخلايا في تلف و تدهور المعالم، و الى جانب احتواء سطح الجذور على الأحماض، فإنها تطرح أيضا إلى الخارج أحماض عضوية، سكريات، أحماض امينية، أنزيمات،..... الخ تتفاعل هذه المواد المطرحة من طرف الجذور مع معادن الصخرة و تجزئها من خلال تكون الأملاح ، و هذا يحدث حسب خصائص المواد المطرحة و تركيزها .²⁸

وتعتبر المواد المطرحة عامل يسبب في التلف وعموما فان ايونات المكونة لمعادن الصخرة، تعوض بروتونات و تزال و تطرح الى الخارج بتأثير المياه، بينما تذوب كاتيونات الثنائية التكافؤ و الثلاثية التكافؤ²⁹.

²⁷ Arun Kumar Mishra et autre; Role of higher plants in the deterioration historic building of Elsevier 1995 .P376-383. .

²⁸ Arun Kumar Mishra et autre, Op. Cit.p82.

²⁹ Caneva, G.Salvadori, O. Op.Cit, p146-150

3-5 التأثير الميكانيكي للحزاز

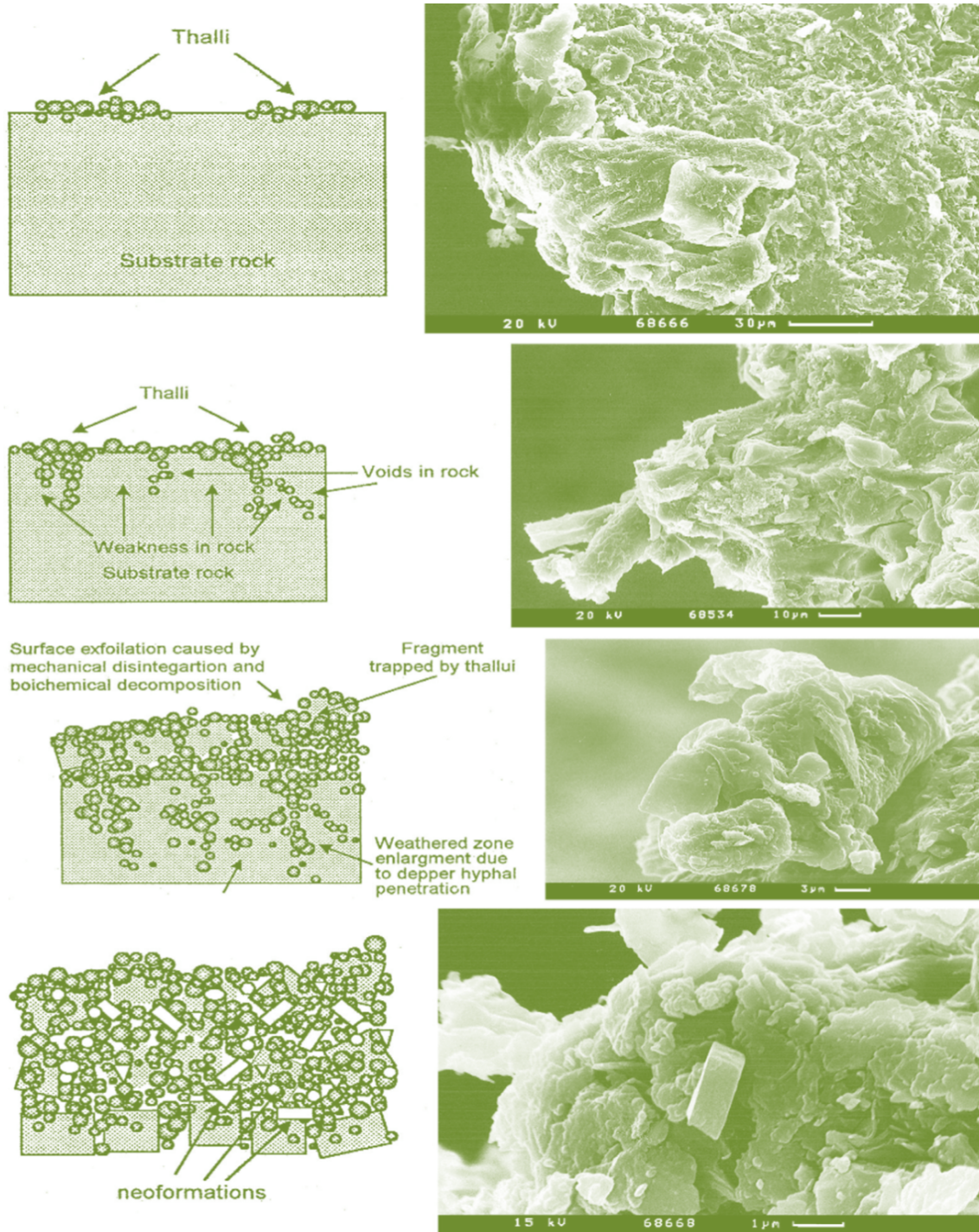
حسب الدراسات التي أقيمت من طرف E. J. Fry سنة 1924، بينت التأثير الميكانيكي للحزاز، وذلك بوضع مادة الجيلاتين على السطح أين تتشكل الجزء العميق للمشرة، وهي المنطقة المخاطية التي تلتصق بشكل جيد وتعرضها للجفاف 50° أو تتعدى لمدة ساعات إلى الشمس، ثم يعرض لفترة إلى الأمطار باستمرار، وذلك يسبب انكماش وتقلص المشرة، كما يؤدي ذلك إلى تجزأ الصخرة، ولقد بينت ذلك بحوث أخرى في المجال، إضافة إلى ذلك فالعديد من المعادن تمتزج داخل المشرة، ما ينتج تفكك المعادن³⁰ فهي تتشبث على الأسطح الحجرية بواسطة جذور فطرية ويمكن لهذه الجذور أن تدخل لعمق يتراوح من 300 ميكرون إلى 16 ملم تبعاً لنوع وطبيعة الحجارة ما يسبب إحتاتا ميكانيكيا، كما تحتوي أنواعا أخرى على مخالب للتشبث والتي عند تعاقب دورات الترطيب والجفاف تؤدي إلى تمدد وتقلص هذه المخالب مؤدية إلى إزالة طبقات رقيقة من السطح الصخري (الشكل 7)³¹.

المشرات القشرية تغطي بسهولة بغشاء غني بالمادة المخاطية مع مرور الوقت عليها، يساهم في تغير قطر المشرة خلال تناوبات الجفاف والرطوبة، وفي الأخير تنتج حفرة على مستوى الصخرة اثر زوال أو سقوط قشرة الصخرة التي تكون المشرة ملتصقة بها.

كما تقوم الحزاز من نوع endolithique ببعث غزل (خيوط نباتي في الفطر) إلى أعماق الصخرة بين حبيباتها، ويستطيع أن يفتت البلورات الحساسة (كالفلدسبات).

³⁰ Chen Jie and all .Weathering of rocks induced by lichen colonization, Elsevier Science, Catena 39, 200

³¹ Philippon J , Jeannette D , Lefevre R . A , Op Cit , P p 95 , 97 .



الشكل 7 تأثير الحزازيات على الصخرة, Jie Chen and all 2000

الخلاصة

يعتبر التلف البيولوجي المؤثر على الآثار الحجرية من أهم العوامل المسببة لتدهور المباني خاصة عند توافر الظروف التي تساعد على ذلك و من أهمها الرطوبة و مياه الأمطار .

يؤدي التلف البيولوجي الى تفتت الصخور و تحلل المعادن المكونة لها ، و بالتالي تفقد مقاومتها الميكانيكية ، هذا إضافة إلى ما تسببه النباتات و الحيوانات ، كذلك من تشوه و تدهور المباني الأثرية، ويصعب كثيرا التحكم و مواجهة هذا العامل لكونه تتحكم فيه الطبيعة و المحيط الذي تتواجد فيه هذه المباني الاثرية، فالمواد الكيميائية المطبقة لازالتها ليس بالحل الدائم و المؤكد ، ولكن يبقى معرفة نوع الصخرة و طبيعة التلف عن طريق عملية التشخيص و اجراء تحاليل مخبرية خطوة مهمة لكي نتمكن من فهم أكثر ميكنزمات هذا التلف ، و كاحسن وسيلة لكي نكافح تاثير هذا التلف هو المراقبة المستمرة لحالة حفظ المباني والحرص على عدم تكاثره عن طريق تنظيف المساحات و إجراء عمليات التهيئة.

قائمة المصادر والمراجع

1. عزت زكي حامد قادوس ، عمم الحفائر وفن المتاحف، مطبعة الحضري، الإسكندرية، مصر، 2005.
2. Arun Kumar Mishra et autre; Role of higher plants in the deterioration historic building of Elsevier 1995 .
3. Caneva Guilia et Salvadori Ornella, altération biologique de la pierre in la dégradation et la conservation de la pierre, Ed. UNESCO, n°09, Paris, 1988 .
4. Caneva, G. Salvadori, O , Altération biologique de la pierre, in « La dégradation et la conservation de la pierre », Ed. Unesco, n°09, Paris, 1988 .
5. Chen Jie and all .Weathering of rocks induced by lichen colonization, Elsevier Science, Catena 39, 200
6. Erhard. M Winkler, stone in architecture property and durability, 3 ed, Springer-Verlag Berlin Heidelberg 1997.
7. Gailaine-Pierre Vidal, art rupestre en pénit, un patrimoine mondial à sauver ,2001 .
8. Kumar Rakesh et Anuradha V. Kumar Biodétérioration , of Stone in Tropical Environments, The Getty Conservation Institute , United States of America, 1999.
9. Lazzarini,L,Tabasso,M.L, La restauration de la pierre. Trad. de l'italien par J. Philippon ERG Edition1989 .
- 10.Orial (G.), Boust (F.), Les altérations biologiques et les biens patrimoniaux,chapitre IV,Monumental, Paris, 2005, semestriel 1 .
- 11.Philippon J, Jeannette D, Lefèvre R. A, La conservation de la pierre monumentale en France, Presses du CNRS, Paris, 1992.
- 12.Piero Tiano, Biodegradation of Cultural Heritage: Decay Mechanisms and Control Methods, Italy, 2002 .
13. Roqueert M.F , Les contaminants biologiques des biens culturels , Imprimerie Bialec SA , France , 2002 .

-
14. Wiktor Virginie, Biodétérioration d'une matrice cimentaire par des champignons : Mise au point d'un test accéléré de laboratoire, Ecole des Mines de Saint-Etienne, 2008 .
 15. Woszyck Irina , la Conservation préventive de la pierre, imprimeries Populaires, Arts graphiques, Genève UNESCO 1982 .
 16. Philipe Bromblet et autre, Altération des pierres des monuments volume III, imprimerie louis-jean France, 2002.

- مقدمة:

لا شك أن البحوث العلمية في مجال المكتبات والمعلومات قد خضعت خطوات معتبرة لإنجاز ونشرا وتغطية موضوعية وجغرافية على المستوى الوطني، العربي والدولي، إنطلاقا من الدراسات البيبليومترية الحديثة، وعلى الرغم من كل هذه الجهود المبذولة إلا أن مجال التطوير والتحديث في هذه البحوث سيبقى دائما قائما، لأن مكامن النقص والضعف لا يمكن تلافيها بالملء، فضلا عن الحاجة للاستفادة من تجارب العلوم الأخرى خصوصا تلك التي تندرج ضمن العلوم الإنسانية والاجتماعية.

إنطلاقا مما سبق يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم التوجهات التي أخذتها البحوث العلمية في مجال المكتبات والمعلومات، ومن ثم تقديم رؤية تجديدية في هذه البحوث قابلة للتنفيذ، من خلال رصد واقتباس أهم الطرق والأساليب المنهجية العلمية المستحدثة وتوضيح كيفية توظيفها في مجال البحث العلمي في هذا التخصص.

أ- الإشكالية :

تعد منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية مجال متجددا دوما، لأن عملية التجديد والتحديث أساسية وضرورية، فما فتى العلماء والمتخصصون في مجال المنهجية يطورون الطرق والأساليب بما يتماشى مع ظروف ومستجدات البحوث العلمية في العصر الحالي، وهذا الأمر ينسحب على تخصص المكتبات والمعلومات، مما يفرض على المتخصصين في هذا المجال متابعة المستجدات في منهجية البحث العلمي بصفة مستمرة، وهذا من شأنه أن يعطي هذا التخصص خاصيتي التطور والتجديد، بل ويمكن أن يكون مصدرا مهما للعديد من التخصصات الأخرى في مجال منهجية البحث العلمي.

إنطلاقا من هذه المقاربة نطرح السؤال الرئيسي التالي: ما هي أهم المستجدات في مجال منهجية البحث العلمي التي يمكن أن يستفيد منها تخصص المكتبات والمعلومات ؟

ب- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة العلمية إلى تحقيق ما يلي:

- التعرف على المناهج الحديثة التي يمكن أن تستفيد منها البحوث في تخصص المكتبات والمعلومات.
- التعرف على نماذج قامت بتوظيف المناهج الحديثة في مجال المكتبات والمعلومات.
- تقديم رؤية مستقبلية لكيفية توظيف هذه المناهج الحديثة في مجال البحوث في المكتبات والمعلومات.

1- البحوث العلمية:

تتعدد تعريفات البحث العلمي ولا يتفق الباحثون على تعريف محدد ولعل ذلك يرجع إلى تعدد أساليب البحث وعدم تحديد مفهوم العلم، ويمكن عرض بعض التعريفات:

يعرف فان دالين البحث العلمي بأنه محاولة دقيقة ومنظمة وناقدة للتوصل إلى حلول لمختلف المشكلات التي تواجهها الإنسانية، وتثير قلق وحيرة الإنسان.

ويعرفه ويتبنى بأنه استقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التأكد من صحتها. ويعرفه بعض الباحثين بأنه جهد علمي يهدف إلى اكتشاف الحقائق الجديدة، والتأكد من صحتها، وتحليل العلاقات بين الحقائق المختلفة. (عبيدات وآخرون، 2005، ص. 41-42)

ومما سبق يمكن استخلاص التعريف التالي:

البحث العلمي هو مجموعة الجهود الإنسانية المنظمة وفق قواعد ومبادئ متعارف عليها بين الباحثين، بهدف فهم الظواهر والتنبؤ بها للتحكم والسيطرة عليها، فضلا عن حل المشكلات وتطوير الحياة الإنسانية بشكل عام.

2- علم المكتبات والمعلومات:

علم المكتبات والمعلومات هو مجموع القواعد والحقائق والنظريات والمعايير والقوانين التي تعنى بتجميع ومعالجة وحفظ وإتاحة الوثائق والمعلومات، بهدف تسهيل الاستفادة من مصادر المعلومات المتنوعة من طرف المستفيدين على اختلاف فئاتهم واحتياجاتهم.

3- منهجية النظم الناعمة:

هي طريقة منظمة لدراسة القضايا الاجتماعية ذات التعقيد الكبير بسبب مجموعة الأنشطة البشرية التي تشكل مشكلة البحث. (الخروصية وآخرون، 2019، ص. 6)

وتستند منهجية النظم الناعمة على النموذج الأخير الذي طوره كل من Poulter و Checkland سنة 2006م، بعد مراحل متعددة من تطوير المنهجية على مدار ثلاثة عقود سابقة، حيث يمر البحث بأربع مراحل مختلفة، وفي كل مرحلة تطبق مجموعة من الأساليب البحثية التي تسهم في تطور المعرفة ونمو الفهم في قضية البحث. المرحلة الأولى: تعريف مشكلة البحث وتطوير صورة شاملة عنها:

ترتبط هذه المرحلة بمحاولة فهم القضية الواقعة تحت الدراسة، وقد يبدأ هذا بطرح أسئلة عامة تتعلق بالمشكلة، ثم يحاول الباحث من الحوار المباشر التعرف على كافة العوامل المؤثرة على الظاهرة، واستكشاف مجموعة من النظم الفرعية المشكلة للنظام المتكامل للظاهرة، كما يحاول الباحث في هذه المرحلة التواصل المباشر مع الفاعلين الرئيسيين في قضية البحث لتعريف المشكلة من خلالهم، والتعرف على مختلف توجهاتهم وتطلعاتهم، وبعد جمع البيانات وتحليلها تتشكل صورة شاملة حول مشكلة البحث توضح أهم العناصر الفاعلة ضمنها، وأهم آراء المشاركين في البحث وتوجهاتهم.

المرحلة الثانية: تطوير نظم مفاهيمية:

تبدأ هذه المرحلة بتطوير بعض النظم التي أسماها Checkland نظم الأنشطة البشرية، وهدفها الأساسي تطوير قضية البحث وفقا للبيانات التي تم تجميعها في المرحلة الأولى، وتتميز هذه النظم بعدة خصائص أهمها:

- جميعها تعتبر الإنسان مكونا رئيسيا في بنيتها وتكوينها وتطورها.
- كل نظام يتكون من مجموعة من النظم الفرعية حيث تسهم جميعها في تقديم وظائف معينة تخدم النظام المتكامل.

- تقوم النظم بثلاث وظائف مختلفة: استقبال المدخلات، المعالجة والمخرجات.

- تتميز النظم بالمرونة وقابلية التغيير والتطور المستمر.

- تؤثر وتتأثر بالبيئة الداخلية والخارجية.

وتنقسم هذه النظم إلى قسمين: النظم غير المحسوسة، والنظم المحسوسة والملموسة في أرض الواقع، النظم غير المحسوسة هي نظن تتداخل ضمن سير العمل داخل المؤسسات والأقسام، ولكنها غير مرئية أو محسوسة، وتبقى ضرورية لتنفيذ الوظائف العامة، أو تطوير الأداء، ومن الأمثلة عليها نظام الاتصال بين الموظفين، أو نظام تغيير السلوك أو تنمية الوعي؛ أما النظم المحسوسة فهي نظم موجودة على أرض الواقع ويمكن مشاهدتها، والتعرف على كفاءتها، مثل النظام الإلكتروني لإدارة المؤسسة، والنظام المالي والإداري.

المرحلة الثالثة: مناقشة النظم القابلة للتطبيق على أرض الواقع:

تهدف هذه المرحلة إلى مقارنة ما تم اقتراحه من نظم تساعد على حل مشكلة البحث في الواقع، وما يمكن توفيره من مصادر بشرية ومادية وتقنية تسهم في تطبيق النظم على أرض الواقع، والذي سيتم تنفيذه في المرحلة الرابعة

المرحلة الرابعة: التنفيذ:

في هذه المرحلة يتم تنفيذ مقترحات التغيير التي تم الاتفاق عليها، والتي يمكن دعمها بالمتطلبات المادية والبشرية المتوفرة. (الحراصي، 2016، ص.8-9)

4- البحوث الابتكارية في إطار المؤسسات الناشئة:

تعرف المؤسسات الناشئة Start-up بأنها مشروع صغير بدأ للتو، وكلمة Start-up تتكون من جزئين Start وتعني فكرة الإنطلاق و up وهي تشير للنمو السريع.

وبدأ استخدام مصطلح Start-up بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك مع بداية ظهور شركات الرأس المال المخاطر Capital-Risque ليشيع استخدام هذا المصطلح بعد ذلك.

كما يعرفها القاموس الفرنسي La rousse على أنها المؤسسات الشابة المبتكرة في قطاع التكنولوجيات الحديثة. (بوالشعور، 2018، ص.419)

وتكمن أهمية المؤسسات الناشئة في كونها:

- توفر فرص عمل حقيقية منتجة، وتعمل على معالجة مشكلة البطالة.

- تعتمد على البحث والتطوير لا سيما في مجال التكنولوجيا.

- تهدف لزيادة الإنتاجية والمحافظة على التنافسية. (سبتي، 2009، ص.13)

- تساهم في تطور الاقتصاد المبني المعرفة وتدعم التنمية الوطنية.

وأهم خصائص المؤسسات الناشئة:

- هي مؤسسات حديثة النشأة، شابة ومؤثة بحث لا يتجاوز عمرها 8 سنوات ثم تصبح مؤسسات كبيرة.

- تعتمد على الابتكار.
- لديها قدرة عالية على النمو والتطور.
- نسبة المخاطرة فيها عالية. (حسين وصديقي، 2021، ص. 73-74)
- عدد عمالها لا يتجاوز 250 عامل.

1.4- البحوث الابتكارية:

تعرف منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE الابتكار بأنه فكرة أو مجموعة من الأفكار الإبداعية والتي تترجم تحول إلى منتج جديد أو طريقة عمل جديدة موجهة للبيع أو الاستعمال. (ملايكة، 2012، ص. 119)

ويعرف الابتكار أيضا بأنه عبارة عن حلول لمشكلات موجودة في الواقع الاجتماعي أو الاقتصادي، حيث تكون هذه المشكلة متكررة وتشمل شريحة معينة أو عدة شرائح، وهن ثم تأتي الفكرة المبتكرة بمنتج أو خدمة جديدة لم معروفة من قبل لتجاوز هذه الصعوبات.

وتعتبر الجامعات ومراكز البحث والتطوير هي الهيئات العلمية الأولى المهتمة بمجال البحوث الابتكارية، وبالتالي فهي تقدم حلولاً مبتكرة للعديد من المشكلات الموجودة في المؤسسات مهما كانت طبيعتها، اجتماعية، خدمية، إدارية أو اقتصادية... الخ.

2.4- القرار الوزاري 1275 الخاص بشهادة مؤسسة ناشئة / شهادة براءة اختراع:

يعد صدور القرار الوزاري 1275 المؤرخ في 27 سبتمبر 2022م، الذي يحدد كفاءات إعداد مشروع مذكرة تخرج للحصول على شهادة جامعية مؤسسة ناشئة - شهادة براءة اختراع نقلة نوعية في نوع البحوث العلمية في المؤسسات الجامعية، حيث يهدف هذا القرار إلى خلق جيل من الطلبة رواد الأعمال لهم القدرة والرغبة في التوجه نحو ريادة الأعمال الابتكارية وخلق المؤسسات الناشئة الخلاقة للثروة ومناصب الشغل، والتي تعد عملاً مربحاً يقوم على أسس ودعائم الابتكار والتكنولوجيا، بهدف إيجاد حلول تقنية أو تكنولوجية أو رقمية لمؤسسات قائمة أو مؤسسات مستقلة بذاتها. (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2022)

مع العلم أن معايير تقييم المشاريع في إطار القرار الوزاري 1275 هي كالتالي:

- وضوح الفكرة الأساسية وسلامتها 20 %.
- الجوانب الابتكارية للمشروع 25 %.
- صحة BMC الأعمال التجاري 30 %.
- الوصول إلى النموذج الأولي 25 %.

وتجدر الإشارة إلى أن حصول المشروع على وسم " لابل مشروع مبتكر " يعني حصول فريق العمل على مجموع نقاط التقييم الأربعة 100 %؛ كما أنه لا يتم عرض المشروع للمناقشة قبل حصوله على ترخيص من مركز الدعم التكنولوجي والابتكار CATI وحصوله على رقم الإيداع في الجهات المعنية بالحماية وهي: INAPI

ONDA إذا كان المشروع فيه تحسين لمنتج أو ابتكار جديد. (اللجنة الوطنية التنسيقية لمتابعة الابتكار وحاضنات الأعمال الجامعية، 2022)

3.4- المؤسسات الناشئة في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية:

إن مفاهيم الابتكار والإبداع وبراءات الاختراع وإنشاء المؤسسات الناشئة Start-up ينظر لها على أنها مرتبطة فقط بميدان العلوم والتكنولوجيا، وبعبارة نوعا ما عن الميادين الأخرى على غرار ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث بما يصعب تجسيد واعتماد مؤسسات ناشئة وتسجيل براءات اختراع قائمة على أسس إبداعية وتتضمن جوانب ابتكارية يمكن أن تأخذ طابع تجاري تجاري مربح، لها القدرة على الحصول على "لابل مشروع مبتكر" أو "لابل مؤسسة ناشئة".

وتخصص المكتبات والمعلومات هو أحد التخصصات في مجال العلوم الإنسانية، ومن أهم ما يمتاز به هذا التخصص هو اقترابه الشديد من تخصص تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وهذا ظاهر بجلاء في البحوث العلمية في هذا التخصص لا سيما في العقدين الماضيين، مما يؤهله إلى الولوج بكل ثقة إلى عالم المؤسسات الناشئة، خصوصا بالنسبة لإنشاء وتصميم المنصات والتطبيقات والبرامج الرقمية، (جامعة محمد لين دباغين، 2023) وهذا يعني ضرورة تغيير ذهنية جميع المتتمين إلى هذا التخصص، سواء كانوا مسؤولي، أساتذة وطلبة للتكيف مع هذا التطور الجديد في الجامعة الجزائرية، مما يتطلب جهودا على مستوى الإعلام والتحسيس، فضلا عن المتابعة والمرافقة والدعم.

4.4- دور حاضنات الأعمال الجامعية:

إن لحاضنة الأعمال الجامعية دور كبير في دعم اقتصاد المعرفة كونها تعمل على تكوين ومرافقة الطلبة حاملي المشاريع المنخرطين في إطار القرار الوزاري 1275 المؤرخ في 27 سبتمبر 2022م، الذي يحدد كفاءات إعداد مشروع مذكرة تخرج للحصول على شهادة جامعية مؤسسة ناشئة - شهادة براءة اختراع، فافتحاح مجال ريادة الأعمال والمقاولة بالنسبة للطلبة الجامعيين وخصوصا في مجالات العلوم الإسلامية والاجتماعية والإنسانية ليس بالعملية البسيطة، فهي تتطلب بالأساس تأهيل هؤلاء الطلبة كي يصبحوا رواد أعمال قادرين على الإنتاج وتقديم الخدمات وخلق فرص عمل، وبالتالي المساهمة في خلق الثروة ودعم الاقتصاد الوطني والتنمية الوطنية.

5.4- نموذج عن حاضنات الأعمال الجامعية:

لحاضنة أعمال جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة دور في دعم اقتصاد المعرفة كونها تعمل على تكوين ومرافقة الطلبة حاملي المشاريع المنخرطين في إطار القرار الوزاري 1275 المؤرخ في 27 سبتمبر 2022م، الذي يحدد كفاءات إعداد مشروع مذكرة تخرج للحصول على شهادة جامعية مؤسسة ناشئة - شهادة براءة اختراع، شأنها في هذا شأن بقية حاضنات الأعمال الجامعية، فافتحاح مجال ريادة الأعمال والمقاولة بالنسبة للطلبة الجامعيين وخصوصا في مجالات العلوم الإسلامية والاجتماعية والإنسانية ليس بالعملية البسيطة، فهي تتطلب بالأساس تأهيل

هؤلاء الطلبة كي يصبحوا رواد أعمال قادرين على الإنتاج وتقديم الخدمات وخلق فرص عمل، وبالتالي المساهمة في خلق الثروة ودعم الاقتصاد الوطني والتنمية الوطنية.

مع العلم أن القائمين على حاضنة أعمال جامعة الأمير عبد القادر واعون بأن المؤسسات الناشئة هي عبارة عن مشاريع قائمة على الابتكار والإبداع وأغلبها يعتمد على التكنولوجيا، مما يتطلب دعما ومرافقة من النظام البيئي للمؤسسات الناشئة، حيث تأتي حاضنات الأعمال الجامعية في مقدمة هذه المؤسسات الداعمة للطلبة حاملي المشاريع.

1.5.4- تقييم نشاطات حاضنة الأعمال الجامعية

قامت حاضنة أعمال جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بعدد من الأنشطة، يمكن أن نقسمها إلى قسمين: أ- الأنشطة الإعلامية: وهي موجهة لعدد من الفئات الجامعية وهم: الطلبة، الأساتذة، المسؤولين... الخ، وهذا بغرض توعية كل هذه الفئات بالقرار الوزاري 1275 الخاص بكيفية الحصول على شهادة مؤسسة ناشئة - شهادة براءة اختراع، وآليات تنفيذ هذا القرار، وفي هذا الصدد نظمت حاضنة أعمال جامعة الأمير عبد القادر لقاء تحسيسيا إعلاميا عاما يوم 20 نوفمبر 2022م، وأعقبته يوم تحسيسي آخر موجه لطلبة كلية أصول الدين في 06 ديسمبر 2022م، بالإضافة إلى يوم إعلامي ثالث موجه للطلبة المسجلين في هذا الإطار بتاريخ 07 فيفري 2023م، وأخيرا مشاركة لحاضنة الأعمال في اليوم الإعلامي المنظم من طرف كلية الآداب والحضارة الإسلامية بتاريخ 22 مارس 2023م موجه لأساتذة الكلية؛ وقد تم عرض في كل هذه اللقاءات مضمون القرار الوزاري 1275 وكيفية تطبيقه، فضلا عن تقديم مداخلات وشروحات في مجال ريادة الأعمال والمقاولية والمؤسسات الناشئة والابتكار والموضوعات ذات العلاقة.

ب- الأنشطة التكوينية: إستفاد الطلبة المسجلون في إطار القرار الوزاري 1275 من دورة تكوينية في نموذج مخطط الأعمال التجاري BMC بتاريخ 08 مارس 2023م، من تأطير أعضاء اللجنة العلمية لحاضنة أعمال جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، على اعتبار أن مخطط الأعمال التجاري هو أهم المواد التي ينبغي أن يتقنها الطلبة حاملو المشاريع، فهو أساس الحصول على شهادة مؤسسة ناشئة.

الأنشطة الإعلامية التي قامت بها حاضنة أعمال جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية كانت كافية، لكن ما يلاحظ هو قلة الحضور باستثناء اللقاء التحسيسي الأول الذي كان عاما والذي شهر إقبالا كبيرا من جميع الفئات، ولعل هذه الظاهرة ترجع إلى أن تجربة المؤسسات الناشئة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية هي في بداياتها بالنسبة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، والأمر يحتاج إلى وقت كي يستوعب كل من الطالب، الأستاذ والمسؤول هذا المسار الجديد، فضلا عن تغيير الذهنيات الذي ليس بالأمر الهين، فالأستاذ أو الطالب الذي ألف نوعا معينا من مشاريع البحث ليس بسيطاً تغييره بين عشية وضحاها، وهذه طبيعة أي مشروع جديد.

أما بالنسبة للأنشطة التكوينية فهي في مرحلتها الأولى، واختيار مخطط الأعمال التجاري BMC كي يكون موضوع الدورة الأولى هو اختيار موفق نظرا لأهميته القصوى بالنسبة للطلبة حاملي المشاريع، في انتظار تنظيم دورات أخرى قد تكون في الجانب القانوني، التسويق الإلكتروني، الإدارة والمناجمت وغيرها.

2.5.4- معوقات حاضنة الأعمال الجامعية:

من أهم المعوقات التي تواجه حاضنة أعمال جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة غياب المراكز التقنية لمتابعة الابتكارات والمشاريع التكنولوجية، فضلا عن غياب القانون الأساسي لحاضنات الأعمال الجامعية، والذي يحدد المهام والأدوار والصلاحيات والعلاقات بدقة، بالإضافة إلى تهمين جهود القائمين على حاضنات الأعمال الجامعية، كما أن تواجد مقر حاضنة الأعمال في الطابق الخامس في مجمع المخابر هو غير مناسب، ولهذا يفضل أن يكون سهل الوصول بالنسبة للقائمين على الحاضنة، الطلبة، الأساتذة وأي مستفيد.

3.5.4- تفعيل دور حاضنة الأعمال الجامعية مستقبلا:

من أجل تفعيل دور حاضنة أعمال جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ينبغي إبرام عقود شراكة مع مراكز دعم الابتكارات التقنية والتكنولوجية، لتفادي تعثر المشاريع بسبب غياب المرافق التقنية اللازمة، فضلا عن برمجة خرجات ميدانية لفائدة الطلبة المسجلين في الحاضنة إلى المؤسسات الاقتصادية، البنوك، الهيئات الجبائية والتجارية و مؤسسات رأس المال المخاطر، كما أن الاهتمام اللائق بتكوين المكونين من شأنه أن يرفع من كفاءة هؤلاء المكونين، مما يعود إيجابا على الطلبة المتكويين، وهذا يعني تنظيم دورات تدريبية للهيئات القائمة على حاضنات الأعمال الجامعية نوعية وبالقدر الكافي، دون أن نهمّل إصدار القانون الأساسي لحاضنات الأعمال الجامعية الذي من شأنه أن يحدد المهام والعلاقات وتهمين جهود أعضاء حاضنات الأعمال الجامعية وغيرها.

5- مواكبة المتخصصين في المكتبات والمعلومات للمستجدات:

من الضروري على المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات أن يتكيفوا مع كل هذه المستجدات، من خلال تفعيل اليقظة المعلوماتية من جهة، ومتابعة الدورات التكوينية التي تنظمها مختلف الهيئات والمؤسسات، سواء كانت عمومية أو خاصة في مثل هذه المناهج والتقنيات الحديثة، للاستفادة منها وأخذ الخبرات واكتساب الكفاءات الضرورية، ولعل حصول طالب الدكتوراه عبد الرزاق بوسمينية من جامعة قسنطينة 2 على وسم مشروع مبتكر ثم وسم مؤسسة ناشئة مؤخرا من وزارة اقتصاد المعرفة والمؤسسات الناشئة والمصغرة، هو أكبر دليل على إمكانية اقتحام المتخصصين في المكتبات والمعلومات عالم المقاولاتية وريادة الأعمال، ومن ثم المساهمة في اقتصاد المعرفة والتنمية الوطنية في نهاية المطاف.

وتجدر الإشارة إلى ضرورة العمل لتجاوز المعوقات النفسية والتمسك بالطرق والمناهج القديمة في إعداد البحوث العلمية في مجال المكتبات والمعلومات، لأنه لا مكان لأي كان لا يواكب التطورات ويبقى حبيس الأنماط التقليدية في ميدان من الميادين، ولعل نشر الوعي باستخدام كل الطرق الممكنة، فضلا عن إبراز النماذج الناجحة في هذا

المجال له دور كبير في تغيير الذهنيات والتوجه قدما في تطوير وترقية تخصص المكتبات والمعلومات من خلال مواكبة المستجدات وتحسين الطرق والمناهج والآليات المستخدمة في البحث العلمي في هذا المجال الحيوي.

6- النتائج العامة للدراسة:

من خلال ما سبق نستنتج ما يلي:

- تجديد وتحديث البحوث في تخصص علوم المكتبات والمعلومات له أهمية بالغة من خلال مسايرة المستجدات والتطورات المرتبطة بمناهج وأساليب وتقنيات البحث العلمي.
- منهجية النظم الناعمة هي طريقة حديثة في معالجة وتطوير البحوث ذات التعقيدات والأبعاد الكبيرة يمكن الاستفادة منها في تخصص المكتبات والمعلومات.
- يمثل صدور القرار الوزاري 1275 نقلة نوعية في نوع البحوث التي يقوم بها طلبة الجامعة من خلال الاعتماد على الابتكار والإبداع فضلا على إنشاء المؤسسات الناشئة.
- إن ولوج العلوم الانسانية والاجتماعية ومنها علم المكتبات إلى عالم المؤسسات الناشئة هو تحدي يتطلب وعيا وعملا منظما بالنسبة لكل المنتسبين إلى قطاع المكتبات والمعلومات بالتعاون مع الهيئات ذات العلاقة.
- يمكن أن تشكل البحوث الابتكارية لخلق المؤسسات الناشئة توجها حديثا في تخصص المكتبات والمعلومات، رغم أنه قد لا يجذب عددا كبيرا من الطلبة والباحثين.

- خاتمة:

في الأخير نصل إلى أهمية مواكبة تخصص المكتبات والمعلومات للتطورات في جميع الميادين، ومنها طرق ومناهج البحث العلمي، بهدف تطوير وتحسين جودة البحوث العلمية في مجال المكتبات والمعلومات، وإثبات دور هذا التخصص في التطوير الاجتماعي والاقتصادي من أجل المساهمة في التنمية الوطنية في نهاية المطاف، لأن الانكفاء والتفوق لا يفيد أي تخصص من التخصصات بل يضره، ولهذا فإن الانفتاح على كل ما هو جديد يطور التخصص ويقدم له إضافات لم تكون موجودة في السابق، وهذا ما ينبغي أن لا يغفل عليه القائمون على تخصص المكتبات والمعلومات.

قائمة المصادر والمراجع:

- 01- بوالشعور، شريفة. (2018). دور حاضنات الأعمال في دعم وتنمية المؤسسات الناشئة Start-up: دراسة حالة الجزائر. مجلة البشائر الاقتصادية. مج. 4، ع. 2. بشار، الجزائر. جامعة بشار.
- 02- الحراصي، نبهان. (2016). تطبيق منهجية النظم الناعمة في العلوم الاجتماعية: تطوير مقرر مناهج البحث للدراسات العليا بقسم دراسات المعلومات بجامعة السلطان قابوس أتمودجا. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. مج. 7، ع. 3. مسقط، سلطنة عمان. جامعة السلطان قابوس.
- 03- جامعة محمد الأمين دباغين سطيف 2. (2023). الملتقى الوطني الأول حول المؤسسات الناشئة Start-up في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية: الواقع والآفاق يومي 15-16 مارس 2023.
- 04- حسين يوسف وصديقي إسماعيل. دراسة ميدانية لواقع إنشاء المؤسسات الناشئة في الجزائر. مجلة حوليات جامعة بشار في العلوم الاقتصادية. مج. 8، ع. 1. بشار، الجزائر. جامعة بشار.
- 05- الخروصية رحمة وآخرون (2019) توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في المكتبات الأكاديمية العمانية: دراسة باعتماد منهجية النظم الناعمة. مجلة. زيارة يوم 2023/04/06 م. متاح على:
http://www.journal.cybrarians.info/index.php?option=com_section&view=category&id=59&Itemid=93
- 06- سبتي محمد (2009) فعالية رأس المال المخاطر في تمويل المشاريع الناشئة رسالة ماجستير في تخصص إدارة مالية. جامعة منتوري قسنطينة.
- 07- عبيدات ذوقان وآخرون (2005). البحث العلمي: مفهومه أدواته وأساليبه. عمان، الأردن. دار الفكر. [تم الاعتماد أيضا على طبعة 1984]
- 08- اللجنة الوطنية التنسيقية لمتابعة الابتكار وحاضنات الأعمال الجامعية. (2022). آليات تنفيذ مشروع القرار 1275 شهادة مؤسسة ناشئة / شهادة براءة اختراع.
- 09- ملايكة عامر. واقع الابتكار في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية. مجلة العلوم الإنسانية، ع. 28/27. بسكرة، الجزائر. جامعة محمد خيضر.
- 10- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. (2022). قرار رقم 1275 المؤرخ في 27 سبتمبر 2022م، الذي يحدد كفاءات إعداد مشروع مذكرة تخرج للحصول على شهادة جامعية مؤسسة ناشئة - شهادة براءة اختراع. دار العبيكان، الرياض، 2007، ص 47.

المقدمة:

أكدت نتائج التنقيبات الخاصة بالمواقع الأثرية في شمال إفريقيا أن الطرح القديم الذي عكسته النصوص الأدبية اللاتينية -خاصة- والذي يعتبر بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني مجالاً للقبائل المتنقلة لم يعد قائماً، حيث تأكد وجود سكن حضري محلي سابق للاحتلال الروماني، تطبعه التأثيرات المتوسطية، خاصة منها الفينيقية -القرطاجية، وكذا الأغريقية، ويتميز بتطور ملحوظ ساهمت فيه جهود روما في اختيار مراكزها الحضرية وإنشائها.

الاشكالية:

سنحاول في هذا الموضوع معالجة إشكالية ما مفهوم المدينة وأصولها في بلاد المغرب القديم؟ وما أبرز التطورات التي عرفت مع دخول الاحتلال الروماني؟ ثم ما انعكاس ذلك على المدن الإفريقية عامة إيجاباً وسلباً؟

1- مفهوم المدينة وأصولها في بلاد المغرب القديم:

شهدت منطقة بلاد المغرب القديم منذ نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد، حسب ما ورد في النصوص الكلاسيكية اللاتينية المعاصرة لهذه الفترة وجود مملكتي نوميديا الشرقية الممتدة من الأراضي القرطاجية شرقاً إلى واد لامبساقا (واد الرمال بقسنطينة)، ونوميديا الغربية الممتدة من واد الرمال إلى نهر مولوشا (مالفا أو ملوية)، وكذا مملكة موريطانيا الممتدة من نهر الملوية إلى المحيط الأطلسي. ورغم أن النصوص الأدبية اللاتينية التي بدأت الكتابة عن تاريخ هذه المنطقة تزامناً مع الحروب البونية بين قرطاج وروما تؤرخ لها بالقرن الثالث ق.م، فإن الشواهد الأثرية التي لا يزال البحث فيه مفتوحاً، تشهد على أقدمية تلك الممالك، ولعل ما يعكس ذلك هو التقدم الحضري الذي شهدته حواضر هذه الممالك، خلال القرن الثالث ق.م، وهو ما يوحي بتعميرها منذ فترة سابقة. ولعل أبرز مظهر للتطور الحضري لهذه المنطقة هو التنظيم الذي عرفته مدنها. مثلما هي مدينة بناصا الواقعة على وادي سبو، حيث ميزتها مجموعة شواهد أكدت وجود حضارة مملكة موريطانيا، كوجود أفران للنفخار المحلي المصبوغ سابقة عن إقامة المستوطنة التي أنشأها أغسطس في القرن الأول ميلادي، وهو مؤشر على أقدمية الاستقرار في المدينة¹. كما نجد مدينة تمودة (Tamuda) على الضفة اليمنى لوادي مارتيل التي تعتبر بدورها أحسن نموذج للحاضرة الموريطانية، فقد توفرت على تصميم منتظم منذ نهاية القرن الأول ق.م يطبعه بعض التأثيرات الهلنستية².

¹ سيدي محمد العيوض، موقع بناصا الأثري من الأصول إلى الجلاء الروماني، مساهمة في دراسة مدن المغرب القديم، مطبعة الرباط، المملكة المغربية، 2010، ص 27.

² سيدي محمد العيوض، مدن المغرب القديم من خلال إشارات النصوص ونتائج البحث الأثري، مطبعة الرباط، المملكة المغربية، 2011، ص 17.

كما أننا نجد بالإضافة إلى هذه الشواهد الأثرية نصوصا تتحدث عن ولاية الملك في الأقاليم، كنص تيتوس ليفيوس¹ الذي يتحدث عن تعيين سيفاكس لولاية له (برايفكتوس Praefectus) في بلاد الماسيل (نوميديا الشرقية)، وكذا ما ورد عند سالوست² في حديثه عن ولاية الملك يوغرطة الذين استقبلوا القنصل الروماني ميتيلوس في مدينة باجة (Vaga) عند اجتياحه الأراضي النوميديية (112-103 ق.م)، وهو ما يوحي لنا بوجود حكام أقاليم يخضعون لأوامر السلطة المركزية³. ويشير كامبس إلى أن هذه الأقاليم بمثابة "Regia" ملكية مثلت عواصم جهوية تنتقل فيها الملوك بسهولة ويمارسون رقابة مباشرة على هذه المدن من خلال قيام أولئك البرافكتي (الولاية) إضافة إلى قيادة الحاميات العسكرية خلال فترات الحرب، كانوا يتكفلون بجمع الضريبة، وبهذه الصفة تكون مدغم بمثابة مقرات لدوائر مالية⁴ ويبدو أن طابع هذه المدن كان يتميز بنوع من الاستقلالية، سواء كانت هذه المدن ساحلية أو داخلية. ذلك أن المدن الساحلية كانت مائلة إلى الاتساع والانفصال في وحدات شبه مستقلة في كل ما يخص حياتها الداخلية، وهو ما يسمى بنظام البلديات الذي نجده كذلك بالمدن الداخلية ذات الأصول النوميديية، حتى أن العملة قد سكت بإسمها، ومنها قيرطا تاجوراء⁵، وهو ما يعكس استقلاليتها الداخلية. يمكننا أن نلاحظ في طابع هذه المدن أيضا إما طابعا نوميديا، وهو ما ينطبق على المدن التابعة إلى الممالك النوميديية خاصة، ومدنا ذات طابع بونيقي. هذه الأخيرة التي نجدها في الساحلية منها، التي كان سكانها من أعراق مختلفة، منهم المنحدرون من أصل ليبي (محلي) ومنهم من أحفاد المهاجرين الفينيقيين، ومنهم المولودين من الطرفين، إضافة إلى عناصر متوسطية مختلفة جاءت لهذه المدن لتأجير خدماتها إما في المجال العسكري أو الحرفي، أو في مجال البناء والتعدين، حيث كان هؤلاء السكان خاضعين فيما سبق لسلطة قرطاجة أو معترفين بهيمنتها منذ أن تزعمت السيادة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فكان النظام في هذه المدن وما والاها من المدن الداخلية المتأثرة بها مماثلا لنظام المدن الفينيقيية الموصوف بكونه نظاما أرستقراطيا يشبه جمهورية التجار، على اعتبار أنه مكرسا لرعاية مصالح الطبقة المسيطرة على مجتمع المدينة. فالمدينة كانت مستقلة عن بعضها البعض ولا تدين لقرطاجة إلا من ناحية الاعتراف بالسيادة الخارجية والقيام نحوها بواجب الحماية والمؤازرة عند اقتضاء الحاجة⁶.

¹ Tite-Live, Histoire romaine, XXX, 11, 2, tome second, éd. Firmin Didot frères et Cie, Paris, 1869.

² Salluste, Guerre de Jugurtha, LXIX. Traduction Garnier, éd. François Richard, 1933.

³ محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، الجزائر، 1992، ص 107.

⁴ غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق محمد العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص 310.

⁵ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 107.

⁶ محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى-عين مليلة، الجزائر، 2013، ص 140.

ويبدو أن هذا الطابع البونيقي الناتج عن التأثير بالحضارة القرطاجية التي كانت تسيطر على الحوض الغربي لبحر المتوسط في تلك الفترة قد طال حتى بعض المدن النوميدية مثل مدينة سیرتا عاصمة المملكة النوميدية، من خلال الاكتشافات التي تمت في معبد الحفرة التي قدمت لنا صورة مهمة عن المجتمع السيرتي في عهد ماسينيسا (203-148 ق.م) وابنه مكيسا من بعده (148-118 ق.م)، من خلال النص الأثري الليبي المكتوب أيضا بالبنونية، يحوي أسماء أشخاص يحملون أسماء بونيقية ولهم رتب ووظائف موجودة في قرطاج وفي المدن الفينيقية الأخرى. ولعل ذلك راجع إلى كون هذه العاصمة النوميدية ذات صيت كبير وأهمية بالغة، فهي لم تكن تتحكم في القرى المجاورة لها فحسب، بل وتعد صفقات مع بلدان بعيدة، فهي سیرتا المدينة التي ينتقل اليها التجار من أماكن مختلفة مثلما تورد لنا النصوص أن تجارا اغريق يترددون على عاصمة ماسينيسا، وأن تجارا ايطاليين كانوا متمركزين بها، والدليل على ذلك ما تحمله أنصاب معبد الحفرة المكتوبة بالاغريقية واللاتينية. ففي القرن الثاني ق.م كانت سیرتا عاصمة حقيقية رغم اكتسابها طابعا بونيا¹، لكون اللغة البونية لغة التعامل بين ذلك الخليل من التجار وكل الفئات الوافدة إلى هذه العاصمة من مختلف مناطق المتوسط، وهوما اضطر ربما إلى كتابة النقوش باللغتين البونية والليبية.

ويتجلى لنا الطابع البونيقي أو النوميدي في تلك المدن أكثر في تنظيمها الإداري، من خلال ما خلفته بعض نقوش هذه المدن. فقد كان في باجة عند نهاية القرن الثاني قبل الميلاد مجلس شيوخ، وهناك نصوص قد تسمح لنا بافتراض أن أشفاطا كانوا يديرون قيرطا (سیرتا) وتبسة منذ القرن الثالث قبل الميلاد². كما أن هناك نقيشة بونية تحوي معلومات تثبت العمل بنظام الأشفاط في ويلي حتى الفترة الرومانية³. ولكن الجدير بالذكر أن عدد الأشفاط في المدن النوميدية كانوا ثلاثة وليس اثنين مثلما هو الحال في قرطاج والمدن الفينيقية، ومثلما هو كذلك حال مكثرت التي وجد بها نقش معبد حاتحور الذي أكدته شاهدة قبر كنتوس فيروس روقاتوس التي تعطي له لقب مثالت (Triumvir)، واستمر النظام البلدي لهذه المدينة يتكون من مجمع ثلاثي إلى غاية تحويلها إلى مستوطنة رومانية في عهد ماركوس أربليوس (منذ 290 م). كما لوحظ هذا النظام البلدي الثلاثي كذلك في قيرطا فيما يسمى بالضباط الأساسيين في الاتحاد القيرطي. ويبقى النظام البلدي في مدينة دوقة في عهد مكوسان (مكيسا 148-118 ق.م) النموذج الأكثر وضوحا على ما تبينه النقوش⁴، هذا النص المزدوج اللغة بونيقية- نوميدية وُجد منقوشا على لوح تذكاري،

¹ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 312.

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 108.

³ سيدي محمد العيوض، التطور الحضري لويلي من الفترة المورية إلى الفترة الإسلامية. مساهمة في دراسة مدن المغرب القديم، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة-الرباط، 2015، ص 15؛ J. Février, « Inscriptions puniques et néopuniques », Etudes d'antiquité africaines, Année 1966, p.p 81.

⁴ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 108.

يمكن من خلاله تكوين صورة دقيقة عن إدارة هذه المدينة في عهد مكيبسا. فقد كان لديها حينها مجلس مواطنين كُتب باسمه نص إهداء معبد ماسينيسا، ويتكون هذا المجلس من:
-ملك (GLD) ، وهو إقليد باللغة الليبية و م م ل ك ت (M M L K T) باليونانية، وهو ذو وظيفة مدتها سنة.

-ضابطان عسكريان برتبة قائد المائة.

-ثلاثة موظفين مدنيين وهم: م س س ك و M S S K W /

ق ز ب G Z B /

ق ل د ق م ي ل G L D G M I L /

-قائد الخمسين (G L D M ç K)

حيث تكمن أهمية نقوش دوقة هذه في أنها تكشف عن تنظيم إن وُجد فيه تأثير فينيقي فهو قليل جدا¹. فالهيئة الحاكمة هنا تتشكل من ستة أشخاص، منهم ذوو الرتب والوظائف العسكرية، وقد كانوا أكثر نفوذا وأهمية، ثم أصحاب المهام المدنية والدينية. وباعتبار أن دوقة مدينة داخلية واقعة في عمق التراب النوميدي، بحيث كان جل سكانها نوميديين شديدي التأثير بالحضارة الفينيقية، فإن تشكيلة الهيئة الحاكمة فيها تعد نموذجا لما كانت عليه المدن النوميديّة الأخرى من حيث النظام الإداري².

إلى جانب هذا النظام الثلاثي النوميدي، نجد وثائق بعض المدن الأخرى قد احتفظت بما يشهد على العمل بالنظام البونيقي الموصوف بـ الأشفاط (القضاة) الذين كانوا على رأس المجالس البلدية، كما تبين من بعضها أن أسلوب هذا النظام البونيقي قد احتفظ به الرومان فيما بعد ومزجوه بالنظام العسكري النوميدي الثلاثي. وإذا كانت الكثير من المدن النوميديّة الأساسية قد حكمها شفطان حتى في الفترة النوميديّة، فإننا نجد البعض منها مثل مكشر ألتيبوروس تبرنيقة ودوقة قد كان لها ثلاث أشفاط³، وكذا مدينة قالمة التي نجدها قد بقيت محافظة على نظامها الإداري المشابه لنظام دوقة إلى القرن الأول ميلادي بواسطة قاضيين (شفطين) يعينان لمدة سنة واحدة، ورئيس يدعى رب باللاتينية (Princeps)، بسلطات معترف بها من طرف الرومان⁴.

¹ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 307

² محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 141.

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 110.

⁴ محمد خير أورفه لي، "كلاما دراسة وصفية للبقايا الأثرية للمدينة"، مجلة آثار، ع6، معهد الآثار-جامعة الجزائر، 2007، ص 30.

2- تطور مفهوم المدينة خلال فترة الاحتلال الروماني:

مثلت المدينة في الواقع الروماني بشمال إفريقيا رمزا للسلطة، فهي الهدف والوسيلة والنتيجة الأوضح للاحتلال الروماني بالمنطقة، إضافة إلى كونها مركزا إداريا ودينيا وفضاءً للحياة الاجتماعية والثقافية. فالمدينة عكست ذلك العضو الذي سمح بتجمع أفراد من أصول متعددة داخلها وسمح بخدمة جزء من تصاميم الامبراطورية الرومانية بهذه المنطقة، من خلال إطارها العملي الذي خدم أفرادها جيشا وإدارة فأصبحت المدينة الرومانية بذلك سلاحا فعّالا استخدمته روما لرومنة بلاد المغرب والسيطرة عليها، ذلك أنها بدت للرومان الإطار الوحيد الممكن للحياة بالمنطقة.

وإذا كان وجود المدينة ضروري لبقاءهم بالمنطقة، فإنهم لم يخلقوا تلك المدن من عدم، فقد قاموا بإعادة تحويل للمدن القديمة التي وجدوها وحاولوا رومنتها¹. فأصول المدن الرومانية بإفريقيا يعود في الواقع إلى فترة سابقة للاحتلال مع عملية الاستيطان التي بدأها الرومان بعد سقوط قرطاجة وتدميرها سنة 146 ق.م، حيث شرعت روما ابتداءً من 122 ق.م في نقل مستوطنين من إيطاليا إلى الشمال الإفريقي، استفاد منها ستة آلاف مزارع أسست لهم مستوطنة رومانية على أنقاض قرطاجة، ثم أستاذت العملية لاحقا بعد هزيمة يوغرطة سنة 102 ق.م، أين منح القائد ماريوس جنوده أراضي لممارسة العمل الزراعي. هذا عن بداية تأسيس المستوطنات التي ستصبح مدنا فيما بعد، أما في عهد يوليوس قيصر فقد زادت وتيرة الاستيطان في عهده عندما منح شمالي قسنطينة بعد سقوط نوميديا سنة 46 ق.م لجنود حليفه في حربه ضد يوبا الأول، وهو سيتوس، فأقاموا بشمال سيرتا مستعمرات أشهرها: ميليف (Milev)، (ميلة)، شولو (القل)، سيرتا، روسيكادا. وهي مواقع كانت نوميدية-بونيكية عامرة. ونجد أوكتافيوس يواصل بعد قيصر هذه العملية من خلال إطلاق أيدي جنوده المسرحين في المناطق الشمالية من مملكة يوبا الثاني (موريطنيا القيصرية) حيث أسسوا العديد من المستعمرات، أغلبها على الساحل، وهي في مضمونها ذات كثافة بشرية وحضارية نوميدية-بونيكية كذلك، نذكر منها: اجيلجيلي (جيجل)، صالداي (بجاية)، روسازوس (أزفون)، روسيغونيا (تمنفوست)، كرتنا (تنس)، زوكابار (مليانة). وقد واصل الأباطرة اللاحقون سياسة الاستيطان عن طريق الجنود القدماء (Vetirani)، من خلال ما بينته النقوش اللاتينية من أن جل المدن التي أسسها الرومان في بلاد المغرب القديم كانت نواتها مستعمرة لقدماء الجنود، أو موقعا عسكريا انتشر حوله عمران مدني².

وبهذا يمكننا القول بأن أصول المدن الرومانية في المنطقة كانت إما مستعمرات أنشأها الرومان منذ بداية الاستيطان إما بهدف اقتصادي خص استقدام المستوطنين الإيطاليين إلى إفريقيا ومنحهم أراضي زراعية

¹ Marcel. Bénabou, la résistance africaine à la romanisation, librairie François Maspéro, Paris, 1975, p. 395

² محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 212.

وتحصيل السلطة فائدتها منها، أو بهدف عسكري، وإما كانت تلك المدن نوميديّة-بونيقيّة تطورت تدريجياً نحو أشكال الحياة الرومانية حتى تصبح في النهاية مدينة رومانية¹.

هذا عن أصول المدن الرومانية، أما المفهوم الجديد الذي اكتسبه مع الوجود الروماني فقد أصبحت المدينة إما مستعمرة (colonie) يتمتع سكانها بكل حقوق المواطنة الرومانية، وإما أن تكون بلدية رومانية (municipe) تملك مثل المستعمرة مؤسسات مقتبسة من المدن في روما، مثل المجلس البلدي الذي يمثل صورة مجلس الشيوخ (Sénat) بروما². فهي وحدات إدارية كانت تتمتع بوضعيات قانونية مماثلة لشبيهاها في إيطاليا والمقاطعات الرومانية الأخرى من حيث الهياكل والصلاحيات وحقوق وواجبات أفراد مجتمعاتها. ومن أمثلة هذه المدن بمقاطعة موريطانيا القيصرية مثلاً ما أشارت إليه بعض النقوش اللاتينية نجد مدن: أوزيا (سور الغزلان) (Auzia /، صالداي) (Saldae)³، كما ذكر لنا بلينيوس الكبير⁴ أن عدداً كبيراً من حواضر هذه المقاطعة قد رفعه الأباطرة الأوائل إلى وضعية البلديات والمستعمرات، خاصة تلك التي كانت تحت النفوذ الفينيقي أو القرطاجي بالسواحل، أو التي أسسها الجنود الرومان المسرحون ابتداءً من عهد أوكتافيوس أو استوطنت من قبل جاليات إيطالية.

فالمدينة الرومانية كانت أشبه بالجمهورية من خلال اسمها: Respublic، نظراً لطابع الاستقلالية بشؤونها وصفة الاكتفاء اللذين كانا يميزانها وإقليمها، إذ هي لا تحتاج في معاشها إلى إمدادات تمددها بها السلطة العليا إلا عند الضرورة القصوى، لأن المدن في العصر القديم ظهرت على أساس مجتمعات محدودة الانتشار اقتصادياً وجغرافياً، فهي بذلك قليلة التضامن فيما بينها ومتفاوتة الامكانيات الاقتصادية التي كانت قائمة على أساس الملكية الفردية المتفاوتة كذلك، مما دعا إلى انتهاج أسلوب يمكن من تخفيف حدة هذا التفاوت الاقتصادي بين أفراد مجتمع المدينة الواحدة، وذلك من خلال نداءات الالتماس الموجهة إلى الأغنياء حتى يبذلوا مالهم على مؤسساتهم المدنية، وتطور السخاء فأصبح عربون سبق اجتماعي ييؤ صاحب سلطه معنوية وقانونية يدخل بها مرتبة الحكام⁵. فقد خصص أغنياء الأفرقة عموماً جانباً من ثروتهم لتحسين منازلهم ومدنهم، وهذا ما انعكس صوراً فيفساء المنازل الريفية التي كانت ملكاً للموظفين والمستلزمين أو لكبار الملاكين الذين كانوا يقضون بعض الوقت في أراضيهم لقضاء شؤونهم أو للصيد. فالأرستقراطية الرومانية والأهلية على حد سواء التي سكنت المدن سعت إلى تقليد مباني روما وهندستها

¹ M. Bénabou, Op. Cit, p. 396 , 397.

² E. Albertini, l'Afrique romaine, éd. Imprimerie officielle, Alger, 1955, p. 37

³ محمد الشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني)، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون -الجزائر، 1999، ص 83.

⁴ Pline l'Ancien, Histoire naturelle, V, 20, éd. Emil Littré, Paris, 1848

⁵ محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص 83.

لتوفير أسباب الرخاء¹. ونتيجة لذلك أصبحت الامبراطورية الرومانية فيدرالية تضم جمهوريات يحكمها قانون عام ينظم العلاقات فيما بينها ويترك لها حرية التصرف في شؤونها الخاصة بما يلائم ومصالح مواطنيها دون أن تتعارض هذه الحرية مع سيادة روما وسلطة الامبراطور العليا.

وقد تضاعف عدد البلدات والمستعمرات تدريجيا بسبب ترفيعات الأباطرة للمدن الافريقية من وضعية المدن الأجنبية إلى مدن رومانية عندما تتأثر بالحضارة الرومانية وترتفع فيها نسبة العنصر الروماني. اضافة إلى تكاثر ونمو المدن العسكرية التي كانت تنشأ حول المعسكرات نتيجة الحركة الاقتصادية والاجتماعية التي أحدثتها المؤسسة العسكرية في المناطق الزراعية ذات الكثافة العالية²، فأصبحت المدينة بذلك حاضرة المزارعين في المناطق الزراعية، يرتبط معاش سكانها وثرواتهم بما تنتجه حقولهم المنتشرة في اقليم المدينة، بينما كانت موارد المدن الساحلية تعتمد على الأنشطة الحرفية والتجارية والبحرية³.

ومن جهة أخرى، إذا جئنا إلى معرفة أوضاع هذه المدن نجدها مختلفة من الناحية الادارية عن بعضها البعض، إذ تتوضع في القمة المستعمرات الرومانية (colonies)، وفي درجة أقل منها نجد البلديات الرومانية (Les municipes) التي كان سكانها أيضا مواطنين رومان لكنهم لا يستفيدون من نفس الاعفاءات الضريبية مثل التي تتمتع بها المستعمرات، ونجد بعدها البلديات اللاتينية (Latini)⁴، لتكون البلديات الأجنبية (Piregrinii) في آخر هذه الدرجات. ذلك ان سياسة الادمج التدريجي للمجتمعات الخاضعة وضع المدن وسكانها في مراتب متفاوتة الأهمية بالنسبة للقانون، بدءًا بوضعية الأجنبي (piregrini) الذي لا يسري عليه القانون الروماني، وهي أدنى درجة في السلم السياسي الاجتماعي للسكان الخاضعين لروما، فأهلها غير أحرار لأنهم لا يرتبطون بأية معاهدة أو اتفاقية مع روما تنأى بهم وبممتلكاتهم عن الوقوع تحت المصادرة بحكم أنهم مهزومون في نظر القانون الروماني⁵. ومهما كان نمط حياة سكان هذه المدن، مستقرين أو رحل فإن التنظيم الاداري لهذه المدن قد يأخذ عدة أشكال في القانون الروماني، بأن تكرر روما أحيانا سلطة زعيم محلي على قبيلة (des princeps) وأحيانا أخرى تبقي مؤسسات من نمط قرطاجي، وفي أحيان أخرى تُنشأ مجلسا يمكنه أن يتحول لاحقا إلى مجلس بلدي من نوع لاتيني أو روماني، حسب درجة الادمج التي ترتقي اليها كل مدينة⁶ من الناحية التشريعية نظريا، أما في الواقع فإننا نجد بعض المدن قد بقيت أجنبية طيلة فترة الاحتلال الروماني، مثل بلدة ألتافا (أولاد ميمون

¹ شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بوسلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص 231.

² محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص ص 86، 83.

³ محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، ص 214.

⁴ G. Camps, les Berbères mémoire et identité, éd. Barzakh, l'Algérie, 2007, p. 165

⁵ محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، ص 214، 216.

⁶ E. Albertini, Op. Cit, p. 37, 39

Altava) التي ظلت على هيكل نظامي تقليدي أساسه بونيقي إلى وقت متأخر، حسب ما تشهد به آثارها، مع أن مواطنيها كانوا يتمتعون بالشخصية القانونية الرومانية، فقد كان على رأسها أمير (Princepes) يساعده مجلس العشرة (Decemprimis) على الطريقة البونيقية. كما كان للبلدة مسؤول عن القربان يحمل لقب "ملك الأضاحي (Rex Sacrorum) "الذي اختفى نهائياً في البلديات المتمتعة بالجنسية الرومانية منذ القرن الثالث ميلادي في جميع الامبراطورية¹. مثل بلدة "Quiza" الأجنبية (Peregrinorum oppidum) التي كانت بمقاطعة موريطانيا بعد فترة حكم الامبراطور "Vespasien" وأشار إليها بلين الكبير².

وأما المرتبة الثانية في سياسة الاندماج، والتي تلي وضعية الأجنبي، فهي المدن اللاتينية (Latini)، وهي مرتبة منحتها روما لأحلافها الإيطاليين منذ القرن الرابع قبل الميلاد، ولها أحكامها في المعاملات القانونية والأحوال الشخصية والجماعية. فهذه المدن اللاتينية هي في درجة ترشحها لأن تتحول إلى مدينة رومانية، أي مستعمرة عندما تتوفر فيها شروط الترفيع، حيث كان الانتقال من وضعية إلى أخرى يُجرى المدينة على التخلي عن نظامها السابق وتعمل بالنظام الجديد³. ومن أمثلة هذه المدن في مقاطعة موريطانيا العائدة إلى فترة ما بعد حكم الامبراطور "Vespasien"، وهي الفترة التي كتب فيها بلينوس الكبير⁴، حيث ذكر لنا مدينة تيبازة (Tipaza) التي لعبت دور مدينة لاتينية، و "Icosium" (الجزائر) على أنها كذلك Latio datum، و "Arsennaria" بأنها Latinorum oppidum⁵

وبعد مرتبة المدن اللاتينية نجد المدن ذات الحق الروماني (Romani) المساوية لما يتمتع به مواطنو روما نفسها من حقوق وواجبات، وهي أعلى درجة كان يطمح في الحصول عليها جميع المرتبتين في الوضعيتين السابقتين، مثل مدينة "Iol" (شرشال) عاصمة يوبا الثاني الذي يذكر بلينوس الكبير بأنها تلقت من الإله "Claude" حق مستعمرة (colonia) و Oppidum Novum، وكذا "Rusconia" مستعمرة أغسطس (colonie d'Auguste)، أيضاً نجد "Rusucurium" التي تلقت من كلوديوس الحق الروماني، وكذا "Rusazus" مستعمرة أغسطس، صالداي (Saldæ) و اجيلجيلي

¹ محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص 87.

² Pline l'Ancien, Histoire naturelle, V, 20

³ محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، ص 216.

⁴ Pline l'Ancien, Histoire naturelle, V, 20

⁵ E. Cat, Essai sur la province romaine de Maurétanie césarienne, Ernest Leroux Editeur, Paris,

1891, p. 242

Igilgili) أو .¹ (Gigeri ففي منتصف القرن الأول للميلاد كان هناك في هذه المقاطعة الموريطانية 16 مستعمرة أو بلدية، 13 منها على الساحل و 3 فقط في الداخل². وخارج هذه الأنواع الثلاث للمدن، كانت توجد مراكز حضرية أخرى تُعرف بالمدن الحرة (Civitas Libiras) التي حافظت على تنظيمها الأصلي، البونيقي خاصة³، وكان هذا الصنف يعني مدينة أجانب أصدقاء لروما وليسوا أحلافاً، فهم أحرار. حيث ظهرت هذه التسمية بشأن المدن البونيقية التي وقعت على الحياض في الحرب البونية الثالثة أو دعمت روما، حيث كان أغلب تلك المدن على الساحل ويغلب على سكانها الصفة البونية من حيث النمط الحضاري⁴. هذا عن مفهوم المدينة وصفتها القانونية خلال فترة الاحتلال الروماني، وحيث أن هذه المدن، خاصة الرومانية منها، قد اتخذت تنظيمًا إداريًا وعمرانيا بقيت بعض آثاره ماثلة إلى اليوم.

3- نظام المدينة الرومانية ومكوناتها في بلاد المغرب القديم:

كان الهيكل الاجتماعي للمدينة الرومانية مكوناً من الشعب (Populus) الذي يجب أن يكون أفراده الذكور متمتعين بالمواطنة الرومانية، والهيئة الحاكمة (Ordo)، أي مجلس الشيوخ، ويشكل الكل الشخصية القانونية للمدينة "Respublica"، حيث كانت القرارات النافذة تؤخذ من طرف مجلس شيوخ البلدة (ordo) والشعب (populus) عن طريق ممثليه تشبهها بما كان من قانون في روما باعتبارها مثلاً لجميع المقاطعات التي تسعى جميعها لأن تكون صُوراً مصغرة لمدينة روما⁵.

حيث يمثل مجلس البلدة في كل البلديات الرومانية المؤسسة العليا في البلدة، لكونه مسؤولاً عن جميع أوجه النشاط السياسي والاقتصادي والعمراني ضمن المجال الجغرافي الداخل في حوزة البلدة، ويضم هذا المجلس عموماً مائة (100) ديكوريون (نواب) (Decuriones)، قد يرتفع هذا العدد أو ينخفض حسب عدد سكان كل مدينة، يعقد جلساته مرة في السنة على الأقل، ويشترط في المترشح أن يكون حرّاً وغير ملتزم بمهام أخرى، ولم يكن قد ارتكب جنحة، زيادة على ضرورة امتلاك ثروة مالية. وتتوزع المهام بهذا المجلس على مجموعة من الموظفين، كمنصب الديومفيري (Duumvir) الذي يشغله شخصان يرأسان مجلس الديكوريون (Decuriones)، ويسهران على تنفيذ الأشغال العمومية ومراجعة قوائم سكان المدينة وتسجيل أصحاب الثروات، ويليه الكوارتور (curator) المكلف بمراقبة التسيير المالي للمدينة، والمسؤول عن الأشغال العمومية. كما وُجدت وظيفة الكويستور (Quaestor) وهو المكلف

¹ Pline l'Ancien, H N, V, 20

² E. Cat, Op. Cit, p.242

³ G. Camps, Op. Cit, p.165

⁴ محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، ص 216.

⁵ محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص 88.

بالشؤون المالية. إضافة إلى منصب الايديليس (Aedilis) الذي كان مسؤولاً عن الأمن بالأسواق وداخل المدينة وصيانة الطرقات والساحات العمومية، وكذا تنفيذ الأشغال العمومية¹. هذه الهيئة النخبوية للمجلس كانت تقوم بمهامها لمدة سنة واحدة.

وقد احتفظت لنا الوثائق بأسماء كثير ممن انتسبوا إلى هذه الهيئة العليا في المجلس البلدي والتي كانت تدعى أحياناً " ويري بريما تي (Viri Primati) " حيث نجد من المدن الموريطانية التي احتفظت الوثائق بأسماء المنتسبين إلى طبقة الموظفين الكبار بالبلدة: قيصرية (شرشال)، أوزيا (سور الغزلان) /Auzia، ألبولي (Albulae) عين تيموشنت)، ألتافا (أولاد ميمون)²، وكيزا (Quiza . بورتوس ماغنوس/ بطبوة قرب أرزيو)³، مما يدل على تماثل الأنظمة الرومانية في بلدات المقاطعات، وهو ما يشير إلى سواد النموذج التمديني الذي شجعتة روما في جميع مقاطعات الامبراطورية، حيث كان هذا النموذج يضمن استقرار الحياة الادارية في البلديات ويديم حركية الأجهزة الهادفة إلى ضمان مصالح محلية تفيد البلدة ذاتها وتحافظ على مصالح سياسية واقتصادية وحضارية عليا لروما في جميع المقاطعات⁴.

والجدير بالذكر أن هذا التراتب لم يكن دائماً ولا شاملاً في جميع المدن، فقد طرأت عليه تغييرات تبعا لتغير الأنظمة وما أحدثته الاصلاحات الادارية والاقليمية المتمثلة في إعادة تقطيع أقاليم المقاطعات، والاجتماعية كقانون تعميم المواطنة الرومانية على جميع أفراد الامبراطورية المنسوب إلى الامبراطور أنطونيوس (كراكلا) بن سيفيروس، إضافة إلى الاصلاحات الاقتصادية، الجبائية خاصة، التي استحدثتها أباطرة العهد الامبراطوري المتأخر، ابتداءً من إجراءات الامبراطور دوقليديانوس ثم ما نتج عن انتشار المسيحية وتنظيمها الاجتماعي، وتنصر السلطة، بداية من الامبراطور قسطنطينوس الكبير)، وأثر ذلك على التراتب الاجتماعي في المدن أين أصبح لرجال الدين من أتباع الكنيسة الكاثوليكية المؤيدة للسلطة مكانة بارزة⁵.

هذا عن الهيكل الاجتماعي للمدن الرومانية بإفريقيا، وإذا جئنا إلى الهيكل العمراني الذي صيغ مدن افريقيا خلال فترة الاحتلال الروماني، فإننا نجد فيه كذلك جهود السلطة الرومانية في إقامة نموذج مدن مشابهة لمدينة روما عاصمة الامبراطورية. لذلك كانت المدن الرومانية بإفريقيا سواء منها الزراعية مثل دوقة في تونس وعنونة في الجزائر ووليلي في المغرب، أو المدن العسكرية كتييمقاد ومباز، أو البحرية كصبراتة ولبددة

¹ محمد بن عبد المؤمن ، مدينة بورتوس ماغنوس -بطبوة- دراسة في تاريخها القديم، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم- جامعة وهران، الجزائر، 2013، ص 47-49.

² محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص 90.

³ محمد بن عبد المؤمن، المرجع السابق، ص 50.

⁴ محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص 90.

⁵ محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، ص 220.

وقرطاج وأوتيكا وعنابة وشرشال وطنجة توفر جميعها المقومات الضرورية للحياة في المدينة. وقد كان لعاصمة هذه المدن طريقان يلتقيان في الساحة العمومية (الفوروم)¹.

ذلك أن كل مدينة رومانية منتظمة توضع في مربع أو مستطيل يقطعه طريقان رئيسيان متقاطعان وهما: الديكومانونوس ماكسموس والكاردو ماكسموس، مثلما عثر على بقايا تخطيط للشارع الروماني، قد يكون الكاردو ماكسموس في مدينة روسيكادا، والذي يمر على الشارع الرئيسي لمدينة سكيكدة الحالية². ومن تخطيط المدينة نحصل على شوارع ثانوية أفقية كانت أو عمودية تحيط بأنسولات تضم كل واحدة منها عدة منازل³. ويمكننا أن نميز في المخطط العام لكل المدن الرومانية بإفريقيا المرافق الآتية:

3-1/ الفوروم: (Le Forum)

في حالة ما إذا أنشأت المدينة من العدم مثلما أنشأت مدينة تيمقاد، فإنه يبدأ بتخطيط الساحة العامة حسب النموذج المألوف، أما في حالات أخرى فإننا نلاحظ بأن المهندسين الرومان كانوا يجهدون أنفسهم لإقحام الساحة العامة في الرسم الأولي بإدخال بعض التنقيحات⁴. وقد أشار فيتروف إلى مكان الساحة العامة في تخطيط المدينة بقوله: "أنه بعد تحديد انحياز الطرق الكبرى والصغرى، يجب التفكير بعدها في موقع الفوروم وأماكن أخرى بطريقة يجد فيها كل المواطنين وسائل الراحة والاستفادة. فإذا كانت المدينة على حافة البحر، فإن الموقع المخصص ليصبح مكاناً عاماً يجب أن يُختار قرب الميناء وإذا كان بعيداً عنه فإن الفوروم يجب أن يحتل مركز المدينة"⁵.

وقد كان الفوروم في الغالب ساحة بطحاء مستطيلة الشكل تحيط بها أرصفة تؤدي إلى المعابد والمحلات الإدارية مثل قاعة اجتماع المجلس البلدي، وقاعات الاقتراع وكذا منابر الخطباء، إضافة إلى المباني الخاصة بأصحاب الشكايات ورجال الأعمال. وبهذا كانت الساحة العامة رمزا للحياة العامة ومحورها، يُدلي فيها الحكام بتصرفاتهم ويشرفون على مواسم الفداء ويُجرون المناقصات ويقضون بين الناس، كما كان يصوت المواطنون في رحابها ويدفعون الأداء ويتاجرون، كما أنهم يقضون أوقات فراغهم في التنزه بين الأعمدة⁶.

والجدير بالذكر أن الفوروم قد عرف في بلاد المغرب تطوراً يمكن حصره في ثلاث نماذج، أوله النموذج التقليدي خلال عهد الأنطونان، والذي يمتاز بمساحة مبلطة مستطيلة الشكل، يحيط بها بهو على الواجهات

¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 239.

² محمد البشير شنيقي، "روسيكاد (سكيكدة)"، مجلة آثار، ص 18

³ سيدي محمد العيوض، موقع بناسا الأثري، ص 35.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 239.

⁵ Vitruve, De l'Architecture, VII, Tome I, traduction par Ch.-L. Mauftras, C. L. F, éd.

Panckoucke, Paris, 1847

⁶ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 239.

الأربع. أما النموذج الثاني فهو يعود إلى العهد السيفيري الذي ميّزه طابع سياسي واقتصادي ولا يتوفر على معبد حول الساحة، وأما النموذج المعقد الذي طبع المنطقة في فترة متأخرة فهو يتميز بفوروم جديد يتميز بتعدد القاعات حول الساحة ووجود حدائق وأحواض¹. وقد تم الكشف في بلاد المغرب عن ساحات عمومية هامة في صبراتة ولبدة بطرابلس، وكذا المدينة وبوغرارة وسببيلة وهنشير قصبات ودوقة في تونس، إضافة إلى جميلة، خميسة، تيمقاد في الجزائر²، وكذا كلالما التي جاء ذكر ساحتها العامة بكتابة تدعوها الساحة العامة الجديدة (Forum Novum) والتي يظهر أن بناءها يعود إلى عهد السيفيريين³. أما في المغرب فقد كشف عن فوروم بناسا الذي يقترب من فوروم جميلة وسببيلة، حيث عرف هذا الفوروم توسعا وتطورا خلال القرن الثاني للميلاد يرتبط بالتطور العام للمدينة، فقد أعيد بناؤه خلال هذا القرن، حيث أن هذا التطور عرفته كثير من المدن الرومانية في إفريقيا مثل فوروم ويلي الذي شهد توسعا خلال العهد السيفيري، على غرار فوروم جميلة الذي تمت إقامة فوروم ثان فيها خارج السور الأول.

3-2 / قاعة اجتماع المجلس البلدي (الكوري): (Curie)

يكون شكله في العادة مستطيلا أو مربعا، إذ يعتبر مكملا للفوروم، وهو عبارة عن قاعة مخصصة لاجتماعات المجلس البلدي. يتميز هذا البناء في مدن بلاد المغرب القديم باختلاف في حجمه وشكله حسب كل مدينة، في بناسا مثلا بالمغرب الأقصى، نجد على الواجهة الشرقية للفوروم فتحة تؤدي إلى بناء صغير قد يكون الكوري (المجلس البلدي)⁴.

إلى جانب هذا، كان يوجد في مدينة تيمقاد قاعة لاجتماع الهيئة البلدية مستطيلة الشكل ذات ثلاث فتحات، وفي أقصاها منصة مقاعدها متحركة مزينة بتمثالين، كان المواطنون يصعدون إليها من أحد الأرتجة، وفي نفس الواجهة للساحة العمومية كان يوجد المنبر الخاص بالخطباء، وهو امتداد للقسم الأمامي من معبد صغير. وقد كانت قاعة الاجتماعات العامة تحتوي على رواق فسيح مستطيل الشكل مخفوف بأرتجة ذات طابقين، يدرس الناس بها مسائلهم في الطابق السفلي ويتجولون في الطابق العلوي. وقد يحتوي المبنى على أروقة كثيرة، يمكن أن ننسب إلى هذا النموذج قاعة اجتماعات لبدة التي يبلغ طولها 92 م وعرضها 38 م، حيث تحيطها أرتجة لها طابقان، وقد بنى معظمها سبتيموس سيفيروس وأكملها كراكلا⁵.

¹ سيدي محمد العيوض، المرجع السابق، ص 41.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 241.

³ محمد خير أورفه لي، المرجع السابق، ص 31.

⁴ سيدي محمد العيوض، المرجع السابق، ص 42-43.

⁵ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 241.

3-3/ المعابد (الكابيتول):

يذكر فيتروف أن المعابد تمثل مرفقا مهما للمدينة، خاصة منها المعابد المخصصة للآلهة الوصية عن المدينة، مثل: جوبيتر (Jupiter)، يونو (جونون) (Junon)، ومينرفا (Minerve)، فإنه يجب أن تُبنى في مكان عال حتى يتمكن انطلاقا منها من اكتشاف أكبر جزء من جدران المدينة¹، وقد كان لكل مدينة معبد يحتوي على قاعة مستطيلة في الغالب ومتجهة من الشرق إلى الغرب ومقامة على مصطبة، وأحيانا يوجد بهو يؤدي إلى الناوس، وإذا أُقيمت المعابد تكريما للثالوث الالهي: جوبيتر، وجونون ومينرفا على غرار كابيتول روما، فإنه يُخصص غرفة لكل اله.

ومن أمثلة هذه المعابد ببلاد المغرب نجد كابيتول مدينة تيمقاد الذي يحتوي على ستة أعمدة أمامية وصقّين من الأعمدة على الجانبين، وعلى قاعة كبرى (17 م x 11 م) في آخرها ثلاث غرف تشمل على تماثيل عظيمة. وكذلك نجد معبد مدينة روسيكادا الذي عثر على أسسه أثناء بناء المسرح الفرنسي، ويوصف بأنه يتكون من قاعة ذات ثلاث أجنحة².

إضافة إلى معبد تيمقاد، نجد كابيتول سبيطة بالرغم من أنه مكوّن من مجموعة واحدة يحتوي على ثلاث قاعات مسبقة كل واحدة منها بهو وتؤدي الوسطى منها إلى مصطبة مباشرة، بينما تؤدي الأولى والثانية إلى هذه المصطبة بواسطة مدارج. وأما المثال الثالث لمعابد المدن الإفريقية، فإننا نجد معبد جميلة (كويكول) المشيّد تكريما لأسرة الامبراطور سبتيموس سيفيروس مُقاما في بطحاء معبّدة طولها 65,33 م وعرضها 50,39 م، ارتفاعها 4,90 م، ويتوصل إليها بواسطة مدرج عظيم.

3-4/ الأسواق والدكاكين:

وهي عبارة عن ساحات مكشوفة غالبا ما تكون مستطيلة الشكل، يوجد في وسطها حنفية، وتحيط بها أرطجة تفتح عليها دكاكين، وقد كان لسوق سرتيوس في تيمقاد الموجودة أمام بطحاء فسيحة الأرجاء ساحة طولها 25 م، وعرضها 15 م، بها بركة مربعة الشكل، وعندما يدخل الشخص يواجه مبنى في شكل نصف دائرة يشتمل على 7 غرف أُقيمت أمام كل واحدة منها صفائح من الغرانيت الأزرق على ارتفاع يبلغ 1 م، تعرض عليها البضائع. إضافة إلى تيمقاد نجد دكاكين بجميلة تشبه سابقتها ولكنها أكثر خزفا، كما كان لهذه السوق رتاج خارجي مرفوع على ستة أعمدة وساحة وبركة وغرفة للموازين وتماثيل للمؤسس وأخيه³.

¹ Vitruve, de l'Architecture, VII

² محمد البشير شنيقي، روسيكادا، ص 17.

³ شارل أندري جولييان، المرجع السابق، ص 241-245

3-5/ الحمامات:

عرف الاغريق استعمال الحمامات منذ فترات بعيدة، وقد أصبح هذا التقليد خلال الفترة الرومانية ضرورة ملحة، إذ لم تكن هناك مدينة إلا وتوفرت على عدد من هذه المؤسسات سواء كانت خاصة أو عمومية. وقد خضعت الحمامات عند تخطيطها لعدة مقاييس منها أولاً مواجهتها للشمال، كما أن بناءها يتم وفق تصاميم مختلفة تتحكم فيها عدة عوامل مثل المساحة المتوفرة، إضافة إلى التعديلات التي قد يفرضها المناخ. وقد جاءت تصاميمها متنوعة، إما خطية أو محورية متعامدة، أما توزيع القاعات فيخضع لتنظيم معين¹ يمكن من القيام بعمليات مختلفة، لذلك كانت توجد قاعة مرتفعة الحرارة بها حوض (Caldarium)، وغرفة باردة بها حوض كذلك (Frigidarium)، وغرفة معتدلة الحرارة (Tepidarium)، ومكان خاص بالتمسيد. ذلك أن الاستحمام الكامل يشتمل سلسلة من العمليات: التعرق في غرفة شديدة الحرارة، الاغتسال بالماء الساخن، ثم المكوث في قاعة معتدلة الحرارة، الانغماس في الماء البارد، ثم تمسيد وتدليك بالزيت². حيث أن الهدف من وجود القاعة الدافئة بين القاعتين الساخنة والباردة، هو تخفيف ما قد ينجم عن الانتقال المباشر من جو بارد إلى آخر ساخن أو العكس. إضافة إلى هذا، تتوفر الحمامات على ملحقات أخرى كالمستودعات وأروقة، مراحيض ومخازن. وإذا جئنا إلى معرفة وظائف هذا المرفق فنجد أنه علاوة على كونها مكاناً للاستحمام، فقد كانت كذلك مكاناً لمزاولة أنشطة رياضية أو مكاناً للاجتماع والتداول في مواضيع مختلفة.

ومن أمثلة هذه الحمامات بمدن افريقيا الرومانية، نجد حمامات بناصا العمومية والخاصة³، وحمامات لبدة التي ترجع إلى القرن الثاني للميلاد، حيث زيتها سبتيموس سيفيروس وقد كان يوجد في قاعتها الرئيسية 8 أعمدة ضخمة من مادة السيبولين، ارتفاع الواحدة منها 8 م يقوم عليها القبو، حيث الملاحظ فيها هو أن الرمال قد حافظت على جدة بلاطات الغرف وصفائح الممر التي تغطي الجدران. ومن الأمثلة كذلك نجد حمامات تيمقاد الكثيرة الواقعة في شمال هذه المدينة وجنوبها، حيث يمكن مشاهدة آثار الغرف والركائز التي كانت تحمل الصفائح وأجزاء من القنوات الفخارية التي كان يمر منها الهواء الساخن، وكذا طول الجدران وجانبا من أحواض الاستحمام. كما يمكننا إلى جانب حمامات تيمقاد أن نلاحظ أمام المدخل الرئيسي للحمامات الكبرى الموجودة جنوب جميلة المتجهة من الشرق إلى الغرب رتاج له 12 رواقاً، وقد كان الناس يدخلون من بهو يؤدي إلى قاعة للرياضة على شكل قبو طولها 12، 83 م وعرضها 20، 31 م، ويمرون من إحدى قاعتي الملابس إلى قاعة التبرد، وهي فسيحة الأرجاء ثرية بالفسيفساء وصفائح الممر، وبها

¹ سيدي محمد العيوض، المرجع السابق، ص 45.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 243.

³ سيدي محمد العيوض، المرجع السابق، ص 46.

حوضان صغيران وحوض كبير طوله 66،12 م وعرضه 22،5 تفصله عن الحوضين الآخرين مجموعة من أعمدة المرمر الوردية اللون¹. كما يمكننا أن نضيف إلى حمام تيمقاد، حمامات مدينة روسيكادا وأعمدتها الرخامية وكذا الفسيفساء التي عثر عليها في المدينة أثناء عمليات التنقيب²، إلى جانب بقايا حمامات المدينة المتبقية في مدينة كالاما التي تظهر ضخامتها، حيث يمكن أن تصعد تقنيات بنائه حتى القرن الثاني ميلادي³. والجدير بالذكر أن الحمامات الأفريقية كانت تحتل مساحات كبيرة: 2600 م² في جميلة، 3000 م² في لمباز، وما يقرب عن 4000 م² في تيمقاد. أما حمامات لبدة الكبرى فقد تحتل إضافة إلى توابعها ما يقرب عن 3 هكتارات.

3-6/ المسارح والملاعب:

تميزت المدن اليونانية والرومانية بإقامة مرافق للترفيه ولإحياء ثقافتها وأدبها، ومنها المسارح والملاعب، حيث كان عدد المسارح في مدن بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية يفوق عدد الملاعب. ومن أمثلة هذه المسارح نجد مسرحا تيمقاد ودوقة منحوتين في ربة كما هو الشأن في بلاد اليونان، أما مسرح تيبازة فقد كان على عكس ذلك مبنيا. ويمكننا أن نلاحظ في آثار مسرح تيمقاد الثقب المستطيلة الشكل التي كانت تمكن من تحريك الستار⁴. وما بقي من المسرح الروماني إلى اليوم بمدينة روسيكادا، وكذا مسرح كالاما الذي يتواجد في الجهة الغربية من المدينة القديمة، حيث يتوضع على سفح شديد الانحدار، وقد حُفر السطح ليستقبل مبنى المسرح، وحيث أن هذا المسرح يأخذ شكل نصف دائري ويبلغ محوره 58،05 م² ويتكون من المدرج والحلبة، وحيث أن المدرج يتكون من قسمين: علوي بـ 12 درجة/ وسفلي بـ 10 درجات، رغم ضياع معظم درجاته⁵. كما أننا نلاحظ في مسرح دوقة المشيد في عهد ماركوس أوريليوس احتواءه على 21 مدرجا تنقسم إلى ثلاث أقسام. أما الملاعب التي تجري فيها المباريات بين المتصارعين فلها شكل إهليلجي متفاوت الكبر. حيث لم تتوان مدن افريقيا عن تشييد هذه الملاعب، فقد تبرع أحد أثرياء صبراتة بما يسمح بإقامة مقابلات بين متصارعين طيلة 5 أيام في ملعب هذه المدينة، كما تمكن الأثريون من التعرف في ملعي قرطاج ولمباز إلى الأماكن المعدة لكبار الشخصيات⁶.

¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 244.

² محمد البشير شنيقي، "روسيكادا"، ص 18.

³ محمد خير أورفه لي، "كالاما"، ص 32.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 242.

⁵ محمد خير أورفه لي، "كالاما"، ص 31.

⁶ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 242.

3-7/ أقواس النصر:

إن الشيء الملاحظ على مدن بلاد المغرب خلال فترة الاحتلال الروماني هو تحويطها بأسوار عند تشييدها، فقد كانت هذه الأسوار تحيط أحياناً بالمدينة وأحواضها القريبة مثلما هي مدينة قيصرية (شرشال)، حيث بلغ طولها 7 كم تقريباً. ويرجع تاريخ بناء تحصينات هذه المدينة إلى أواسط القرن الأول ميلادي تقريباً، غير أن أسواراً كثيرة تمّ تشييدها ابتداءً من القرن الثالث تزامناً مع تفاقم اختلال الأمن مثلما حدث لتحصينات سهول سطيف. لكن الملاحظ على المدن التي لم يكن لها أسوار هو وجود أبواب ضخمة وأقواس نصر، لها في الغالب فتحة واحدة مثلما في مدينة دوقة وسيطة وحيدرة وجميلة، ولها أحياناً فتحتان كما نجد ذلك في عنونة، ولها في كثير من الأحيان ثلاث فتحات: فتحة كبيرة في الوسط وفتحتان صغيرتان على جانبيها مثلما في قوس نصر تراجانوس في تيمقاد وستيموس سيفيروس في لمبار. وقلماً يكون قوس النصر متركباً من ثلاث فتحات كما كان ذلك في قوس نصر كراكلا في تبسة وقوس نصر ماركوس أوريليوس في طرابلس.

3-8/ المكتبات:

عثر لأول مرة في تيمقاد على آثار إحدى المكتبات العمومية التي كثيراً ما ورد ذكرها في النقوش والنصوص اللاتينية، حيث يرجع الفضل في تأسيسها إلى كرم مواطن ثري، وقد كانت هذه المكتبة عبارة عن قاعة في شكل نصف دائرة تواجه الداخل إليها مشكاة كبيرة وضع فيها تمثال الالهة منيرفا. وقد كانت الخزائن الكثيرة المشدودة إلى جدرانها وقاعات المستودعات الإضافية الثلاثة مشحونة بالمخطوطات بحيث يمكنها وضع 2300 مجلد في مكان ضيق نسبياً¹.

4- انعكاس نظام المدينة الرومانية على المدن وساكنتها في بلاد المغرب القديم:

كان أثر روما في الشمال الإفريقي مادياً على وجه الخصوص، عكسه عمران مدنها²، رغم أن تطور هذه المدن الرومانية كان له تأثيرات عدة إيجاباً وسلباً على المنطقة وساكنتها. فمن الجانب الإيجابي نجد قول بعض المؤرخين بارتفاع نسبة سكان المدن بالشمال الإفريقي خلال فترة الاحتلال الروماني حيث قدرها بعضهم بنسبة 60% من عدد السكان الذين كانوا خاضعين للإمبراطورية الرومانية بهذه المنطقة، من أنه يمكن أن يكون قد وصل إلى 6 ملايين ونصف مليون نسمة. ومن جهة أخرى غير الكثافة السكانية، نجد بأن المدن بشكل عام قد تطورت بفعل ازدهار النشاط الاقتصادي الحاصل وتزايد الطلب على الانتاج

¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 245.

² G. Camps, Op. Cit, p. 166

الزراعي والحيواني وكذا الصناعي، وكذلك نمو النشاط التجاري بين الضفة الجنوبية للبحر للمتوسط وإيطاليا ومقاطعات الامبراطورية الأخرى¹.

ومن أمثلة ذلك نجد بأن الحياة قد ازدهرت بمدينة قرطاجة الرومانية واتسع عمرانها وتدافع عليها الحرفيون من المدن المجاورة، فنشطت بذلك صناعتها وأصبحت تصدر المنتجات الفاخرة ذات التقاليد الفينيقية، زيادة عن الانتاج الزراعي الذي كانت تفيض بها المناطق الواقعة خلفها مثل الحبوب والزيت، كما أن مدناً أخرى كثيرة قد شهدت نفس الازدهار مثل مدينة لبدة (Leptis Magna) التي اتسع عمرانها وزيد في حوض مينائها حتى يتسع للمراكب الكبيرة. ونال الرخاء كثيراً من المدن الساحلية الأخرى باعتبارها مرافئ وأسواقاً مثل هيون (عنابة)، روسيكادا (سكيكدة)، صالداي (بجاية)، تيبازة، قيصرية، كرتنا (تنس)، بورتوس ماغنوس (بطيوة) وغيرها من المدن.

هذا من الناحية الاقتصادية، أما من جانب التطور الحضري الذي عكسته المدن الرومانية ببلاد المغرب القديم، فلنا أمثلة عدة في مدن داخلية وساحلية تطورت من مستعمرات محدودة الفضاء إلى مدن مفتوحة على محيطها القريب والبعيد، حيث اتسع عمرانها وتطورت حياتها الحضرية، فقد انعكس الثراء الذي تمتعت به المدن وتراكم الخبرة في مجال التخطيط والبناء والزخرفة المعمارية، إضافة إلى النحت والفنون المختلفة، انعكس على تطور عمارة المدن ورقى الحس الفني وتعدد الأذواق لدى نُحُبها التي انغمست في الترف ولمذات الحياة²، فشهرة مدينة ما وفخرها قد ترجمها ثراء انشاءاتها وجمال قبورها، وكذا امتداد ساحاتها العامة، وتعدد تماثيلها. ذلك أن تموين هذه الانشاءات كان مضموناً من طرف كبار المترشحين في مختلف الهيئات القضائية البلدية، وهذا السخاء لم تغفل تلك الشخصيات عن الإشارة إليه في نصوص اهدائية بتلك المعالم، ولذلك نلاحظ التفاوت في المجال العمراني من مدينة إلى أخرى حسب تمويل أثرياء كل مدينة لمدينتهم تبعاً لأهميتها الحقيقية وكثافة سكانها³.

ومن أمثلة المدن التي شهدت ذلك التطور الحضري-العمراني، نجد ثلاث مدن بمقاطعة طرابلس قد بلغت أوجها في عهد سبتيموس سيفيروس وهي: طرابلس (Oea) في الوسط التي بقي أكبر أثر بها قوس النصر

¹ " إذ يشير "J. Toutain" في دراسة أجراها حول الموضوع إلى أن قلة عدد المدن الفعلية خلال السيطرة الرومانية في المناطق الممتدة من تبسة إلى صفاقس، ومن مكنز إلى الشطوط التونسية ليست بسبب قلة الكثافة السكانية، ذلك أن الأرياف كانت ممتلئة بالسكان، لكن السبب راجع إلى أن هذا الأقليم الواسع من الريف كانت تتوزع كثافته السكانية بطريقة أخرى، وهي عوض التجمع بين جدران المدن القريبة جداً من بعضها البعض، فإنها بقيت تتوزع بين الحقول، وفي المزارع، وفي القرى القريبة وفي بلدات معتبرة نسبياً، لأن الحياة الريفية كانت أكثر نشاطاً من الحياة المدنية. فهناك مدن لم تُخلق ولم تتطور إلا في نقاط كانت تمثل عاصمة للاتصال الاستراتيجي والعلاقات الاقتصادية، ومثال ذلك مدينة سببولة (Sufetula) التي كانت تمثل إحدى النقاط المهمة لشبكة الطرق التي من خلالها ارتبطت تبسة بالساحل" (أنظر: J. Toutain, les cités romaines de Tunisie, libraire Thorin et fils Albert fontemoing. Successeur, Paris, 1896, p. 35-36)

² محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، ص 214-218.

³ G. Camps, Op. Cit, p. 166

ذو الواجهات الأربع، صبراتة (Sabratha vulpia) غربا والتي كشف بها الأثريون الايطاليون على بعد 70 كم غربي طرابلس وجود كايبتول وكنيستين، مسرح وكذا قاعة اجتماع المجلس البلدي. ولبدة (Leptis Magna) شرقا التي كشف بها عن أرصفة الميناء وقوس النصر ذو الواجهات الأربع وحمامات رفيعة الزخرف تزود بمياه المطر، كما عُثر بآثارها المنتشرة على ساحة الامبراطور العمومية قاعة للعدالة ذات 3 أروقة اضافة إلى مسرح وملعب¹، وذلك راجع إلى جهود الامبراطور سبتيموس سيفيروس (Septime Sévère) الذي اكتمل في فترة حكمه بناء الحمامات وتركيب قوس النصر. فقد احتفل الليبيون بـ "الخير الاستثنائي والالهي" الذي منحهم إياه أحد المواطنين وهو "سبتيموس" حيث رُقيت مدينتهم إلى مدينة ايطالية وإظهارها بديكور فاخر من خلال المنجزات العمرانية التي قام بها².

ونجد من أمثلة المدن في مقاطعة البروقنصلية كلا من: "هيپوريحيوس (Hippo Regius/ عناية) التي كانت في أول أمرها بلدية في عهد أغسطس ثم أصبحت مستعمرة لاحقا، حيث أكتشفت بها حمامات ومسرحا وساحة عمومية، وفي الجهة الوعرة المتاخمة لمنطقة سوسة كانت توجد المراكز الكبرى التالية: Thelepte (المدينة القديمة)، أين توجد بها آثار مسرح وحمامات ومباني مسيحية، وكذا مدينة القصيرين (Cillium) أين عُثر على مسرح، وسيطة (Sufetula) الواقعة في مفترق طرق رئيسية، وقد كانت بلدية في أول أمرها ثم تحولت إلى مستعمرة في أواخر القرن الثاني ميلادي، حيث لا يزال يوجد بها معابد كبيرة إلى جانب حمامات وآثار مسرح وكنائس.

وبالنسبة لمدن مقاطعة نوميديا، نجد سيرا عاصمة المستعمرات الأربع، أما جنوبا فقد كانت المدن تشرف على الطرق المتوغلة داخل البلاد، وهي كل من: خنشلة (Mascula)، لمبار وتيمقاد (Thamugadi) التي مكّنت آثارها العلماء من معرفة مدينة قدماء الجنود بساحتها العامة وكنيستها والكايبتول، قوس النصر المعروف بقوس تراجانوس وإن عاد تاريخ بنائه إلى القرن الثالث ميلادي. اضافة إلى هذه المدن نجد جميلة (Cuicul) التي تأسست في أواخر القرن الأول وبلغت أوجها في عهد أسرة الأنطونان³.

هذا عن الجانب الايجابي الذي مثله تطور المدن وازدهارها الحضري والعمراني، أما الجانب السلبي فهو كون ذلك الصرح الشامخ للمدينة قد أخفى وراءه وضعيات اجتماعية سيئة عاشتها فئات من الناس، كان أغلبهم من السكان الأهالي القاطنين في الأحياء المحيطة بالمدينة أو في الريف الواقع ضمن مجال المدينة أو خارجه، منها التمايز الطبقي في المدينة نفسها، والذي عكسه قانون العقوبات المسطرة على مرتكبي نفس

¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 235.

² S. Gsell, « La Tripolitaine et le Sahara au IIIème siècle de notre ère », mémoire de l'institut de France, Année 1933, p. 151

³ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 235-236.

الجرم. فقد كان القاضي يحكم على من ارتكب جرما مماثلا من طبقة الوضعاء أو السوقة برميهِ إلى الحيوانات المفترسة أو حرقه حيا أو استرقاقه. وقد كان الأهالي الأفارقة يقيمون في أحياء وضيعة خارج أسوار المدينة تحت سقف أكواخ وُصفت بالسوداء بسبب حالة البؤس الذي كان يسود تلك المساكن التي لم يبق لها أثر على الخارطة الأثرية في محيط المدن أو بجوار ضيعات المزارعين الكبار في الأرياف بسبب هشاشة مواد بنائها وقابليتها للتلف¹. ونجد في المصادر الأدبية المعاصرة لتلك الأوضاع صدى لها في كتابات أبوليوس المداوري في حديثه عن الفلاحين الأهالي وهم يتعرضون إلى الطرد من أكواخهم وأراضيهم، حيث يقول بأنهم كانوا يرفضون الخروج ويطلقون كلابهم أحيانا في وجه المكلفين بتنفيذ إجلائهم².

ذلك أن البدو كانوا محل مطاردة باعتبارهم كمًّا بشريا متحركا يشكل مصدر قلق دائم للإدارة المدنية والعسكرية، وهو ما عكسه تحصين كل المدن التي شيدتها روما بأسوار منيعة، أو تزويدها بقلاع لحمايتها، سواء كانت ساحلية أو داخلية، مثل سور لبدة الذي شيد في عهد قسطنطين (306-337م)، وسور قيصرية الذي يبدو إنشاؤه عائدا لفترة حكم كلوديوس (Claude) (41-54م)، وسور بورتوس ماغنوس (Quiza) الذي كان يتواجد في سنة 128 م، وتيبازة في سنة 147 م. فليست هناك أي مدينة لم تكن معرضة لخطر البدو المطرودين إلى الجنوب، مثلما هو حال مدينة "سلا" و "Rapidum" (Masqueray) التي تؤرخ أسوارها على التوالي لسنتي 144م و167م³، وهذا يدل على الخوف الكبير للسلطة الرومانية من خطر السكان الافارقة الذين أنتزعت أراضيهم وطردتهم خارج تلك المدن.



الصورة رقم (01): الهيكل العمراني للمدينة الرومانية بإفريقيا - مخطط مدينة تيمقاد

¹ محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، ص 220.

² Apulée, les métamorphoses, IX, 35, collection Nisard

³ Ch. Courtois, les vandales et l'Afrique, éd. Arts et métiers graphiques, Paris, 1955, p. 124



الصورة رقم (2): تقاطع الكاردو والديكومانوس (تيمقاد)



الصورة رقم (3): حمام الصالحين (ماسكولا)



الصورة رقم (4): ما بقي من المسرح الروماني بتيمقاد



الصورة رقم (5): قوس النصر كراكلا (تيفست)

الخلاصة :

إن كانت تلك المدن قد عرفت ازدهارا عمرانيا وتطورا كبيرا خلال الفترة الرومانية، فذلك راجع إلى سياسة روما في تحصينها بأسوار منيعة أو إقامة قلاع ومراكز دفاع قريبة منها ضد البدو الذين ظلوا يعانون ويلات الطرد والتهميش في المناطق الفقيرة خارج أسوار تلك المدن.

قائمة المصادر والمراجع:

- Apulée, les métamorphoses, IX, 35, collection Nisard.
- Pline l'Ancien, Histoire naturelle, V, 20, éd. Emil Littré, Paris, 1848.
- Salluste, Guerre de Jugurtha, LXIX. Traduction Garnier, éd. François Richard, 1933.
- Tite-Live, Histoire romaine, XXX, 11, 2, tome second, éd. Firmin Didot frères et Cie, Paris, 1869.
- Vitruve, De l'Architecture, VII, Tome I, traduction par Ch.-L. Maufras, C. L. F, éd. Panckoucke, Paris, 1847.
- أورفه لي محمد خير ، "كالا ما دراسة وصفية للبقايا الأثرية للمدينة"، *مجلة آثار*، ع6، معهد الآثار-جامعة الجزائر، 2007
- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بوسلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969
- حارش محمد الهادي ، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، الجزائر، 1992.

- شنيقي محمد البشير ، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى-عين مليلة، الجزائر، 2013
- شنيقي محمد البشير ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني)، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون -الجزائر، 1999
- شنيقي محمد البشير ، "روسيكاد (سكيكدة)"، *مجلة آثار*، ع6، معهد الآثار-جامعة الجزائر، 2007
- بن عبد المؤمن محمد ، مدينة بورتوس ماغنوس -بطيوة- دراسة في تاريخها القديم، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم- جامعة وهران، الجزائر، 2013
- العيوض سيدي محمد ، التطور الحضري لوليلي من الفترة المورية إلى الفترة الإسلامية. مساهمة في دراسة مدن المغرب القديم، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة-الرباط، 2015
- العيوض سيدي محمد ، مدن المغرب القديم من خلال إشارات النصوص ونتائج البحث الأثري، مطبعة الرباط، المملكة المغربية، 2011
- العيوض سيدي محمد ، موقع بناسا الأثري من الأصول إلى الجلاء الروماني، مساهمة في دراسة مدن المغرب القديم، مطبعة الرباط، المملكة المغربية، 2010.
- كامبس غابريال ، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق محمد العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010
- Albertini. E, l'Afrique romaine, éd. Imprimerie officielle, Alger, 1955
- Bénabou. Marcel, la résistance africaine à la romanisation, libraire François Maspéro, Paris, 1975
- Camps.G, les Berbères mémoire et identité, éd. Barzakh, l'Algérie, 2007
- E. Cat, Essai sur la province romaine de Maurétanie césarienne, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1891
- Courtois. Ch, les vandales et l'Afrique, éd. Arts et métiers graphiques, Paris, 1955
- Février. J, « Inscriptions puniques et néopuniques », *Etudes d'antiquité africaines*, Année 1966
- Gsell. S, « La Tripolitaine et le Sahara au IIIème siècle de notre ère », *mémoire de l'institut de France*, Année 1933
- Toutain.J, les cités romaines de Tunisie, libraire Thorin et fils Albert fontemoing. Successeur, Paris, 1896.

الملخص:

الامن كمفهوم مركزي يتميز ب3 صفات، هو هاجس، حاجة وغاية، وهو مركب من ابعاد متباينة، نفسية، مادية اقتصادية، سياسية، ثقافية، عقائدية وعسكرية، وله مضمون متعدد الابعاد وبعد الانتقال الى مفهوم الامن الموسع - بعدما كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالفكر الاستراتيجي العسكري - ورغم ان ابعاده تعددت ولكن باتت هناك صعوبة شديدة في تقديم تعريف شامل حوله بالنظر الى الطبيعة المدركة له فهو مدرك وليس دائم الادراك.

كانت الدراسات حول الامن جوهر اهتمام الأمم والدول فالحروب كانت كلها بسبب امن الإقليم والدول وحتى الحربين العالميتين الأولى والثانية، والحرب الباردة كانت حول الامن القومي كانت دولة تزيد من امنها كان امن الدول الأخرى ينقص ويتعرض للتهديد وهذا ما نظرت له الواقعية الكلاسيكية ولكن ظروف ما بعد الحرب الباردة قادت بإعادة التفكير في مفهوم الامن، في ظل تصاعد العنف البنيوي والتهديدات البيئية والاجتماعية. ما ادى الى التحول الى دراسات أمنية نقدية مثلتها مدرسة ابريستويث، مدرسة باريس، مدرسة كوبنهاغن وكذا مقارنة الامن الإنساني ومقاربات أخرى .

فقد قدم كين بوث اسهامات في مجال الامن الموسع وهو احد اهم مؤسسي مدرسة ابريستويث والتي تعتبر انّ الامن اعتناق الافراد من الخوف والحاجة ما يعني انّ الدراسات الأمنية النقدية ركزت على امن الفرد بدلا من الامن الدولاتي ثم بادر العديد من المؤلفين والمنظرين في الاسهام في هذا الحقل، وفي مقارنة الامن الإنساني ، قدم كل من امارتيا سين ومحبوب الحق واخرون اسهامات غيرت من محتوى مفهوم الامن باعتبار انّ الامن الإنساني متعدد الابعاد، وهو يحتاج الى ثنائية التنمية المستدامة /العدالة، وهذا ما ستركز عليه هذه المقالة.

الكلمات المفتاحية: الامن القومي، الاعتناق، الامن الموسع، الدراسات الأمنية النقدية، مدرسة فرانكفورت، الامن الإنساني.

Abstract :

Security as a central concept is characterized by three characteristics: it is an obsession, a need and a goal. It is composed of different dimensions: psychological, material, economic, political.

It has multidimensional content. and after moving to the broader concept of security, after it was closely linked to military strategic thinking. Although its dimensions have varied, it has become extremely difficult to give an overall definition, given its perceived nature. It is noticeable and not always noticeable.

Ken Booth has made contributions to the field of broader security and is one of the most important founders of the Aberystwyth school, which views security as the liberation of individuals from fear and want. This means that critical security studies have focused on individual security rather than security. state security, then many authors and theorists took the initiative to contribute to this field. In the human security approach, Amartya Sen, Mahbub-ul-Haq and others made contributions that changed the content of the concept of security, considering that

human security is multidimensional and requires the sustainable development/justice duality , and this is what this intervention will focus on.

Keywords: national security, human security, critical security studies, Frankfurt School.

Résumé :

La sécurité en tant que concept central se caractérise par trois caractéristiques : elle est une obsession, un besoin et un objectif. Elle est composée de différentes dimensions : psychologique, matérielle, économique, politique, culturelle, idéologique et militaire. Elle a un contenu multidimensionnel. et après être passé au concept élargi de sécurité, après qu'elle ait été étroitement liée à la pensée stratégique militaire. Même si ses dimensions ont varié, il est devenu extrêmement difficile d'en donner une définition globale, compte tenu de la nature perçue de celle-ci. Elle est perceptible et pas toujours perceptible.

Les études sur la sécurité étaient au cœur des préoccupations des nations et des États. Les guerres concernaient toutes la sécurité de la région et des États, même lors des Première et Seconde Guerres mondiales. La guerre froide concernait la sécurité nationale. Un pays augmentait sa sécurité. La sécurité des autres Les pays ont diminué et ont été exposés à la menace. C'est ce que considérait le réalisme classique, mais les conditions d'après-guerre froide ont conduit à repenser le concept de sécurité, à la lumière de l'escalade de la violence structurelle et des menaces environnementales et sociales. Ce qui a conduit au passage aux études critiques sur la sécurité représentées par l'École d'Aberystwyth, l'École de Paris, l'École de Copenhague, ainsi qu'à l'approche de la sécurité humaine et à d'autres approches.

Ken Booth a apporté des contributions dans le domaine de la sécurité élargie et il est l'un des fondateurs les plus importants de l'école d'Aberystwyth, qui considère la sécurité comme la libération des individus de la peur et du besoin. Cela signifie que les études critiques sur la sécurité se sont concentrées sur la sécurité individuelle plutôt que sur la sécurité. sécurité de l'État, puis de nombreux auteurs et théoriciens ont pris l'initiative de contribuer à ce domaine. Dans l'approche de la sécurité humaine, Amartya Sen, Mahbub-ul-Haq et d'autres ont apporté des contributions qui ont changé le contenu du concept de sécurité, considérant que la sécurité humaine est multidimensionnel et nécessite la dualité développement durable/justice, et c'est sur cela que se concentrera cette intervention.

Mots clé : sécurité national, sécurité humaine, les études critiques sur la sécurité, école Frankfurt.

- تمهيد:

الامن كمفهوم مركزي يتميز ب3 صفات ، هو هاجس ، حاجة وغاية، وهو مركب من ابعاد متباينة، نفسية ، مادية اقتصادية ، سياسية ، ثقافية، عقائدية وعسكرية، وله مضمون متعدد الابعاد وبعد الانتقال الى مفهوم الامن الموسع - بعدما كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالفكر الاستراتيجي العسكري - ورغم ان ابعاده تعددت ولكن باتت هناك صعوبة شديدة في تقديم تعريف شامل حوله بالنظر الى الطبيعة المدركة له فهو مدرك وليس دائم الادراك.

وبعد التراكم النظري حول الامن نتجت عنه دراسات عديدة، كانت الدراسات الاولى له هي الدراسات الاستراتيجية العسكرية، تبتعها بعدها بعض نظريات العلاقات الدولية أساسا المدرسة الواقعية الهجومية ثم حدثت ثورة نظرية تبعتها محاولة الاستقلال بتخصص الدراسات الأمنية النقدية والاهتمام بمفهوم الامن الموسع وظهرت عدة نظريات ومدارس اهتمت بمحتوى الامن بمفهومه الموسع الجديد من ابرزها مدرسة ابريستويث مدرسة باريس مدرسة كوبنهاغن، المدرسة النقدية ، ومقاربة الامن الإنساني لامارتيا سين ومحبوب الحق.

الدراسات الاستراتيجية هي دراسات عسكرية ثم هي دراسات صلبة بالمفهوم الأمني الضيق وهي مرتبطة بالدولة. على مستوى التنظير في العلاقات الدولية، كانت الازمة الأولى للواقعية سنة 1971م، عندما بدأ الحديث عن فقر الواقعية كان هناك مركز للدولة بشكل كبير في الدراسات والنقاشات حول الامن ولكن لم يعد سبب التهديد عسكريا فقط بل في داخل الوطن الواحد نجد عدة تهديدات اجتماعية، ثقافية ، سياسية وفي النقاشات حول الامن كذلك فقد اكتسب مفهوم الامن عدة ابعاد بسبب التحولات الدولية وديناميتها.

وقد كانت هناك محاولات لتوسيع افق التحليل للظواهر المرتبطة بالأمن منذ 1972م، من خلال بداية الحديث عن أنواع أخرى للعنف أساسا العنف البيوي وقد اصبح يشكل هذا الأخير احد الاهتمامات المركزية للدراسات حول الامن، وفي ظل صعوبة العمل دون نظريات او العمل بنظريات شبه علمية حول الامن ، كان يجب على من يبحث في الحقل ان يقوم بتطوير اصطناعي للنظريات بشكل يتعد فيه عن الاستنساخ وهذا ما أشار اليه باري بوزان من خلال طرحه لفكرة التوليد والتي تعني تقديم قراءات شبكية للأمن.

وليس تكيف نظريات ما بل قراءات للأمن باستخدام تشابك النظري.

ومن خلال هذ المقال سيتم ابراز اهم ما قدمته كل مدرسة ونظرية في تطوير محتوى مفهوم الامن الموسع واهميته. والاشكالية الرئيسية للمقال هي : لماذا تم الانتقال من مفهوم الامن القومي الدولاتي الى مفهوم الامن الموسع الذي يركز على الفرد ؟ ويتضمن المقال، المحاور التالية:

المحور الأول: الامن في الدراسات الاستراتيجية العسكرية

المحور الثاني : الامن من منظور المدرسة الواقعية الدولاتية -وهي احدى الاتجاهات النظرية لعلم العلاقات الدولية وكذا الدراسات الأمنية-

المحور الثالث : مدرسة فرانكفورت : المرجعية التاريخية الفكرية للدراسات الأمنية النقدية

المحور الرابع: الامن انعتاق من الجوع والفقر ، هو جديد التنظير لمدرسة ابريستويث وبوادر الدراسات الأمنية النقدية
المحور الخامس : مدرستي كوبنهاغن و باريس والأمن الموسّع
المحور السادس : مقارنة الامن الإنساني وتعدّد ابعاد الامن الموسع

المحور الأول: الامن في الدراسات الاستراتيجية العسكرية

كان اول من فصل في الحرب الميدانية البرية هو سان تزو وذكر كذلك اساسيات الحرب، ثمّ كذلك كانت اسهامات كارل فون كلاوزفتر أساس الدراسات العسكرية الأمنية وابرز ما قدمه الجنرال الألماني كلاوزفتر كتابه بعنوان نظرية الحرب، ثم قدم روبرت ماكنمارا، اسهامه الهام والمتمثل في كتاب بعنوان جوهر الامن، يقول في الفصل التاسع من كتابه :

"..... فالقوة العسكرية العظيمة تبقى امرا لا غنى عنه، ولان العلم قد انتج أسلحة جديدة ذات قدرة عائلة على التدمير، فان الولايات المتحدة تجد لزاما عليها ان تحتفظ بترسانتها النووية، ولا ينبغي المحافظة على هذه الترسنة فحسب، بل لابد ان تكون من الضخامة بحيث تردع اية دولة من غير ارغامنا على استخدامها ولان هناك بعض الذين قد يختبرون ارادتنا ويعملون على القضاء علينا ببطء عن طريق التخريب والحروب المحدودة، فانه لابد لنا ان نتسلح بالقوات التقليدية، في دفاعنا المشترك مع حلفائنا، هذه الحقائق الواقعية القديمة التي تشكل لتناسب عالم اليوم، ولكن هناك حقائق واقعية جديدة أيضا"(روبرت ماكنمارا، تر: يونس شاهين، 1970، ص.119).

في هذه الفقرة المقتطفة من كتاب روبرت ماكنمارا يتّضح أنّه ركّز على القوة العسكرية كأولوية لتحقيق الامن
وهو يرتب الأساسيات التي يراها انها تعكس جوهر الامن في كتابه الذي يعد من أعمدة الكتب في الدراسات الأمنية

وفي موضع اخر من كتابه يقول :

"...اذا كان الامن يتضمّن شيئا فهو يتضمن القدر الأدنى من النظام والاستقرار، واذا لم توجد تنمية داخلية او على الأقل درجة ادنى منها، فان النظام والاستقرار يصبحان امرا مستحيلا، والسبب في استحالتهم ان الطبيعة الإنسانية لا يمكن ان تستمر الى ما لا نهاية خاضعة للإحباط، ان رد الفعل نتيجة حتمية نابعة من هذه الطبيعة. وهذا مالا تفهمه دائما وما لا تفهمه حكومات الدول التي تتطور الى دول عصرية ولكن بتأكيد ان الامن ينشأ من التنمية فإنني لا أنكر ان اية دولة متخلفة يمكن ان يحدث فيها التخريب من الداخل، او ان تكون ضحية للعدوان من الخارج، او ان تكون ضحية للعدوان والتخريب معا، انّ ذلك كله يمكن ان يحدث وحتى يمكن منع وقوع كل هذا او بعضه فان الدولة تحتاج الى قدرات عسكرية مناسبة لتعالج المشكلة المعينة التي تواجهها.

ومع هذا فان المشكلة العسكرية المعينة ان هي الا وجه سطحي ضيق لمشكلة الامن الكبرى، فالقوة العسكرية يمكن ان تساعد في توفير القانون والنظام ولكن ذلك لا يتحقق الا بقدر يتناسب مع الوجود الفعلي لقاعدة صلبة للقانون والنظام في المجتمع النامي، ورغبة أساسية في التعاون من جانب الشعب، والقانون والنظام هما الدرع الذي يمكن ان نحقق خلفه التنمية وهي الحقيقة الأساسية للأمن...."(ماكنمارا، 1970، ص.125)

يواصل ماكنمارا تحليله للأمن، فهو يولي الأهمية والاولوية للقوة العسكرية من اجل تحقيق الامن وللردع ولتوازن القوى وللأحلاف ولكن في نفس الوقت وفي الفقرة السابقة يلاحظ انه أشار الى أهمية القانون والنظام والتنمية لتحقيق الامن الداخلي الدولي .

المحور الثاني : الامن من منظور المدرسة الواقعية الدولاتية -وهي احدى الاتجاهات النظرية لعلم

العلاقات الدولية وكذا الدراسات الأمنية –

سيطرت النظرية الواقعية بشكل كبير على حقل التنظير بعد الحرب الباردة، وعمدت على تعريف الدراسات الأمنية تعريفا ضيقا من خلال التركيز على قضايا الأمن العسكري ومحورية أمن الدولة باعتبارها المرجعية الأساسية في التحليل الأمني، والأمن الوطني باعتباره التصور الأمثل للأمن، وهذا ما سيتم شرحه بشيء أكثر تفصيلا في ما يلي:

أ- النظرية الواقعية التقليدية ومضمونها حول الأمن:

تعتبر النظرية الواقعية التقليدية ولزمن طويل النظرية المسيطرة على حقل العلاقات الدولية، وقد برزت أكثر في فترة ما بين الحربين العالميتين على إثر تراجع الفكر المثالي، وتعود في الأصل إسهاماتها إلى فترات زمنية بعيدة أمثال: المؤرخ اليوناني "ثيوسيديس" و"ميكيافيلي" و"توماس هوبز" و"جون جاك روسو" وغيرهم...

و مفهوم الأمن حسب المنظور الواقعي مفهوم يعود لعصور قديمة أصلها الهند واليونان، حيث نجد أن الفكر الواقعي مستمد من أفكار "كوتيليا" التي تدور حول البحث عن الطرق والوسائل الكفيلة لتقوية الدولة خارجيا وداخليا سواء عن طريق توسيع أراضيها أو عن طريق، أو عن طريق التحالف مع غيرها.

أما "ثيوسيديس" فقد عاصر الحروب البيلوبونزية التي دارت بين كل من إسبرطة وأثينا ، ويقول في هذا الصدد: "إن إرساء معايير العدالة يعتمد على نوع القوة التي تسندها وفي الواقع فإن القوي يفعل ما تمكنه قوته من فعله ، أما الضعيف فليس عليه سوى تقبل ما لا يستطيع رفضه ."

وتعتبر أفكار توماس هوبز من أهم المرجعيات الفكرية للمدرسة الواقعية، فعلى حد تعبير هوبز أن الحرب تنشأ من الميل الفطري للبشر لمحاربة بعضهم البعض بدلا من التعاون، و بالتالي فالحرب هي الحالة الطبيعية للعلاقات الإنسانية "فالحالة الطبيعية" عند هوبز تعتبر أن كل إنسان هو تهديد محتمل لأن الكفاح من أجل البقاء في عالم يتميز بموارد محدودة هو "صراع الكل ضد الكل". وبالتالي فاستدامة الامن حسب الطرح الواقعي الكلاسيكي يكون عبر الحرب والقوة العسكرية والتسلح.

واستمر الفكر الواقعي بالتطور على يد مفكرين آخرين أمثال ميكافيللي وظهر هذا من خلال مؤلفه الأمير الذي قدم فيه نصائح للعائلة الحاكمة جعل فيها أمن الدولة وبقاءها فوق أي اعتبار

ب- -أهم اسهامات النظرية الواقعية التقليدية حول الأمن:

"... ينطلق الواقعيون في تصورهم للأمن من رفض وجود تناسق في المصالح بين مختلف الأمم، ويرون أن الدول غالبا ما تعرف تضاربا بين مصالحها لدرجة قد يقود بعضها إلى الحرب، لذلك يفترض المنظور الواقعي تحليلاً صراعياً للعلاقات بين الدول التي تتعارض إراداتها حتماً في سياق بحثها عن القوة، البقاء والحفاظ على المكانة، لذا فالدول مشغولة بأفاق الحرب، وهي تعتمد على الوسائل العسكرية من أجل تحييد التهديد وتحقيق الأمن، حيث ارتبط الأمن بالقوة العسكرية المؤدية إلى العمل المسلح، أو ما يطلق عليه بالعمل العسكري الدولاتي، فوفقاً لـ "والتر ليبمان": "تعتبر الدولة آمنة إذا لم تبلغ الحد الذي تضحي بقيمتها إذا أرادت تجنب الحرب، فالأمن مساو للقوة العسكرية ومرادف للحرب"، ولقد اتفق الواقعيون على أن الأمن هو الهدف الدائم للسياسة الخارجية للدول رغم أنهم اختلفوا في أهمية مقارنته بالأهداف الأخرى كالقوة والثروة.

تمثل الواقعية التقليدية المنظور الأكثر دفاعاً عن فكرة اعتبار الأمن من صميم اهتمام وصلاحيات الدولة وحدها، أي أن مفهوم الأمن الوطني يرتبط مباشرة بالدولة" (صباح بالة، 2021)

يرى الواقعيون في الأخطار العسكرية أهم تهديد لأمن الدولة وخاصة التهديدات الخارجية، وعليه فإن الدراسات الأمنية حسب "والتر" وجب أن تركز على دراسة التهديد و استعمال ومراقبة القوة العسكرية وإبقاء الأمن في نطاق دولاتي عسكري من خلال استعمال الوسائل التقليدية كأضمن حل وأكثر ضمان للأمن، على هذا الأساس يمكن تحديد مفهوم الأمن تقليدياً على أنه: " حماية مصالح الدولة الوطنية والقومية من التهديدات الخارجية التي تحول دون تحقيقها باستخدام القوة كوسيلة نهائية لاستئصال مصادر التهديد الخارجي التي تحول دون تحقيقها باستخدام القوة كوسيلة نهائية لاستعمال مصادر التهديد وضمان استمرارية تحقيق تلك المصالح ."

كما تركز النظرية الواقعية التقليدية على فرضية أن الأمن حالة تتنافس الدول على تحقيقها، وفي ظل نظام دولي يتميز بالفوضوية يتعين على الدول أن تكون دائمة الاستعداد لمواجهة التهديدات الممكنة أو المحتملة، وهذا الاستعداد لا يكون إلا بالقوة العسكرية.

"...وبذلك يمكن اختصار التصور الأمني الدولاتي للواقعية التقليدية في المثلث الواقعي الأمني الذي يشمل:

- الدولة: هي الفاعل الأساسي لأية عملية تفاعلية في العلاقات الدولية باعتبارها الدافع والغاية في نفس الوقت.
- البقاء: هو الهدف الأسمى لهذه الدولة وأولوية تسبق كل الأهداف نتيجة الشعور بالتهديد المادي الخارجي الموجود.
- الاعتماد الذاتي: هو الأداة الأنسب لتحقيق هذا الهدف، خاصة في ظل الطبيعة المعقدة لواقع السياسة الدولية...." (صباح بالة، 2021).

ج/ الواقعية الجديدة ونظرتها للأمن:

يقرّ الواقعيون الجدد بإمكانية التعاون بين الدول وتحقيق الأهداف الأمنية، وضمان مكاسب نسبية عبر السياسات التعاونية بدل السياسات التنافسية، فيرون أنّ الامن تنافس بين الدول في اطار الصراع الدولي. ويتضح السياق الفوضوي للنظام الدولي أنه أقلّ حدّة لما يكون التنافس بين الدول تسيّره آليات الأمن التعاوني، هذه الآليات التي تحد من تحاذل العلاقات بين الدول ومن عدم الثقة، والحسابات الخاطئة وعدم توقع سلوك الآخرين، وبذلك تحل الفوضوية الناضجة محل الفوضوية البحتة التي جاء بها الكلاسيكيون، وهذا لأن أغلب الدول تدرك بأن أمنها مرتبط بأمن الدول الأخرى.

كما يعتقد "وولتز" أنّ النظم تتكون من بنية ومن وحداتها المتفاعلة معا، والبنى السياسية تتكون من ثلاثة عناصر: المبدأ المنظم الفوضوية أو التراتبية، ميزة، الوحدات متشابهة وظيفيا أو مختلفة، وتوزيع القدرات، وهنالك عنصرين ثابتين من بين العناصر الثلاث لبنية النظام الدولي وهما: غياب سلطة مؤثرة مما يعني أن مبدأها المنظم هو الفوضى، وثانيا مبدأ الاعتماد على الذات أو المساعدة الذاتية وهو ما معناه أن كل الوحدات تبقى متشابهة وظيفيا، ويكون المتغير البنيوي الوحيد حسبه هو توزيع القدرات الذي يولد التمييز الرئيسي بين النظم المتعددة وثنائية القطبية. ومن بين انتاجات النظرية للموجة النظرية الواعية الجديدة،

حيث يعتبر "جون هيرز" أول من استعمل مصطلح المعضلة الأمنية عام 1950 فالدول ذات السيادة تتسلح لتصبح أكثر أمنا حتى تزيد من مستوى الحماية لها، في المقابل وجود حالة من الفوضى الدولية تؤدي إلى المزيد من اللا أمن بالنسبة للدول الأخرى، فالشعور بانعدام الأمن مصدره الشك و الخوف المتبادل بين الدول المتنافسة، و قد قدم روبرت جيرفيس تعريفا للمعضلة الأمنية باعتبارها الحالة التي فيها "العديد من الوسائل التي تسعى الدولة من خلالها زيادة أمنها فتقلل من أمن الآخرين"، ففي نظام المساعدة الذاتية أو العون الذاتي خلق المزيد من أمن دولة معينة هو حتما خلق المزيد من انعدام الأمن بالنسبة للدول الأخرى، و بسبب الفوضى يعزز مبدأ المساعدة الذاتية بحيث لا تلجأ الدولة لأية سلطة أعلى منها بل تتحول بنفسها لضمان الأمن و السلامة.صباح باله ، 2021.

المحور الثالث: مدرسة فرانكفورت المرجعية التاريخية الفكرية للدراسات الأمنية النقدية

تعتبر مدرسة فرانكفورت المرجعية الفكرية التاريخية للدراسات النقدية في مجال العلاقات الدولية وكذا في مجالات الامن الموسّع، وسيتم توضيح هنا نبذة عن مدرسة فرانكفورت.

لا يمكن الحديث حول بداية المشروع العلمي لمدرسة فرانكفورت بدون الحديث عن نشأة معهد البحوث الاجتماعية، الذي مارس نشاطه بهذه المدينة في 1923م، فتكون كحلقة فكرية عبر المناقشات الجماعية لمؤسسيه، والذين تشاركوا في رفض المشروع الثقافي الغربي وتجربة تكوين مثل هذا التجمع الفكري، ليس امرا مستحدثا في المانيا ، اذ وجدت قبلا لدى بعض من أصحاب الاتجاه المثالي عبر مشروعهم -معهد النقد-، الذي اسسه فرديريش شلينج، قبل التكوين الرسمي للمعهد ، رأس كيرت جيرلاخ هذا التجمع الفكري، لكنه توفي قبل افتتاحه بقليل

فاختير لإدارته المؤرخ كارل جروونبرج مابين عامي 1923م -1929، والذي كرس توجهات بحوث المعهد نحو اطروحات ماركسية ، وفي يناير 1931، خلفه هوركايمر، وانضم اليه معظم المفكرين المشهورين فيما بعد، ادورنو وماركيوز ، وساهم هوركايمر في ان يفتح المعهد في عهده على افاق معرفية أخرى كالفرويدية و الظاهراتية وعلى مزيد من الاهتمام بالجوانب الثقافية والأيدولوجية، اتساقا مع التغيرات الاجتماعية التي انتابت المانيا وأوروبا والغرب خلال تلك الفترة، (توم بوتومور، تر: سعد هجرس، 1999، ص ص.16-18)

ومع استيلاء هتلر على الحكم في المانيا . اغلق المعهد وصودرت مكتبته وغادر أعضاؤه معظمهم من اليهود، عام 1933م، الى بعض الدول الاوربية، وأنشأوا فرعا له في جنيف اطلقوا عليه اسم المؤسسة العالمية للبحث الاجتماعي، وكونوا له إدارة جماعية إضافة الى فرعين آخرين له في لندن وباريس.

وبسبب التوسع النازي، اضطر هؤلاء المفكرون ثانية الى مغادرة اوربا عام 1934م، متوجهين الى الولايات المتحدة الامريكية ونقلوا المعهد معهم الى نيويورك باسم المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي، ليستقر بعد ذلك في الحرم الجامعي لكولومبيا، ثم ما لبثوا ان انتقلوا عام 1941، الى لوس انجلس

ولاشك انّ هجرة أعضاء المعهد الى الولايات المتحدة قد اثرت الى هذا الحد او ذاك في أعمالهم. فقد بدأوا تحليلا جديا للمجتمع الرأسمالي الذي راو نخط صعوده الجديد في الولايات المتحدة، ثم انّ حصار الغرب وعدم اندماجهم مع البنى الاجتماعية الامريكية واعتماد اليسار الجديد وعلى أي حال فقد عاد معهد البحوث الاجتماعية مرة أخرى عام 1951، الى موقعه الأصلي في مدينة فرانكفورت حيث عرف لأول مرة باسم مدرسة فرانكفورت تحديدا لتكوينه الجديد كمدرسة نقدية ليشهد عام 1960م، خله ونهايته .

وعلى الرغم من حله فقد ساهم هذا المعهد في انشاء مدرسة فرانكفورت التي مثلت النظرية النقدية والتي استلهم منظرو الدراسات الأمنية النقدية منها بعضا من أفكارهم ثم طوروا الجديد.

وهكذا اتجهت اطروحات المدرسة الى محاولة البرهنة على ان عقلانية المشروع الثقافي الغربي في جوانبه الثالثة كنتاج فلسفي نظري علمي ونظم اجتماعية تاريخية، ونسق قيمي سلوكي تؤلف جميعها أيديولوجيا شمولية متكاملة ومتناسكة، تهدف الى تبرير التسلط ، وجعله عقيدة وحيدة تغطي أولويات القمع المتحققة كواقع مستمر يجمع مختلف فعاليات هذا المشروع.(توم بوتومور، 1999، ص ص 18-20)

عقب الثلاثينات طور هوركايمر في بحوثه، مفهومه عن دور الفلسفة مبتدئا بنقد المذهب الوضعي الحديث والمذهب الامبريقي، وقدم هذا النقد عبر ثلاث نقاط اساسية:

○ انها تعامل البشر المفعمين بالحيوية والنشاط بوصفهم حقائق واشياء مجردة داخل نطاق محدود ومخطط كما الحتمية الميكانيكية.

○ انها تتصور العالم كمعطى بشكل مباشر في التجربة فقط

○ انها تقيم تمييزا مطلقا بين الحقيقة والقيمة ومن ثمة فانها تفصل المعرفة عن المصالح البشرية

وقدم هوركايمر فكرا مناقضا لهذا. (توم بوتومور، 1999، ص ص. 44، 43)
".. أما النوع المضاد من الفكر الاجتماعي أي النظرية النقدية، فيرفض النهج التقليدي في تحديد الحقائق الموضوعية بمساعدة الانساق المفاهيمية من وجهة نظر خارجية خالصة، ويدافع بالمقابل عن ان الحقائق نشأتها من فعل المجتمع. والاهتمام الطاعني لمدرسة فرانكفورت بالظواهر الثقافية أي بتجليات ومنتجات الوعي البشري تضمن أيضا اهتماما خاصا بالفرد كمركز للفكر والعمل وحول كذلك الاهتمام بعلم النفس سيما التحليل النفسي.
".... فان هوركايمر استمد من دراساته المبكرة لامانويل كانط ، حساسية بإزاء أهمية الفردية كقيمة لا ينبغي طمسها على الاطلاق تحت متطلبات الجماعة، وقدّم اشادة مسوغة بالتأكيد على الفردية " (توم بوتومور، 1999، ص ص. 49-51).

المحور الرابع: الامن انعتاق من الجوع والفقر والخوف ، الجديد التنظيري لمدرسة ابريستويث وبوادر

الدراسات الأمنية النقدية

تعدّ مدرسة فرانكفورت المرجعية الأساسية للنظرية النقدية الدولية وقد اتضحت معالم النظرية النقدية بفضل مقالة كتبها ماكس هوركهايمر في 1937م، حيث اهتم بتغيير المجتمع وكان يعتقد بأنّ النظريات التي من شأنها تحقيق هذا التغيير لا يمكن تغييرها بالطريقة نفسها التي تقوم بها العلوم الطبيعية، في تطوير قوانينها ونظرياتها وهنا ميز بين النظرية التقليدية والنظرية النقدية، فالأولى ترى العالم كمجموعة من الحقائق تنتظر من يكتشفها باستخدام العلم في حين أنّ الثانية ترى بأنّ الحقائق هي حصيلة اطر اجتماعية وتاريخية محددة، ثم ظهر بعد هوركهايمر عدة منظّرين نقديين ومن بينهم يورغن هابرمس والذي ساهم وأفكاره وفلسفته في تطوير النظرية النقدية في مجال العلاقات الدولية وكذا كان بمثابة احد اهم المراجع الفكرية في بعض المنطلقات للدراسات الأمنية النقدية والتي تطورت فيما بعد في التسعينات من القرن العشرين.

الدراسات الأمنية النقدية تتمثّل في ثلاث مقاربات أساسية محددة بشكل جغرافي باعتبارها مدارس أمنية، مدرسة كوبنهاغن، مدرسة ابريستويث، مدرسة باريس، جميع هذه المقاربات لها جذور أساسية في النظرية الاجتماعية النقدية. (جون بيليس وستيف سميث، 2004، ص ص. 374-377)

وتتشرك النظريات ما بعد الوضعية في خلفيتها النقدية المتمثلة في رفضها للنزعة العلمية وادعاءات الحياد والموضوعية الوضعتين، وضمن حق الدراسات الأمنية، يتجلى هذا التوجه في نقد المقاربة التقليدية للأمن التي تحتلّ الامن في ضمان بقاء الوحدة السياسية وتحقيق الامن والحماية من التهديدات العسكرية، كما يظهر الجانب النقدي في الدراسات النقدية الأمنية في نقد العلاقة المستترة بين المعرفة والمصلحة. (سيد احمد قوجيلي 2011، ص. 99)
لقد ساهم تعدد الفواعل الدولية وتصاعد النزاعات الاثنية في النظام الدولي وتشابك التهديدات في ظهور النظريات النقدية الأمنية ومناداتها بضرورة إعادة النظر في المفاهيم الأساسية والمقاربات التقليدية للأمن وفي هذا الصدد تمثل

اهم اسهام للمدارس النقدية في إعادة بناء مفهوم الامن او إعادة مفهومة الامن وكذا عملية توسيع وتعميق ابعاده المجالية. (سيد احمد قوجيلي، 2011، ص.100)

في الثمانينات من القرن العشرين برزت مقاربات جديدة في حقل العلاقات الدولية وهي مقاربات مابعد الوضعية-النقدية، البنائية، مابعد الحداثة- والتي أصبحت تعرف فيما بعد بالنظرية النقدية الدولية، وقد أجمعت هذه المقاربات على أنّ المفهوم الواقعي السائد للأمن يهمل ويتجاهل امن الجماعات الصامتة والمهمشة، امن دول العالم الثالث، ومثلما يقول كين بوث عبر تساؤله: اين الفقراء؟ اين النساء؟ اين الذين بدون صوت؟

هذه الحركية الفكرية التوسيعية لمفهوم الامن ساهمت في إرساء حقل جديد يستوعب المقاربات الأمنية وقد برز الاطار الاكاديمي لحقل الدراسات الأمنية النقدية في منتصف الثمانينات وبداية التسعينات مع اعمال المفكرين النقديين مثل : كين بوث ريتشارد وأين جونز، كيث كروز والذين أشاروا للطرق البديلة والنقدية للتفكير بالأمن. وعليه في عام 1991م، برز ضمن حقل الدراسات الأمنية انتاج ما اسماه كين بوث بالدراسات الأمنية النقدية Critical Security Studies CSS، وقد ساهمت اعمال كين بوث وريتشارد وأين جونز في تطوير الحقل الأمني النقدي والذي اصبح يعرف بمدرسة ابريستويث Aberystwyth School (قوجيلي، 2011، ص.106-112)

تركز الدراسات الأمنية النقدية بصفة عامة على الفرد فحسب كين بوث موضوع الدراسات الأمنية النقدية يجب ان يكون انعتاق الافراد. لقد قدم منظرو الدراسات الأمنية النقدية مشروعا بديلا للدراسات الأمنية الواقعية الدّولائيّة. بمعنى ان للفرد حاجات أساسية تسبق التهديدات الإقليمية وانه يجب التركيز على توفير الغذاء وتحقيق الامن الغذائي والامن الصحي وكذا الاجتماعي والثقافي والديني بشكل يضمن حقوق الانسان وحقوق الفرد المدنية ثم السياسية والاجتماعية .

ويعد كين بوث من اهم أكاديميي مدرسة ابريستويث، ومن ابرز من نظّر للدراسات الأمنية النقدية، وحسب انصار مدرسة ابريستويث فإنّ الامن يعني الانعتاق emancipation، بمعنى التركيز على الفرد كمحور للمعرفة والممارسة الأمنية.

مع بداية التسعينات قدّم وأين جونز وكين بوث كلّ على حدا مقاربة نقدية موجهة بأفكار مدرسة فرانكفورت، انتقادا تركيز الواقعية على مركزية الدولة وارتباط الامن بالقطاع العسكري وقدّما بديلا لذلك وهو الاهتمام بانعتاق الانسان.

حسب أنصار مدرسة ابريستويث، الامن لا يعني البقاء فقط بل هو أكثر من ذلك لأنّ البقاء وحده لا يضمن الامن فهو لا يزيل التهديدات، فالحرية من التهديدات الوجودية هي التي تضمن الامن. من منظور الانعتاق يصبح الاهتمام بالأمن من الأسفل الى الأعلى بمعنى من امن الفرد الى امن الدولة الى الامن العالمي وذلك لإنسانية أكثر إنسانية. ما يعني ضرورة التركيز على الامن الغذائي والامن الهوياتي والثقافي ثم الانتقال

للامنا لدولاتي والامن العالمي . كما أنّ التهديدات متشابكة فالامن البيئي يقود الى الامن الغذائي والامن الاقتصادي يتشابك كذلك مع الامن الغذائي .

ومن أبرز اسهامات كين بوث-وهو منظر بريطاني وبروفيسور في قسم السياسة الدولية في جامعة ابريستويث، لكل مدرسة أفكار ومفاهيم، ومدرسة ابريستويث ذات مفهوم رئيسي وهو اعتناق الفرد، وقد كتب كين بوث مقالا حول الاعتناق والامن في سنة 1991، بعنوان . Security and emancipation ومن اهم ما تضمنه :
- مشاكل المفاهيم ذات علاقة وطيدة بالمشاكل العالمية ويقصد بها انه لا يمكن فصل الوقائع عن الجانب النظري ويرى بانه لا يمكن حل المشاكل العالمية بدون حل المشاكل المفاهيمية الوطيدة بين المعرفة والمصلحة
- ناقش كين بوث كذلك في مقاله المشاكل المفاهيمية حيث قال انه بعد تفكك الاتحاد السوفياتي كيف ستسمى المرحلة التي تلي الحرب الباردة هل ستسمى بما بعد الحرب الباردة وعلى أيّ أساس سيتم وصف وتحديد بنية النظام الدولي وكذا الأطر المفاهيمية بعد الحرب الباردة بعد الحرب الباردة خاصة مع ظهور مسائل دولية هامة وذات فاعلية تتمثل أساسا في الاعتماد المتبادل، تآكل السيادة ، تلوث البيئة
- كين بوث نبّه في مقاله كذلك الى ضرورة الوقوف في نقطة الانفصال او نقطة الانقطاع عن التفكير التقليدي خاصة المنظور الواقعي، ذلك أنّ واقع ما بعد الحرب الباردة يتميز بتعدد الفواعل وتطور التكنولوجيا كل هذا قاد بالمنظور الواقعي القائم على المركزية الدولتية الى الوصول لنقطة النهاية لفكرة الدولة الفاعل الوحيد المركزي لذلك فهو يرى بأنّ هذه القطيعة الناتجة عن عجز المنظور الواقعي عن تفسير ما حدث من تحولات هي بمثابة نقطة البداية ، فعجزت الواقعية عن تفسير المشاكل البيئية، وكذا مشاكل الامن الاجتماعي والعنف الابنيوي (Ken Booth,1991,pp.313,314)

فمن خلال تسليطه الضوء على النزاعات الاثنية، فهو يعني ان الواقعية عجزت عن تفسير الامن الاجتماعي وتهديداته العابرة للحدود في عالم ما بعد الحرب الباردة.

كما أشار كين بوث في مقاله الرئيسي وكذا في مختلف اسهاماته الى أنّ عودة الحرب الداخلية والنزاعات الاثنية والتي تناستها الواقعية تدل هذه النزاعات الداخلية التي بدأت تشهدها فترة ما بعد الحرب الباردة تدل على تصاعد الدور الدولي للأسلحة الثقافية ممّا يعني أنّ حقل الامن لم يعد مرتبطا فقط بالجانب العسكري بل بمواضيع أخرى مثل الهوية، الثقافة.

- وفي مقاله كذلك يشير الى أنّ تشابك التهديدات ادى الى ضرورة إعادة بناء الامن فقد طرح تساؤلا، اذا لم نستطع تحديد معنى الامن فهل يمكن ان نأمل في تحقيقه؟ ومن هنا بدأ نقاشه الذي اعتبر فيما بعد جوهر الدراسات الأمنية النقدية.

- يرى كين بوث بأنّ الامن يعني غياب التهديدات، أمّا الاعتناق او الاعتناق، فيعتبر بأنه تحرير او تحرر الشعوب- افرادا وجماعات- من القيود المادية والاجتماعية التي تمنع الافراد من اختيار ما يريدون فعله بحرية ويرى بأنّ الحرب

وتحديد الحرب وكذا الفقر وسوء التعليم والاضطهاد السياسي هي احدى تلك القيود ويعتبر كين بوث بأنّ الانعتاق هو الذي ينتج الامن الحقيقي وليس القوة او التنظيم وعليه يقول كين بوث في مقاله بأنّ الانعتاق نظريا هو الامن.

بهذا يعتبر كين بوث بأنّ الامن هو مسار انعتاق ولكن تساءل عن أصحاب الأولوية في الامن، الشعوب ام الدول؟ وهنا يستدل بأمثلة من التاريخ ليبين بأنّ المرجعية الأساسية للأمن هي الشعوب وهذا ما يدل على أنّ الافراد والبنى الاجتماعية هي وحدات التحليل الأساسية في مقاربة كين بوث خاصة وفي مدرسة ابريستويث والدراسات الأمنية النقدية عامة.

ومن بين اهم مؤلفات كين بوث الأخرى التي مثلت حجر الأساس كذلك لحقل الدراسات الأمنية النقدية مايلي:

critical security studies and world politics 2005*

the security Dilemma: fear, cooperation and trust in world politics 2007*

من بين اهمّ اسهامات كين بوث هناك كذلك كتاب الذي نشره في 2005، حول الدراسات النقدية الأمنية والسياسة الدولية ، ويؤكد كين بوث في مقدمة الكتاب بأنّ الهدف من طرحه لهذا الموضوع هو منح منظور موسع للأمن مقارنة بالمنظورات الأخرى السابقة ، حدّد في الفصول الأولى المميزات الأساسية للدراسات الأمنية النقدية، حيث اعتبر بوث الفرد هو الفاعل المركزي ووحدة التحليل الأساسية في الدراسات الأمنية، والانعتاق هو الطريقة الأنسب لتحقيق امن أوسع، وفي الفصول الأخرى ركّز بوث على تطبيق الدراسات النقدية الأمنية على مواضيع مختلفة مثل ، الاقتصاد السياسي الدولي وعلاقته بأمن الافراد، وفي الفصل الأخير عرض كين بوث اهم مدارس الفكر النقدي. Heather Hrychuk, 2008

المحور الخامس: مدرسة كوبنهاغن ومدرسة باريس : نظرية الامنة

أ- مدرسة كوبنهاغن:

تعتبر مدرسة كوبنهاغن لأبحاث السلام والامن من ابرز المدارس التي قدمت اسهامات في الدراسات الأمنية في اطار النظريات النقدية، حيث ساهمت هذه المدرسة في توسيع مفهوم الامن وابحاثها في السلام خاصة عند المفكر باري بوزان Barry Buzan الذي يعتبر من الأوائل الذين اسسوا لدراسات السلام إضافة لإسهاماته في تقديم تصور امني مميز ربط فيه الابعاد الداخلية بالخارجية وتخلّى عن الفكرة القائلة بأنّ الانسان ذو طبيعة شريرة كما تحدث عنها الواقعيون الكلاسيكيون اذن تعتبر مدرسة كوبنهاغن من بين ابرز المدارس التي عمدت الى توسيع وتعميق مفهوم الامن مستمدة أصولها النظرية من عدة اسهامات أهمها كتاب المنظر باري بوزان "الناس، الخوف، إشكالية الامن القومي في العلاقات الدولية People, state and Fear : the National security problem 1991 in international relations

ترتكز دراسات مدرسة كوبنهاغن على التجليات الاجتماعية للأمن، بمعنى أنّ الامن ليس مفهوما ثابتا، بل انه بناء اجتماعي يتشكل عبر الممارسة وبشكل ديناميكي، وبهذا الشكل يمكن توسيع الامن ليتجاوز المنظور التقليدي الذي يركز على الحروب بين الدول .(بوستي توفيق، 2019، ص.1)

ولقد برزت نظرية الأمانة -التي ارتبطت بمدرسة كوبنهاغن ثم طورتها كذلك مدرسة باريس- في ثمانينيات القرن المنصرم في ظل نسق ثنائي مفعم بالتوتر بين قطبيه، وبمواكبة أجواء دولية حبلت بالصراع المرتكز إلى بواعث أمنية، على يد مؤلفات Ole Weaver ذلك الرمز اللامع في مجال الدراسات الأمنية، والذي سعى بمشاركة رفيق دربه باري بوزان إلى وضع اللبنة الأولى في صرح مدرسة جديدة الطرح في المجالات الدولية والأمنية عُرفت بمدرسة كوبنهاغن للدراسات الأمنية.

ويتمحور جوهر نظرية الأمانة Securitization theory حول تبيان أن السياسات المؤطرة للأمن القومي للدول ليست سياسات مفروضة على الدول وليست أمراً معطاً مسلماً به في حد ذاته، ولكنها سياسات مصممة من قبل السياسيين وصناع القرار)أو ما يعرف بالفاعل المؤمن (**'securitizing actor'** حينما يقومون باستغلال ظرفا دولي ما بتصويره للمستهدفين بهذه السياسات كما لو أنه أمراً جلالاً أو تهديداً بالغ الضراوة أو جائحة مهلكة تدق ناقوس الخطر .

ب- مدرسة باريس:

مع بداية التسعينات، شكّل ديديه بيجو Bigo، وآخرون من خلال منشوراتهم في مجلة ثقافات وصراعات ، مدرسة باريس وهذا المنظور في الدراسات الأمنية يضم مهنيي الامن من الشرطة ورجال المخابرات.

تركّز هذه المدرسة على ضرورة الامنة والتي تعني انتقال بناء الامن من الفاعل السياسي الى المستوى المؤسسي للمهنيين العاملين في تعريف التهديدات والتكنولوجيات التي تحكمها. وعلى الرغم من أنّ مدرسة كوبنهاغن قد تناولت مفهوم الامنة ولكن ليس بنفس الطريقة التي تناولتها مدرسة باريس ، فمدرسة كوبنهاغن تعتبر امانة القضايا بمعنى انها تصبح مشكلة امنية تحتاج للاطار الاستثنائي كفرض حالة الطوارئ مثلا وعليه فانتقال القضايا من الجانب العادي السياسي الى الجانب الأمني الذي يتطلب فرض إجراءات استثنائية يقود الى ظاهرة الامنة ولكن انصار مدرسة كوبنهاغن تحدثوا كذلك عن نزع الامنة وحددوا شروطا لذلك.

في حين أنّ أنصار مدرسة باريس يرون بأنّ نزع الامنة يؤدي الى تعطيل نظام الحقيقة الذي اوجده هؤلاء المهنيين. أنّ مدرسة باريس تعتبر الامن تقنية حكومية ولذلك فهي تركّز على تأثيرات العاب القوة وعلى الممارسات كما تركّز مدرسة باريس على طبيعة التهديد والطريقة الملائمة لمواجهته، وحسب أنصار مدرسة باريس يرون بأنّ الطبيعة الجديدة والمتغيرة للتهديدات أدّت الى اظهار مدى ترابط واعتمادية العديد من المهن المختلفة.

ومن بين اهم الأفكار التي جاء بها أنصار مدرسة باريس:

- دمج الامن الداخلي مع الامن الخارجي، بحيث تنتقد مدرسة باريس ما كان سائدا في السابق من فكرة فصل السياسة الدنيا عن السياسة العليا وتحديد ا فصل الامن الداخلي عن الامن الخارجي، فهم يرون بضرورة وحتمية دمج الامن الداخلي والامن الخارجي خاصة مع عولمة ظاهرة اللأمن او انعدام الامن بسبب تعدد التهديدات وتشابكها والدمج بمقتضى توسيع أنشطة الامن الداخلي.
- مدرسة باريس تقوم على فكرة أساسية الا وهي انّ جوهر الحقل الأمني هو قدرة الفواعل على انتاج البيانات والمعلومات التي تبنى عليها الحقائق والاستراتيجيات الامنية بهذا فالحقل الأمني لا يؤسس فقط على القوة او الإكراه بل أيضا على قوة المعلومات.
- حسب مدرسة باريس، مهنيو انعدام الامن المسؤولون عن إدارة التهديدات هم الذين يمثلون الجانب العملي للحقل الأمني.
- جاءت مدرسة باريس بتقنية أمنية تتمثل في إدارة المخاطر ، ويعد اورلريش بيك ابرز من ادخل مفهوم الخطر الى حقل الدراسات الأمنية من خلال اعتباره انّ المجتمعات الغربية المعاصرة تمر بتحول من المجتمعات الصناعية التي يكون فيها صناعات القرار بصدد توزيع الثروة في ظروف الندرة ولكنه يعتبر بانّ عملية التوزيع هذه يرافقها انتشار المخاطر.(فوجيلي، ص ص 149،150)

المحور السادس : مقارنة الامن الإنساني وتعدد ابعاد الامن متعدد الابعاد

إنّ المفاهيم: الأمن القومي، الأمن الإنساني والأمن الدولي كلّها تتقاطع وتركّز على الإنسان وحاجاته ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار لبيئته المركّبة من ظروف سياسيّة، اقتصاديه اجتماعيه.

وقد حدّد برنامج الأمم المتّحدة خارطة مضامينيّة حول المحتوى البعدي للأمن الإنسانيّ في سبعة أبعاد حركيّة متكاملة وغير مرتّبة وهي:

- الأمن البيئيّ: ويتحقّق من خلال حماية البيئة من التلوث كشرط أساسي لاستمرار الحياة
- الأمن الصحيّ: تمكين الإنسان من العيش في بيئة تؤمّنه من الأمراض
- الأمن الغذائيّ: توفير الغذاء الصحيّ الكافي وباستمرار بشكل يحقّق توازناً في نموّ الإنسان، لقد تطوّر مفهوم الامن الغذائي على مدار العقود الاخيرة وتم توسيعه تدريجيا، فرّكز بداية وبشكل أساسي على توافر الغذاء والإنتاج الغذائي، ثم توسيعه ليشمل إمكانية الحصول على الغذاء-القدرات الجسدية، الاقتصادية، والاجتماعية- وبعدها تطور الى كفيّة استخدامه. وأخيرا ليشمل استقرار هذه الابعاد، وهو ما حدّد في اعلان روما بشأن الامن الغذائي العالمي في عام 1996م، لأبعاده الأساسية:

- مدى توافر الغذاء.
- إمكانية الوصول اليه.
- التركيز على الرفاه التغذويّ

- الأمن الفردي: تمكين الإنسان من تحقيق خصوصياته العقديّة واللّغوية والثّقافيّة
- الأمن الثّقافي: التّمكن الفعليّ للأقليات من حقوقها الثّقافيّة باسم ضرورات التّجانس المجتمعيّ
- الأمن المجتمعيّ : توازن بين الخصوصيّة ومنطق الاندماج القوميّ
- الأمن السياسيّ : تمكين المواطنين من حقوقهم المدنيّة والسياسيّة في نظام ديمقراطيّ . احمد برقوق ،

volasite.com

"...لقد مكّن هذا المنظور الأُمّي من تطوير مجموعة من المبادرات مثل المبادرات اليابانيّة والكنديّة والتّرويجيّة الهادفة لتحقيق الأمن والسّلم العالميّين بالتّنمية وتمكين البشر من حقوقهم. وكانت لهذه المبادرات الدّور الفاعل في إنشاء شبكة الأمن الإنسانيّ والتيّ على أساس نجاحاتها أسسّ كوفي عنان لجنة الأمن الإنسانيّ وحرّر الأوروبيون تقرير برشلونة A humanSecurity Doctrine for Europe 2004

فمن هنا يظهر مدى التّفاعل الأكاديميّ والعمليّ في تطوير منظور حركيّ لأمن الإنسان ..."
وقد ساهم كل من محبوب الحق وامارتيا سين -وهما احد اهم مؤسسي نظرية الامن الإنساني- في تطوير المقاربة من خلال تسليط الضوء على أهمية التنمية والعدالة والتحديات التي تواجه تحقيق الامن الإنساني كالفقر.
وترتكز هذه المقاربة على وضع استراتيجيات شاملة لتحقيق امن متعدد الابعاد وأنّ الامن الشامل يحتاج الى العدالة والى برامج تنموية مستدامة .

كما أنّ لامارتيا سين دراسات أخرى له، يعتبر بأنّه وعلى الرّغم من انتشار النموذج الديمقراطيّ عبر العالم إلّا أنّه تبقى مشاكل عديدة مازال يعاني منها العالم ومن أبرزها : الفقر ، المجاعات الفجائيّة، انتهاك الحقوق السياسيّة للإنسان، انتهاك حقوق المرأة، المشاكل البيئيّة، التّهديدات الأمنيّة... وغيرها ويعتبر أمارتيا سين بأنّ الحلّ الرّئيسيّ لمواجهة هذه التّحديات هو الاهتمام بالحرّيّات بكلّ أنواعها. ويرى أمارتيا سين بأنّ الحرّيّة هي النّهاية الناجحة للتنمية عندما تتحقّق للأفراد ولكن هي في نفس الوقت أداة لتحقيق التنمية.

قائمة المصادر والمراجع:

- بوتومور توم، مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، طرابلس: دار اويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، ط.2، 2004
- مكنمارا روبرت ، **جوهر الامن**، تر: يونس شاهين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970
- جون بيليس وستيف سميث، **عولمة السياسة العالمية**، الامارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث والترجمة والنشر، 2004
- قوجيلي سيد احمد ، **الحوارات المنظرية واشكالية البناء المعرفي في الدراسات الأمنية : مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية** ، فرع الاستراتيجية والمستقبلات ، اشراف امجد برقوق ، 2010/2011،
- Ken Booth , **Security and emancipation**, review of international studies , 1991
- Heather Hrychuk, **critical security studies and world politics :Ken Booth 2005**, le journal de l'armée de Canada,vol.112

المقدمة:

تعدّ العدالة الاجتماعية مطلب كل نظام سياسي من أجل القضاء على التفاوت الطبقي في المجتمع، وهي بذلك تعتبر الركن الجوهري التي ينبغي للتشريع الأساسي أن يتضمنها، وتبعاً لذلك نجد أنّ معظم دساتير الدول تعمل على التأسيس لتحقيق هذه المقاربة المفصلية في حياة الشعوب والأمم، من خلال منظومة قانونية متوازنة ومتكاملة تحقق العدالة الاجتماعية⁽¹⁾، ولضمان سيادة الدستور وحراسة النظام الديمقراطي وحماية حقوق الانسان أصبحت الرقابة الدستورية حلاً قانونياً و سمة بارزة في أيّ دستور جديد، فالتعديل الدستوري لسنة 2020 كان خطوة هامة في تعزيز التوجه نحو القضاء الدستوري وذلك بظهور المحكمة الدستورية كهيئة مستقلة يتم من خلالها تكريس آلية الدفع بعدم الدستورية باعتبارها أحد أهم آليات الرقابة الدستورية البعدية التي تخوّل للأفراد مسألة عدم دستورية قانون ما⁽²⁾. فالرقابة⁽³⁾، على دستورية القوانين هي الوسيلة الفعالة لضمان الالتزام بالحدود الدستورية والأسس والمبادئ التي رسمها الدستور ومن ثم احترام هذا الأخير نصاً وروحاً⁽⁴⁾، الدفع بعدم دستورية القوانين نصّ عليه التعديل الدستوري رقم 16-01 المؤرخ في 6/3/2016⁽⁵⁾، ويكون أمام المجلس الدستوري والذي يقوم بإخطاره كل من الوزير الأول والبرلمانيين، بالإضافة إلى الأفراد من خلال الدفع بعدم دستورية القوانين الماسة بحقوقهم وحرّياتهم الأساسية وذلك من أجل ضمان الرقابة البعدية على دستورية القوانين. حلت المحكمة الدستورية محل المجلس الدستوري في التعديل الدستوري لسنة 2020⁽⁶⁾، إذ أصبح للمتقاضى الطعن في النصوص القانونية سواء كانت تشريعية أو تنظيمية المخالفة للدستور والتي سوف يتأثر بها حكمه وأن القانون الذي أُستند عليه مخالف للدستور في الوقت ذاته تكون الاختصاص للمحكمة الدستورية لأن الدستور أسمى وأعلى مرتبة من القانون وحماية الدستور تأتي قبل حماية القانون⁽⁷⁾.

لعلّ أهم ما دفعنا لاختيار البحث في هذا الموضوع هو حداثة الدفع بعدم الدستورية، في مجال الرقابة الدستورية، من خلال إشراك الأفراد في تحريك الرقابة البعدية.

يمكن تلخيص أهداف البحث الدفع بعدم الدستورية من خلال تحليل النصوص القانونية المتعلقة بالمحكمة الدستورية والقانون العضوي رقم 22-19 المؤرخ في 25/7/2022⁽⁸⁾، والدور المنوط للجهات القضائية في تكريس ذلك وتفعيل الرقابة الدستورية على القوانين..

الاشكالية: الرقابة على دستورية القوانين هي الآلية التي ابتكرها القانون وتعددت أوجه هذه الرقابة، وأوجدت المؤسسات الدستورية التي أنيط بها مهمة القيام بذلك، على ضوء هذه المعطيات ما هي الآليات التي أقرها المشرع الدستوري لتحريك الدعوى الدستورية؟ وما هي اجراءاتها؟

المنهج المتبع في معالجة هذه الاشكالية هو المنهج التحليلي كون أنّه يقوم على تفسير النصوص القانونية

واستنباط الأحكام .

من أجل الإلمام بأهم جوانب الموضوع و سعيًا للإحاطة الشاملة تم تقسيم البحث إلى ماهية الدّعى الدستورية (محور أوّل)، سلطة القاضي الدستوري في الإصلاح التشريعي و إثارة الدّفع بعدم الدّستورية (محور ثانٍ).

المحور الأوّل: مفهوم الدّعى الدستورية وإجراءاتها

يكتسي الدّستور قدسية شكلية وموضوعية أضفت عليه طابع السّمو عبر ضمانات قانونية نصّ عليها الدّستور نفسه لتحقيق الدّولة القانونية، وذلك بادراج ما يسمى بالرقابة القضائية على دستورية القوانين نظرًا لما يتمتع به القضاء من خبرة قانونية وحياد واستقلالية⁽⁹⁾. سأعالج هذا المحور من خلال تعريف الدّعى الدستورية أولاً ثم إجراءات نظر الدّعى الدّستورية ثانياً.

أولاً: تعريف الدّعى الدستورية

الدّعى الدستورية كلّ دعوى متعلقة بمسألة من مسائل الدّستور ترفع أمام الجهة المختصة المحكمة الدّستورية تختص بالتحقق من مطابقة التشريعات سواء كانت صادرة عن السلطة التشريعية أو السلطة التنفيذية⁽¹⁰⁾، و تكون الدعوى الدستورية مستقلة عن الدّعى الموضوعية .

1. تعريف الدّعى الدستورية حسب المعيار الشكلي هو مجموعة القواعد القانونية التي تضمنها الدّستور، و تقوم الرقابة على تحديد العمل القضائي و على الجهة التي تصدره و ما يليها من اجراءات .
2. تعريف الدّعى الدستورية حسب المعيار الموضوعي يقوم هذا المعيار على جوهر القاعدة القانونية حيث أن القانون الدستوري وفق منحاها يتضمن كل القواعد التي مضمونها دستوري سواء وجد في الوثيقة الدّستورية أم تم ارساؤه من خلال العرف أو جاءت بالقوانين العادية و يتعلق الأمر بالمسائل التي تخص طبيعة الدولة و نظام الحكم فيها و أوصاف السلطة العامة⁽¹¹⁾.

الدّعى الدّستورية تقام أمام محكمة مختصة تشكلت بموجب الدّستور، تختص بالتحقق من مطابقة التّشريعات سواء كانت قوانين بالمعنى الدّقيق صادرة عن السّطة التشريعية أو كانت لوائح صادرة السّطة التّفيذية، وسواء كانت عادية أم لها قوة القانون مع أحكام الدّستور⁽¹²⁾، منه " لا يجوز لأي شخص التّقاضي ما لم تكن له صفة ومصلحة قائمة أو محتملة يقرها القانون⁽¹³⁾، إذ أنّ الحقّ الذي تحميه المصلحة في الدّعى الدّستورية هو حق يكفله الدّستور بينما في باقي الدّعاوى العادية هو حق شخصي.

تعني الرّقابة القضائية على دستورية القوانين إسناد مهمة الرّقابة إلى هيئة قضائية تنظر في مدى مطابقة التّشريع للدّستور، أي أن يسند إلى جهة قضائية فرض رقابتها على ما تصدره السّطة التّشريعية من قوانين ويشمل الجهة القضائية التي جعل الدّستور من اختصاصها هذه الرّقابة عندما تكون الرّقابة مركّبة أي قضاء

دستوري متخصص، كما يشمل النظر في دستورية القوانين باقي المحاكم على اختلاف أنواعها ودرجاتها في حالة الرقابة غير المركزية، كما أن فحص ما اشتمل عليه القانون من أحكام و التأكد من مطبقاتها للدستور تعد جوهر الرقابة القضائية على دستورية التشريع و التنظيم⁽¹⁴⁾، رقابة تتم بعد دخول القانون حيز النفاذ يدفع بها أحد الخصوم في قضية منشورة أمام المحاكم كوسيلة للدفاع عن نفسه بحجة أن القانون الذي ينوي القاضي تطبيقه في القضية هو غير دستوري⁽¹⁵⁾.

3- الجهات التي يثار الدّفع بعدم الدستورية أمامها

تعد الرّقابة الدّستورية حلا قانونيا هاما لضمان سيادة الدّستور لحراسة النّظام الديمقراطي وحماية حقوق الانسان، وبذلك أصبحت سمة بارزة في أي دستور جديد ومن خلال التّعديل الدّستوري لسنة 2020 تم وضع خطوة هامة في تعزيز التّوجه نحو القضاء الدّستوري وذلك بظهور المحكمة الدّستورية كهيئة مستقلة يتم من خلالها تكريس آلية الدّفع بعدم الدّستورية باعتبارها أحد أهم آليات الرّقابة الدّستورية البعدية التي تخول للأفراد طرح مسألة عدم دستورية قانون¹⁶.

يمكن إخطار المحكمة الدّستورية⁽¹⁷⁾، بالدّفع بعدم الدّستورية بناء على إحالة من المحكمة العليا أو مجلس الدّولة، عندما يدعي أحد الأطراف في المحاكمة أمام جهة قضائية أنّ الحكم التشريعي أو التنظيمي الذي يتوقف عليه مآل النزاع ينتهك حقوقه وحرياته التي يضمنها الدّستور⁽¹⁸⁾.

إثارة الدّفع بعدم دستورية القوانين يكون أمام الجهات القضائية الخاضعة لنظام القضاء العادي وأمام الجهات القضائية الخاضعة لنظام القضاء الإداري، كما يمكن أن يثار هذا الدّفع للمرة الأولى في الاستئناف أو الطعن بالنقض، وإذا تمت إثارة الدّفع بعدم الدّستورية أثناء التحقيق الجزائي فتتظر فيه غرفة الاتهام⁽¹⁹⁾ نصت المادة 3 من القانون العضوي رقم 18-16 الملغى على أنه ولا يجوز الدّفع بعدم الدستورية أمام محكمة الجنايات الابتدائية ويجوز عند مرحلة الاستئناف في الحكم الصّادر من محكمة الجنايات الابتدائية بموجب مذكرة مكتوبة ترفق بالتصريح بالاستئناف وتنظر المحكمة في هذا الدّفع قبل فتح باب المناقشة، في حين نصت المادة 16 من القانون العضوي رقم 22-19 على أنه يجوز الدّفع بعدم الدستورية أمام محكمة الجنايات الابتدائية ويجوز عند مرحلة الاستئناف في الحكم الصّادر من محكمة الجنايات الابتدائية، يجوز أن يثار الدّفع بعدم الدّستورية في أية مرحلة كانت عليها الدّعوى ولو لأوّل مرّة أمام جهة الاستئناف أو الطّعن بالنقض، على أن يقدم الدّفع بمذكرة مكتوبة مسببة ومنفصلة عن عرائض ومذكرات الدّعوى الأصلية وذلك تحت طائلة عدم قبول الدّفع، وإذا تمت إثارة الدّفع بعدم الدّستورية أثناء التحقيق القضائي تنظر فيه غرفة الاتهام.

4- شروط وكيفيات الدّفع بعدم الدّستورية

الأحكام الصّادرة في الدّعاوى الدّستورية وهي بطبيعتها دعاوى عينية توجه الخصومة فيها إلى النّصوص التّشريعية المطعون عليها بعيب دستوري تكون لها حجّة مطلقة بحيث لا يقتصر أثرها على الخصوم في الدّعاوى التي صدرت فيها وإنّما ينصرف هذا الأثر إلى الكافة، وتلتزم بها جميع سلطات الدّولة سواء أكانت هذه الأحكام قد انتهت إلى عدم دستورية النّص التّشريعي المطعون فيه أم إلى دستوريته ورفض الدّعى على هذا الأساس⁽²⁰⁾، وهي شروط شكلية و أخرى موضوعية .

أ. الشروط الشكلية للدّفع بعدم الدّستوري

يشترط لقبول الطّعن بعدم الدّستورية أن تتوافر لدى الطّاعن مصلحة شخصية مباشرة في طعنه، ومناطق هذه المصلحة ارتباطها بمصلحته في الدّعى الموضوعية التي أثير الدّفع بعدم الدّستورية بمناسبةها والتي يؤثّر الحكم فيه على الحكم فيها.

- يتم تقديم الدّفع بعدم دستورية القوانين من خلال مذكرة كتابية ومنفصلة ومسببة⁽²¹⁾، يثار الدّفع من قبل الشّخص الطّبيعي أو الشّخص المعنوي سواء كان المدعي أو المدعى عليه أو المدخل في الخصام أو الغير الخارج عن الخصومة، بشرط توفر القواعد العامة للتّقاضي من صفة ومصلحة، وقد يثار الدّفع من المتهم أو المدعي المدني أو الطرف المدني أو المسؤول المدني أو أحد أطراف الدّعى و هو مانصت عليه المادة 15 من القانون العضوي 22-19.

- وتتولى الجهة القضائية فور استلامها المذكرة إرسال قرار مسبب إلى المحكمة العليا أو مجلس الدّولة بعد استطلاع رأي النيابة العامة أو محافظ الدّولة في غضون 10 أيام من صدوره وفي هذا الصّدد إذا كانت تشكيلة الجهة القضائية تضم مساعدين غير قضاة تفصل دون حضورهم⁽²²⁾.

ب. الشروط الموضوعية للدّفع بعدم الدّستورية

- يتم إرسال الدّفع بعدم الدّستورية متى استوفى الشّروط⁽²³⁾.
- أن يتوقف الحكم التّشريعي أو التّنظيمي المعترض عليه مآل التّزاع وأن يشكل أساس المتابعة.
- ألا يكون الحكم التّشريعي أو التّنظيمي قد سبق التّصريح بمطابقته للدّستور من طرف المحكمة الدّستورية باستثناء حالة تغيير الظّروف وأن يتّسم الوجه المثار بالجديّة.
- نصت المادة 26 من القانون العضوي رقم 22-19 على أنه لا ترجى الجهة القضائية الفصل في الدّعى عندما يكون الشّخص محروما من الحرية ما لم يعترض المعني على ذلك أو عندما ينص القانون على وجوب الفصل في أجل محدد أو على سبيل الاستعجال.
- إذا فصلت الجهة القضائية الابتدائية دون انتظار في القرار المتعلق بالدّفع بعدم الدّستورية

ثانيا: إجراءات نظر الدعوى الدستورية

سمو الدستور ضمانا اضافية لاحترام الحقوق والحريات من تعسف السلطات العامة خاصة بعدما أصبحت هذه الأخيرة تملك من القوة القانونية والاختصاصات المتعددة ما يمكنها من ذلك من جهة، و علو مركز الأفراد دوليا و وطنيا من جهة ثانية ، و هنا كان لزاما وضع آلية قانونية للأفراد لمراقبة ومتابعة مدى التزام السلطات العامة للدستور الذي يحمي الحقوق والحريات والضامن الأساسي لها⁽²⁴⁾.

1. إجراءات متعلقة برفع الدعوى خاصة بالقوانين و التنظيمات

تمر عملية الدفع بعدم الدستورية بجملة من الاجراءات تبدأ من خلال رافعها الذي تضرر من قانون معين يدعي فيه أن القانون الذي يتوقف عليه مآل النزاع ينتهك الحقوق والحريات التي يضمنها الدستور لدى الجهة القضائية التي بدورها تحيله إلى المحكمة العليا أو مجلس الدولة حسب اختصاص الإحالة عندما ترى هذه الأخيرة جدية الدفع ثم يحال على المحكمة الدستورية التي تخطر بعدم دستورية قانون معين فتقوم بفحص مطابقته للدستور وإصدار قرار فاصل في النزاع⁽²⁵⁾

نصت المادة 30 من القانون العضوي 19-22 إذا ما تم إثارة الدفع لأول مرة أمام المحكمة العليا أو مجلس الدولة المهلة شهرين للبث في مآل النزاع، إما رفض الدفع أو إحالته الى المحكمة الدستورية وبعد التحقق من استيفاء الشروط، وذلك ابتداء من تاريخ إحالة الدفع إليها من قبل قضاة الموضوع، يوجه قرار الدفع بعدم الدستورية إلى الرئيس الأول للمحكمة العليا أو رئيس مجلس الدولة ألا أن يقدم الأطراف ملاحظات مكتوبة⁽²⁶⁾، في حالة قبول المحكمة العليا أو مجلس الدولة الدفع، يحال إلى المحكمة الدستورية، بقرار مسبب ومرفق بمذكرات وعرائض الأطراف، ويتعين على المحكمة العليا أو مجلس الدولة إرجاء الفصل إلى حين البت في الدفع بعدم الدستورية⁽²⁷⁾، ويبلغ للأطراف في أجل عشرة 10 أيام من تاريخ صدور القرار، وفي حالة انتهاء مهلة البت المتمثلة في شهرين دون أن تفصل المحكمة العليا أو مجلس الدولة في الدفع تتلقى المحكمة الدستورية مذكرة الدفع بقوة القانون⁽²⁸⁾.

تصدر المحكمة الدستورية قرارها في الدفع بعدم الدستورية خلال 30 يوما التي تلي تاريخ إخطارها، وفي حالة وجود طارئ وبناء على طلب من رئيس الجمهورية⁽²⁹⁾ يمكن أن يخفف الأجل إلى 10 أيام ويكون قرار مسبب من المحكمة الدستورية ويبلغ إلى الجهة القضائية، تكون جلسات المحكمة الدستورية مغلقة،⁽³⁰⁾ ما عدا الحالات الاستثنائية المحددة في النظام المحدد لقواعد عملها⁽³¹⁾.

نصت المادة 42 من القانون العضوي 19-22 السالف الذكر على أن انقضاء الدعوى الأصلية التي تمت بمناسبة إثارة الدفع بعدم الدستورية، لا تؤثر لأي سبب كان على الفصل في الدفع بعدم الدستورية الذي تم إخطار المحكمة الدستورية به .

يبلغ قرار رئيس المحكمة الدستورية إلى رئيس الجمهورية و إلى رئيس مجلس الأمة وإلى رئيس المجلس الشعبي الوطني وإلى رئيس المحكمة العليا أو رئيس مجلس الدولة حسب الحالة، لإعلام الجهة القضائية التي أثير أمامها الدّفع بعدم الدستورية⁽³²⁾.

- تتخذ قرارات المحكمة الدستورية بأغلبية أعضائها الحاضرين، وفي حالة تساوي عدد الأصوات يكون صوت الرئيس مرجحاً، تتخذ القرارات المتعلقة برقابة القوانين العضوية بالأغلبية المطلقة للأعضاء، وبثلاثة أرباع $\frac{3}{4}$ أعضائها في الحالات المقررة في المادة 94 الفقرتان 1 و 7 من الدستور⁽³³⁾.

- لا تصح مداولات المحكمة الدستورية الا بحضور تسعة من أعضائها⁽³⁴⁾.

- تتداول المحكمة الدستورية في جلسة مغلقة بحضور أعضائها فقط⁽³⁵⁾.

- يتولى الأمين العام تحرير محاضر اجتماعات المحكمة الدستورية⁽³⁶⁾.

- يمكن للمحكمة الدستورية اللجوء في اطار تعاقدى إلى خدمات خبراء وباحثين ذوي كفاءات عالية في مجال الخبرة والاستشارة⁽³⁷⁾.

- تفصل المحكمة الدستورية بقرار حول توافق القوانين والتنظيمات مع المعاهدات، ضمن الشروط المحددة، على التوالي، في الفقرتين 2 و 3 أعلاه.

- يخطر رئيس الجمهورية المحكمة الدستورية وجوبا، حول مطابقة القوانين العضوية للدستور بعد أن يصادق عليها البرلمان. وتفصل المحكمة الدستورية بقرار بشأن النص كله".

تخضع القوانين العادية للرقابة الدستورية الجوازية السابقة قبل إصدارها إلا إذا توفرت شروط الدّفع بعدم الدستورية، إذ تختص المحكمة الدستورية بالنظر في دستورية قانون ما قبل صدوره في الجريدة الرسمية، وذلك إذا أخطرت الجهات المحددة في المادة 193 من دستور 2020، تستثنى بذلك القوانين العضوية وكذا المعاهدات الدولية من الدّفع بعدم الدستورية، كما لا يجوز أيضا إثارة الدّفع بعدم الدستورية على القوانين الاستثنائية مثل قانون السّلم والمصالحة الوطنية...، لأنها قوانين تم إقرارها بعد عرضها على الاستفتاء الشعبي.

تخضع التنظيمات والأوامر لرقابة جوازية لاحقة، إذ تختص المحكمة الدستورية بالنظر في دستورية التنظيمات والأوامر التي يصدرها رئيس الجمهورية بموجب نص المادة 142 من دستور 2020 خلال العطل البرلمانية أو شغور المجلس الشعبي الوطني وبعد أخذ رأي مجلس الدولة وذلك إذا أخطرت الجهات المحددة في المادة 193 من الدستور⁽³⁸⁾، المحكمة الدستورية خلال أجل شهر واحد من تاريخ صدور النص في الجريدة بانقضاء الاجل ويبقى سبيل الرقابة بآلية الدّفع بعدم الدستورية.

2. إجراءات متعلقة بالمعاهدات

تنص المادة 193 من دستور 2020 على أنه: "بالإضافة إلى الاختصاصات التي خولتها إياها صراحة أحكام أخرى في الدستور، تفصل المحكمة الدستورية بقرار في دستورية المعاهدات والقوانين والتنظيمات. - يمكن إخطار المحكمة الدستورية بشأن دستورية المعاهدات قبل التصديق عليها، والقوانين قبل إصدارها. - يمكن إخطار المحكمة الدستورية بشأن دستورية التنظيمات خلال شهر من تاريخ نشرها. نستنتج من نص المادة أنه يمكن إخطار المحكمة الدستورية بشأن دستورية المعاهدات قبل التصديق عليها ومراقبة مدى التزام التشريع للإجراءات الشكلية الواجب إتباعها في التصديق على المعاهدات. إذا قررت المحكمة الدستورية عدم دستورية معاهدة أو اتفاق، فلا يتم التصديق عليها. إذا قررت عدم دستورية قانون لا يتم إصداره، إذا قررت عدم دستورية نصا تشريعيا أو تنظيميا، فإن هذا النص يفقد أثره، ابتداء من يوم صدور قرار المحكمة الدستورية. تكون قرارات المحكمة الدستورية نهائية وملزمة لجميع السلطات العمومية (39).

بالإضافة إلى المؤسس الدستوري التونسي نجده قد اتبع نفس النموذج الجزائري ماعدا بعض الفروق البسيطة خاصة ما تعلق بالمدد و عدد النواب في حالة إخطار المحكمة الدستورية، فالمحكمة الدستورية التونسية تتمتع بالاستقلالية الإدارية في تسير شؤونها حيث يعتبر رئيس المحكمة الدستورية بمثابة ممثلها القانوني (40)، تختص بالنظر في مراقبة دستورية:

القوانين بناء على طلب من رئيس الجمهورية أو ثلاثين عضوا من أعضاء مجلس نواب الشعب أو نصف أعضاء المجلس الوطني للجهات والأقاليم يرفع إليها في أجل أقصاه سبعة أيام من تاريخ المصادقة على مشروع القانون أو من تاريخ المصادقة على مشروع قانون في صيغة معدلة بعد أن تمّ ردّه من قبل رئيس الجمهورية.

المعاهدات التي يعرضها رئيس الجمهورية قبل ختم قانون الموافقة عليها. القوانين التي تحيلها عليها المحاكم إذا تمّ الدّفع بعدم دستورتها في الحالات وطبق الإجراءات التي يقرّها القانون.

النظام الداخلي لمجلس نواب الشعب والنظام الداخلي للمجلس الوطني للجهات والأقاليم اللذين يعرضانها عليها كلّ رئيس لهذين المجلسين.

إجراءات تنقيح الدستور.

مشاريع تنقيح الدستور للبتّ في عدم تعارضها مع ما لا يجوز تنقيحه حسب ما هو مقرّر بهذا الدستور (41).

المحور الثاني: سلطة القاضي الدستوري في الإصلاح التشريعي وإثارة الدّفع بعدم

الدستورية

كرس دستور 2020 مبدأ استقلالية القضاء إذ تقضي المادة 163 منه على أنّه: "القضاء سلطة مستقلة لا تخضع إلا للقانون، يحمي المجتمع والحريات وحقوق المواطنين، على أساس مبدأ الشّريعة والمساواة، ويمتنع القاضي على كلّ ما يخلّ بواجبات الإستقلالية والنّزاهة، إلا أنّ قاضي الموضوع لا يملك حق إثارة الدّفع بعدم الدّستورية تلقائياً لأنّه حق لأطراف الخصومة فقط للتمسك به واثارته.

سأتناول هذا المحور من خلال تصفية الدّفع بعدم الدّستورية على مستوى الجهات القضائية الدّنيا التابعة للنّظام القضائي العادي او للنّظام القضائي الاداري أولاً ثم تصفية الدّفع بعدم الدّستورية المستوى المحكمة العليا أو مجلس الدّولة ثانياً .

أولاً: الدّفع بعدم الدّستورية على مستوى الجهات القضائية الدّنيا التابعة للنّظام القضائي

العادي او للنّظام القضائي الاداري

يسعى القاضي الدّستوري من خلال دوره في الرّقابة على دستورية القوانين أن يقوم بالإصلاح التشريعي من خلال تجنب الحكم بعدم الدّستورية للقانون المطعون بعدم دستوريته على أساس الموازنة بين النّص القانوني والهدف من وضعه، وذلك من خلال إما بسد النّقص الموجود في مضمون نص القانون بإضافة ما يكلمه أو باستبدال الجزء المخالف للدستور، وذلك في إطار دور القاضي الدّستوري بالتفسير المنشئ والذي يتجلى إما بتضمين النّص بعض الأحكام أو من خلال استبدال بعض ما يتضمنه من قواعد بقاعدة أو مجموعة القواعد الأخرى⁽⁴²⁾، وسعياً للاحاطة الشّاملة سأعالج هذا من خلال:

1- عيب الاختصاص

إن الرّقابة الدّستورية تنهض في ظل ظاهرة القصور التشريعي كون الدّستور يكفل الحقوق والحريّات وضرورة قيام المشرّع بوضع التّنظيم المتكامل و المناسب لها، فإن أغفل أو قصر إيراد النّصوص القانونية التي لا يكتمل هذا التّنظيم إلّا بها كان إخلالاً ضمانتها التي هيأها الدّستور لها⁽⁴³⁾.

قيام السّلطة التشريعية بإصدار بعض القرارات الفردية في شكل قانون في غير الحالات المحددة لها دستورياً حيث يفترض في هذه السّلطة هو القيام بالوظيفة التشريعية من خلال إصدار قوانين العامة والمجردة إلّا أنّه وفي بعض الحالات المنصوص عليها دستورياً وعلى سبيل الحصر قد توكل لها مهمة قرارات فردية في شكل قانون في هذه الحالة لا تعتبر تشريعاً كون أنّها لا تنطبق على الفرد أو أفراد محددين بالذات أو أنّها لا تتصف بخاصية التجريد باعتبارها تنطبق على حالة أو واقعة محددة بذاتها⁽⁴⁴⁾.

عدم الاختصاص⁽⁴⁵⁾، يعني النظر في الدعوى الدستورية مخالفة النص التشريعي أو اللائحي لقواعد توزيع الاختصاص التي وضعها الدستور، تقضي المحكمة الدستورية بعدم اختصاصها بنظر الدعوى الدستورية كلما كانت المسألة المطروحة في مفهوم الأعمال السياسية أو أعمال السيادة أو كانت تتعلق بقرار إداري فردي، أو كانت تدور حول مدى مشروعية اللائحة لعدم دستورتها.

في كل هذه الحالات يجوز الحكم الصادر من المحكمة الدستورية بعدم اختصاصها بنظر الدعوى لانتفاء ولايتها. نص دستور 2020 الجزائري على اختصاص رئيس الجمهورية إذا "يوقع رئيس الجمهورية اتفاقيات الهدنة ومعاهدات السلم"⁽⁴⁶⁾، من حيث أنه عن الطّبيعة القانونية لما أصدره رئيس الجمهورية من قرارات استنادا إلى المادة 97 من الدستور 2020 فإنه ينبغي اللجوء في تحديدها إلى المعيار السائد فقها وقضاء في التمييز بين أعمال السيادة وأعمال الإدارة فإن أعمال السيادة هي الأعمال التي تصدر من السلطة التنفيذية باعتبارها سلطة حكم لا سلطة إدارة.

أما إذا كانت الأعمال صادرة منها باعتبارها حكومة كانت أعمالا إدارية يعد عملا من أعمال السيادة فيخرج عن اختصاص المحكمة النظر في الطعن فيه أو أنه مجرد قرار إداري مما يدخل في اختصاص هذه المحكمة⁽⁴⁷⁾، تفصل الجهة القضائية التي عرض عليها الدفع بعدم الدستورية طبقا للمادة 20 من القانون العضوي رقم 19-22 فورا وبقرار مسبب في إرسال الدفع بعدم الدستورية إلى المحكمة العليا أو مجلس الدولة بعد استطلاع رأي النيابة العامة أو محافظ الدولة، إذا فصلت الجهة القضائية بجدية الإرسال للمحكمة العليا أو مجلس الدولة، فيتم إرسال قرارها هذا مرفقا بعرائض ومذكرات الأطراف خلال أجل 10 أيام من صدوره ويبلغ للأطراف ولا يكون حينها قابلا لأي طعن (المادة 23 من القانون العضوي 19-22، في هذه الحالة تتوقف الجهة القضائية مبدئيا عن الفصل في الدعوى وترجئ الفصل فيها إلى غاية فصل الجهات المختصة في الدفع المحكمة العليا أو مجلس الدولة أو المحكمة الدستورية عند الاقتضاء إذا أحيل إليه الدفع من طرفهما، غير أنه لا يترتب عن ذلك وقف سير إجراءات التحقيق، كما يمكن أيضا للجهة القضائية اتخاذ التدابير المؤقتة أو التحفظية اللازمة (المادة 2/25 من القانون العضوي رقم 19-22)

و استثناء عن هذه القاعدة، و هو ما نصّت عليه المادة 26 من القانون العضوي رقم 19-22 فإن "الفصل بإرسال الدفع لا يوقف الفصل في الدعوى عندما يكون الشخص محروما من حريته من أجل الدعوى ذاتها أو في الحالات التي ينصّ فيها القانون على وجوب الفصل في الدعوى في خلال مدة معينة أو على سبيل الاستعجال.

و في حالة ما إذا فصلت الجهة القضائية الابتدائية في موضوع الدعوى من دون انتظار القرار المتعلق

بالدفع، وتم استئناف الحكم، فإنّ جهة الاستئناف توقف الفصل في هذا الاستئناف إلى أن يتم الفصل في موضوع إرسال الدفع من طرف الجهة العليا وعند الاقتضاء من المحكمة الدستورية (48).

2- عيب الشكل

الرقابة القضائية والالتزام بمبدأ المشروعية وممارسة امتيازات السلطة العامة تشكل حلقة كاملة الأبعاد إذا ما تحقق التوازن بين تلك الأبعاد، وتحقق كذلك سيادة القانون في الدولة، وليتجسد هذا التوازن يجب أن تناط بالسلطة القضائية لما تمتاز به من استقلال وحياد (49).

يعرف عيب الشكل والإجراءات على أنّه تجاوز السلطة الإدارية للشروط والإجراءات التي يوجب القانون أو المبادئ العامة إتباعها في إصدار قراراتها (50)، وتنصب فكرة الشكل في المجال الدستوري على التقيد بالأوضاع والإجراءات الشكلية التي يتطلبها الدستور في كلّ ما يتعلق بإصدار التشريع واقتراحه وإقراره وإصداره، فهذه الشكليات والإجراءات التي يوجب المشرع على إتباعها تهدف إلى تحقيق هدف معين أو غاية بذاتها وإلاّ كان التصرف الصادر معييا من الناحية الدستورية، وبذلك خلق توازن بين مركز الفرد و ما يملكه من امكانيات بسيطة ، ومركز الادارة وما تتمتع به من امتيازات بسبب السلطة العامة، وكذلك منح الحماية للحقوق وللحريات الأساسية للأفراد (51).

الأحكام الصادرة بعدم قبول الدعوى الدستورية من حيث الحجية، لا يحوز سوى حجية نسبية تقتصر على الخصوم في الدعوى، ولا يكون له أثر قاعدي لأنه لم يتعرض للنص التشريعي المطعون بعدم دستوريته سواء من حيث المطابقة أو المخالفة والأمر على خلاف ذلك إذا كان الحكم الصادر بعدم قبول الدعوى الدستورية قد تعرض في أسبابه لمسألة دستورية جعلها دعامة لمنطوق حكمه بعدم القبول (52).

ثانيا: عدم الدستورية على مستوى المحكمة العليا و مجلس الدولة

تعتبر ترتيبات التصفية التي يتولاها كل من مجلس الدولة والمحكمة العليا ذات أهمية لضمان تقاسم فعال للمهام، كونها تضمن الانسجام بين درجات التقاضي التابعة لها وتتيح أيضا إمكانية إشراك هاتين الجهتين القضائيتين في إعداد الاجتهاد القضائي للمحكمة الدستورية وذلك ضمن احترام الصلاحيات الحصرية لهذه الأخيرة.

و لهذا الغرض تؤسس هيئة على مستوى المحكمة العليا ومجلس الدولة للفصل في جدية إرسال الدفع بعدم الدستورية للمجلس الدستوري من عدمه يرأسها الرئيس الأول للمحكمة العليا أو رئيس مجلس الدولة وعند تعذر ذلك من نائب الرئيس وتشكل من رئيس الغرفة المعنية بموضوع الدفع و ثلاثة مستشارين يعينهم رئيس الجهة القضائية و هو ما نصت عليه المادة 32 من القانون العضوي رقم 22-19 ، سأتناول ذلك من خلال:

1- طرق النظر في الدفع بعدم الدستورية أمام المحكمة العليا أو مجلس الدولة

تفصل المحكمة العليا أو مجلس الدولة في إرسال الدفع بعدم الدستورية بعدة طرق نذكرها كالتالي:
عن طريق الدفع أمامها باعتبارها قاضي موضوع: وهي الحالة الغالبة على مستوى مجلس الدولة باعتباره جهة تنظر في تقدير مشروعية القرارات الصادرة عن السلطات الإدارية المركزية وذلك في الحالات التي ينص عليها القانون

أما بالنسبة للمحكمة العليا فنادرًا ما تكون جهة تفصل كقاضي موضوع إلا في حالات محددة ومن أمثلة ذلك دعاوى الفصل في طلبات التعويض عن الحبس المؤقت غير المبرر أو بمناسبة التحقيق في القضايا الجزائية المتبعة ضد الأشخاص الذين يتمتعون بامتياز التقاضي (الوزراء ، الولاة ، بعض أصناف من القضاة.

-بمناسبة ممارسة حق الطعن المقرر قانونًا في أحكام وقرارات المحاكم و المجالس وأحكام المحاكم الإدارية ومحاكم الاستئناف الادارية .

-عن طريق إرسال الدفع بعدم الدستورية إليها من الجهات القضائية الدنيا (التنظيم القضائي العادي والتنظيم القضائي الإداري) التي رأت أن الإرسال جذبي (53)

2- شروط استيفاء الدفع بعدم الدستورية

يتم إرسال الدفع بعدم الدستورية إلى المحكمة العليا أو مجلس الدولة حسب الحالة إذا تم استيفاء الشروط التالية :

-أن يشكل الحكم التشريعي أو التنظيمي المعترض عليه مآل النزاع أوأساس المتابعة
-أن يتسم الوجه المثار بالجدية .

-ألا يكون الحكم التشريعي أو التنظيمي المعترض عليه قد سبق التصريح بمطابقته للدستور من قبل المجلس الدستوري سابقا أو المحكمة الدستورية باستثناء حالة تغير الظروف (54).

نتائج البحث و مناقشتها :

حصرت المادة 2/192 من دستور 2020 جهات إخطاره المحكمة الدستورية في كل من رئيس الجمهورية أو رئيس مجلس الأمة أو رئيس المجلس الشعبي الوطني أو من الوزير الأول أو من رئيس الحكومة حسب الحالة، أو 40 نائبا أو 25 عضوا بمجلس الأمة

تمديد إجراء الدفع بعدم الدستورية إلى الجهات القضائية باعتبارها المكلفة بحماية الحقوق والحريات العامة مع تمييزها بالخبرة في المسائل القانونية.

إذا قررت المحكمة الدستورية عدم دستورية معاهدة أو اتفاق، فلا يتم التصديق عليها.

إذا قررت عدم دستورية قانون لا يتم إصداره، إذا قررت عدم دستورية نصا تشريعيا أو تنظيميا، فإن هذا النص يفقد أثره، ابتداء من يوم صدور قرار المحكمة الدستورية.
تكون قرارات المحكمة الدستورية نهائية وملزمة لجميع السلطات العمومية

خاتمة:

الرقابة الدستورية ضمانة فعالة لحماية مبدأ المشروعية إن اعتماد الدفع بعدم الدستورية مكسب للأفراد في الدفاع عن حقوقهم وحرياتهم إذ أصبح للمتقاضين الطعن في النصوص القانونية سواء كانت تنظيمية أو تشريعية المخالفة للدستور والتي سوف يتأثر بها حكمه.
الحق الذي تحميه المصلحة في الدعوى الدستورية هو حق يكفله الدستور، بينما في باقي الدعاوى العادية هو حق شخصي.
يخطر رئيس الجمهورية المحكمة الدستورية وجوبا، حول مطابقة القوانين العضوية للدستور بعد أن يصادق عليها البرلمان. وتفصل المحكمة الدستورية بقرار بشأن النص كله.
تخضع القوانين العادية للرقابة الدستورية الجوازية السابقة قبل إصدارها إلا إذا توفرت شروط الدفع بعدم الدستورية، إذ تختص المحكمة الدستورية بالنظر في دستورية قانون ما قبل صدوره في الجريدة الرسمية، كما لا يجوز أيضا إثارة الدفع بعدم الدستورية على القوانين الاستثنائية مثل قانون السلم والمصالحة الوطنية...، لأنها قوانين تم إقرارها بعد عرضها على الاستفتاء الشعبي.
تخضع التنظيمات والأوامر لرقابة جوازية لاحقة، إذ تختص المحكمة الدستورية بالنظر في دستورية التنظيمات والأوامر التي يصدرها رئيس الجمهورية .

قائمة المصادر والمراجع:

- ¹ - روشو خالد ، الأسس الدستورية النازمة للعدالة الاجتماعية، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، المجلد 8، العدد 3، 2021، ص 65.
- ² -- بلخيري أحمد ، ثامري عمر ، آلية الدفع بعد الدستورية في النظام الدستوري الجزائري، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة ، المجلد 8، العدد 1، 2023، ص 123.
- ³ - يفيد مفهوم الرقابة في اللغة معاني عديدة منها الحفظ و الائتمان على شيء ما و تعني الملاحظة و الترقب، وردت في القرآن الكريم من أسماء الله الحسنى وتعني الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء. ابن منظور ، لسان العرب، بيروت، دار الصادر ، المجلد الأول، ص 424.
- ؛ يقصد بالرقابة حماية الدستور من أي خرق أو تجاوز محتمل من قبل سلطات الدولة تشريعية كانت أو تنفيذية، ولو أنه المقصود بنسبة كبيرة من هذه الرقابة هو السلطة التشريعية لأن السلطة التنفيذية يمكن إخضاع القرارات الصادرة عنها لنوع آخر من الرقابة وهو رقابة مجلس الدولة السلطة القضائية الذي له صلاحية إلغائها بموجب دعوى يرفعها ذوي المصلحة والصفة في هذا الشأن، أونيسي ليندة، ضمانات نفاذ القواعد الدستورية في الجزائر، مجلة المفكر، المجلد 9 العدد 1، 2014، ص 255؛ كان لزاما على المؤسس الدستوري التنصيب على مجموعة من القيود والضوابط التي تحد من السلطات الاستثنائية الواسعة لرئيس الجمهورية، وكذا إيجاد الرقابة الكفيلة بضمان احترام حقوق الأفراد وحرياتهم، وكذا مبدأ الشرعية الذي يتقلص في هذه الظروف، موساوي فاطمة، الرقابة على السلطات الاستثنائية لرئيس الجمهورية في الأنظمة القانونية الجزائرية والفرنسية والمصرية، منشورة، التخصص حقوق، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في القانون العام، كلية الحقوق، جامعة الجزائر 2016/2017، ص 1.
- ³ - صافي حمزة، دور الرقابة الدستورية في حماية الحقوق والحريات السياسية في دول المغرب العربي، أطروحة شهادة دكتوراه، منشورة، التخصص حقوق ، كلية الحقوق جامعة بسكرة، 2019-2020، ص 25 .
- ⁵ - التعديل الدستوري لسنة 2016 الصادر بموجب القانون رقم 16-01 المؤرخ في 2016/3/6، ج ر عدد 14، صادرة في 2016/3/7.
- ⁶ - الدستور لسنة 2020 الصادر بموجب المرسوم رئاسي رقم 20-442 الصادر 2020/12/30، ج ر 80، صادرة في 2020/12/30.
- ⁷ - غزوي، محمد سليم، نظرات حول المحكمة الدستورية الاردنية كهيئة قضائية مستقلة للرقابة على دستورية القوانين و الأنظمة، دراسة مقارنة ،الأردن، دار وائل للنشر، ط 1، 2014، ص 37.
- ⁸ - القانون العضوي 22-19 المؤرخ في 2022/07/25، المحدد لشروط وكيفيات تطبيق الدفع بعدم الدستورية، الصادر في الجريدة الرسمية عدد 51 لسنة 2022، ص 5.
- ⁹ - نوال لصلح ، خصوصية الدعوى الدستورية في التشريع الجزائري، دراسة تحليلية مقارنة، مجلة العلوم القانونية و السياسية، جامعة الوادي ، المجلد 10، العدد 2، 2019، ص 968.
- ¹⁰ - عبد الحميد الشواربي ، الدعوى الدستورية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 2001، ص 13

-
- 11 - محاضرات الدكتور حلواتي مصعب ، القانون الدستوري و الأنظمة الدستورية ، منشورة على الرابط <https://www.cuniv-naama.dz/wp-content/uploads/2021/2023/11/7> تاريخ الزيارة
- 12 - لصلح نوال ، المرجع السابق، ص 972،973.
- 13 - حسنين ابراهيم محمد، الرقابة القضائي على دستورية القوانين في الفقه و القضاء ،2003، دار الكتب القانونية ، ص151،152.
- ؛ المادة 13 من قانون الاجراءات الجزائية رقم 66-155، المعدل و المتمم.
- 14- . الطماوي سليمان،،النظم السياسية والقانون الدستوري ، دارالفكر العربي، القاهرة، 1988، 377 صافي حمزة ، المرجع السابق، ص 28.
- 15- باية فتيحة، الدفع بعدم دستورية القوانين في كفالة الحقوق والحريات على ضوء التعديل الدستوري 2016 ، المجلة الأفريقية للدراسات القانونية والسياسية، جامعة أحمد دراية، أدرار، المجلد 3، العدد 2، 2019، ص 26.
- 16 - بلخير أحمد، ثامري عمر ، آلية الدفع بعدم الدستورية في النظام الدستوري الجزائري ، مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية ، المجلد8، العدد 1، ص123-
- 17- تعرف المحكمة الدستورية حسب المادة 185 من دستور 2020 على أنها مؤسسة مستقلة مكلفة بضمان احترام الدستور .تضبط المحكمة الدستورية سير المؤسسات ونشاط السلطات العمومية، تحدد المحكمة الدستورية قواعد عملها.
- 18- المادة 195 من دستور 2020 .
- 19- المادتان 15 و 16 من القانون العضوي رقم 22-19.
- 20- حكم رقم 99 صادر عن المحكمة الدستورية المصرية منشور على الرابط <http://hrlibrary.umn.edu/arabic/Egypt-SCC-SC/Egypt-SCC-99-Y4.html> تاريخ الزيارة 2022/12/1
- 21- المادة 9 من القانون العضوي رقم 22-19.
- 22- المادة 23 من القانون العضوي رقم 22-19.
- 23- المادة 21 من القانون العضوي رقم 22-19.
- 24 - عيشة بوزيدي ،الدفع بعدم دستورية القوانين في التشريع الجزائري ، مجلة السياسة العالمية جامعة احمد بوقرة بومرداس، مجلد3 ، العدد3، 2019، ص118.
- 25 - قرساس مروة ، بوكوبة خالد ، آلية الدفع بعدم دستورية القوانين على ضوء آخر المستجدات دراسة مقارنة بين المغرب،مجلة الدراسات والبحوث القانونية جامعة تبسة، المجلد7 ، العدد2، 2022، ص103.
- 26- المادة 30 من القانون العضوي رقم 22-19.
- 27- المادة 34 من القانون العضوي رقم 22-19.
- 28- المادة 36 من القانون العضوي رقم 22-19.

- ²⁹ - تنص المادة 145 من دستور 2020 "يمكن لرئيس الجمهورية أن يطلب إجراء مداولة ثانية في قانون تم التصويت عليه في غضون 30 يوما لقراره"
- ³⁰ - المادة 194 من دستور سنة 2020.
- ³¹ - المادة 194 من دستور سنة 2020 .
- ³² - المادة 43 من القانون العضوي رقم 22-19 .
- ³³ - المادة 33 من النظام الداخلي للمحكمة الدستورية، المؤرخ في 13 نوفمبر 2022، ج ر عدد 75.
- ³⁴ - المادة 32 من النظام الداخلي للمحكمة الدستورية المؤرخ في 13 نوفمبر 2022.
- ³⁵ - المادة 34 من النظام الداخلي للمحكمة الدستورية المؤرخ في 13 نوفمبر 2022 .
- ³⁶ - المادة 35 من النظام الداخلي للمحكمة الدستورية المؤرخ في 13 نوفمبر 2022 .
- ³⁷ - المادة 42 من النظام الداخلي للمحكمة الدستورية المؤرخ في 13 نوفمبر 2022.
- ³⁸ - تنص المادة 193 من دستور 2020 على أنه "تخطر المحكمة الدستورية من رئيس الجمهورية أو رئيس مجلس الأمة أو رئيس المجلس الشعبي الوطني أو من الوزير الأول أو رئيس الحكومة، حسب الحالة، يمكن إخطارها كذلك من أربعين 40 نائبا أو خمسة وعشرين) 25 عضوا في مجلس الأمة..."
- ³⁹ - المادة 197 من دستور سنة 2020.
- ⁴⁰ - صافي حمزة ، المرجع السابق، ص 97.
- ⁴¹ - الفصل 127 من دستور تونس الصادر بموجب أمر رئاسي عدد 578 لسنة 2022 مؤرخ في 30 جوان 2022 يتعلق بنشر مشروع الدستور الجديد للجمهورية التونسية موضوع الاستفتاء المقرر ليوم الاثنين 25 جويلية 2022.
- ⁴² - رضا بريش، الدعوى الدستورية بين ترسيخ قواعد دولة القانون وضمان سير المؤسسات الدستورية دراسة مقارنة، مجلة إيليزا للبحوث والدراسات، المركز الجامعي إيليزي، المجلد 6، العدد 2، 2021.
- ⁴³ - حمد نجم محسن ، دور القاضي الدستوري في ظل اصلاح القصور، المجلة القانونية، فرع الخرطوم مصر، المجلد 9، العدد 6، 2021، ص 942.
- ⁴⁴ - صافي حمزة ، المرجع السابق ، ص 42.
- ⁴⁵ - نصت المادة 6/112 من دستور 2020 على اختصاص رئيس الحكومة على أنه "يعين في الوظائف المدنية للدولة التي لا تندرج ضمن سلطة التعيين لرئيس الجمهورية أو تلك التي يوظفها له هذا الأخير " ونصت المادة 114 من دستور 2020 على اختصاص البرلمان على أنه "يمارس البرلمان السلطة التشريعية..."
- ⁴⁶ - المادة 102 من دستور 2020.
- ⁴⁷ - موساوي فاطمة، المرجع السابق، ص 322
- ⁴⁸ - الرابط : دور-الهيئات-القضائية-في-تفعيل-آلية-الدفع-بعدم-الدستورية/ <https://www.coursupreme.dz/content> ، تاريخ الزيارة 2023/219 على الساعة الثامنة ليلا
- ⁴⁹ - صدارتي صدارتي، الرقابة القضائية على مشروعية السبب في القرار الإداري ، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، المجلد 10، العدد 2، 2023، ص 125.

- ⁵⁰ - نواف كنعان، القضاء الإداري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان ، ط1، 2002، 272.
- ⁵¹ - توفيق زيد الخليل، حنان علاوة ، سلطة القاضي الاستعجالي في توجيه أوامر للإدارة في ظل قانون 08-09
صلاحيات قانونية جديدة بضمانات ضعيفة ، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، المجلد
5، العدد 1، 2018، ص 605.
- ⁵² - صافي حمزة، المرجع السابق، ص 44.
- ⁵² - الرابط: دور-الهيئات-القضائية-في-تفعيل-آلية-الدفع-بعدم-الدستورية/
<https://www.coursupreme.dz/content> ، تاريخ الزيارة 2023/219 على الساعة الثامنة ليلا
- ⁵³ - المادة 21 من القانون العضوي رقم 19-22.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، نحمده ونشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى،
والصلاة والسلام على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين
والتابعين إلى يوم الدين ثم أما بعد:

يقول الله تعالى "وقل رب زدني علماً" هذه الآية الكريمة الوحيدة التي خص فيها النبي بالزيادة في العلم
دون غيره من الأشياء وهذه اللطيفة الربانية تدل على قيمة العلم وأهله، ولهذا لم تتوقف عجلة العلم إلى أن
يرث الله الأرض ومن عليها فالعلماء في كل لحظة يكتشفون نظريات جديدة ويبتكرون تطبيقات تساعد
في حل كثير من المشاكل وتختصر لهم الوقت والمال ومن بين أشهر تطبيقات ما يسمى بالذكاء الاصطناعي
أو ما يعبر عنه بالمنظومة الذكية التي تساعد الإنسان في زيادة فرص النجاح من خلال تقنيات معينة.

وقد استعمل هذا الذكاء على نطاق واسع في كثير من الميادين سواء على مستوى البرمجيات كالسيارات
الذكية وغيرها أو صناعة ربوت ذكي يكون صورة قريبة جداً من العقل البشري، وقد أوجد هذا الابتكار
حلولاً لكثير من الفجوات العلمية ولعل أهمها الجانب التعليمي، فلا يستبعد في المستقبل القريب نجد ربوتا
يعلم، ويحاور ويناقش مثله مثل الأستاذ.

وانطلاقاً من هذه المعطيات والحلول التي يقدمها الذكاء الاصطناعي فإن كل الميادين أصبحت مطالبة
بمواكبة هذا التغير، وجني ثمار هذا التقدم ومن بين هذه الميادين ميدان العلوم الشرعية.

وقد وجدت محاولات كثيرة لتوظيف الذكاء الاصطناعي في مجال الشريعة الإسلامية، ورفع كثير من العلماء
هذا التحدي لكن تجددهم بصطدمون مع خصوصية هذا الحقل العلمي فمثلاً صناعة الفتوى بواسطة ربوت
آلي هل سيحقق الغرض؟؟ هل الفتوى الصادرة عنه راعت أحوال الناس في هذا الزمان أم مبنية على أحوال
وظروف غير هذا الزمن؟ هل تميز هذه التقنية بين من يفتي في المسألة بعينه دون غيره أم لا؟

لعل الصعوبة هنا تكمن أن أحوال الناس تتغير من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان، بالإضافة إلى
أن المفتي قد يراعي مصلحة أو مقصداً شرعياً في إصدار حكمه وهذه منعدمة في الذكاء الاصطناعي، أما
مجال الدراسات القرآنية والحديثية فلربما وجد العلماء ضالّتهم كون خاصة في مجال القرآن الكريم فكثير من
القضايا متعلقة بالنطق وتحفيظ القرآن بذكاء الاصطناعي وتصحيح وتصويب القارئ، أصبحت ممكنة
وأثمرت نتائج مرضية.

أما في باب علوم الحديث إذا نظرنا إلى مسألة التخريج فإن العلماء قطعوا شوطاً كبيراً في مجال تخريج
الحديث باستعمال التقنية الحاسوب فأصبح من السهل الوصول إلى مظان الحديث ودلالة على موضع من
مصادره الأصلية، لكن هل التخريج يقف هنا فقط ولذلك نجد أن ثمرة التخريج هي الحكم على ذلك
الحديث وبيان درجته صحة وضعفاً ومن هنا نطرح

الاشكالية:

هل يمكن الحكم على الحديث وبيان درجته بواسطة الذكاء الاصطناعي. وهل يمكن نقد المتون وبين العلل بالذكاء الاصطناعي؟

هذه التساؤلات وأخرى يمكن الإجابة عنها من خلال هذا المقال الذي جاء بعنوان: الحكم على الحديث النبوي بواسطة الذكاء الاصطناعي بين الوسيلة التقنية والعلل الحديثة

أهمية وأسباب اختبار الموضوع:

- موضوع البحث متعلق بالحديث النبوي وهو المصدر الثاني في التشريع وشرف العلم من شرف المعلوم.
- الأهمية التي تكتسبها هذه التقنية في هذا العصر حيث أصبحت حديث الساعة في كثير من الميادين ومن بينها ميدان العلوم الشرعية.
- الضرورة العلمية والحتمية في تطوير البحث العلمي في مجال العلوم الإسلامية بما يتوافق مع النسق المتسارع للتطور العلوم بما في ذلك الذكاء الاصطناعي.
- الحاجة الملحة لمثل هكذا دراسات التي تعتمد على البرمجيات والتقعيد وهذا ما يتوافق مع طبيعة الدراسات الحديثة التي تعتمد على شبكة من القواعد والقوانين للنقد الأسانيد والمتون.

الأهداف:

- معرفة تقنية الذكاء الاصطناعي وكيفية تطبيقها في الدراسات الشرعية
- الاستفادة من تقنية الذكاء الاصطناعي في العلوم الشرعية بشكل عام وعلوم الحديث بشكل خاص.
- التعرف إلى أي مدى يمكن الحكم على الحديث من خلال الذكاء الاصطناعي.

المنهج المتبع:

- **المنهجية والاليات:** المنهج المناسب في مثل هكذا دراسات هو المنهج الوصفي التحليلي حيث نحتاج الى المنهج الوصفي في معرفة هذه التقنية وكيفية استعمال البيانات والخوارزميات، كما نستعمل المنهج التحليلي من خلال النصوص التي نقف عندها وأقوال العلماء والباحثين في هذا المجال.
- **خطة البحث:** للوصول إلى الأهداف المنشودة والإجابة عن الإشكال المطروح -إن شاء الله - تم وضع خطة كما يلي:

-مقدمة احتوت على أهمية الموضوع والاشكال والأهداف والمنهج المتبع وخطة البحث

مفهوم الذكاء الاصطناعي

قواعد الحكم على الحديث

تطبيق الذكاء الاصطناعي في الحكم على الحديث النبوي

خاتمة : تضمنتها بأهم النتائج والتوصيات

المنهجية و الاليات :

- تمهيد:

لا بد قبل الخوض في غمار هذا البحث أن نوضح المصطلحات الواردة في عنوان هذا المقال ومن ثمة نستطيع الربط بين أجزاء البحث لنصل بإذن الله إلى الغاية المقصودة، والمصطلح الجديد في بحوث العلوم الانسانية عموما والدراسات الاسلامية على وجه الخصوص هو الذكاء الاصطناعي فما هي هذه التقنية ؟ وما هي أدواتها ؟

أولاً: مفهوم الذكاء الاصطناعي :

الذكاء الاصطناعي مركب وصفي يتكون من الذكاء ومصطلح الصناعي ولهذا نعرف كل مصطلح على حدة ثم نعرف المركب

1- الذكاء في اللغة : سرعة الفطنة، من قولك: قلبٌ ذكيٌّ وصبيٌّ ذكيٌّ: إذا كان سريعَ الفطنة .."1 ، وجاء في الحديث "المؤمن كيس فطن حذر"2 وهذا الحديث ضعيف إلا أن معناه صحيح كما قال العلماء

2- الذكاء في الاصطلاح: من الناحية الاصطلاحية فان ذكاء قريب من الناحية اللغوية فالذكاء: الكفاءة في التكيف، وقال المناوي: الذكاء: سرعة الإدراك. وحدة الفهم، ذكره ابن الكمال¹. وقال العضد: هو سرعة اقتراح النتائج. 3

وقيل: "الذكاء هو القدرة على حل المشكلات"4

والملاحظ في التعريف الذي ذكره المناوي بأنه "سرعة اقتراح النتائج" مدلول عميق فأهل الصناعة شغلهم الشاغل أن يكون هناك منتج مقترن بالسرعة في الانتاج، وهذا المعنى هو الغاية من ابتكار الذكاء الاصطناعي كما سنذكره.

كما أن الذكاء يتميز بثلاثة أشياء: السرعة ، التكيف، إعطاء الحلول.

1 لسان العرب ، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف ، القاهرة ، 1510/3.

2 قال العجلوني "رواه الديلمي والقضاعي عن أنس رفعه وهو ضعيف. وللدلمي عن أنس أيضا بلفظ: المؤمن فطن حذر وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع ، والمنافق همزة لمزة حطمة لا يقف عند شبهة ولا عند محرم كحاطب ليل لا يبالي من أين كسب ولا فيما أنفق، وأخرجه البخاري في تاريخه عن كعب بن عاصم بمثله إلا أنه زاد "كيس" كما في الترجمة ولم يقل "كحاطب ليل..." إلى آخره. ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى: 1162هـ) ، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي - القاهرة ، 1351 هـ ، 293/2.

3 التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م، ص171.

4 البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر-بيروت-لبنان-دار الفكر-دمشق-سورية، الطبعة: الأولى - جمادى الآخرة 1421 هـ- أيلول سبتمبر 2000 م ، ص105.

أما مصطلح الصناعي فهو من الصناعة أو صناعة وهي كل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له.

تعريف المركب: (الذكاء الاصطناعي) ذكر العلماء حدوداً كثيرة للذكاء الاصطناعي منها :
يعتبر "جون مكارثي" أو من وضع هذا المصطلح في عام 1956، وعرفه بـ: "علم هندسة إنشاء آلات ذكية، وبصورة خاصة برامج الكمبيوتر"5

- "علم جعل الآلات تصنع الأشياء التي تتطلب ذكاءً بشرياً من أجل القيام بها"6
- "فرع من فروع علم الحاسوب يختص بتصميم أنظمة الحاسوب التي تؤدي أعمالاً يبدو أنها تحتاج إلى ذكاء"

من خلال ما سبق ذكره ومن خلال التعاريف التي أوردها الباحثون حول الذكاء الاصطناعي، فقد أجمعوا على أنه نظام يحاكي ما يقوم به الإنسان يدرج في الحاسوب لأغراض متعددة وكخلاصة لما سبق يمكن أن نعرف الذكاء الاصطناعي بـ: " نظام صنعه الإنسان في الأجهزة الالكترونية يمتاز بسرعة اقتراح النتائج وإيجاد الحلول بما اكتسبه من ذكاء يحاكي ذكاء الانسان"

3- مميزات الذكاء الاصطناعي :

أي جديد على الساحة العلمية سيكون محل نقد خاصة إذا كان هذا الأمر غير معهود فيما سبق وبالفعل فإن الذكاء الاصطناعي له ماله وعليه ما عليه:

فمن الناحية الإيجابية فالذكاء الاصطناعي:

- نقلة علمية لا يشك في ذلك أحد سواء من الناحية السرعة، جمع البيانات، المقترحات السريعة، إيجاد الحلول.

- تقليل ثمن الكلفة الموجهة للعنصر البشري واستثمارها في تكوين نوعي للمتخصصين.

أما من الناحية السلبية فنذكر مثلاً:

- شح الوظائف بالاستعمال الروبوتات مما يؤدي إلا تسريح اليد العاملة.

- من عيوب أنظمة الذكاء الاصطناعي أنه غير آمن تجاه ما يسمى بالهاكر.

- التكلفة الباهظة فالأنظمة الجديدة مكلفة وتتطلب سيولة مالية لتغطيتها.

5 إيهاب خليفة ، الذكاء الاصطناعي: تأثيرات تزايد دور التقنيات الذكية في الحياة اليومية للبشر ، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي، اتجاهات الأحداث، العدد 20 ، ص 62 .

6 المسؤولية الشرعية والمدنية لاستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية-دراسة وصفية تحليلية- أحمد عبد الفتاح أبو ريش حافظ الشيخ، مجلة روح القوانين- كلية الحقوق جامعة طنطا، عدد خاص-المؤتمر العلمي الدولي الثامن- التكنولوجيا والقانون- ص 380.

- مهما وصل هذا الذكاء فإن محاكته لعقل الإنسان تبقى قاصرة، قال تعالى: "صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" 7

- محدودية التفكير أو بعبارة أخرى هذا الذكاء ذكاء براغماتي بحسب المعطيات أو البيانات المودعة في الجهاز.

- يتطلب الدقة والضبط ومع قلة المتخصصين في هذا المجال يعدو الأمر صعبا في بدايته خاصة في الدراسات الشرعية.

- أدى التحيز الخوارزمي في أنظمة الذكاء الاصطناعي إلى انتكاسات مروعة في مجال حقوق الإنسان، لاسيما الحق في العمل ، حيث حرم فئات من فرصة الحصول على العمل بناء على عرقهم وجنسهم ودينهم 8

ثانياً: قواعد الحكم على الحديث

قواعد الحكم على الحديث هي مجموعة من القواعد والمبادئ التي وضعها المحدثون لكي يميزوا بين صحة نسبة الأحاديث النبوية من سقيمها، وهذا وفق منهج فريد من نوعه، وقد أرسى الإمام البخاري هذا المنهج من خلال الشروط التي وضعها في كتابه الجامع وسار من جاء بعده على طريقته وقد ذكر الإمام المعلمي معالم ذلك بقوله: "لما انتشرت رواية الأحاديث الضعيفة بحسن نية من الرواة الصالحين الموصوفين بكثرة الغلط وغلبة الوهم، وبسوء نية من أصحاب الأهواء وغيرهم- شتموا عن ساعد الجد، وتأهبوا للقيام بالمهمة التي أنيطت بهم، وعزموا على تنقية السنة الشريفة من كل ما خالطها من الأباطيل والأكاذيب، وأرسى هؤلاء القواعد لحفظ الأسانيد والمتون من الوضع والتحريف والتصحيف والأوهام؛ كما اشترطوا شروطاً وضوابط لقبول الحديث أو رده، غاية في الاتقان" 9.

لسنا في صدد ذكر جميع القواعد الحديثية التي وضعها المحدثون للحكم على الحديث صحة وضعفاً، فإن ذلك سيأخذ منا كل الصفحات ولكن سنشير إلى أهمها:

1- شروط صحة الحديث: وهي خمسة شروط كما بينها علماء الحديث وكان لهم في ذلك شبه إجماع: اتصال السند ، عدالة الرواة، ضبط الرواة، عدم الشذوذ، انتفاء العلة.

7 سورة النمل ، الآية: 88.

8 إشكالية التحيز الخوارزمي في أنظمة الذكاء الاصطناعي وأثرها على حقوق الإنسان "الحق في العمل أمودجا" ، الزهرة جقريف، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في العلوم الإسلامية، إصدارات مخبر الدراسات الفقهية القضائية كلية العلوم الإسلامية -الوادي - الجزائر، نوفمبر 2023 ص31

9 موسوعة المعلمي اليماني وأثره في علم الحديث المسماة «النكت الجياد المنتخبة من كلام شيخ النقاد ذهبي العصر العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، أبو أنس إبراهيم بن سعيد الصبيحي، دار طبعة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م ، 1/124.

هذه الشروط بشكل عام وكل شرط منها ألف فيه العلماء أسفاراً لضبطه وتأصيل ذلك المصطلح وعلى سبيل المثال تعريفهم للحديث الحسن أخذ من العلماء جهداً بليغاً لمشاكبته للصحيح حتى جاء الإمام ابن حجر فعرفه كتعريف الصحيح لكن الضبط يخف عن الصحيح فقال: "فأن خفَّ الضبط فالحسن لذاته وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة" أما مسألة نقد المتون فللعلماء الحديث صولات وجولات نذكر ما جاء عن الإمام المعلمي عما ما يجب على الناقد¹⁰ وهي:

- 1- حصر أحاديث من عليهم مدار الأسانيد في أماكن بلدانهم. فيجمع الناقد تلك الأسانيد عن كل واحد معتمداً في ذلك ترتيب الشيوخ والتلاميذ.
- 2- الوقوف على طبقات الرواة عن أولئك الحفاظ، ودرجاتهم في الثقة، والضبط، واللقيا، وغيرها.
- 3 - جمع أحاديث من وصفوا بالضعف ونسخه وصحفهم، حتى لا تختلط بأحاديث الثقات.
- 4- التفتيش عن أحوال من لم يعرف من الرجال.
- 5- جمع أحاديث المقلين منهم، ومعرفة المجاهيل من الرواة، ومن لم يرو عنهم إلا القليل، والوقوف على الأحاديث التي لا ترد إلا من طريقهم،
- 6- كشف الشواذ والمناكير من الآثار، بعرضها على أصول الكتاب والسنة، وعلي سائر ما صح من الأخبار، ويكون ذلك وغيره باستعمال "ملكته" الخاصة، وبالمذاكرة بينه وبين سائر النقاد الأخبار.
- 7 - معرفة من ضعف حديثه من الثقات في بعض الأوقات دون بعض، وهم من اختلطوا أو تغيروا أو ذهب بصبرهم، أو كتبهم، في آخر عمرهم
- 8 - معرفة من ضعف حديثه في بعض الأمكنة دون بعض .
- 9 - معرفة من ضعف حديثه عن بعض الشيوخ دون بعض .
- 10 - المعرفة الناشئة عن كثرة الممارسة لأحاديث الرواة، بحيث يصير للناقد فهم خاص يدرك به أن هذا الحديث يشبه حديث فلان، ولا يشبه حديث فلان، فيعلل الأحاديث بذلك، وهذا إنما يكون لأهل الحذق من صياغة النقاد.

ثالثاً: تطبيق الذكاء الاصطناعي في الحكم على الحديث النبوي

السؤال الذي يطرح ابتداءً هل لابد من إدراج علوم الشريعة عموماً وعلوم الحديث خصوصاً في هذه الأنظمة الذكية والاستفادة من الذكاء الاصطناعي وهل هناك مانع شرعي؟

10 موسوعة المعلمي اليماني وأثره في علم الحديث ، الصبيحي، مرجع سابق، ص131-141 بتصرف

يقول الدكتور فراس بن ساسي: "فتح باب توظيف الذكاء الاصطناعي في العلوم الإسلامية على مصر اعينه قد يكون مدخلاً لعدة إشكاليات، وتخوفات من شأنها أن تؤدي إلى نتائج عكسية" ثم عدد مجموعة من الضوابط يتقيد بها من يلج هذا الفضاء الإلكتروني:

- الوعي بخطورة إصدار الأحكام من هذه الأنظمة الذكية خاصة الفتاوى المتعلقة بعمل المكلف.
- الحرص على عدم التخلي عن السند البشري للذكاء الاصطناعي، وخاصة في مستوى مراقبة الجودة، والنجاعة، وتفادي الأخطاء.
- الحرص الشديد على انتقاء الكفاءات المختصة في العلوم الإسلامية عند العمل على تقديم المدخلات للآلة؛ لأن النتائج المستقبلية تتحدد أساساً طبيعة هذه المدخلات.
- الرجوع إلى أهل الاختصاص الشرعي كجهة استشارية مهمة في ترشيد استعمال الذكاء

الاصطناعي. 11

1- خصوصية النص النبوي:

تعتمد تقنية الذكاء الاصطناعي على وضع البيانات بطريقة سليمة، وقبل ذلك على اللغة التي يستعملها في الحاسوب، وقد وجد المختصون في مجال الحواسيب في بداية الأمر صعوبة في إدراج اللغة العربية إلى الأنظمة، وهذا ما جعل بعض اللغات تقطع شوطاً كبيراً في استعمالها وتناغمها مع الخوارزميات على غرار اللغة الإنجليزية والفرنسية، ومع ذلك فقد اقتحمت لغة القرآن هذا المجال ووجدت ضالتها في كثير من الأنظمة لكن تحتاج إلى بذل الجهود ورفع التحدي في وجه المعوقات سواء كانت اجتماعية في ضعف البنية التحتية للإنترنت في الوطن العربي، تحدي لغوي يتمثل في خصوصية اللغة العربية بما تميزت به من سمات منها اتصال الحروف، التشكيل، الرسم الإملائي، وجود أكثر من معنى للبنية الصرفية الواحدة وغيرها من الخصائص التي وإن كانت مصدر قوة للغة العربية إلا أنها شكلت عائقاً في ولوج اللغة العربية لعلم الحاسوب¹².

والأسلوب النبوي أسلوب فريد من نوعه فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث بجوامع الكلم وهذا بنص الحديث فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب....." ولا شك أن البيان النبوي الشريف خال من ركافة اللفظ فهو في قمة البلاغة والوضوح، لأنه يجري وفق قوانين اللغة العربية وأساليبها في التعبير، فقد تربى صلى الله عليه وسلم تربية ربانية ونشأ في

11 توظيف الذكاء الاصطناعي في مجال الحديث وعلومه، فارس بن ساسي، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في العلوم الإسلامية، ص150

12 في حوسبة اللغة العربية: الواقع والتحديات، In computing the Arabic Language: reality and challenges، النذير ضبيعي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 15، العدد الثاني، 2022م، ص127-129 بتصرف

بيئة لغوية نقية حيث ولد في قريش أفصح القبائل العربية، وعاش صلى الله عليه وسلم في السنوات الأولى من عمره في مأمن من الاختلاط بالشعوب في قبيلة بني سعد .¹³ أمر صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته بأرقى مستويات الأداء اللغوي لفظاً وصوتاً ودلالة، كما أن للنبي صلى الله عليه وسلم أسلوباً جميلاً بالفاظ قليلة بعيدة عن الإطناب والتطويل .

ولعل من أبرز الأمور التي ساعدت جهابذة النقد في الحديث اكتشاف العلل هو البيان نفسه الذي يسير على نسق واحد يمنحه الديمومة والتفرد في أسلوب متون الحديث، فإذا ظهر للناقد ركافة لفظ أو ضعف أسلوب أو سياق ليس في محله أعل ذلك المتن.

2- المشاريع المبتكرة في علوم الحديث باستخدام الذكاء الاصطناعي:

هناك عدة مشاريع طبقت على علوم الحديث وسنذكر أهمها وما جاء من نقد حولها ولا ندعي معرفتها وحسبنا في هذا الباب أن ننقل عما جاء عن أصحاب هذه المشاريع بأمانة والنقد الذي وجهه أصحاب هذه المشاريع أنفسهم ومن بينها :

-اسم المشروع: فراس الآلي

صاحب المشروع هو فراس بن ساسي مع مجموعة من التقنيين، والمشروع قام فيه صاحبه بإدخال 4500 سؤال وجواب كرسيد أولي لتدريب الآلة على فهم المضمون ، والقدرة على الاستنتاج، والبحث، والصياغة كما يصفه صاحبه أنه عبارة عن (CHATBOT) آلي للتواصل (قادر على استقبال أسئلة المتحدثين بخصوص المعلومات التاريخية في السنة النبوية ، والإجابة عنها بشكل مقتضب

وواضح 13

يعتبر هذا المشروع مع بساطته مهم في بابه وأول الغيث قطرة وسافة ألف ميل تبدأ من الميل وقد صرح بذلك صاحب المشروع بقوله : " فإن كل ما أنجز لا يعدو أن يكون منطلقاً نلامس به المجال، ونقتحمه بما يتاح لنا من الإمكانيات حتى نطوع الآلة لخدمة السنة النبوية مع دوام الإشراف البشري، ولا أخفي أن برنامج " فراس الآلي " لا يحتاج كثيراً من التعديلات والإصلاحات العميقة ، ولكنه قد يأخذ بيد المختصين والباحثين ليطوره ، ويسهموا في إخراجه للعموم على أحسن وجه". 14

-برنامج: ChatGPT :

برنامج ChatGPT هو نموذج البرمجة اللغوية العصبية الذي تم إطلاقه في نوفمبر 2022 ويهدف إلى إنشاء نص لغوي علمي والحفاظ على أسلوب محاثة يشبه الإنسان، يعد أحد أكبر نماذج اللغة التي تم إنشاؤها لحد الآن، تم تدريبه على كمية هائلة من البيانات النصية، مما يسمح له بإنتاج نص يشبه النص

13 توظيف الذكاء الاصطناعي في مجال الحديث وعلومه، فراس بن ساسي، مرجع سابق، ص154.

14 توظيف الذكاء الاصطناعي في مجال الحديث وعلومه، فراس بن ساسي، مرجع سابق، ص157.

الذي يكتبه أو يقوله الإنسان في مجموعة واسعة من المجالات، لذلك هو يحاكي الإنسان في المحادثة
وتحرير النصوص

والتلخيص والترجمة" 15

تطبيق البرنامج على علوم الحديث: أجرى الدكتور محمد رضاني بعض الاختبارات على هذا البرنامج
في مقال رائع له حول الموضوع، وأعقب بعدها بقوله : " عند التحقيق يبدو أن هذه الإجابة غير دقيقة
بالمرة، فكما أجاد التطبيق في الإجابة عن بعض الأسئلة ذات الصلة بعلم النقد الحديثي، فقد أخفق في
تقديم إجابات صحيحة عن أكثر الأسئلة الموجهة إليه" 16 ومن بين الأسئلة التي طرحها الدكتور
وكانت - فمن أمثلة الإجابة chatgpt موافقة لمقررات علماء الحديث في هذا الموضوع
سأل الدكتور الروبوت عن طرق اكتشاف أخطاء الرواة والثقات في الرواية، كانت إجابة البرنامج كما
نقلها الدكتور بالصور كما يلي: 17

(لكشف أخطاء الرواة الثقات، تُستخدم عدة أساليب وطرق في علم علل
الحديث، بما في ذلك:

1. تحليل سلاسل الرواة: يتم دراسة سلاسل الرواة (السند) والتحقق من صحة
وقوة كل راوٍ في السلسلة. يُدرس التواتر والتفرد في الروايات ويتم تحليل وزن الشيوخ،
وتكرار السلاسل الروائية لتقييم مدى قوة الرواة.
2. تحليل العيوب الفنية: يتم فحص أنواع الأخطاء والعيوب التقنية التي يمكن

سؤال بين فيه الدكتور عدم قدرة chatgpt عن اعطاء الإجابة الصحيحة ما قرره أعل الصنعة يتعلق
السؤال: عن رأيه في حديث: طلب أبو سفيان تزويج ابنته أم حبيبة رضي الله عنها من النبي صلى الله
عليه وسلم ، وهو حديث أعله أئمة النقد ، رغم كونه مخرجا في صحيح مسلم
كانت إجابة البرنامج كما نقلها الدكتور بالصور كما يلي: 18

15 ينظر: تطبيقات الذكاء الاصطناعي ChatGPT في المناهج وطرق التدريس الفرص المتاحة والتهديدات المحتملة ، رضا مسعد
السعيد، مجلة تربويات الرياضيات، المجلد 26، العدد 04، يوليو 2023، الجزء الأول /ص 12 ودور برنامج ChatGPT في إثراء
البحث الفقهي، إبراهيم ريغي ص 356

16 توظيف تطبيقات الذكاء الصناعي في ميدان "علم علل الحديث" وسؤال الأهلية - دراسة تطبيقية على ChatGPT ، محمد
رضاني، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في العلوم الإسلامية، إصدارات مخبر الدراسات الفقهية القضائية
كلية العلوم الإسلامية - الوادي - الجزائر، نوفمبر 2023 ص 204..

17 مرجع نفسه ، ص 204.

18 مرجع نفسه ص 209.

هذا الحديث غير معروف في الأحاديث النبوية ولا يوجد في مصادر الحديث
المعترف بها. يجب التحذير من تداول الأحاديث غير الصحيحة أو الوهمية، والتحقق
دائماً من صحة المصادر والروايات. تاريخ ومصدر هذا الحديث غير معروف، ولا يمكن
الاعتماد عليه في الشرع الإسلامي.

بعد سرد أمثلة كثيرة في باب نقد المتن حرج الدكتور بملحظين مهمين حول تطبيق البرنامج في علل
الحديث: يمكن القول بأن تطبيق chatgpt لا يقدم أي إضافة علمية معتبرة في ميدان علم علل الحديث،
بل على العكس من ذلك تشتمل إجاباته على كثير من المغالطات المخالفة لمقررات علم الحديث. كما
ملاحظ -يقول الدكتور - أن التطبيق يقر أي مدخلات يقدمها المتعامل، حتى لو كانت مجانية للصواب،
ويتعامل معها على أنها صحيحة رغم سهولة اكتشاف خطأ تلك المدخلات،

فهو يحكم بضعف الرواية، ثم يوافق المتعقب إن صحح له الإجابة فيحكم بصحتها، والعكس.
ويمكننا استثمار الذكاء الاصطناعي من تطوير هذه البصمة النبوية والتي ستساعد في التحقيق الآلي للمتون
الموجودة على الإنترنت¹⁹

من خلال هذين النموذجين "فراس الآلي" وبرنامج ChatGPT، وبرامج أخرى لا يسعني المقام
لذكرها كلها كبرنامج موسوعة الحديث النبوي، المكتبة الشاملة، موسوعة رواة الحديث وغيرها كل هذه
البرامج مفيدة والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، وقد أجمع الباحثون أن كل البرامج التي
طورت وحاول أصحابها جمع كثير من البيانات وترويضها حتى تصبح تحاكي الإنسان وتجيّب عن تساؤلات
-كما رأينا- أشبه بسؤال الإنسان لغيره ولكن مع كل هذه الفوائد الجمة نذكر عبارة رائعة ذكرها الدكتور
محمد رمضاني "أن العقل الحديثي يفكر خارج الصندوق"²⁰.

ونذكر هنا كذلك حوار جرى بين أبي حاتم وأبي زرعة ذكره أبو حاتم: "جرى بيني وبين أبي زرعة يوماً
تميّز الحديث ومعرفة، فجعل يذكر أحاديث ويذكر عللها، وكذلك كنت أذكر أحاديث خطأ وعللها،
وخطأ الشيوخ، فقال لي: يا أبا حاتم، قل من يفهم هذا، ما أعز هذا، إذا رفعت هذا من واحد واثنين فما
أقل من تجد من يحسن هذا. وربما أشك في شيء أو يتخالفني شيء في حديث، فإلى أن ألتقي معك لا
أجد من يشفيني منه. قال أبو حاتم: وكذا كان أمري.

فأنت ترى عزة هؤلاء النفر وندرتهم بين أهل زمانهم، ووعورة طريقتهم على أكثر الخلق -وفيهم جملة من
المشتغلين بالحديث وروايته- مع اطلاع الكثير على أحوالهم، وسعة حفظهم، وتوفر المقتضى الداعي لفهم
منهجهم، من القرب منهم، وإمكانية الرجوع إليهم، مع مشاهدة ميدان الرواية، ومجالس التحديث، وأحوال

19 مرجع نفسه ص214.

20 مرجع نفسه ص203.

الرواة تحملاً وأداءً، ودرجاتهم في الثبوت والاحتياط، وغير ذلك من المجالات التي تدور عليها تعليقات هؤلاء النقاد.

فإذا كان الأمر على نحو ما ذكرت، فليس من عجب أن تزداد تلك الوعورة على من بعدهم، وتزداد الهوة بينهم، إلى سائر الأزمان المتأخرة، وهلم جرا إلى زماننا هذا.

الخاتمة :

في ختام هذا البحث نذكر أهم النتائج والتوصيات:

- 1- الذكاء الاصطناعي : نظام صنعه الإنسان في الأجهزة الالكترونية يمتاز بسرعة اقتراح النتائج وإيجاد الحلول بما اكتسبه من ذكاء يحاكي ذكاء الانسان
- 2- الذكار الاصطناعي نقلة علمية من الناحية السرعة، وجمع البيانات، والمقترحات السريعة، وإيجاد الحلول، كما يقلل الكلفة الموجهة للعنصر البشري واستثمارها في تكوين نوعي للمتخصصين.
- 3- الذكاء الاصطناعي له عيوب منها يكرس البطالة من خلال شح الوظائف بالاستعمال الروبوتات مما يؤدي إلا تسريح اليد العاملة، كما أن أنظمتها يمكن اختراقها ، بالإضافة إلى أن تلك الأنظمة تتطلب سيولة مالية ضخمة.
- 4- محدودية التفكير أو بعبارة أخرى هذا الذكاء ذكاء براغماتي بحسب المعطيات أو البيانات المودعة في الجهاز، لذا لا بد له من متخصصين في المجال الذي يراد بحثه.
- 5- الافادة من الذكاء الاصطناعي في علم الحديث عموما حاصلة كعلم التخريج والبحث عن الرواة وغيرها لكن في باب النقد الحديثي وعلم العلل فمزال الطريق طويلا يحتاج إلى تكاتف الجهود، الحرص الشديد على انتقاء الكفاءات المختصة في العلوم الإسلامية عند العمل على تقديم المدخلات للآلة ؛ لأن النتائج المستقبلية تتحدد أساسا طبيعة هذه المدخلات.

بعض التوصيات:

- 1- الرجوع إلى أهل الاختصاص الشرعي كجهة استشارية مهمة في ترشيد استعمال الذكاء الاصطناعي.
- 2- وجوب توحيد وتكاتف جهود ثلاثية الأبعاد: خبراء ومتخصصون في علوم الحديث النبوي الشريف، وفي علوم الهندسة الإلكترونية؛ لإنتاج نظم برمجية ذات كفاءة عالية لحدة الحديث النبوي الشريف.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إشكالية التحيز الخوارزمي في أنظمة الذكاء الاصطناعي وأثرها على حقوق الإنسان "الحق في العمل أمودجا"، الزهرة جقريف، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في العلوم الإسلامية، إصدارات مخبر الدراسات الفقهية القضائية كلية العلوم الإسلامية - الوادي - الجزائر، نوفمبر 2023.
- 2- إيهاب خليفة ، الذكاء الاصطناعي: تأثيرات تزايد دور التقنيات الذكية في الحياة اليومية للبشر، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي، اتجاهات الأحداث، العدد 20 .
- 3- البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر-بيروت- لبنان-دار الفكر-دمشق-سورية، الطبعة: الأولى - جمادى الآخرة 1421 هـ- أيلول سبتمبر 2000م.
- 4- تطبيقات الذكاء الاصطناعي ChatGPT في المناهج وطرق التدريس الفرص المتاحة والتهديدات المحتملة ، رضا مسعد السعيد، مجلة تربويات الرياضيات، المجلد 26، العدد 04، يوليو 2023، الجزء الأول /ص12 ودور برنامج ChatGPT في إثراء البحث الفقهي، إبراهيم ريغي.
- 5-توظيف الذكاء الاصطناعي في مجال الحديث وعلومه، فارس بن ساسي، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في العلوم الإسلامية.
- 6 -توظيف تطبيقات الذكاء الصناعي في ميدان "علم علل الحديث" وسؤال الأهلية - دراسة تطبيقية على chatg، محمد رمضاني، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في العلوم الإسلامية، إصدارات مخبر الدراسات الفقهية القضائية كلية العلوم الإسلامية - الوادي - الجزائر، نوفمبر 2023.
- 7-التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.
- 8- في حوسبة اللغة العربية: الواقع والتحديات، In computing the Arabic Language: reality and challenges، النذير ضبيعي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 15، العدد 9- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى: 1162هـ)، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي - القاهرة، 1351 هـ
- 10-لسان العرب ، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف ، القاهرة .

- 11- المسؤولية الشرعية والمدنية لاستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية-دراسة وصفية تحليلية- أحمد عبد الفتاح أبو ريش حافظ الشيخ، مجلة روح القوانين- كلية الحقوق جامعة طنطا، عدد خاص-المؤتمر العلمي الدولي الثامن- التكنولوجيا والقانون-.
- 12-موسوعة المعلمي اليماني وأثره في علم الحديث المسماة «النكت الجياد المنتخبة من كلام شيخ النقاد ذهبي العصر العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، أبو أنس إبراهيم بن سعيد الصبيحي، دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1431هـ - 2010 م .

مقدمة

يعتبر النيوليتي فترة من فترات ما قبل التاريخ، حيث عرفت تغيرات هامة في حياة الإنسان و في نمط معيشته، و هي آخر الفترات من العصور الحجرية التي شهدت عملية التحول من الصيد و جمع القوت إلى الاستقرار ونشوء القرى الزراعية الأولى و اقامة أولى المجتمعات الفلاحية التي سكنت الشرق الأوسط فيما بين 12.000 و 7000 سنة قبل الحالي لتنتشر في كافة بلدان الحوض المتوسط أوروبا و شمال إفريقيا، وما ارتبط بذلك من تحولات من الناحية الفكرية، الإقتصادية و الإجتماعية، كما أن خلال هذه الفترة حدثت تغيرات كبيرة في المحيط و المناخ و التي أثرت على الإنسان و نشاطه.

ظلت المعطيات الخاصة بالنيوليتي في الجزائر سطحية و غامضة تفتقر إلى كرونولوجيا دقيقة و منهج تجريبي و مرجعيات اتنوغرافيا، كما أن هذا النقص في المعلومات راجع لغياب أعمال المسح و التنقيب في مواقع جديدة، مما نجد صعوبة في تحليل المعلومات و مقارنتها بالأبحاث الحديثة، كما تكمن الإشكالية في التعرف على طبيعة النيوليتي بمختلف مناطق الجزائر و مكانته ضمن النيوليتي لحوض المتوسط كرونولوجيا وثقافيا؟

هذا الموضوع عبارة عن إضافة هامة للبحوث القليلة السابقة و تحليل للمواد المتوفرة من بقايا أثرية بالتركيز على الصلة و العلاقات الثقافية، و دراسة الآليات و العمليات التاريخية، و مدى تفاعل الإنسان في مختلف الجوانب خلال هذه الفترة. من المعروف أن ثقافة النيوليتي تختلف من منطقة إلى أخرى باختلاف المواقع الأثرية و تباين موادها من ناحية الكمية و النوعية، و سنحاول من خلال هذا العمل تسليط الضوء و توضيح مفهوم العصر الحجري الحديث و أهم مكوناته ببلاد المغرب عامة و شمال الجزائر خاصة، الإطار العام الحضاري للنيوليتي، وفيه وجهت الاهتمام إلى التوزيع الجغرافي لهذا الوجه و خصائصه كما تم التطرق إلى أصل و أقدم وجه للعصر الحجري الحديث، من أجل الوصول إلى نقطة تطور النيوليتي في الجزائر من خلال بعض الأوجه النيوليتية المحلية، إلى جانب بعض تفسيرات الباحثين لمختلف التأثيرات الحضارية المجاورة و التيارات الثقافية التي ساهمت في عملية النولة.

كما نشير إلى أهمية هذا البحث التي تكمن في تناول فترة هامة من تاريخ البشرية لارتباطها بتحولات فكرية و اقتصادية و اجتماعية للإنسان.

تعريف النيوليتي (العصر الحجري الحديث)

تاريخ بداية هذا العصر و نهايته مختلفة باختلاف أجزاء العالم، في آسيا و إفريقيا و أوروبا، و يسبق هذا العصر من الناحية الكرونولوجية ببلاد المغرب العصر الحجري القديم المتأخر و الذي تطور حسب كرونولوجيا معظم المواقع بين الألفية السابعة و الرابعة ق.م (Guilaine. J, 2008, Camps. G, 1998, Aurenche. O, et Kozłowski. O, 1999, Demoule J.P,

(2008) من بين الباحثين الذين ناقشوا مفهوم النيوليتي أمثال الباحث Childe، الذي عرفه بالعصر الذي حدثت فيه الثورة النيوليتية (Childe G & Gordon V.1930, p.69) و يقصد بالثورة النيوليتية حدوث تغيير أو تبديل في أساليب إنتاج الإنسان لطعامه بالزراعة والرعي، لذا سمي بعصر إنتاج الطعام، و هي بمثابة فترة انتقالية من جمع الطعام إلى إنتاجه. كما أشار شايلد إلى التأثير البيئي في ذلك و المناخ الذي كان له دور و هو إحدى التأثيرات الرئيسية حيث تمتع الإنسان خلال المناخ الملائم بإنتاج الطعام بواسطة زراعة النبات وتربية بعض الحيوانات، كما عرفه رينفرو وباهن (Renfrew C & Bahn P.1998, p.169) بأنه فترة من فترات العصور الحجرية القديمة التي تميزت بظهور الزراعة وازدياد حالات الاستقرار في المجتمع (Thomas G, 1999, p.88)، تطور وفق فترات زمنية في الاقتصاد و العلاقات الاجتماعية والظواهر الثقافية في مختلف مناطق العالم.

الحدث الهام الذي يميزه هو تطور إقامات الإنسان و الاستقرار إلى جانب الزراعة و استئناس الحيوانات، صناعة الفخار و تنوع الأدوات العظمية و الأدوات المصقولة، فالتعريف بهذه الفترة لا يكون فقط من حيث جانب واحد خاص بالبقايا الأثرية أو الصناعات الحجرية و العظمية و بقايا الفخار، بل يجب التركيز على النمط المعيشي و هو من أحد المعايير التي لها مدلول واضح للتعرف على هذه الفترة (Camps G, 1974a p.216 ، بالمقارنة مع المعطيات التي تركز على تواجد أو اختفاء أدوات معينة أو باستعمال تقنية ما.

انتشار النيوليتي

يبقى النيوليتي فترة هامة و من بين الخطوات الأساسية تمكنا من إعادة البناء الأثري لمجتمعات ما قبل التاريخ و تحديد هذه الظاهرة في مختلف مناطق العالم، كما تعتبر خطوة هامة من تاريخ البشرية التي أدت إلى الاستقرار و التجمع على شكل جماعات بالارتباط بالأرض، ظاهرة تختلف من منطقة لأخرى حيث تمكن الإنسان في كافة أجزاء منطقة الشرق الأوسط لا سيما العراق، سوريا، فلسطين و الهضبة الإيرانية أن يؤدي دور الطبيعة في عملية الاستقرار الأول للإنسان لتشمل بعد الألفية السادسة معظم بلدان الحوض المتوسط و قبل ذلك الصحراء الكبرى التي عرفت نشاطا بشريا جامعا و منتجا للطعام منذ الألفية التاسعة.

لم تتطور حضارات النيوليتي في نفس الوقت أو في فترة زمنية واحدة في جميع المناطق، فترات متفاوتة سواء في ظاهرة صناعة الفخار التي تبدو حسب بعض الباحثين ظهر نتيجة للتغيير في النظام الغذائي لإنسان ما قبل التاريخ و الذي يلي استئناس النبات و الزراعة، ففي بعض مواقع الشرق الأوسط تبين ان الزراعة تسبق ظهور الفخار، ظاهرة لا تتوافق مع ما نميزه بالصحراء (Camps G, 1974b),

p.717) خلال هذه الفترة كما انها ظاهرة تنتشر أيضا بانتقال الشعوب و معه ممارسات و نشاطات معينة.

1. مسار و تطور النيوليتي

تشير الدراسات إلى اختلاف ظهور هذه الفترة في مناطق متفرقة من العالم، مرحلة حاسمة تتميز بممارسات محلية لكل رقعة جغرافية.

عرف الشرق الأوسط منذ الألفية العاشرة قبل الميلاد ظهور القرى الزراعية الأولى، و في شمال ووسط أوروبا في ما بين الألفية السادسة و الألفية الرابعة قبل الميلاد، ويعتبر ظهور الفخار كميزة من مميزات النيوليتي في أوروبا الشرقية و الغربية كما ارتبط ذلك بالتحول في الاقتصاد أما في مناطق جنوب البحر الأبيض المتوسط ظهر الفخار واستئناس الحيوان قبل زراعة الحبوب، في المناطق الأخرى من العالم صاحب الصيد والجمع المجموعات المستقرة قبل الزراعة أو بالأحرى استخدموا الفخار والصناعات الحجرية دون تطور في نمط الزراعة والرعي.

حركة النيوليتي شمال إفريقيا (Manen C. 2011, p.405) مزيج لتيارات شرقية و غربية تنطلق من الشرق الأوسط منذ حوالي 10.000 إلى 8000 سنة ق.م، لتتوسع نحو الغرب عبر شواطئ البحر المتوسط و الأنهار كنهر الدانوب في أوروبا، كما يأخذ مكانة في كل من بلاد النوبة، مصر، الصحراء الوسطى و الخرطوم كنقطة لانتشار واسع للشعوب النيوليتية نحو الغرب و الشمال و الجنوب و في عدة مواقع من ضفاف النيل كواحة خرقة و نبتة بلال (F. & Schild R. 1998, p.99) Wendorf التي تحتوي على بقايا نيوليتي القديم كالفخار البني الأحمر الذي يؤرخ بالألفية السابعة و الخامسة، كما عرفت منطقة جنوب واد النيل زراعة الذرة و الدخن الى جانب استئناس الابقار و الذي ينتشر في الصحراء الوسطى الرطبة مع شعوب رعاة البقر و صانعي الفخار المموج، الوجه الثقافي المدعو بالنيوليتي الصحراوي الذي يسود المناطق الصحراوية، بموقع أمكني بالهقار (Camps G. 1969, p.09) الذي يؤرخ بالألفية السابعة و هو من أهم المواقع الذي يعود إلى النيوليتي القديم، حيث عرف استئناس لبعض الحيوانات كالخراف و البقر في حوالي 7600 و 6000 سنة ق.م، اما الزراعة عرفت بالصحراء منذ الألفية السادسة بموقع أمكني أين تم العثور خلال الحفريات على حبات الدخن، و بموقع ادرر اكاكوس، موهجياج، وان افودة، تن حنكاتن و موقع منيات حيث عرفت هذه المواقع (Camps G. 1986, Alimen H. 1981, G. 1974) استئناس الحيوان و النبات و صناعة الفخار منذ فترات مبكرة.

فترة النيوليتي ببلاد المغرب بالخصوص في الجزائر عرفت مناخ ملائم انتشرت فيه ثقافة النيوليتي التلي ذات القاعدة القفصية بشرق البلاد و الأيبرومغربية بالجهة الغربية كموقع كلومناطة، عين قطارة، خنقد سي محمد

الطاهر، اشكار التي تؤرخ بحوالي 6500 إلى 4000 سنة ق.م (Camps G.1974b, Hachid M. 2000) تتميز مجمل هذه المواقع ببقايا الفخار المخدد و المضغوط و بقايا قشور بيض النعام، حيث كانت لها تأثيرات من الجهة الشمالية عبر شبه الجزيرة الإيبيرية و من جهة الصحراء عبر الأطلس الصحراوي (Kaache B. 1996, p.88)، المناطق الغربية من شمال افريقيا تعتبر كمناطق استقبال الشعوب ذات الثقافات النيوليتية القديمة موجات آتية من الشرق و تتطور تدريجيا بإدماج الثقافات المحلية.

السمات العامة للنيوليتي

شهدت الفترة تطورات هامة في نفس الوقت بمحافظه الإنسان على تقنيات والطرق السابقة في تصنيع الأدوات من الحجر و المادة العظمية، لقد استطاع أن يحقق قفزة جديدة في تطور تقنيات اخرى و باختراع الأساليب التي واكبت النقلة التطورية، حيث ان التغير البيئي و وفرة الموارد الطبيعية ساعدت في ظهور بعض الصناعات كالفخار، الأدوات المصقولة، أدوات الطحن، استئناس الحيوان والنبات.

ظاهرة الاستئناس

لعبت هجرات الإنسان دورا فعالا في إدخال و إدماج الاستئناس في الحوض الغربي للبحر المتوسط بما فيها بلاد المغرب، هذه العملية لم تكن من جانب واحد فقط فالمجموعات البشرية التي كانت تمارس القطف و القنص المحليين برزت كمستقبلين ايجابيين للحركات البشرية الأجنبية، بالإشارة إلى أن هذه العملية معقدة تقتضي في نفس الوقت حركات انسانية و بمشاركة فعالة و نشيطة من طرف السكان المحليين، لكن لا توجد هناك ادلة تسمح بالاعتقاد ان هذه العملية جرت حسب اشكال مختلفة في مجمل المناطق (Guilaine G et al, 2001, p 234)، فاستئناس الحيوان و النبات حدث مبكرا في مناطق الشرق الأوسط مقارنة ببقية أنحاء العالم، هذه المناطق التي تشمل اليوم أجزاء من إيران والعراق و فلسطين والأردن وسوريا و تركيا حيث تتميز بكميات وفيرة أنواع من الحيوانات و النباتات البرية التي كانت كافية لسد حاجيات لنسبة معتبرة من الصيادين و الجامعين، و لأن الغذاء كان وفيرا لم يضطر الناس إلى التحرك بعيدا بحثا عنه، فقد ظلوا أحيانا مستقرين في قرى لسنوات، فأتيحت لهم فرص أفضل من غيرهم ليطوروا الزراعة والرعي. المزارعون الأوائل هم من اعتمدوا بصفة رئيسة على الزراعة في غذائهم بالرغم من أنهم كانوا يصطادون الحيوان و يجمعون النباتات البرية، ويعتقد بعض الباحثين أن المزارعين الأوائل عاشوا بمنطقة الأردن و فلسطين في حوالي 8000 ق.م (Aurenche O. 2008, p.191)، بعد ذلك بزمان قصير في جنوب غربي إيران ومنذ 6000 ق.م إنتشرت الزراعة من الشرق الأوسط إلى شبه الجزيرة اليونانية، كما طُوّرت الزراعة باستقلال عن هذه المناطق فيما يسمى اليوم بتايلاند قبل 7000 ق.م، وفي أواسط المكسيك في حوالي 7000 ق.م.

يبدو في شمال إفريقيا استئناس الأبقار محلي الأصل ينشأ ابتداء من منطقة السودان و إثيوبيا، بلاد النوبة في حوالي 6000 سنة ق.م، في مصر ابتداء من 5500 ق.م و في صحراء ليبيا في حوالي 5000 سنة ق.م، بمنطقة الخرطوم و الصحراء الوسطى في حوالي 4000 سنة ق.م (Clutton-Brock. J, 1981, p.110)، من بين الأنواع المستأنسة المتواجدة بمختلف المواقع (Helmer D. 1992, p. 17) بئر قصابية المؤرخ ب7800 الى 8500 سنة ق.م البقر الإفريقي (Gautier E.G, 2001, p609) بموقع نبتا بلاليا بمصر الجنوبية و التبستي (Gautier E.G, 1980, p.320) , فالاستئناس المحلي لهذا النوع يظهر من خلال الهيئة المورفولوجيا التي يتميز بها البقر الإفريقي *Bos africanus* و الذي يختلف عن نوع البقر *Taurus* (Schen A. et al, 2011, p.125) بحيث أن نوع الثور البري الذي عاش بإفريقيا الشمالية و الصحراء خلال البلايستوسان و بداية الهلوسان يصنف ضمن ما تحت نوع *Bos mauritanicus premigenius* يختلف من حيث الهيئة فهو اقصر و انحف، يقترح الباحثين (Lesur J, 2010, p.38) هذا البقر كان مستأنس و أعطى نوع *Bos africanus* لكن لم يتأكد بعد من أصل البقر المستأنس بإفريقيا، الشيء المؤكد منه انه من أولى الحيوانات المستأنسة.

الفخار

تعتبر صناعة الفخار من أقدم الحرف التي عرفها الإنسان، وظهرت أول الأشكال الفخارية في نهاية العصر الحجري القديم الأعلى، أهمية بقايا الفخار لا تكمن من كونه أداة استخدمها الإنسان في فترة معينة و لا يزال يستخدمها حتى اليوم في كثير من المناطق، بل لأنه أحدث تغيرات مهمة في عدة جوانب من حياته، حيث مهد للكثير من الصناعات الأخرى، يبدو أن في استعمال الفخار حاجة الإنسان إلى هذا النوع من الابتكار التقني الذي يصاحب ظاهرة الاستئناس.

الفخار هو تلك القطع المصنوعة من الطين الذي يشكل وهو رطب ثم يترك ليجف وأخيراً يتم حرقه حتى تتصلب، تعتبر الآثار الفخارية من أقدم أنواع الإنتاج الذي مارسه الانسان القديم في كثير من بقاع العالم ولعل الحاجة إلى الأشكال المجوفة لأغراض حيوية متنوعة كانت العامل الأول لصنعها.

مكنت عملية حرق الأواني والأدوات الفخارية الإنسان من أن يتحكم في درجة الحرارة واستخدامها الأمثل في صنع الأواني والأدوات، يبدو أن صناعة الفخار والأدوات المصقولة واستئناس الحيوان والنبات هي ابتكارات لم يصل اليها الإنسان في فترة أو زمن محدد ولم تظهر بشكل مفاجئ، وهي تطور تدريجي بلغ قمته في العصر الحجري الحديث، ويظهر ذلك من خلال استخدام الطين وتصنيع أشكال منه في العصر الحجري القديم، أما الأدوات المصقولة فقد كانت في البداية أدوات خشنة ثم خضعت لتقدم تدريجي حتى وصلت إلى مستوى عال من الكفاءة.

أدت أهم الدوافع إلى اختراع الأواني الفخارية في عصر ما قبل التاريخ الحاجة الماسة لها للطهي الجيد للطعام بالغليان، وذلك بالتحكم في مقدار الحرارة واستغلالها بصورة مثلى وبأقل جهد ممكن كما أن الفخار يعتبر من أكثر المواد تحملا وأطولها عمرا مقارنة بمواد أخرى كالعظام يجدر التنويه بأن أكثر مواقع الفخاريات قدما في إفريقيا حسب نتائج التأريخ بالكربون المشع 14 تلك القطع التي عثر عليها بموقع تن التورها (الصحراء الليبية) وتؤرخ بين 7400-6980 سنة ق.م (Barich B. 1974, p.25)، ونبته-بلايا (الصحراء الغربية المصرية) بين 6240 و 5700 سنة ق.م (Fekri, H.A, 2004, p.68)، موقع تن حناكتن (Aumassip G, 1984, p201) بالطاسلي الناجر و موقع كهف قمبل في منطقة البحيرات الاستوائية بين 6650 و 6160 سنة ق.م (Khabir A.M et Abass M.S, 2003, p25) و تلزم الإشارة هنا إلى أن أقدم مواقع الفخار في الشرق الأدنى توجد في إيران (قانبجارج) (Willcox G & Allaby R. 2011, p.47) و بموقع تشاتال هويوك و المؤرخ بحوالي 6500 و 5800 سنة ق.م.

نيوليتي حوض البحر المتوسط

انتشار النيوليتي المتوسطي

المصطلح المقترح من طرف الباحث Bosch-Gimpera نيوليتي البحر المتوسط المنتشر على مجمل المناطق المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط و الساحل الأطلسي من البرتغال و المغرب الأقصى (Gimpera B, 1954, p146 et 165, p362) انتشار هذا الوجه الثقافي على طول سواحل البحر المتوسط يتميز بتكويناته الأثرية المادية كنوع الفخار المطبوع الذي نميزه على طول سواحل إيطاليا و فرنسا، حيث عرف موجات تطور متواصلة من خلال انتقال الشعوب و الجماعات و مختلف التأثيرات أرخت هذه الفترة بالجهة الغربية للحوض (Manen C, 2007, p.134) et al من 6000 و 5950 سنة ق.م يبدو أن نيوليتي المتوسطي على ضفافه الشمالية (Schen A. et al 2011, p.165) قد تطور بتأثيرات شرقية، اما الجهة الغربية من شبه الجزيرة الإيبيرية امتازت بالتنوع الكرديالي و في الجهة الجنوبية من الحوض تطور فيها الفخار المعروف بالمخدد و المضغوط.

خصائص النيوليتي المتوسطي

الصناعات الحجرية

يتميز النيوليتي المتوسطي على مجمل المناطق بمجموعة من الخصائص كنوع الصناعات الحجرية و التي تسود فيها الحزات، المسننات، المحكات و نسبة من النصيلات ذات الظهر و الفؤوس المصقولة، في العديد من مواقع جنوب غرب أوروبا تسود خلال النيوليتي صناعات قزمية من الكوارتزيت (Barbaza M, 1981, p400) خلال الفترة المسماة بالكرديالية الإنتاج الصناعي الحجري يعيل إلى النصال و

لم تعرف هذه المناطق المعالجة الحرارية للمادة الأولية و لا التقصيب بالضغط، كما نجد بعض القطع المعروفة بالقزميات الهندسية بإسبانيا و بالبرتغال و تأرخ بالألفية السادسة، لكن نسبها ضئيلة لذا يفترض أصولها من إفريقيا الشمالية، هذا النوع من القطع متواجدة بكثرة خلال فترة الإيبيرومغربية ببلاد المغرب و تغيب خلال القفصي العلوي بالجزائر (Camps G. 1967, p.90)، نشير إلى تواجدها بعدة مواقع بالمغرب الأقصى و بالجزائر كموقع مغارة واد قطارة بالطبقة العلوية حيث وجدت عدة أجزاء هندسية مع الفخار المخدد، أما الطبقة السفلى تحتوي على نفس الأداة مع قزميات هندسية من أشباه المنحرف و المثلثات مع الفخار، أما بملجا حاسي ونزة بالمغرب الأقصى وجدت هذه الأداة مع الفخار الكرديالي و الوهراني المعروف بالمخدد، ما يدل على تزامنها (Linstader J, 2003, p.100) مع الفترة الكرديالية التي تؤرخ ب 5600 و 4900 سنة ق.م.

الصناعة العظمية

يتشابه هذا العنصر بين مجمل مناطق أوروبا و إفريقيا (Leroy- Prost p.69, 1975. C) سواء المتواجدة بفرنسا، إسبانيا و حتى بمواقع إيطاليا التي تعود إلى الباليوليتي العلوي و النيوليتي، أما أدوات الزينة رغم قلتها فهي تنتمي الى أشكال مماثلة. اعتمد دارسي القطع العظمية على معطيات و أعمال الباحثة كامبس فابريير (Camps-Fabrer, 1966b) الخاصة بإفريقيا الشمالية و الصحراء.

الفخار

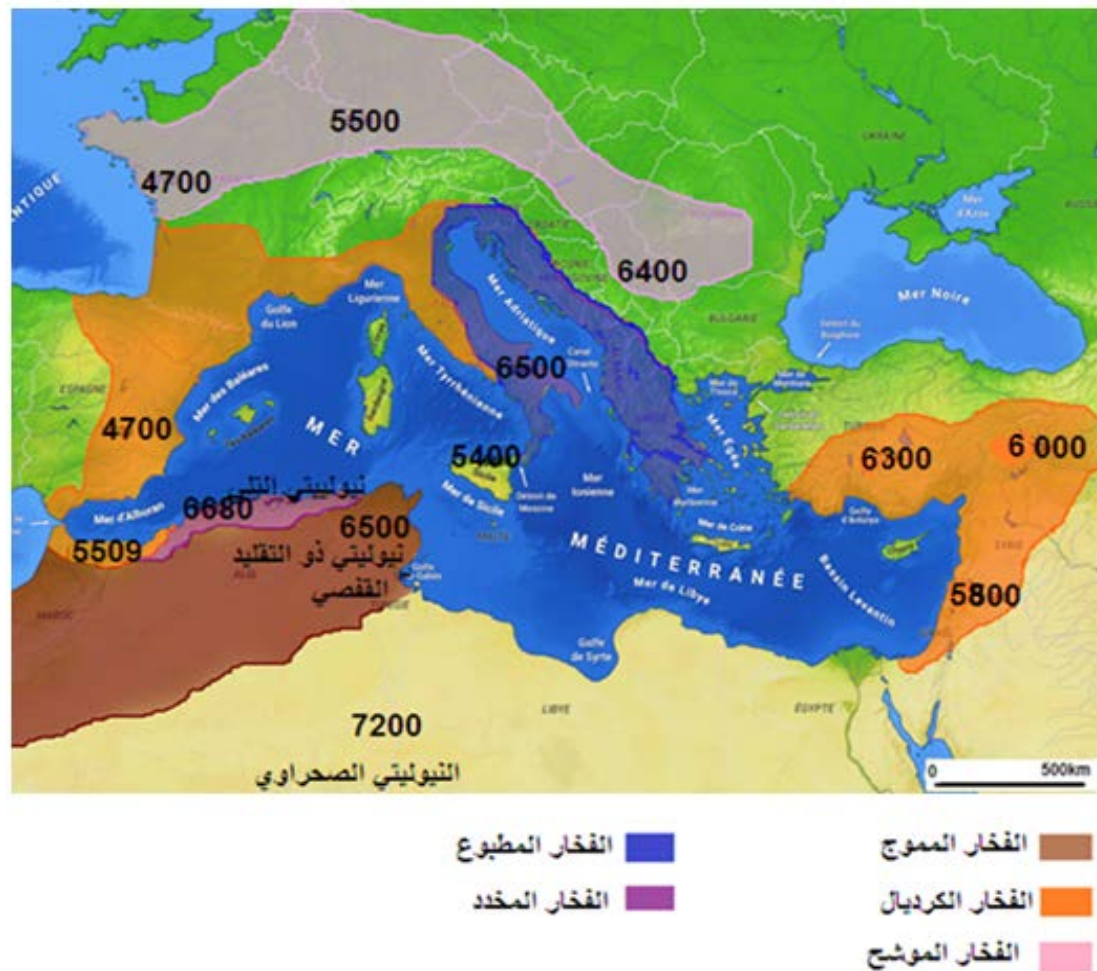
ينتمي الفخار الكرديالي الخاص بالمناطق الجنوبية الغربية لأوروبا إلى النيوليتي القديم، المزين بقوقعة الكارديوم ذو الحواف المسننة و قطع أخرى ذات التزيين المخدد كالذي نجده شمال بلاد المغرب (Desideri J. 2012, p.27)، الفخار الكرديالي الذي يعود إلى النيوليتي القديم (Arnal J & Guy B. 1951, p.563) هو الخاص بمناطق جنوب غرب أوروبا (جدول 1) الى جانب الصناعة النصالية.

خلال فترة النيوليتي الأوسط تتراجع نسبة الفخار الكرديالي وتظهر تقنيات التصنيع و تزيين متنوعة و صناعة أشكال من الطين ذات هيئة شبيهة بالإنسان، أما خلال فترة النيوليتي الأعلى نميز في أغلبية البقايا الفخارية أنها بدون تزيين، من بين القطع المزينة نجد ذات الأشكال الهندسية، الآنيات كبيرة و مفتوحة كما تظهر الملاعق من الطين، كما نميز في هذه الفترة الفخار المطبوع الذي ينتشر بإيطاليا و المؤرخ ب 4247 سنة ق.م (شكل 2)، أما الإسباني المتواجد بموقع كهف الذهب أرخ ب 4300 سنة ق.م.

أروبا الغربية	أروبا الشرقية	
الصناعة النصالية	الصناعة الشطوية	
التاردينواز	ما قبل الريفي	
الفخار الكرديالي الفخار الشاسي القديم	الريفي القديم فخار ذو خطوط منعرجة	الفخار المشروط الفخار المنقط
النيوليتي		

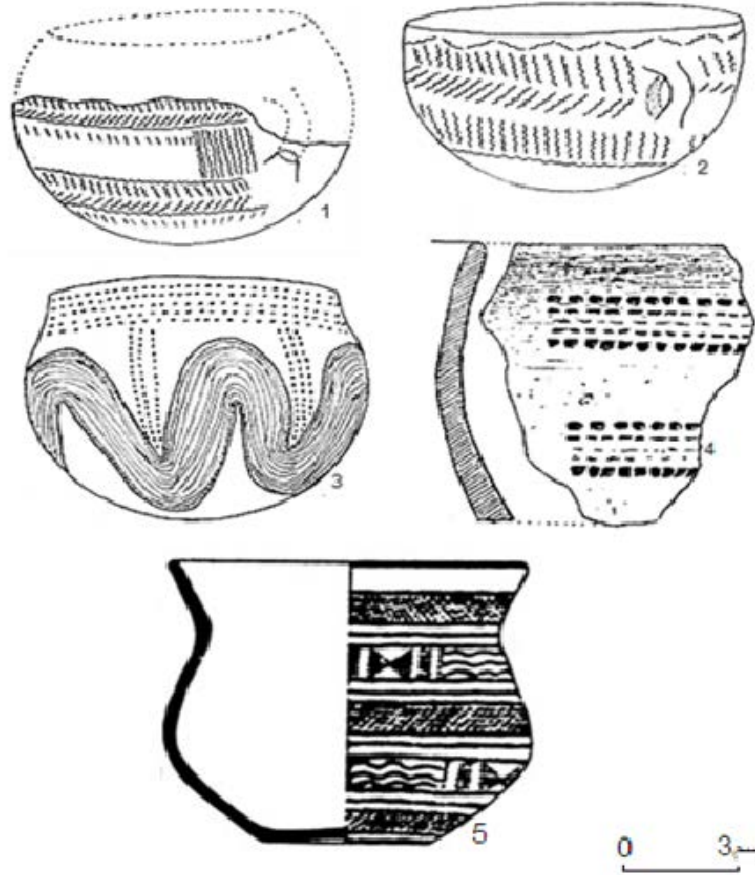
جدول 1: أنواع الفخار في المناطق الجنوبية من أروبا
عن (Arnal J & Guy B. 1951, p.563)

أما ببلاد المغرب إنتشر هذا النوع من التزيين الكرديالي بالسواحل الشمالية الشرقية للمغرب الأقصى، و لم يعرف في نطاق واسع حيث نجده بمواقع المغرب الأقصى بطنجة و تطوان في قاعدة التوضعات الأثرية بموقع اشكار و الخريل. التزيين الكرديالي نطاقه محصور في كل من جنوب اسبانيا و ساحل غرب افريقيا دون ان يتعدى منطقة وهران شرقا، في الجزائر لم تعرف عنه سوى قطعة بمغارة الظهيرة مع بقايا فخار المخدد، لكنه لم يلعب دورا فعالا لانحصاره في مواقع قليلة خاصة و لم تكن له مكانة في تمييز النيوليتي التلي بالجزائر إلى جانب الفخار المخدد (Koehler 1931, Jodin 1958, Aumassip G. 1971, p.138)، من خصائص النيوليتي المتوسطي و الذي نجد تشابه بعض من سماته مع النيوليتي التلي الخاص بسواحل شمال الجزائر من خلال التزيين المخدد للفخار خاصة خلال فترة النيوليتي الأوسط واستعمال المغرى الحمراء و من خلال عناصر القبض المتشابهة و التي تتمثل اغلبيتها في الحلقات.



شكل (2): انتشار الفخار على حوض البحر المتوسط و بلاد المغرب (بتصرف)

من بين الأنواع السائدة (شكل 3) النوع الذي عرفته المناطق الشمالية المجاورة لإسبانيا خلال الألفية السادسة (Arnal J & Guy B. 1951, p.554) بتأثيرات شرقية و المعروف بالنيوليتي الدانوبي حيث يصل انتشاره حتى حوض باريس عبر شمال البلطيق (Aumassip G, 2001, p 130) و من الدانوب و الرنن بحرا عبر الادرياتي.



شكل (3): أنواع الفخار الأروبي

1.2 الفخار الكرديالي. 3.4 الفخار الدانوي (3 المشروط، 4 المنقط). 5 الفخار الريفي

(Arnal J & Guy B. 1951, p.545)

الأوجه الثقافية النيوليتية بالجزائر

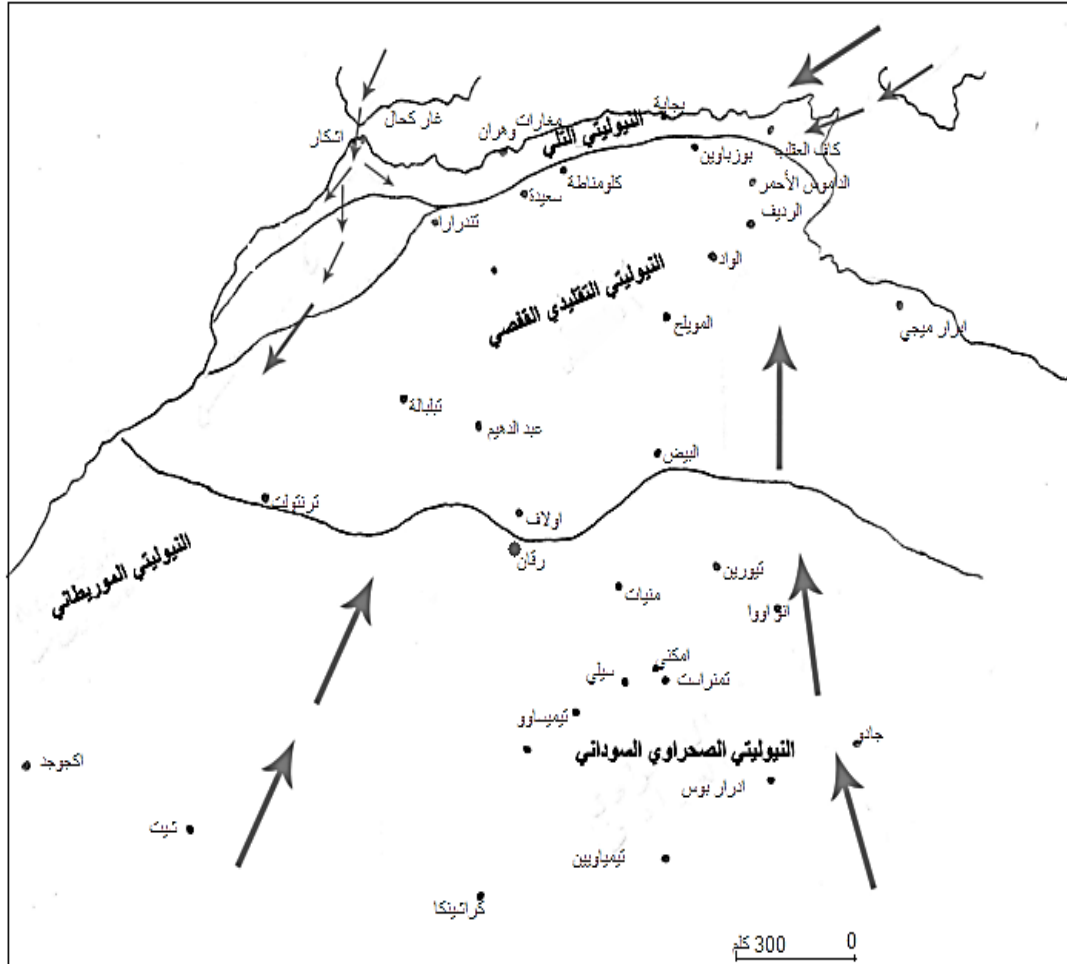
النيوليتي ببلاد المغرب حسب الباحثة اوماسيب هو تطور لبعض تقنيات صنع الأدوات الحجرية، الأداة التي تدعى بالحجارة المصقولة بعدما كانت حصى مشظاة (Aumassip G, 2001, p127) و رؤوس السهام و الفخار.

شهدت هذه الفترة تطورا خاصا تنفرد عن باقي المناطق الأخرى من حيث المميزات الصناعية و الرقعة الجغرافية، يمكن حصر هذه الفترة في إفريقيا الشمالية الغربية في ثلاثة حضارات متميزة (شكل 4) (Balout L, 1957, p458) النيوليتي التلي الذي يتطور في المنطقة الإيبيرومغربية كالنيوليتي الوهراني و يعتبر احدث مقارنة بالنيوليتي ذو التقليد القفصي الذي نجده في المناطق التي عرفت انتشار الحضارة القفصية، أما النيوليتي الصحراوي الذي عرف تطورا بالصحراء الوسطى و الذي يعتبر أقدم وجده (Camps G, 1968, p609) و المتزامن مع نيوليتي النيل و الشرق الأوسط.

تختلف هذه الأنواع الثقافية من حيث الأقاليم و الكرونولوجيا و تشترك في بعض الخصائص منها بقايا الأدوات الحجرية و شكل الفخار، بفعل التأثيرات التي عرفتها بانتقال الإنسان من إقليم لآخر و بالتبادل في المنتج، أما عن بداية هذا العصر ببلاد المغرب فهو محل نقاش بين العديد من الباحثين حيث مصدره و تأثيراته.

النيوليتي الصحراوي

يتطور وينتشر خاصة في الجهة الجنوبية الشرقية من الصحراء، نميز أولى بؤادر النيوليتي في الجنوب بكتلة الهوقار في حوالي الألفية السابعة والمعروف بالفخار الأكثر قدما ذو تقنية الخطوط المموجة (Alimen, 1955, p.80)، وهو أقدم نيوليتي معروف بشمال افريقيا (Camps G. 1974a, p.223)، ينتشر شيئا فشيئا في نطاق أوسع، من بين أقدم المواقع (Aumassip G. 2001, p.137) التي تحتوي على فخار النيوليتي القديم بالصحراء موقع تلتكين المعروف بموقع Launey.



شكل (4) : الأوجه الثقافية النيوليتية ببلاد المغرب و الصحراء
(Camps G & Camps-Fabrer H. 1972, p. 54)

الظروف المناخية الملائمة بالصحراء الكبرى كان عاملاً أساسياً في تطور حضارة النيوليتي حيث بقيت حتى حوالي 3000 ق.م، حيث كانت المنطقة تأوي حيوانات السافانا مثل الفيل و فرس النهر كما كانت موطناً لشعوب عاشت على رعي البقر و الخراف والمعز، كانت الوديان القاحلة التي نراها اليوم سهوباً عشبية خصبة تقطعها أنهار تجري جنوباً حتى نهر النيجر، وشبكة أخرى يبلغ طولها 1200 كلم تصب في بحيرة التشاد و الهضاب التي تنبع منها تلك الأنهار كانت تعيش بها شعوب تركت لنا سجلاً عن حياتها بشكل رسوم ونقوش في الصخر، و هي تختلف عن فن الكهوف الذي ظهر في أوروبا، فالكهوف الأوروبية لم تصور لنا إلا حياة الحيوان ونادراً ما صورت البشر، أما الآثار الأفريقية فتشير إلى أن الصحراء الكبرى كانت في ذلك الحين مكان التقاء الشعوب الزنجية، و شعوب أخرى يسميها البعض الشبيهة بالأوروبية ربما يكون هؤلاء أجداد البربر و هم من الشعوب الحامية، وجودهم مثل وجود الشعوب الزنجية (Dutour O et al, 1994, p.99) في الصحراء الكبرى لكن بحلول الجفاف الشعوب المزدهرة رحلت والحيوانات هاجرت.

الوجه الثقافي النيوليتي الصحراوي بدوره يطرح تساؤل حول طباقته حيث انه يلي مباشرة العاتري في بعض المواقع كالمستوى السفلي لأمكنني لم يعطي في نفس الوقت الفخار و رؤوس السهام فلذا يمكن أن نطم صناعته (Camps G. 1974, p232 & 1966a) ضمن صناعة ما بعد الباليوليتي، المؤشر الوحيد هي ملاحظات الجيولوجي كيليان (Kilian C. 1925, p.92) الذي أشار إلى ملجأ صخري تن ادناس الذي يحتوي على صناعة غنية بالقرمزيات الهندسية و التي تميز النيوليتي، و موقع امكني (Aumassip G, 1987, p590) المؤرخ بالألفية السابعة بكتلة الهوقار، تن هنكاتن بالطاسلي الناجر الذي تؤرخ طبقاته السفلى ب7500 ق.م و فوزجيان (Camps G. 1974b, p.269)، تمتاز المرحلة بفقرها من حيث الأدوات الحجرية و المصنوعة بالمواد البركانية بالمقابل نميز غناها من حيث البقايا الفخارية و المدقات مع أدوات الرحي، الشيء الذي يشير الى نمط معيشي آخر بالاعتماد على الاستئناس و الزراعة البدائية.

النيوليتي ذو التقليد القفصي

النيوليتي ذو التقليد القفصي يتطور و ينتشر خلال الألفية الخامسة و الرابعة (Camps G. 1974a, p.270)، ينحصر نطاقه بالمناطق الداخلية الشرقية جنوب المنطقة التلية إلى الأطلس الصحراوي ممثل بالفن الصخري الرائع، يمكن القول ان موضعه ما بين وجهان ثقافيان الأول من الجنوب الخاص بالنيوليتي الصحراوي و الثاني من الشمال و هو النيوليتي التلي. كما عرف الباحث فوفري هذه الثقافة (Vaufrey R, 1933, p457) استنادا على بعض الأدوات الحجرية و توزيعها بغياب العناصر القفصية النموذجية، إلى جانب الأدوات الهندسية تضاف الرؤوس ذات

الوجهين زيادة الى الأدوات القفصي العلوي نجد العناصر النيوليتية كرؤوس السهام، الفؤوس المصقولة المسطحة ذات مقطع دائري و الفخار، حسب معطيات ملجأ الزعاطشة و رديف (Camps G, 1967 p 85), دلت على أن النيوليتي الصحراوي الناقل الحقيقي للنيوليتي في شمال بلاد المغرب، حيث يتطور بمنطقة تونس و شرق الجزائر الوجه الثقافي المعروف بالنيوليتي ذو التقليد القفصي. من مميزات الحضارة القفصية أنها أقل انتشاراً في المكان و الزمان و هي أكثر حداثة من النيوليتي الصحراوي، تطورت خلال الألفية الخامسة و الرابعة ق.م، إذ لا تتجاوز المناطق الداخلية من تونس كقفصة، تمتد إلى شرق الجزائر خاصة جهة سطيف و قسنطينة و لا تتعدى غرباً منطقة تيارت، اما في الجهة الغربية من شمال فريقيا و الصحراء لم يتم العثور على أي دلائل لهذه الحضارة لحد الآن، لكن يبدو أنه تم العثور على ما يشبه هذه الصناعة في الواحات المصرية و جنوب مصر و شمال السودان.

من الناحية الزمنية أثبتت التآريخات باستعمال الكربون المشع C14 أن الحضارة القفصية ظهرت بعد الحضارة الإيبرومغربية، و لم تعمر إلا مدة قصيرة نسبياً تتراوح ما بين 6450 ق.م و 3050 ق.م، تعتبر مراحلها المتطورة او الأخيرة تتشابه مع فترة ما قبل النيوليتية (Camps G. 1974a, p.221) و الذي أشارت إليه الباحثة روبي (Roubet C, 1968, p60) كالذي نجده بموقع خنقد سي محمد طاهر (مغارة كاييلتي) أرخت طبقاته السفلى 4580+ - 250 ق.م يحتوي على أدوات حجرية كرؤوس السهام ذات قاطع عرضي أما الفخار نادر من بين البقايا قطعة محددة، اما المستويات الوسطى أرخت ب 3800+ - 190 سنة ق.م و العلوية أرخت ب 2720+ - 145، و بموقع عين النقا الذي يبدو أكثر قدماً و المؤرخ بحوالي 5550+ - 170 سنة ق.م (Camps G. 1974b, p.271) أما معظم المواقع كعين قطارة، حاسي المويلح و كلومناطة أرخ ب 3500 ق.م فترة تتنوع و تكثر فيها الصناعة العظمية (Grebenart D. 1969, p.194)، من الواضح أن كل المواقع النيوليتية الموجودة في منطقة قفصة تنتمي الى النيوليتي ذو التقليد القفصي و تعتبر كفترة نيوليتية قديمة، هذا الوجه الثقافي يعتمد على نمط معيشي من استئناس و تربية الحيوانات الصغيرة، الحرفان التي تنتقل من الجبال في الشتاء إلى المنخفضات، أما الأدوات الحجرية تتمثل في القطع ذات حزات و مسننات، قطع ذات التهذيبية المتواصلة، مكاشط، القزميات الهندسية، قلة النصال، المحكات و المثاقب و الصناعة العظمية أغلبيتها مخارز و الفخار نادر منه نوع ذو شكل مخروطي له عناصر الشد بدون تزيين، القطع التي تحتوي على تزيين أشرطة على شكل احزمة و العجينة غنية بالملثبات من الكلس خاصة المعروفة بشرق بلاد المغرب مع استعمال قشور بيض النعام كقارورات كالتني وجدت بموقع الداموس الأحمر، كما يتميز بغناه من حيث عناصر الزينة (Aumassip G. 1986a, p.100) و موقع الزعاطشة الذي (Roubet C. 1966, p.340) يحتوي على بقايا تميز هذه الحضارة كالمحكات و قطع ذات حزات، نصيلات ذات الظهر،

القرميات الهندسية و ظهور أدوات و تقنيات جديدة كالسهم ذات مقطع عرضي، و اختفاء النصال الكبيرة و الأزاميل، في هذا الموقع يبدو الانتقال إلى النيوليتي من خلال الدراسة التيبولوجية للأدوات الحجرية حيث يعتبر كتواصل حضاري لوجه ثقافي سابق.

نيوليتي منطقة واد مية

نشير إلى هذا الموقع الذي يظم الى الوجه الثقافي النيوليتي ذو التأثير القفصي لكن لا يحتوى على عنصر الفخار (Aumassip G. 1972, p.275)، معظم المواقع المتواجدة بمنطقة واد مية بنواحي ورقلة تؤرخ بحوالي 4720 الى 4200 سنة ق.م، يتميز بأدوات حجرية تتكون من القرميات الهندسية و النصيلات ذات الظهر الى جانب رؤوس السهم و استعملت بكثرة قشور بيض النعام ، أما الأدوات الأخرى كالفؤوس المصقولة و الفخار فهي غائبة.

النيوليتي التلي

يتوزع الوجه الثقافي النيوليتي التلي على المناطق الشمالية لبلاد المغرب حتى حواف المحيط الأطلسي حيث نجده بالمواقع الشمالية الساحلية للجزائر، ينحصر بين المناطق المتواجدة بين الأطلس الصحراوي و الساحل، حضارة تعود الى الألفية السادسة ببلاد المغرب (Camps G. 1974a, p.219).

أشار إليه الباحث بلاري (Pallary P. 1909, p.46) كوجه موريطاني يضم صناعات مغارات وهران (Pallary P. 1922, p.390)، و ميّزه الباحث كامبس (Camps G. 1971, p.49) كوجه نيوليتي تلي ذو طابع ساحلي خاص بالمناطق الشمالية التلية للجزائر وأنه جزء من النيوليتي البحر المتوسط، إلى جانب ملاحظات الباحث قويتز (Goetz Ch. 1964, p.535) الذي يميزه بغياب القرميات الهندسية في النيوليتي الوهراني يعطي له سمات متشابهة بالنيوليتي الإيبيري، و المتواجد جنوب فرنسا و إيطاليا و جزر غرب المتوسط، كما استعمل الباحث دومرغ مصطلح نيوليتي مغارات وهران و هي تسمية محلية خاصة بالمنطقة بمواقع في المغارات و الكهوف، هذا الوجه نجده أيضا في المواقع على الهواء، و يضم نيوليتي شمال إفريقيا حسب الباحث (Vaufrey R. 1955, p.342) ضمن النيوليتي ذو التقليد القفصي.

يتميز النيوليتي التلي الخاص بمنطقة وهران و الريف المغربي بصناعة حجرية مستوحاة من الإيبيريومغربية باحتوائها على الفخار و الذي يشبه شكله شكل الفخار الكرديالي لكن يختلف عنه من حيث تقنية الزخرفة و التزيين المعتمد على الحز و التزيين بالحزوز الخطية و بالضغط. كما دلت عليه الباحثة اوماسيب (Aumassip G. 1986b, p.620 & 1987, p.587) حيث عرفت النيوليتي الساحلي أنه وجه ثقافي تلي يحتوي على الفخار، و الصناعة الحجرية المصقولة و استعمال التهذيبية المسطحة في الأدوات الحجرية. أرخ النيوليتي الذي ينسب إلى منطقة التل الجزائري بحوالي 6500 سنة ق.م و نجد له امتدادات نحو الغرب

في الريف الشرقي للمغرب الأقصى، و التي ترتبط بمنطقة وهران كما تعددت به التأثيرات التي ساهمت في تشكيل هذا الوجه في المنطقة.

خصائص النيوليتي التلي

بقايا الفخار

ليس من السهل تحديد مركز معين ظهر فيه الفخار أو تحديد مسار انتشاره، لكن يمكن وضع كرونولوجيا هذا المحتوى بالتاريخ ودراسات تيبولوجيا تقنية. بقايا الفخار من بين الأدلة الأثرية التي تثبت توصل الإنسان إلى الاستقرار و بالتالي الاستئناس، و ذلك لحاجته إلى تخزين طعامه و طهيها، الفخار النيوليتي بشمال إفريقيا يعتبر من أقدم البقايا الأثرية التي تتميز بها عن باقي بلدان الحوض المتوسطي من بين القطع التي تؤرخ بالنيوليتي القديم تلك المتواجدة بشمال شرق الجزائر في موقع عين النقا و صافية بورنان (Camps G. 1971, p.49)، فالتاريخ بمجمل مواقع الحوض الغربي للمتوسط تتراوح ما بين 5600 سنة إلى 3950 سنة ق.م (جدول 2) بالنسبة للفخار المضغوط، أما الفخار الكرديالي يظهر أكثر حداثة بحيث يتراوح تاريخه ما بين 4750 سنة ق.م و 3450 سنة ق.م.

يتميز الفخار النيوليتي التلي بالمواقع الساحلية الغربية بقاعدة مخروطية، و ندرة العنق حتى و إن وجد فهو قصير و ضيق، تحتوي الأواني على مقابض على شكل أذن الشد أو حلقات، الزخارف تقتصر على الجزء العلوي للأنية، فقرها من حيث العناصر المستعملة للتزيين كفخار مغارات وهران، أما بكلومناطة إضافة إلى التزيين و عناصر القبض كالتلي نجدها بمواقع وهران نميز أيضا بعض العناصر التي توحى بالتأثيرات الصحراوية، كغناها من حيث التزيين و استعمال المشط و نوعية العجينة الجيدة و بمواقع منطقة السعيدة جنوب وهران، إلى جانب تواجد قطع دون تزيين كالتلي عثر عليها في موقع بوهيشم بوهان قد تنتمي إلى فترة قديمة من النيوليتي التلي (Goetz Ch. 1967, p.59)، كما نجد الفخار المخدد بالمغرب الأقصى و يؤرخ بالألفية التاسعة بكهف تحت الغار و المزين بخطوط عمودية (Ballouche A & al. 2012, p.5503)، و أشكال من التزيين و العروض المتشابكة، و هو نوع يسبق الفخار الكرديالي الذي ينتشر في عدة مواقع ساحلية من المغرب الأقصى. الملاحظ ان في المنطقة التلية الشرقية للجزائر فخار خشن ذو مثبت من الكوارتز، رديء الحرق سوداء من الداخل و حمراء على سطحها الخارجي، و القطع لا تحتوي على تزيين (Morel J. 1969, p.160) كالتلي نجدها بمحطة عنق الذيب التي تبدو أنها من النوع البدائي تعود الى فترات بدائية من النيوليتي، كما نجد القطع الفخارية المتواجدة بموقع مغارة قلدمان ببجاية و التي حضت بدراسة دقيقة (Kharbouche F. 2015, P.321) منها ثلاثة أنواع صنفت حسب سمك القطع السميكة و المتوسطة و الرقيقة، قاعها عامة مخروطي الشكل تحمل عناصر القبض على شكل اذن او حلقات، أما التزيين نجد أشكال خطوط متوازية (صورة 1) و على اشكال هندسية كالتزيين إلى جانب

التنقيط و الحزز، أما عناصر التزيين استعملت منها أدوات عظمية و أغصان النباتات و اليد و هو نوع يشبه فخار المواقع النيوليتية الساحلية الغربية.

التاريخ / ق.م	الكرديال	التاريخ ق.م	الفخار المحدد	
-5570 -4750	Chateauneuf-	3980	Roucadour-	فرنسا
-4590 -4450	Abris jean-- cros			
-4830 4590	Gazel-			
4450	Baume de- Montclus			
-4750 4000	Abris saint-- Mitre			
3275	Unang-			
		5350	urrachiagiu-	كوسيكيا
-4670 4315	Coveta de- l'or			اسبانيا
-4530 4270 3450	Arénecondide- Pertusello-	5600 4610 4470 4247	-Grotte della Madonna -Leopardi -Romito -Grotte dei Piccioni	ايطاليا

	Site marocain	5550	-Ain Naga	إفريقيا الشمالية
		5020	-Safiet bou Rhenan	
-6400	-El Khril	4730	-Cimetière des	
5950		-3950	Escargots	
	-Grotte des	3450	-Khanguet si	
-6900	doles	-3910	Mohamed Tahar	
4920		3900	-Dar es Soltan	
-5600	-Hassi Ouenzga	3900	-Brezina	
4900		3300	-Columnata	
	-Kaftaht el	3770	-Damous el Ahmar	
-5920	Ghar			
4800				

جدول (2): كرونولوجيا الفخار التلي بحوض الغربي للمتوسط (بتصرف)

الصناعات الحجرية

تتميز الأدوات الحجرية بكثرة النصيلات ذات الظهر خاضية توشي بتواصل للحضارة الإيبيرومغربية، الى جانب تواجد القطع ذات الخزوز و المسننات، قلة القزميات الهندسية و رؤوس السهام و المثاقب (Aumassip G. 2001, p.147) كما نجد الحجر المصقول، أدوات الرحي و الصناعة العظمية مع استعمال المغرى.



صورة (1): فخار النيوليتي التلي شرق الجزائر (مغارة قلدمان)

عن (Kharbouche F. 2015, p.323)

الأوجه الثقافية المحلية لما قبل النيوليتي

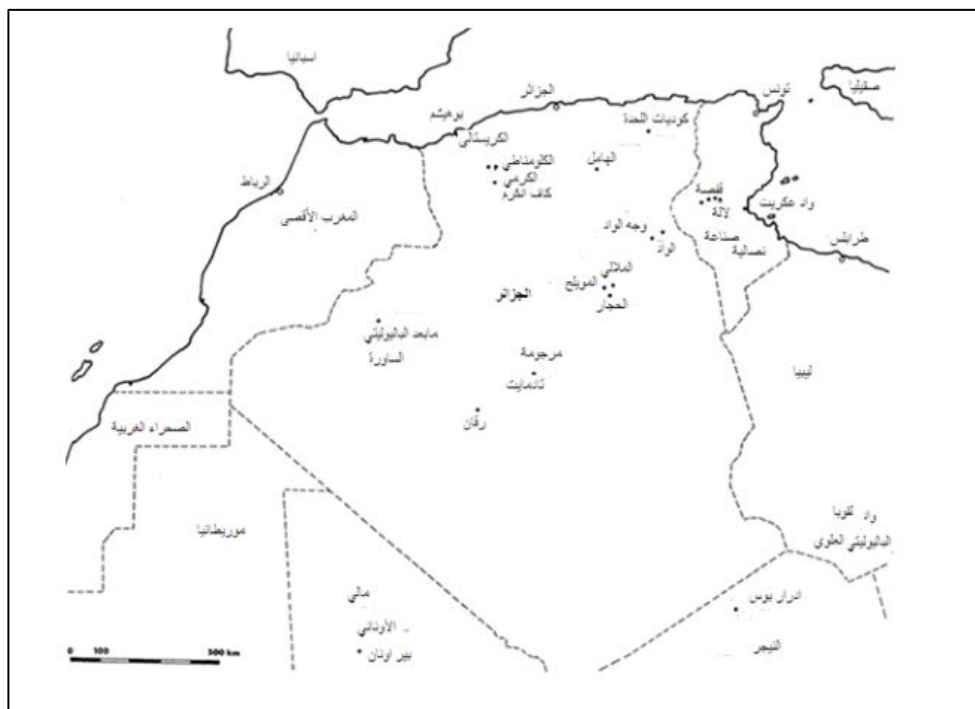
لم يعقب النيوليتي العصر الحجري القديم المتأخر مباشرة بل توجد بينهما فترة تختلف في مدتها من قطر إلى آخر، الفترة المعروفة بما قبل النيوليتي ببلاد المغرب، والتي تميزت بمنجزات حضارية مهمة كانت بمثابة فجر حضارة العصر الحجري الحديث.

نشير الى هذه الأوجه الثقافية المحلية التي تلي فترة ما بعد الباليوليتي، خارج عن إطار الوجه الثقافي الإيبيرومغربي و القفصي سواء زمنيا أو جغرافيا، تطورت ثقافات ذات اتساع محدود ومعرفة قليلة لكن قد

تكون ذات أهمية في تفسير النيوليتي بالجزائر و لها دور فعال في إدماج النيوليتي بشمال إفريقيا، كرونولوجيا تتواجد ما بين الإيبرومغربي المتطور و القفصي، و أخرى متزامنة مع القفصي العلوي. مجموعة من هذه المواقع (شكل 5) تلك الموجودة جنوب تونس و التي تتشابه في منتوجها الصناعي مع الصناعة الإيبرومغربية، وأخرى متمركزة بالصحراء تقترب من الصناعة القفصية، تتميز الأولى خاصة بنسبة معتبرة من النصيلات ذات الظهر المجلد، حسب الباحث قوبر (Gobert E.G. 1956, p.577) ميزها عن المجموعة الإيبرومغربية بحيث انعدام النصيلات الحادة ذات التهذية القريبة و المحت القزمي، و النصيلات ذات الحد ثلاثي السطح و النصيلات الحادة ذات الظهر الجزئي مهذبة بجزئها العلوي، أما الثانية تتميز بالنصيلات ذات الظهر، تتمركز أغلبيتها شمال شرق البلاد بالمناطق القفصية، كما نجد البعض منها شمال الصحراء كموقع لبيض، الحجار و حاسي المويلح (Pallary P. 1922, p.424) و التي تحتوي على طباقية تفصل بين صناعات النيوليتي و العصر الحجري المتأخر بطبقة رملية عقيمة.

- الملالي

عبارة عن صناعة حجرية عثر عليها في موقع برج ملالة في هضبة قرب سبخة ورقلة (Camps G. 1974a, p.200)، حاسي المويلح وجه ثقافي محلي يسبق النيوليتي يتميز خاصة بالنصيلات ذات الظهر، القزميات الهندسية و المحت القزمي كما يتميز بوجود قشور بيض النعام المزين (Aumassip G. 2001, p.124) اרכת الفترة بحوالي 7125 و 6950 سنة ق.م.



شكل (5): خريطة الأوجه الثقافية المحلية لما قبل النيوليتي

ببلاد المغرب و الصحراء (Camps G. 1996, p. 265)

- عين الحجار

يحتوي الموقع على عدة نقاط مكث للإنسان حيث يؤرخ هذا الوجه الثقافي بموقع 6710 بحوالي 6160+150 ق.م تأريخ مماثل للذي نجده بعين النقا و عين قطارة و حاسي المويلح.

يتواجد الموقع قرب عين مليلة وجه ثقافي محلي يشبه الكلومناطي و موقع الزند لكنه أقدم منهم، حسب التواريخ فهو ينتمي إلى الفترة الإنتقالية المعروفة بفترة ما قبل النيوليتي، يحتوي الموقع على مستوى القفصي العلوي يليه مستوى يحتوي على أدوات ما بعد الباليوليتي المتطور (Camps G. 1974a, p.203) يعود تاريخه الى حوالي 6590 + -150 سنة ق.م (Roubet C. 2008, p.4287)، كما نجد موقع مماثل له ببوسعادة موقع الهامل، حيث يشكل الموقع تطابق للمستويات السفلية ذو أدوات من التقصيب النصيلي، يليه طبقة عقيمة من 1.60م تفصله بالمستوى الإيبيرومغربي و المؤرخ ب 7590+ -120 سنة ق.م يعلوه مستوى ايبرومغربي متطور، أما الأدوات الأكثر حداثة تنتمي إلى الوجه الثقافي النيوليتي.

265

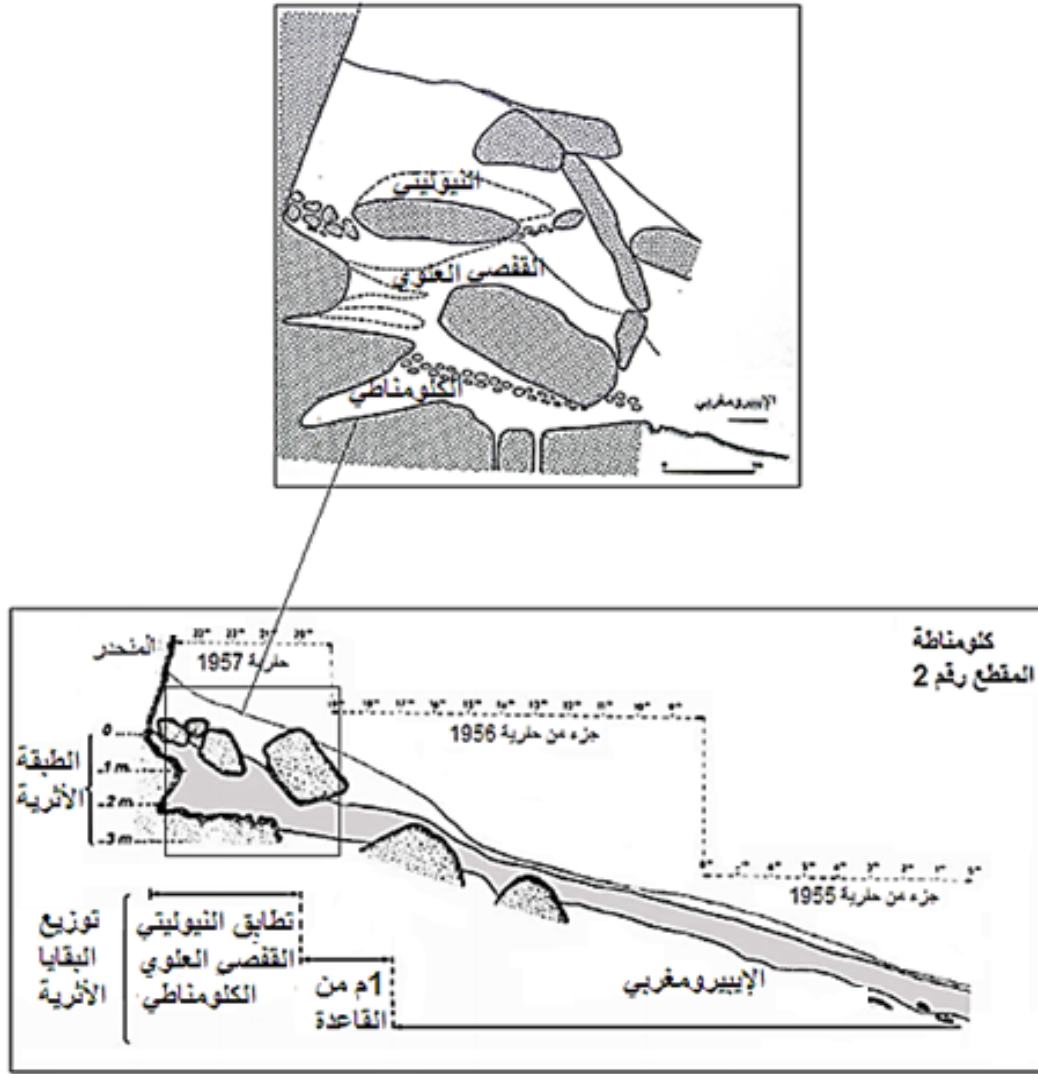
- السفلي اصفر اللون مؤرخ ب 6330 و 5970 سنة ق.م غني من حيث القزميات الهندسية و قطع ذات الحزة و حجر الرحي و قشور بيض النعام و الفخار.
-المستوى العلوي اسود اللون أرخ ب 5280 سنة ق.م و تكثر فيه رؤوس السهام، المسننات، القزميات الهندسية و الفخار و نميز غياب النصال ذات الظهر كما نجد مواقع مجاورة له مماثلة كموقع البيظتان (Aumassip G. 1986a, p.400) و موقع XO La touffe قرب حاسي المويلح.

- الكلومناطي

يوجد هذا الوجه الثقافي بموقع كلومناطة بتيارت تم التعرف عليه بملجأ صغير على مساحة ضيقة أسفل المنحدر (شكل 6)، أرخ المستوى النيوليتي ب 5850 و 5250 سنة ق.م، يعتبر من المواقع المميزة باحتوائه على طباقية مهمة و في فهم كرونولوجيا ما بعد الباليوليتي، حيث نجد المستوى الإيبيرومغربي بمقدمة المنحدر الذي يتكون من الحجر الرملي، يليها المستوى الكلومناطي الذي يتميز بكثرة القزميات من نمط النصف الدائري و المحت القزمي، النصال ذات الحواف المجلدة الصغيرة و غياب أشباه المنحرف (Camps G. 1974a, p.203)، يليه المستوى القفصي العلوي (وجه ثقافي تبارتي) يعلوها النيوليتي الذي يمزج بين سمات القفصي العلوي و النيوليتي التلي و الصحراوي. يتميز المستوى النيوليتي من حيث الصناعة الحجرية باختفاء النصال ذات الظهر بعدما كانت بنسبة 65% تصبح 10%، و تكثر النصال ذات الحزة و القزميات الهندسية، مع وجود الفخار (Cadenat P. 1951, p.53) و غياب الحجر المصقول.

- موقع الزند

تتواجد المحطة شمال غرب تيارت تتميز أدواته بتشابهها بالمستوى الكلومناطي في نسب النصيلات و في مجمل الأدوات بصفة عامة، فالطبقة الوسطى و العلوية للموقع (Camps G. 1974a, p.99) تمثل مستوى ما قبل النيوليتي الذي يتميز بأدواته الحجرية القزمية من بينها الأزاميل، قلة الأدوات ذات الحافة المجلدة، و الحزات ، شبه المنحرف و المثلثات.



شكل (6): ستراتيجرافيا موقع كولمناطة عن (Cadenat P. 1955, p.270)

- الكرمني

يتواجد الوجه الثقافي الكرمني بكاف الكرم جنوب شرق التيارات يتميز بمركب صناعي هام تتمثل أدواته خاصة في المحكات بنسبة عالية (Aumassip G, 2004, p103) أكثر من النصيلات ذات الظهر إلى جانب القزميات الهندسية.

- الكريستالي

يعتبر من أهم المواقع التلية الغربية سمي نسبة إلى موقع كريستال شمال-شرق مدينة وهران بجبل بوهيشم (قرية كريستال)، يحتوي الموقع على عدة نقاط أثرية تنتمي إلى الباليوليتي الأوسط و النيوليتي، في إحدى هذه النقاط يوجد الوجه الثقافي الكريستالي (Roubet C. 2008, p.4287) ينتمي هذا الوجه الثقافي إلى النيوليتي القديم باحتوائه على فخار غير مزين (Goetz Ch.

(p.59, 1967)، الباحثة روبي تشير إلى أنه وجه محلي منفرد ينتمي إلى فترة ما قبل النيوليتي و يشبه محتوى كودية كيفان اللحظة باحتوائه على أدوات قزمية كثيرة و قشور بيض النعام المزينة بأشكال هندسية.

التأثيرات النيوليتية الحضارية و الثقافية

يعتبر أصل النيوليتي التلي محل تساؤل بين الأصل المحلي النموذجي و الأصل الخارجي سواء الصحراوي او الخاص بالمناطق المجاورة لحوض المتوسط، بمعنى البحث و التعرف عن أصل الانتشار و توسع العصر الحجري الحديث في المنطقة التلية، تم التعرف على بعض التيارات التي ساهمت في انتشار عناصر من الفترة النيوليتية من خلال البقايا الأثرية منها الصناعات الحجرية و بعض قطع الفخار...الخ.

التأثيرات الداخلية

تخص العلاقات التي برزت خلال النيوليتي بين الجماعات من الجهة الشرقية و الجنوبية.

التأثيرات الداخلية الشرقية

تظهر التأثيرات من الجهة الشرقية من خلال بعض البقايا الأثرية كالأدوات الحجرية مثل النصال من السلخس الأبيض التي تدل على حركة واسعة نشيطة للإنسان التي عثر عليها بالداموس الأحمر بتبسة و التي قد تكون جلبت من الصحراء (Reygasse M. 1931, p.53)، كما تبدو من خلال الدراسات حركة بشرية من الجهة الشمالية الشرقية للجزائر بعد اجتياح الإنسان القفصي لمناطق تواجد المشتويين، لينحصر وجودهم شيئا فشيئا في المناطق الشمالية الوسطى و الغربية خلال النيوليتي مع ممارسات ثقافية (Balout L. 1954, p.174) جديدة، بتأثير الوجه القفصي و أخرى كالتى عرفها خلال الفترة الإيبرومغربية كطقوس الدفن.

التأثيرات الداخلية الجنوبية

رافقت مرحلة الانتقال الى النيوليتي في حوالي 10.000 سنة ق.م في صحراء شمال إفريقيا تغيرات في العديد من الجوانب أبرزها انتقال الإنسان إلى نمط معيشي جديد، مرحلة الإنتاج المتمثلة في الممارسات الزراعية و استئناس الحيوانات إلى جانب انتشار مواقع اقامات الإنسان على شكل جماعات تحت ظروف بيئية ملائمة.

نحاول في هذه النقطة التطرق إلى نماذج من التواصل الحضاري الذي يربط الساحل الغربي الجزائري والصحراء خلال العصر الحجري الحديث، باعتبارهما منطقتين جغرافيتين متميزتين سواء من حيث المناخ والتحركات البشرية التي صاحبتهما، او من حيث المخلفات الأثرية التي تبرز التأثير المتبادل بين المنطقتين.

تتمثل هذه العلاقات بالخصوص في التشابه الموجود بل وأحيانا التطابق التام بين الأدوات الحجرية التي تم العثور عليها في عدد من المواقع سواء بالصحراء أو بالمناطق التلية.

تعتبر منطقة تيارت خط عبور و التقاء لمختلف الأوجه الثقافية حيث أنها جد غنية بالبقايا الأثرية التي تعطي لنا دافع جديد للدراسات في ما قبل التاريخ (De Bayle des Hermens M.R. 1963, p.90)، نجد بمغارة لواد سعيدة بقايا من قواقع الإسقلوب الغير مثقوبة الشيء الذي يوحي إلى تواجد علاقة بين سكان جنوب منطقة وهران و إنسان مغارات وهران القريبة من البحر (Doumergue F & Poirier M. 1894, p.25). أدوات رؤوس السهام تبين التأثيرات الجنوبية و العلاقة بين المنطقتين، و التي عثر عليها في بعض المواقع الساحلية منها الجزيرة المسطحة (Vuillemin G. 1954, p.64) وبموقع عين قدارة، مغارة نوازو، مغارة سكان الكهوف، الحصن الإسباني، الكوارتل، كريستال و بخروبة رؤوس السهام معظمها قطع ذات حد قاطع عرضي و تحمل عنق (Camps G. 1966, p.136) هذا بالإشارة إلى المسافة التي قد تلعب دور في الفصل بين الأوجه الثقافية (Aumassip G. 1987, p.590)، و التقنيات التصنيع التي توضح أنها من أصول و فترات مختلفة، فالعلاقة التي نميزها في قطع من الرؤوس السهام (Balout L. 1955, p.102) التي يبدو أنها من أصل صحراوي جلبت من طرف جماعات بشرية عبر الأطلس الصحراوي إلى المنطقة التالية. فترة النيوليتي التالي تعود إلى الألفية السابعة و ينتشر في معظم المناطق الساحلية خلال الألفية السادسة (Guilaine J. 1976, p.54) أما النيوليتي الصحراوي أرخ بكتلة الأير ب 9370+ -130 سنة ق.م (Roset P. 1982, p.205)، فالتنقلات و التبادلات تتجلى لنا في بعض البقايا الحيوانية كأنواع القواقع البحرية مثل القوالب و المحار التي عثر عليها في مواقع صحراوية، كحاسي جمل جنوب ورقلة كما أشار إليه الباحث بلاري ان الإنسان يجلب ابتكارات صناعية من ثقافات أخرى.

وصلت الظاهرة النيوليتية إلى منطقة وهران من خلال التبادلات في الصناعات بين الجماعات من مختلف الاتجاهات، خاصة من المناطق الجنوبية و التي لها أثر ملموس، سواحل هذه المنطقة تعتبر منطقة ملتقى التأثيرات الأوربية و الصحراوية، كما يمكن افتراض تطور النيوليتي من الجهة الغربية الى الشرقية باتباع الكرونولوجيا (شكل 7) الحضارة الإيبيرومغربية تؤرخ بين 21.00 الى 10.800 سنة ق.م حيث عرفت بموقع طافورالت قبل الألفية 22 إلى غاية الألفية الثامنة بموقع الهامل (Aumassip G. 2004, p.232)، بينما تؤرخ بالمناطق الشرقية ب 14.000 ق.م و 10.000 ق.م، وهذا يعني أن الحضارة الإيبيرومغربية في غرب شمال إفريقيا أقدم من التي توجد بالمناطق الشرقية، فالتأثيرات تتجه تدريجيا من الغرب إلى الشرق حتى تصل منطقة ليبيا ربما حتى حواف واد النيل حسب بقايا الأدوات الحجرية المتمثلة في النصيلات، هذا الوجه الثقافي الذي يعتبر كقاعدة النيوليتي بالمناطق الشمالية التالية، أما في الصحراء لم يعثر على بقايا تشير إلى وجود هذه الحضارة فالتساؤل عن هذا الوجه الثقافي في الصحراء يبقى محل نقاش، هل هي حضارة مغربية لا وجود لها في الصحراء أم أنها متواجدة ولكن المنقبين لم يعثروا عليها بعد؟ لحد

الآن تشير الأبحاث إلى عدم وجود هذه الحضارة في الصحراء عكس الحضارة العاترية، قد تكون في البداية العلاقات بين الصحراء وشمال أفريقيا تنتقل من مسار عمودي إلى مسار أفقي، أي من علاقات شمالية-جنوبية و جنوبية- شمالية إلى علاقات غرب- شرق و غرب-جنوب، أي أن العلاقات التي كانت صحراوية في البداية انتقلت خلال الفترة العاترية إلى علاقات شمالية - جنوبية لتصبح خلال الفترة الإيبيرومغربية علاقة بين مناطق شمال إفريقيا فقط.

رغم اقدمية النيوليتي بالصحراء لا يعني أن أصل النيوليتي التلي ينحدر منه، لكن يمكن فهم العوامل المؤثرة و التي ربما ساعدت على تطوره وديناميكيته التي يمكن إتباعها في تغيراته البطيئة، فالصحراء لعبت دورا هاما في العلاقات خاصة منها الشمالية الشرقية كالتى نميزها بموقع عبد الدهيم جنوب غرب العراق الكبير (Reygasse M. 1925, p.17) يبين الدور الهام في العلاقات بين النطاقيين التلي و الجنوبي عبر الأطلس الصحراوي.

التأثيرات النيوليتية الخارجية

التأثيرات الأولية التي تلفت الإنتباه في نوع البقايا الأثرية منها بقايا الفخار المطبوع و الكرديالي، و مادة الأوبسيديان التي انتشرت خلال النيوليتي بالمناطق التلية لبلاد المغرب، بالنسبة للجزيرة الإيبيرية غربا و عبر جزر جنوب ايطاليا شرقا.

التشابه في البقايا التي تميز البلدان المجاورة من مصر، ايطاليا (Modestov V. 1907, p.7) و اسبانيا (Pallary P. 1907, p.28) والتي تفسر العلاقة الموجودة بين الشعوب.

تأثيرات الحوض الشرقي للبحر المتوسط

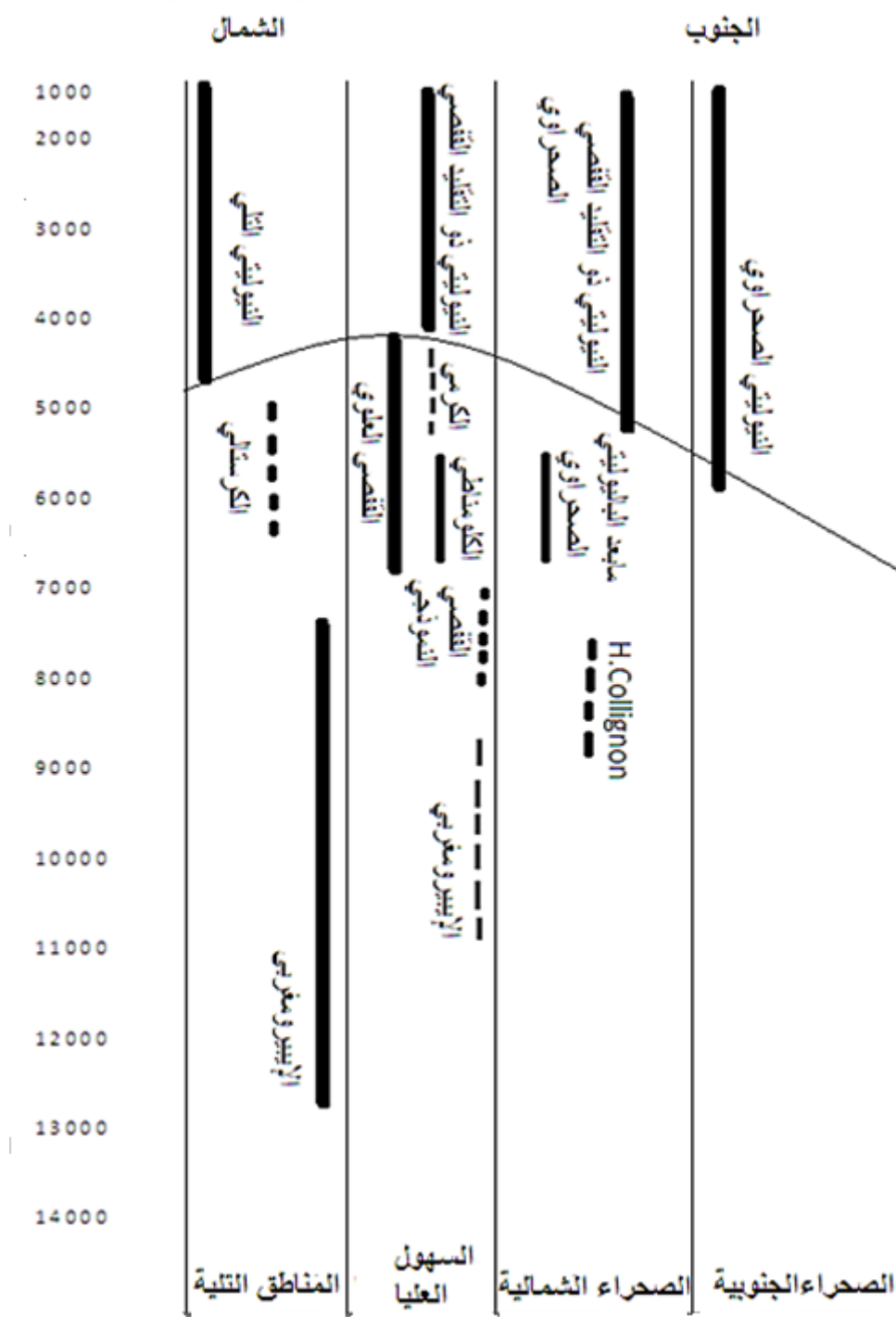
تحتاج المناطق الغربية من حوض المتوسط موجات ثقافية و من بلدان الحوض الشرقي للبحر المتوسط، التي قد تكون شرقية برا عبر قناة السويس أو بالإبحار عبر المضائق و الجزر الصغيرة (Guilaine J. 1994, p.90)، و يبدو أن أهم نقاط انتشار حضارة النيوليتي صوب جنوب ساحل البحر المتوسط كانت الطريق الشرقي للبحر و لا سيما من سوريا و قليقيا نحو كريتو مالطة و جنوب ايطاليا و صقلية و جنوب فرنسا و الساحل الشرقي لإسبانيا، حيث كانت المناطق الشمالية لبلاد المغرب تستقبل مادة الأوبسيديان من الجزر المجاورة لتونس (Camps G. 1983a, p.172) منها جزر Pélagie و جزر مالطا على بعد 100 كلم من صقلية و التي أرخ بها أقدم مستوى نيوليتي ب 4190±160 سنة ق.ح اما أوبسيديان سردينيا الذي يعود الى النيوليتي القديم أرخ بحوالي 7600±180 ق.ح، كانت تستعمل مادة الأوبسيديان التي تجلبه من باتيليريا و هذه الأخيرة تمول للجزر المجاورة كجزر البليار و سردينيا و كورسيكا و السواحل الشمالية الغربية لإفريقيا منها تونس (شكل 8)، حيث تم العثور بموقع كاف حامدة على قطع من أدوات تأرخ بالنيوليتي القديم بحوالي

7445-125 ق.ح و 5495-195 ق.م (Camps G, 1974b, p.270) وموقع بمنطقة هرقله (صورة 2) أرخ بحوالي 5270-140 ق.ح، كما نجده بخلزونييات النيوليتي ذو التقليد القفصي بتبسة شرق الجزائر و في بعض المواقع الساحلية كعين الخيار و المرسى، إلى جانب هذا التبادل نشير أن الإنسان قد استعمل الإبحار للتنقل منذ النيوليتي القديم.

نجد عناصر أخرى إلى جانب مادة الأوبسديان، الفخار حيث أن استخدام الآنيات الفخارية بين المجتمعات ليس أمرا شادا في العالم القديم في الواقع قد تكون هناك أدلة على مسارات دخول الفخار الغير محلي إلى بلدان المغرب، منه المطبوع الذي عرف جنوب ايطاليا دون ارتباطه بمعرفة الزراعة و التي من شأنها تطرح تساؤلا حول مسار دخولها و تأثيراتها التي يحتمل أن تكون من بلاد الشرق الأوسط عبر الجزر لتصل إلى تونس،(Vigne J.D. 2011, p.74) و عبر مصر من أرض النوبة إلى الصحراء ثم نحو المناطق التالية.

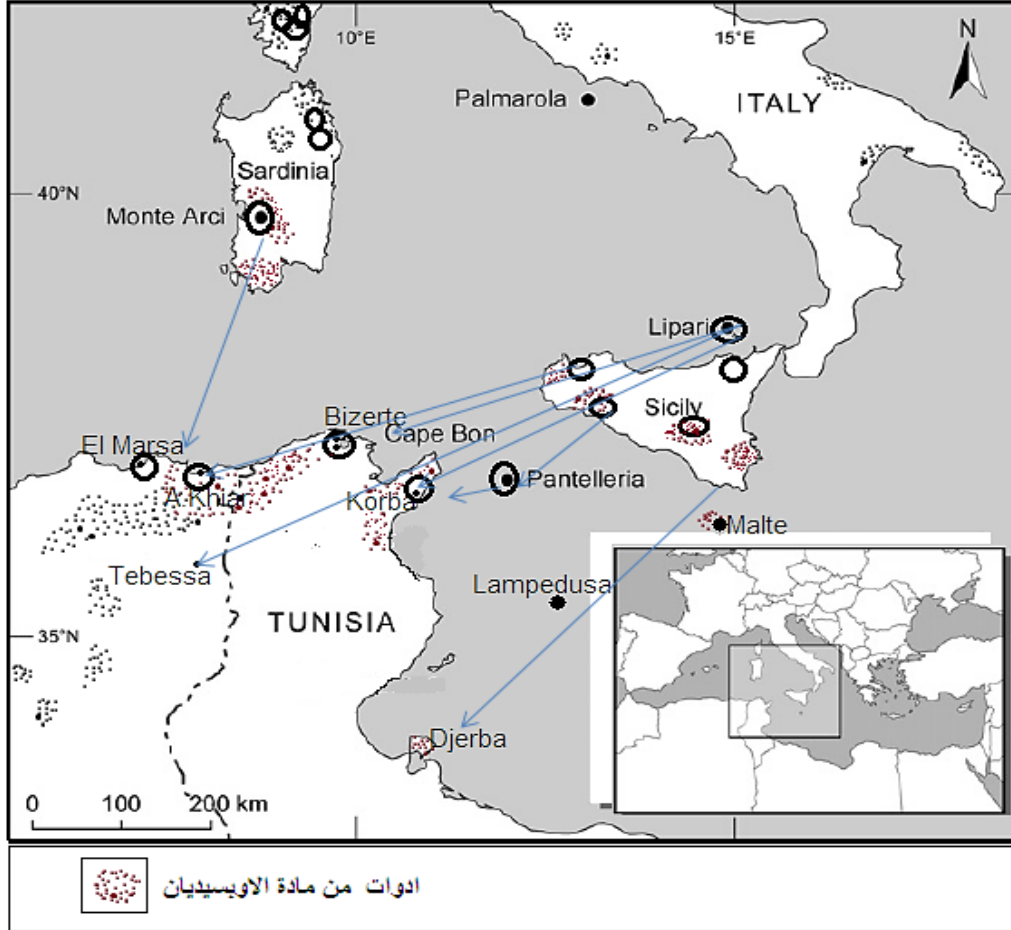
التيار الشرقي من النيل هو الذي نجده في مواقع الخلزونييات دون احتوائه على عنصر الفخار(Balout 1955, p.463) مع وجود بعض الأدوات كروؤوس السهام و الفؤوس المصقولة، كما يتضح الأصل المصري في بعض تقنيات تصنيع الأدوات الحجرية

كاستعمال التهذيبيات الجميلة الشبه متوازية و وجود قواقع البحار الدافئة منها *Pectunculus violasceus*, *Columbella rustica*, *Nassa gibbosula*, *Conus*, *Cyprea moneta* التي عثر عليها في عدة مواقع صحراوية بموقع حاسي الجمل بورقله *Spatha cailliandi* و الذي قد كون مصدرها من البحر الأحمر(Aumassip G, 2001, p161) و حجر الجاد الصلب.



شكل (7): كرونولوجيا حضارات ما بعد الباليوليتي و ما قبل النيوليتي
ببلاد المغرب (Camps G. 1968, p.619)

منطقة بلاد المغرب عرفت هجرات الإنسان في فترة النيوليتي منهم القفصيين الأوائل الذين أتوا من الشرق الأوسط المعروفين بالناطوفيين في حوالي 6000 سنة ق.م (Camps G. 1974a, p.190) حيث نجد تطور في نمط معيشتهم بامتزاج النوعين الإيبيرومغربي و فجر المتوسطين (Roubet C, 2006, p441) الذين عرفوا الاستئناس ابتداء من 7500-5000 سنة ق.م.



شكل (8): أهم نقاط توزيع مادة الأوبسيديان نحو شرق بلاد المغرب (بتصرف)



صورة (2): قطع من نواة من مادة الأوبسيديان من منطقة هرقله

(Mullazani S & al. 2010, p.2529)

2-2- تأثيرات المناطق الساحلية الغربية لحوض البحر المتوسط

عرف النيوليتي التلي اتصالات ثقافية مع شبه الجزيرة الإيبيرية منذ الألفية الخامسة (J. Despois, 1957, p. 456)، فالفخار من الدلائل الواضحة في التأثيرات ما بين المناطق بالنسبة لبقايا هذا العنصر في شمال غرب الجزائر عثر على قطع من الفخار الريفي الذي تطور في الجهة الغربية من البحر المتوسط في أواخر الألفية الثالثة ق.م حيث عثر عليه في مغارة واد سعيدة (F. Doumergue & Poirier M. 1994, p. 110) و غار أم الفرنان (صورة 3) كلا من القطعتين تمثل خصائص مختلفة مقارنة بالفخار المحلي هذا ما يبين انه لم يصنع في الموقع الى جانب التزين الذي يختلف عن المحلي، هذا النوع يدل على التبادل بين المغرب و جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية (Aumassip G. 1971, p. 161)، عثر على هذه القطع في مواقع تبعد ب 150 كلم من الساحل فهذه البقايا تشير الى تطور علاقات التبادل (Camps G. 1974a, p. 316) بين المنطقتين في أواخر النيوليتي، لكن رغم الدلائل التي تشير على أن المنتج غير محلي إلا أنها غير كافية للتأكد من هذه العلاقة لأن مثل هذه القطع لم تتواجد بكثرة للتمكن من دراسات معمقة خاصة في الجهة الساحلية الغربية للجزائر، قد يكون تواجدها بالصدفة أو بالتواصل و العلاقات مع المغرب الأقصى، فانتشاره نميزه بكثرة على المناطق الساحلية للمغرب الأقصى (Koehler R.P. 1931b, p. 165) مجموعة من المواقع بما بقايا شقف الفخار الريفي كموقع مغارة الخريل، كاف تحت الغار و غار كحال (Jodin A. 1958, p. 564) كما أشار الباحث (Souville G. 1977, p. 572) و بمنطقة طنجة بدار السلطان، تيمارة، المنزه قرب الرباط، واد المالح و المرزق قرب الدار البيضاء هذه اللقى جلبت من شبه الجزيرة الإيبيرية من طرف إنسان ما قبل التاريخ (Glyn D & J.D. Evans, 1967, p. 59) فإتجاه انتشار و وصول القطعتين من الفخار الريفي إلى منطقة السعيدة عبر مناطق المغرب الأقصى.



صورة (3): الفخار الريفي ببلاد المغرب.
2-1 قطع مغارة واد السعيدة و مغارة ام الفرنان

3- وعاء دار السلطان بالمغرب الأقصى عن (Souville G. 1992, p.172)

بالنسبة للفخار الكرديالي لم يعرف في الجزائر إلا من خلال قطعة أثرية تتمثل في انية عثر عليها بمغارة الظهيرة بوهراة مع بقايا الفخار المخدد- (Jodin A, 1958- Koehler R.P, 1931- 1959) كما عرف النوع الكرديالي انتشارا واسعا بالمغرب الأقصى في منطقة طنجة و تطوان و بقاعدة المستوى السفلي لأشكار و الخريل.

يعتبر المغرب الأقصى كنقطة تواصل بين دول شمال غرب إفريقيا و شبه الجزيرة الإيبيرية فشعوب تلك الفترة كانت تتبادل منتوجاتها مع إيبيريا عبر مضيق جبل طارق، و يتضح ذلك في موقع أشكار و في طنجة بموقع الخريل (Jodin A. 1958, p.564) من خلال الفخار من النوع الكرديالي في تقنية الصنع و التزيين، بحيث عثر على أزيد من 500 قطعة مزينة بقوطة الكارديوم كالذي يتواجد بموقع Montserrat, Sarsa و بValence و Cap spartel و مقاطعة الاندلس بغرب طنجة، و بجزيرة Alboran و في موقع حاسي ونزة (Linstader J. 2003, 2004) كما يتجلى هذا

الإتصال بتزامن تواجد هذا الفخار و الذي يعود الى الألفية الخامسة بموقع Cueva de los بحوالي 4300-130 ق.م ما يتزامن مع الفخار المخدد بمقبرة الحلزونيّات (Camps G. 1977, p.74) و المؤرخ بالنيوليتي القديم حوالي 4730-300 ق.م.

خلاصة

يمكن استخلاص أن جذور الوجه الثقافي النيوليتي في شمال إفريقيا يعود إلى تأثيرات مختلفة، منها من منطقة الصحراء الكبرى مع بداية الانتقال وهجرات المجموعات البشرية نحو الشمال بعد الفترات الجافة التي عرفت المنطقة اضطّر الإنسان للرحيل نحو المناطق الرطبة، حيث توجهت البعض منها نحو الشمال إلى تونس والجزائر باكتساب خبرات عديدة في صناعة الأدوات الحجرية القزمية، واستعمال قشور بيض النعام كالتّي استعملت بموقع الداموس الأحمر بتبسة و خنقد سي محمد الطاهر بالأوراس و كلومناطة.

كل منطقة تحتوي على النيوليتي قائم بحد ذاته بمميزات محلية، كتواجد الفخار المموج بالصحراء و المؤرخ بالألفية الثامنة بمنطقة الهوقار (Camps G. 1969, p.120)، فالخصائص التي تخص كل مجموعة بشرية تتجلى في شكل البقايا كالفخار و في طبيعة المسكن من حيث التهيئة و في الطقوس و العادات، لا يمكن اعتبار النيوليتي كظاهرة انتشار و تأثير وحدها فقط دون الأخذ بعين الاعتبار الدور الإيكولوجي الخاص بكل منطقة الذي يسمح بالتعدد الثقافي.

نشير إلى أن الوجه الإيبيرومغربي الذي يقابل مرحلة نهاية الجليدية الأخيرة المنتشر على طول السواحل إلى غاية حوالي 10.000 سنة ق.م يختفي تدريجيا في الألفيات اللاحقة، و يبدو أنه كان قاعدة النيوليتي التلي خلال مراحل الأخير (Camps G. 1978, p.363)، فيمكن القول أن ظاهرة النيوليتي التلي تطورت ابتداء من ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر، بالإضافة إلى التيارات الثقافية المجاورة التي تتراجع شيئا فشيئا خلال الألفية الثالثة، فالبقايا الغير محلية بمنطقة وهران تدلنا على تأثيرات ناتجة من التبادلات سواء بالإبحار أو برا بالاندماج التدريجي لتقنيات النيوليتي المختلفة.

من خلال مجمل المعطيات و الملاحظات يمكن استنتاج طبيعة العلاقات بين المناطق التلية الغربية و المناطق المجاورة بجنوب غرب أوروبا خاصة منها منطقة اسبانيا، حسب ما أشار إليه الباحث L.Siret يوجد وجهين ثقافيين (Siret M.L. 1913, p.483) من النيوليتي منها فترة ما قبل النيوليتية و الفترة البرونزية، في مجمل بلدان حوض المتوسط و الوجه الأقدم يتميز بأدوات من السلخس صغيرة الحجم كالتّي عثر عليها في المواقع الأثرية الوهرانية، كما قد تكون هناك مجموعات بشرية في كلا من المنطقتين الجغرافيا تطورت خلال فترة النيوليتي و كل واحدة مستقلة عن الأخرى، و هذا التطور يصادف نفس الفترة بالتشابه الثقافي والتأقلم مع المحيط المتشابه و العلاقة بينهما ناتجة من التواصل بين المجموعات البشرية، المعطيات

الأنثروبولوجيا توضح لنا هجرات الإنسان في القديم سواء كانت من الشرق و الجنوب أو من الشمال ذلك يمكننا من التعرف على طبيعة تنقلات الشعوب.

التأريخ المعروف بالجزائر و التي تخص الحوض الشمالي الغربي للمتوسط تؤكد فكرة موجة نيوليتية تحتاج سواحل الجزائر في أواخر الألفية السابعة و الألفية السادسة ق.م (Guilaine J. 1976, p.31) النيوليتي الذي سمي بالموريطاني (Pallary P. 1922, p.372) يتشابه مع حضارة موقع El Garcel جنوب اسبانيا فكلًا من هاتان الحضارتان بشمال إفريقيا و شبه الجزيرة الإيبيرية، لها علاقة مرتبطة بين الإقليمين في حوالي الألفية الرابعة أو بداية الألفية الثالثة ق.م (Balout L. 1955, p.482)، بالإشارة الى التبادلات التي تمارس من أوروبا نحو شمال إفريقيا و التي تظهر في بعض الأدوات السوليتية أو الفخار الكرديالي و في مادة الأوبسيان او السبج.

يعود هذا التأثير إلى عملية الإبحار الممارس بالحوض الغربي للمتوسط خلال النيوليتي القديم ربما في فترة أقدم من ذلك لمعرفة دليل الإبحار يجب البحث في طبيعة هجرات الإنسان خلال الألفية السابعة ق.م في بعض جزر غرب المتوسط مثل كورسيكا و سردينيا اللتان كانت معزولتان عن باقي المناطق خلال الزمن الرابع.

فيما يخص الفخار المزين بقوقعة الكارديوم و الذي عثر عليه بمغارات تيطوان و سبتة (Koehler R.P. 1931, p.30)، يتميز بستايرغرافيا واضحة بتتالي الفخار الكرديالي بالقاعدة يلي الريف و في الأعلى الفخار الأملس، هذا النوع ناتج من تأثيرات شبه الجزيرة الإيبيرية باتجاه بلاد المغرب عبر مضيق جبل طارق (Souville G. 1972, p. 65)، بالنسبة للمنطقة المدروسة النوع الكرديالي منعدم ما عاد القطعة التي تم العثور عليها في مغارة الظهيرة (Aumassip G. 1971, p.161) مع بقايا الفخار المخدد و المتواجد بكثرة، الفخار النيوليتي بوهران له سمات فخار الأندلسي و هذا التشابه يعود إلى التقارب الموجود بين المنطقتين بسهولة الإبحار بين الإقليمين (Camps G. 1977, p.74)، بالإشارة إلى طبيعة هذه التأثيرات من خلال فخار المستويات IV و V بمغارة Murcielago المؤرخ ب 4300 و 4075 ق.م الذي يبدو متشابه مع فخار وهران، و انه متزامن مع فخار واد قطارة المؤرخ ب 4860+ -330 ق.م، (Camps G.& al. 1973, p.89) اذا كانت هذه المواقع متزامنة فيبقى السؤال المطروح من أي جهة كانت تمارس هذه التأثيرات؟ رغم سهولة الإبحار بين المنطقتين (Souville G. 1958, p.340) ما يثير الانتباه بمنطقة وهران عثر على قطعة واحدة من النوع الكرديالي رغم تواجد نماذج كثيرة منه (Souville G, 1972, p.66) على الحواف الجنوبية لمضيق جبل طارق بالمغرب الأقصى.

خاتمة

بلاد المغرب عامة و بحكم موقعها الممتاز و ما يتوفر عليها من مناخ مناسب بتنوع نباتي و حيواني، احتضن منذ العصر الحجري القديم انواعا بشرية افرادا و جماعات اتخذوه مستقرا. يمكن أن نستخلصها من خلال البقايا البقايا الاثرية التي تميز العصر الحجري الحديث و حصيلة المعطيات حول استقرار المجموعات الإنسانية الأخيرة التي عاشت من القنص وجني الثمار، قد عرفت مجتمعات إنسانية أولى و يتجلى ذلك من خلال البقايا الإنسانية و عملية الدفن في أماكن السكن وفي توزيع الأنشطة في المواقع خاصة منها المغارات الواسعة و المواقع على الهواء، ثقافة توحى بعملية النولة التدريجية والدخول في نمط معيشي يركز على الإنتاج كما توضحه بعض المعطيات الأثرية، خاصة منها الصناعات الحجرية التي تتسم عموما بصغر الحجم والحزوز التي تسود هذه القطع، هذا وفي إطار تحركات الإنسان بالانتشار و الاحتكاك الذي يندمج ضمن التطور الاجتماعي و الاقتصادي لهذه الجماعات البشرية.

قائمة المصادر والمراجع:

- Alimen (H). *Préhistoire de L'Afrique*, ed. Paris, Boubée, 1955, 578 p
- Alimen (H). *Présence humaine et paléoclimats au Sahara nord-occidental*, Recherches sur les grandes civilisations, synthèse n°6, ed.A.D.P.F, Paris, 1981, p.105-112.
- Arnal (J) & Guy(B). Contribution a l'étude de la poterie néolithique. In. *B. S. P. F*, t.48, n°11-12, 1951, p. 541-564
- Aumassip (G). La poterie préhistorique d'Oranie, d'après les documents déposés au musée Demaeght à Oran, *Libyca*, XIX, 1971, p. 137- 162.
- Aumassip (G). Civilisations préneolithiques des régions sahariennes, *Actes du VI congrès panafr. Préhist*, Dakar 1967, 1972, p.273-278.
- Aumassip (G). Le site de Ti-n-Hanakaten et la néolithisation sur les marges orientales du Sahara central. In : La néolithisation au Sahara : problèmes chronologiques, géographiques et paléoclimatiques. *Cahiers ORSTOM.Série Géologie*, 14 (2), 1984, p. 201-203
- Aumassip (G). *Le Bas-Sahara dans la préhistoire*, Éd. du Centre national de la recherche scientifique, Paris, 1986, 612 p.
- Aumassip (G). Le Néolithique En Algérie : Etat De La Question, *L'Anthropologie*, t.91, N°2, 1987, p. 585-622
- Aumassip (G). *L'Algérie des premiers hommes*, Ed. De La Maison Des Sciences De L'homme, Paris, 2001, p.224
- Aumassip (G). *Préhistoire du Sahara et ses abords au temps des chasseurs du paléolithiques*, Ed. Maisonneuve, Larousse , 2004, 362 p
- Aurenche (O) & Kozlowski (S.K). *La naissance du néolithique au Proche Orient*, Éditions Errance, Paris, 1999, 256 p
- Aurenche (O). La révolution néolithique dans le monde. Aux origines de l'emprise humaine sur le vivant, *Colloque international organisé par la Cité des sciences et de l'industrie et l'Inrap*, 3 et 4 octobre, 2008, <https://www.inrap.fr/le-neolithique-au-proche-orient-9083>
- Ballouche (A). Ouchaou (B) & El Idrissi (A). Néolithisation et néolithique ancien au Maroc, *Encyclopédie Berbère*, Peeters Publishers Louvain/Paris, t. 34, 2012, p.5499-5512
- Balout (L). *Préhistoire de l'Afrique du Nord. Essai de chronologie*. Arts et métiers graphiques. Paris. 1955, p.522.
- Balout (L). Les Hommes préhistoriques du Maghreb et du Sahara. Inventaire descriptif et critique, Paléolithique, Épipaléolithique et Néolithique. *Libyca*, t. 2, 1954. pp. 174-175.
- Balout (L). Le Peuplement Préhistorique De l'Afrique Du Nord,. In: *Annales De Géographie*, T. 66, n°357, 1957, p. 456-459.
- Barbaza (M). *Recherches sur l'Épipaléolithique en Languedoc et Catalogne*. Thèse de 3^e Cycle, E.H.E.S.S., Toulouse, 1981, 448 p
- Barich (B.E). La Série Stratigrafica Dell'uadi Ti-N-Torha (TadrartAcacus, Libia) – *Per Una Interpretazione Delle Facies A Ceramica Saharo-Sudanesi, Origini*, VIII, 1974, p.7-184.
- Bosch-Gimpera(P) La significación del neolítico circummediterráneo, *Pyrenae*, 1, 1965, p.21-30
- CADENAT (P). Deux faciès de l'industrie néolithique aux environs de Tiaret, *B.S.G.A.O*, t. 74, 1951, p. 35-40
- CADENAT (P). Nouvelles fouilles à Columnata- Campagne de 1954-1955: Compte rendu sommaire, *Libyca*, t. 3, 1955, pp. 263-285.
- Camps (G). Sur la valeur chronologique des pointes de flèches dites «sahariennes» du littoral nord-africain, in : *Congrès préhistorique de France-18ème session*, *B.S.P.F*, 1966, p. 135-142.
- Camps (G). Le néolithique de tradition capsien au Sahara. *Trav, De L'I.R.S*, t XXVI, 1967, pp. 85-96
- Camps (G). Tableau chronologique de la préhistoire récente du Nord de l'Afrique : première synthèse des datations absolues obtenues par le carbone 14, *B.S.P.F*, t. 65, 1968, p. 609-622
- Camps (G). Amekni, néolithique ancien du Hoggar, *Mémoires Du C.R.A.P.E*, t.X. Arts Et Métiers Graphiques, Paris, In-4, 1969, p. 230

- Camps (G). A propos du néolithique ancien de la Méditerranée, *B.S.P.F*, t. 68-2, 1971, p. 48-50
- Camps (G). Delibrias (G) & Thommeret (J). Chronologie des civilisations préhistoriques du nord de l'Afrique d'après le radiocarbone, *Libyca*, t. 21, 1973, p. 65-89.
- Camps (G). *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, Doin, 1974a, 373 p.
- Camps (G)., Tableau chronologique de la Préhistoire récente du Nord de l'Afrique. Deuxième synthèse des datations obtenues par le carbone 14, *B.S.P.F*, t.71, n°1. 1974b, p. 261-278
- Camps (G). Navigations et relations préhistoriques en Méditerranée, *Soc. D'études et de recherches préhistoriques des Eyzis*, n° 27, 1977, p. 69-76.
- Camps (G). Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara. In: *Revue Française D'histoire D'outre-Mer*, t. 65, N°240, 1978, p. 363-376.
- Camps (G). Elevage du mouton et premières navigations en méditerranée occidentale, *Actes Du Colloque International Du C.N.R.S, Montpellier, 26-29 Avril, 1983*, p. 164- 175
- Camps (G). *Le Néolithique méditerranéen. Techniques et genres de vie*, Edisud, France 1998, 95P
- Camps (G) & Camps-Fabrer (H). L'Épipaléolithique récent et le passage au Néolithique dans le nord de l'Afrique, *Fundamenta* (A/3), t. 7, 1972, pp. 19-59.
- Camps-Fabrer (H). *Matière et art mobilier dans la préhistoire nord-africaine et saharienne*, Paris, Arts et Métiers graphiques, 1966, p. 575.
- Clutton-Brock (T). *Animaux domestiqués des Premiers temps*, University Of Texas Press, Austin, V.47, N°3,1981, 208p
- Child (G) & Gordon (V). *Bronze age*, Ed Cambridge University, 1930, 272p
- Demoule (J.P). *Les origines de la culture: la révolution néolithique*, Éd. Le Pommier, coll. « Collège de la cité » n° 38, 2008, 124 p.
- De Bayle Des Hermens (M.R). Influence Sahariennes dans le néolithique de la région de Tiaret, Algérie, *B.S.P.F*, t.LX, 1963, p. 79-91
- Desideri (J). Bellivier (L).Binovec (G). Cervera (C). Deville (A). Grossu-Viziru (M). Piguet (C). Pretre (S.Y) & Sanchez (E). L'Andalousie Préhistorique, *Travaux pratiques de préhistoire régionale*, Université de Genève, 2012,137p.
- Despois (J). *Le djebel Amour*, Publication de la Faculté des. Lettres d' Alger. Ile série. T. XXXV. Presses Univ. de France, Paris, 1957,129 p.
- Doumergue (F) & Poirier (P). La grotte de l'Oued Saida, *B.S.G.A.O*, t. XIV, 1894, pp.105-127
- Dutour (O). Vernet (R) & Aumassip (G). *Le peuplement préhistorique du Sahara*, in : *Milieus, hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels*, Paris, l'Harmattan, 1994, 279p
- Fekri (A. H). Changement environnemental et dynamiques culturelles dans l'est Sahara et la Vallée du Nil de 8000 à 6300 ans Ca BP, *Colloque climats, cultures et sociétés aux temps préhistoriques, de l'apparition des hominidés jusqu'au néolithique. Académie Des Sciences*, 2004, p. 68
- Gautier (A). La domestication animale et les introductions d'animaux domestiques en Afrique au cours de la préhistoire. *Colloque Préhistoire Maghrébine*, 1980, p.11
- Gautier (A). The early to late Neolithic from Nebta and Bir Kiseiba, *Rev. The Archeology Of Nabta Playa, New York Luwer Academic*, 2001, pp.609-635
- Glyn (D) & Evans (J.D). *The Western Mediterranean* (Cambridge Ancient History Fascicle N°. 57, Cambridge University Press, 1967, 72p
- Gobert (E.G). Lames et lamelles en Afrique du Nord. *L'Anthr*, t. 60,1956, p. 578-580.
- Goetz (Ch). Quelques foyer-néolithiques à poterie unie des environs d'Oran, *B.S.P.F*, t. LXI, fasc. 2. 1964, p. 512-539
- Goetz (Ch). La station préhistorique de Bou Aïchem, Oran, *Libyca*, t. XV, 1967, p. 15-61
- Grebenart (D). Ain Nega, capsien et néolithique des environs de Messad (Depart de Medea), *Libyca*, t.17, 1969, p. 135-198

- Guilaine (J). La néolithisation des côtes Méditerranéennes de la France et de l'Espagne, *IX Congrès UISPP, Nice*, 1976, p.30-32
- Guilaine (J). *La mer partagée. La Méditerranée avant l'écriture, 7000-2000 Avant Jésus-Christ*. Hachette, 1994, p. 453
- Guilaine (J). *Villes, villages, campagnes de l'âge du Bronze*, Errance, Paris, 2008, 280 p.
- Guilaine. J, Briois. F et Vigne J.-D., Shillourokambos. Un établissement néolithique pré-céramique à Chypre, *Cahiers du Centre d'Etudes Chypriotes*. V. 41 2011. p.5-6.
- Hachid (M). *Les premiers Berbères entre Méditerranée, Tassili, et Nil*. Edisud, Alger, 2000-2001,p.316
- Helmer (D) *La domestication des animaux par les hommes préhistoriques*. Paris Masson, 1992,184p
- JODIN (A). Les grottes d'El Khril à Achakar , *Bulletin d'Archéologie Marocaine*, Tanger, t. III, 1958-59, p. 249-313.
- Kaache (B). L'origine des animaux domestiques au Maroc: état des connaissances, In: *Préhistoire Et Anthropologie Méditerranéennes*, t. 5, 1996, p. 85-92.
- khabir (A.M) & Abass (S.M.A). The wavy line and the dotted wavy line pottery in the prehistory of the central Nile and the Sahara-Sahel Belt, *African Archaeological Review* 20(1), 2003, p. 25-58
- Kherbouche (F). *Le néolithique tellien de la grotte de Gueldaman GLD1 (Babors ,Algérie)*. Archéologie et Préhistoire. Université Toulouse Le Mirail - Toulouse II, 2015, p.453
- Kilian. (C), *Au Hoggar, Mission de 1922*, Soc. Ed. Géogr. Marit. et Col, Paris, 1925, 190p
- Koehler. R.P, La grotte d'Achakar au cap Spartel. *Bull d'Archeo du Maroc*, t. I, 1931, p.44
- Leroy-Prost (Ch). L'industrie osseuse aurignacienne. Essai régional de classification : Poitou, Charentes, Périgord, *Gallia Préhistoire*, 18-1 1975, p. 75-156
- Linstädter (J). Le site néolithique de l'abri d'Hassi Ouenzga (Rif Oriental, Maroc), *Beiträge Zur Allgemeinen Und Vergleichenden Archäologie*, 23, 2003, p.85-138.
- Manen (C). Marchand (G) & Carvalho(A). Le néolithique ancien de la péninsule Iberique : vers une nouvelle évaluation du mirage africain ? In : *Actes du XXVIe congrès préhistorique de France, Avignon*, 2007, p 133-151
- Manen (C). Dynamique spatio-temporelle et culturelles de la néolithisation Ouest-Méditerranéene, *Acte Du Colloque Transition En Mediterranee*, 2011, p.405-413
- Marchand (G) & Manen (C). Le rôle du Néolithique ancien méditerranéen dans la néolithisation de l'Europe atlantique, *Coédition ADRAHP-PSO*, 2006, p. 213-232
- Modestov (V). Introduction à l'histoire romaine, l'ethnologie préhistorique, les influences civilisatrices à l'époque préromaine et les commencements de Rome, Paris *Félix Alcan*, t.XIII , 1-407 , 1907, p.473-474
- Morel (J). Contribution aux recherches préhistoriques dans le massif de l'Edough, *Libyca*, t. 17, 1969, p.154-167
- Mulazzani (S). Le Bourdonnec (F.X). Belhouchet (L). Poupeau (G). Zoughlami (J). Dubernet (S). Tufano (E). Lefrais (Y) & Khedhaier (R). Obsidian from the Epipaleolithic and Neolithic eastern Maghreb.A view from the Hergla Context (Tunisia). *Journal of Archaeological Science*, 37/10, 2010, p. 2529-2537.
- Pallary (P). Histoire des recherches palethnologiques dans le département d'Oran de 1843 à 1893. *Rev. africaine*, t. LI, 1907,p.256-278
- Pallary (P). Instructions pour les recherches préhistoriques dans le nord de l'Afrique, *Mem. De La Soc. Hist. Alg*, t. III, 1909, p. 46.
- Pallary (P). Note critique de la préhistoire Nord-Africaine, *Rev. Afric*, t. LXIII, 1922, p.372
- Reygasse (M). Les âge de la pierre dans l'Afrique du Nord, *Histoire et Historiens de l'Algérie*, 1931, p.37-70
- Renfrew. C, Bahn. P, *Archeology; Theories, Methods, And Practice*, College Edition, 1998, p. 637
- Roset (J.P). New data on the south saharian néolithisation problem: Air and Ténéré in Niger, XI, *I.N.Q.U.A congress*, Moscow, V.II, 1982, p.268

- Roubet (C). Evolution de l'outillage lithique du néolithique de tradition capsienne, *Acte Du Colloque International D'archéologie Africaine*, 1966, p.338-357
- Roubet (C). Nouvelles observations sur l'Épipaléolithique de l'Algérie orientale. Le gisement de Coudait Kifen Lahda , *Libyca*, t. XVI, 1968, p.55-101.
- Roubet (C). Les comportements de subsistance et symboliques des premiers pasteurs néolithiques du Maghreb Oriental Atlasique, *Comptes Rendus Palevol* , V.5, 2006, p.441-451
- Roubet (C). Kristel et le Kristelien. *Encyclopédie Berbère*, Edisud, t. XXVIII-XXIX, 2008, p.4287-4294-<https://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/124>
- Schen (A). Bollongino (R). Vigne (J.D). Tresset (A). Benecke (N) & Burger (J). La diffusion du bœuf domestique durant la transition néolithique, *Acte Du Colloque, Transition En Méditerranée, Ou Comment Des Chasseurs Devinrent Agriculteurs*, Museum De Toulouse. 2011, P.165-172
- Siret (L). Questions de chronologie et d'ethnographie ibériques, *Revue des Études Anciennes*, Paris, 1913, P.482-485.
- Souville (G). La céramique cardiale dans le Nord de l'Afrique, *Fundamenta*, t.17, 1972, p.60-71
- Souville (G). La civilisation du vase campaniforme au Maroc , *L'Anthropologie*, t. 81, 1977, 1977, p.561-577.
- Souville (G). Caf Taht el Gar, *Encyclopédie berbère*, Edisud, 1992, pp. 1706-1707. / <http://encyclopedieberbere.revues.org/1901>
- Thomas (J). *Understanding the Neolithic*, Ed Cambridge University Press as Rethinking Neolithic, 1999, 266 p
- Tixier (J). Marmier (F) & Trecolle (G). *Le Campement préhistorique de Bordj Mellala, Ouargla, Algérie*, Le Cercle de recherches et d'études préhistoriques, 1976, 60 p.
- Marmier (F) & Trécolle (G)., Étude de l'industrie du gisement d'Hassi Mouillah, région de Ouargla (Sahara algérien). Le matériel de broyage et les substances colorantes", *Libyca*, t.XX, 1972, p.137-150.
- Vaufrey (R). *Préhistoire de l'Afrique*, t. I, Le Maghreb, 1955, 458p
- Vaufrey (R). Note sur le capsien, *L'Anthropologie*, t.43, 1933, pp. 457-483
- Vigne (J.D). The origins of animal domestication and husbandry : A major change in the history of humanity and the biosphere. *C.R. Biologies*, 334, 2011, p.171-181
- Vuillemin (G). Fréquentation préhistorique des îles occidentales de l'Algérie, *Libyca*, t.II, 1954, p.63-78.
- Wendorf (F) & Schild (R). Nabta Playa and its role in north eastern African prehistory, *In Journal of Anthropological Archaeology* 17 (2), 1998, p.97-123.
- Willcox (G) & Allaby (R). Cultivation and domestication had multiple origins: arguments against the core area hypothesis for the origins of agriculture in the Near East. *World Archaeology. Special Issue, Debates in World Archaeology*, n°43, 2011, p.628-652.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى استكشاف درجات ومستوى سوء المعاملة الوالدية عند المراهق ، وكذا البحث في إمكانية تأثرها بمجموعة من المتغيرات ذات الصلة بالأم والأب والمستوى الاجتماعي والتعليمي لهما . لهذا الغرض صاغت الباحثة التساؤل التالي: ماهو مستوى الإساءة الوالدية من وجهة نظر المراهقين؟. اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي، كما استندت في جمع البيانات على مقياس الإساءة الوالدية من اعدادها ، حيث أجرى على عينة قوامها (1130 تلميذا) يتابعون دراستهم بثانويات التابعة للمقاطعة الأولى لولاية تيسمسيلت وتتراوح أعمارهم ما بين 15 إلى 17 سنة. خلصت الدراسة إلى النتائج التالية: يتمتع التلاميذ بمستوى يتراوح بين المتوسط-المنخفض من الإساءة الوالدية .

الكلمات المفتاحية: الإساءة الوالدية ، مستوى الإساءة الوالدية ، المراهق ، المستوى الاجتماعي للأب والام، المستوى التعليمي للأب والأم.

ABSTRACT

This study seeks to explore the degree and level of parental abuse in an educated adolescent as well as to explore the possibility of being influenced by a range of variables related to mothers and fathers and their social and educational level. For this purpose, the researcher formulated the following question: – What is the level of parental abuse from the point of view of educated adolescents? The researcher relied on the descriptive curriculum, and also based the data collection on the parental abuse scale, where he conducted a sample of 1130 pupils who were pursuing their studies at the first district of Tissemsilt and aged 15 to 17. The study found the following results: pupils have an average-low level of parental abuse.

Keywords : Parental abuse, parental abuse level, educated adolescent, father and mother's social level, father and mother's educational level .

1- المقدمة:

تشكل الإساءة الوالدية ظاهرة مرضية منتشرة في معظم المجتمعات، تشمل الذكور والإناث في كافة مراحل أعمارهم حيث تشير دراسات دولية إلى أن ما يقارب مليار طفل أقل من (18) سنة في العالم يعانون كل أشكال الإساءة وبدرجات متفاوتة من مجتمع لآخر ، باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والمعتقدات الثقافية وغيرها، وهو ما أكدته دراسة ابيروالين Aber and Allen (1987) ضمن مشروع سوء معاملة الطفل في جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، قارنت بين (91) من الأطفال المساء إليهم و(175) طفلاً عادياً من الطبقة الاجتماعية العالية، و(20) طفلاً من الطبقة الاجتماعية المتوسطة تتراوح أعمارهم بين (8-15) سنة، وتوصلت الدراسة إلى أن الأطفال المساء إليهم كانوا أكثر اعتمادية على الآخرين ، كما تبين أنهم يتمتعون بمستوى مرتفع من الإساءة . وتقدر منظمة الصحة العالمية أن (40) مليون طفل أعمارهم أقل من (15) سنة في العالم يعانون سوء المعاملة الوالدية بدرجات مرتفعة، ويحتاجون إلى رعاية صحية واجتماعية. (الزيود والعكروش، 2007 ، ص ص 229-231)

وعلى الرغم من الإساءة الوالدية تتم في مختلف أرجاء العالم، غير أن المعلومات الموثوقة عن حجم هذه المشكلة مازال ضئيلاً، ويقدر حجم ومستوى هذه المشكلة بقياس معدلات الوقوع أو بقياس معدلات الانتشار ، ويبدو أن لوقوع الإساءة الوالدية معدل موحد في الدول التي طورت هيئات متقدمة للخدمة الاجتماعية ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً تم تسجيل (12) ضحية لسوء المعاملة الوالدية من بين كل ألف طفل في (2012)، وكان هؤلاء الأطفال ضحايا لشكل واحد أو أكثر من أشكال الإساءة الوالدية ، كما يعاني سنوياً في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي (160.000) طفل من أذيات شديدة مهددة للحياة، ويتوفى منهم (1200) طفل بسببها ، أما بالنسبة للدول النامية ، فإن تسجيل حالات الوقوع أقل من تلك المسجلة في الدول المتقدمة ، ويعود السبب إلى عدم وجود جهات مسئولة عن تلقي التبليغات لعدم توافر الخدمات الاجتماعية الكافية في أغلب الدول النامية. (العسالي، 2015، ص ص 31-32). وأشار الاستقصاء الذي أجراه "المركز الوطني للإساءة الوالدية National Child Abuse " في الولايات المتحدة الأمريكية عام (2016) والذي بين أن هناك (180) حالة يتم التبليغ عنها يومياً من بين (1000) طفل، من هذه الحالات (2،4%) تعرضت لإساءة نفسية، و(6،7%) لإساءة جنسية و(8،10%) لإساءة جسدية، و(4،66%) للإساءة بالإهمال، تعرض منهم لإهمال طبي بنسبة (4،17%) ، وأشار المركز الوطني الأمريكي (2011) إلى ارتفاع نسبة وفيات الأطفال خلال فترة (1995-2007) من (3،33%) إلى (4،82%) بسبب الإساءة البدنية والإهمال. أما في بريطانيا فإن هناك (6000) طفل ضحية إساءة والدية عام (2016). وفي مسح آخر أجري في الهند أفادت

(36%) من الأمهات الهنديات بأُهن ضربن أطفالهن بأداة ما، و28% ضربنهن بقبضة اليد، و10% منهن ركلتهن، و(29%) جذبنهن من شعورهن (دمنهوري، 2006، ص ص 65-67). أما في الدول العربية تضيف بيانات منظمة الصحة العالمية أن (1,2) مليون طفل قد عانوا من بعض أشكال الإساءة سنة (2004)، وأوضح مسح أجرته اليونيسف في مصر أن (37%) من الأطفال اقل من (16) سنة أفادوا أن آبائهم ضربوهم أو ربطوهم بإحكام، وأن (26%) منهم أبلغوا عن إصابات مثل الكسور أما بالنسبة للأردن فقد سجلت بما الإحصائيات خلال الفترة (2000-2006) (نحو 2290) حالة شملت إساءات بدنية بليغة. وفي السعودية يتعرض الأطفال للإساءة النفسية بنسبة (33.6 %)، تليها الإساءة البدنية بنسبة (25.3 %) ثم الإهمال بنسبة (23.9) % . (احمد، 2011، ص ص 33-35)

وتعتبر ظاهرة الاساءة الوالدية في الجزائر من أخطر الظواهر المرضية التي تنخر جسد المجتمع، خاصة أن الكثير من المعطيات تشير إلى تفشيها وانتشارها المتزايد حيث أن مفهوم الإساءة في الأسرة الجزائرية تحول في بعض الأحيان إلى وسيلة للتربية والتنشئة الاجتماعية، وتزيد هذه الظاهرة خطورة في ظل ارتفاع نسبة عدد الأطفال من العدد الإجمالي للسكان حيث بلغ ثلثي عدد سكان الجزائر أي ما يقارب (9) ملايين و(600) ألف طفل اقل من (16) سنة، ما يعادل نسبة (30%) من المجموع السكاني، وهي في رأي المختصين نسب معتبرة تحتاج للرعاية والتكفل الحقيقي كونها جيل المستقبل. كما أن في الجزائر ظاهرة الإساءة الوالدية غير واضحة بالرغم من تواجدها كحقيقة فعلية في الحياة اليومية وهذا السكوت عن هذه الظاهرة راجع لمعيار المجتمع المحلي الصغير بالنسبة لتربية الطفل وخاصة فيما يتعلق الأمر باستخدام الوالدين للعقاب البدني او النفسي، فثقافة الأسرة الجزائرية تعتمد على أن الطفل خاصتها تفعل به ما تشاء ، وهذا ما قالت عنه الدكتور أمال بن دالي " أن هذا القانون قانون الصمت"، كان ولا يزال يجيم حول مشكلة الأطفال المساء إليهم . (Bouredji, 2018, pp22-23)

كما تشير الإحصائيات الى أن هناك (3000) طفل تعرضوا للإساءة سنة (2017) وهي نسبة عالية تنذر بالخطر من هذه الظاهرة التي يجب تداركها،

www.psychiatry.org/documents/munchaisen.htm.p.2 أما بالنسبة لإحصائيات سنة (2018) فقد سجلت الجزائر أكثر من (16000) حالة إساءة والدية، منهم حوالي (11000) ألف طفل ضحية عنف بدني. (Bouredji, 2018, p33). وفي نفس السياق أفادت دراسة "لوزارة التضامن الوطني" أنه تم تسجيل أكثر من (3124) حالة لأطفال تعرضوا لخطر جسدي ومعنوي على مستوى كل ولايات الجزائر، أغلبها خلال العشر أشهر الأولى من سنة (2009) ، منهم (2165) من الذكور و(1059) من الإناث. وارتفعت هذه النسب سنة (2014) إلى (6151) طفلا تعرضوا لمختلف أنواع سوء المعاملة منهم (3533) إساءة بدنية متبوعة بالاعتداءات الجنسية (663)

والإهمال(1000) وهذا ما يؤكد استفحال الظاهرة في الجزائر كل سنة. -www.ardres.74.ac
(grnbole.fer.(22/01/2021

ويجدر التنويه هنا إلى حقيقة مهمة، وهي أن معظم حالات الأطفال الذين يتعرضون لأشكال مختلفة من الإساءة، لا تتلقى أي رعاية من أي مصدر حكومي رسمي، وبالتالي لا يتم التبليغ عنها ورصدها وتوثيقها. وهذه حقيقة أكيدة، وخاصة بالنسبة لحالات الإساءة الجنسية وحالات الإهمال والاعتداء الجسدي «البسيط» التي لا تترك أثراً، ولا تحتل تلقي العلاج والرعاية الطبية في المؤسسات الصحية وبالتالي لا يتم رصدها وتوثيقها. وينطبق هذا أيضاً بصورة خاصة على كلما يتعلق بحالات الإساءة الجنسية، حيث أن مشاعر العار الحادة والسرية التي ترافق تلك الممارسات تمنع الأطفال والقصر الذين هم على علم بما يحصل، من التوجه لأي مؤسسة من مؤسسات الرعاية النفسية الصحية والاجتماعية، أو إلى الجهاز القضائي، وفي النتيجة لا يتم توثيقها ورصدها والتبليغ عنها. كما تجدر الملاحظة أيضاً أن ليس بالضرورة أن يتم توثيق كل حالة إساءة تتوجه إلى تلك المؤسسات، وبالتالي لا يتم التبليغ عنها للجهات المسؤولة (مثل الشرطة ومؤسسات الرعاية الاجتماعية)، التي من المتوقع أن تبادر بالتدخل للدفاع عن الطفل الضحية وحمايته وعلاجه، وملاحقة المعتدي قضائياً إذا احتاج الأمر لذلك). عبد اللطيف، 2008، ص 13-15.

وبما أنه يتم على الأغلب فقط توثيق الحالات الصعبة والحادة، التي بالإمكان إثبات أسبابها و/أو هوية المسيء، والتي تتجاوب وتنسجم مع التعريف القانوني والجنائي للإساءة الوالدية، حيث يقتصر هذا التعريف في أغلب الأحيان على الحالات الصعبة والحادة من الاعتداء) فإن تلك الإحصائيات الحكومية الرسمية لا تمثل إلا "نقطة من محيط" (سعد، 2013، ص 172). (ومقارنة بحقيقة حجم مشكلة الإساءة الوالدية في الكثير من دول العالم، والواقع في الجزائر لا يخرج عن هذا الإطار.

ولقد اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الإساءة الوالدية، وذلك الغموض الذي يحيط بهذا المفهوم، الذي يُعد من المفاهيم غير المحددة نظرياً وإجرائياً. حيث يشير البداينة (2002) إلى أن هناك مجموعة من العوامل المؤثرة في عملية تعريف سوء المعاملة الوالدية، يتمثل العامل الأول في تحديد الثقافة الاجتماعية للسلوكيات المقبولة اجتماعياً والسلوكيات المنحرفة، إذ أنه ما يقع ضمن المقبول اجتماعياً يتباين من ثقافة لأخرى وداخل الثقافة الواحدة، وأما العامل الثاني فهو يخص تغير وتبدل السلوكيات المقبولة اجتماعياً وفق الزمن، فقد تدل سلوكيات جديدة ضمن ما هو مقبول أو غير مقبول اجتماعياً من فترة لأخرى، فمثلاً سلوكيات التأذي المعتمد على الضرب المبرح في المدارس سابقاً أصبحت ممنوعة تربوياً الآن. وأما العامل الثالث فيتمثل في العرف والذي يُعد الإطار المرجعي للحكم على السلوكيات من حيث كونها سلوكيات مقبولة أو مرفوضة اجتماعياً حيث أن السلوكيات التي تلاقي إجماعاً اجتماعياً تقبل أو ترفض بناء على الإجماع الاجتماعي وليس بناء على معيار موضوعي آخر. (احمد، 2008، ص 26).

وعلى الرغم من أن الأطفال الصغار يمثلون أكثر الفئات العمرية تعرضا للإساءة الوالدية، إلا أن الخبراء يؤكدون على ضرورة الانتباه إلى أن المراهقين القصر غالباً ما يكونون أيضاً ضحايا لهذا النوع من العنف الأسري حيث تحدث أعلى معدلات العنف الجسدي بين مجموعتي الأطفال الرضع، والأطفال في سن المشي، تليها مجموعة المراهقين. وتعد المراهقة مرحلة مهمة في حياة الإنسان باعتبارها النواة الأساسية التي تحدد شخصيته حيث يشير الشربيني ومنصور (1998) إلى أن

"الخبرات الوالدية في حياة المراهق تترك أثراً كبيراً على أغلب مظاهر نموه الاجتماعي والانفعالي وحتى الجسدي، وتعد هذه السنوات من حياة المراهق فترة حرجة خاصة في العلاقة التي تكون بينه وبين أمه وأبيه، حيث يكون فيها في حالة من الاعتماد عليهما، والخبرات التي يكتسبها خلال هذه الفترة هي التي تحدد اتجاهاته المستقبلية، وعلاقاته بمن حوله" (الشربيني ومنصور ، 1998، ص 355).

ويشير جيليز وكورنيل (Gelless and Cornell, 1990) إلى أن غياب الاهتمام والانتباه إلى ضحايا العنف الوالدي من المراهقين، قد يعود إلى الاعتبارات والمفاهيم المجتمعية المتضمنة أن المراهقين يشاركون بقوة في بعض التواطؤ بشأن العنف الموجه إليهم. ويشيرون أيضاً إلى أن الحجم والقوة البدنية والسلوكيات المتحدية الصعبة التي يمارسها معظم المراهقين مسؤولة عن استثارة سلوك العنف من آبائهم (البدانية ، 2010، ص 19). وبالتالي ، فإن مثل هذه التفاعلات العنيفة، وبدلاً من أن ينظر إليها بأنها معنقة، تُعدّ طرقاً مشروعة للضبط الوالدي. وعليه يمكن القول أن المراهق الذي يحمل تراكمات من خبرات الإساءة الوالدية، يواجه مصاعب ومواقف جديدة نسبياً عليه في هذه الفترة وظروف حياته وصراعات مختلفة، فهو يتعرض لتغيرات نمائية نفسية واجتماعية وفسولوجية أثناء مرحلة المراهقة مما ينتج عنها مطالب وحاجات تستدعي إشباعاً وطموحات وأهداف تستدعي تحقيقاً ورغبة ملحة لتحقيق الإستقلالية والتفرد والبحث عن الذات ككائن مستقل.

1. مفهوم الإساءة الوالدية Child abuse:

إن مصطلح الإساءة الوالدية عرف تطوراً ملحوظاً ابتداءً من مقال الطبيب كيمب (Kemp, 1960) الذي تناول متلازمة الطفل المنهك ضرباً من والديه، ومن ثم تعددت التعاريف والنظريات لفهم هذا المصطلح وتفسيرها للظاهرة:

1.1. مفهوم مصطلح الإساءة لغة : جاء في المعجم الوسيط {أساء} فلان : أي أتى بسئ ، السئ : لم يحسن عمله و ألحق به ما يشينه و يضر ، وكلمة الإساءة في معجم العرب ولسان العرب كانت جميعها متفقة على : - أساء فلان : أي أتى بسئ - الإساءة : تعني إلحاق الضرر بما يشينهم - الإساءة: تعني خلاف الإحسان ، القباحة والكرهية . (أبو جادو ، 2007، 86)

كلمة الإساءة المقصود منها في دراستنا سوء المعاملة *Maltraiteance* حسب قاموس " Le Petit Larousse" حديثة الظهور تجسد على شكل سوء المعاملة الموجهة في الأغلب إلى الأطفال وكبار السن فهي مشتقة من الفعل *Maltraiter* في اللغة الفرنسية والذي بدوره مشتق من اللغة اللاتينية *tractare* (Le petit Larousse, 1987) (69) Tracter. كما ان مفهوم سوء المعاملة معقد والتشخيص دائما صعب، مصطلح *La maltraitance* هو مشتق من الفعل اللاتيني *tractare* يستعمل في لغة الشعر بمعنى جر بعنف، سلك بصعوبة ظهر سنة (1550) واستخدم بعدها بمعنى "عامل بعنف" (Morrison, 1999, pp 33-34).

2.1. تعريف مصطلح الوالدية:

تعرف الوالدية لغويا على أنها تأتي من الفعل ولد: يلد وولادا وولادة ومولدا والأنتى : وضعت حملها فهي والدة . ولد الولد : رباه - والشيء من الشيء : أنشأه منه. وتعرف في المعجم الوجيز بان الوالد: الأب والأم ، والوالدة: الأم (المسلماتي، 2009، ص 681).

ومن ثم فان مصطلح الوالدية صيغة من صيغ النسب تشير إلى كل ما يتصل بالوالدين أو ينسب إليهما من أفعال أو تصرفات أو اتجاهات. ويعتبر مصطلح الوالدية *Parent Hood* أصدق تعبير عن خلق العلاقات بين الوالدين والطفل وهي المفتاح المسئول عن توفير الأساس الانفعالي والأمن لهم ، والذي يساعد على تحديد انفعالاتهم أو التحكم فيها وذلك من خلال مهارات الوالدية التي تدفع إلى تحقيق النمو المأمول منهم وتساعدهم على التغلب على مشكلات الحياة. ويشار الى الوالدية في علم النفس على أنها " استجابة الوالدين الانفعالية والأمانة لاكتشاف وفهم طبيعة انفعالات الأبناء ، والتعاون معهم وتقدير ذواتهم والسماح لهم بان يكونوا أنفسهم ، مما يدفع الأبناء إلى التقدم في كل مجالات الحياة. (بيرون، 1999، ص 14)

3.1. بعض المصطلحات المتداخلة مع مفهوم سوء المعاملة الوالدية:

نلاحظ عند تعريف مصطلح الاساءة الوالدية *Child Abuse* بأنه لا توجد ترجمة مستقرة لها متعارف عليها في اللغة العربية، لذا نجد أن البعض يعبر عنه بمصطلح (إيذاء الأطفال). (سوين، 1988، ص 45)، بينما كان الكثير من الباحثين يستخدمون قبل ذلك مصطلح سوء معاملة الطفل *Child Maltreatment* الا أن هذا المصطلح لم يكن قويا في نظر الكثيرين منهم من الناحية الإنفعالية كما هو الأمر بالنسبة لمصطلح إيذاء الطفل، فضلا عن أنه مصطلح عام يستخدم لوصف كل أشكال سوء المعاملة من طرف الوالدين. ومن المصطلحات التي أوردها عبد العظيم (2007) مشيرا أنه تم استعمالها للدلالة على سوء المعاملة، مصطلح *Neglected Child* بمعنى الطفل المهمل، ومصطلح *Psychological Battered Child* (أي) الطفل المعذب نفسيا). ونجد كذلك مصطلح سوء

المعاملة الوالدية في معاجم وقواميس الطب النفسي وأدلة التشخيص الطبي تحت اسم أزمة الطفل المساء معاملته Bettered Child Syndrome أما في بعض المراجع فنجد تسميات أخرى كالعنف الأسري أو العنف ضد الأطفال Violence Against Children ، وهي كلها مفاهيم متكافئة وتشير إلى نفس المعنى تقريبا، مع تركيز كل تخصص على جانب معين من المفهوم. (بيرون، 1999، ص 19). وفي سياق متصل يضيف احمد (2007) لقد شاع استخدام مصطلح الإساءة الوالدية أو سوء المعاملة الوالدية في دراسات الأسرة، لتعبير عن الإساءة بمختلف أنماطها التي يتعرض لها الأطفال من آبائهم وأمهاتهم (احمد، 2007، ص 29).

إذن الإساءة الوالدية يعتبر مصطلح الأكثر استعمالا ويرادفه العنف الوالدي الذي هو شكل من أشكال العنف الأسري ويخص أساسا العنف الموجه ضد الأطفال الأقل من (18) سنة (p112 Gustave, 2003). وهذا ما أكدته البدينية (2002) أن الإساءة الوالدية يشير إلى التعديات الوالدية على الأبناء في الأسرة. إلا أن بعض البحوث قد ربطت مفهوم سوء المعاملة الوالدية Child abuse بالتعديات البدنية فقط، فيحين تقرر بعض البحوث أنه يمثل أشكال متنوعة الإساءة الجسدية والإهمال والإساءة النفسية والإساءة الجنسية. (ابو جادو ، 2007، ص 99). لهذا تم الاعتماد في هذه الدراسة على مصطلح " الإساءة الوالدية " ويرادفها أحيانا مصطلح "سوء المعاملة الوالدية " لأنه تناول الإساءة التي يكون مصدرها الوالدين بأنماطها المختلفة.

4.1. تعريف الإساءة الوالدية اصطلاحا:

إن مصطلح الإساءة الوالدية عرف تطورا ملحوظا وتعددت التعاريف لفهم و تفسير هذا المصطلح: يعرفها كولمر وبارك Collmer et Park بأنها إساءة معاملة يستدل عليها كل طفل يلحق به أي ضرر جسماني غير عرضي (دائم) كنتيجة لإساءة من جانب الوالدين الذين ينتهكون المعايير الاجتماعية الخاصة بمعاملة الأطفال). عبد المعطي وقناوي، 2001، ص 282. (وعرفها قاموس wipiste على أنها ممارسة القسوة الجسدية والنفسية بغرض الأضرار بالطفل، وقد يكون الأضرار أما أذى بدني من خلال ممارسة الضرب أو أذى معنوي من خلال تعمد الإهانة والسخرية من للطفل بالسب أو التجريح (wikipediaorg/wiki/maltraitance).

5.1. المفاهيم الإجرائية لمتغيرات الدراسة :

1.5.1. التعريف الإجرائي للإساءة الوالدية:

هي الأذيات المقصودة وغير المقصودة وبشكل متكرر التي تصيب الأطفال (القصر) تحت سن (18) في إطار الأسرة وتؤثر على صحتهم النفسية الجسدية ومنها: الإساءة البدنية التي تتمثل في "الخدوش، الجروح، الكسور والحروق، أو النفسية مثل "التحقير الترهيب والعزل والحرمان النفسي، أو الجنسية

مثل "المداعبة الإتصال الجنسي والممارسة المباشرة أو إرغام الطفل على مشاهدة مقاطع جنسية، إضافة إلى الإهمال منه الجسدي مثل "الحرمان من الغذاء أو الملبس أو الرعاية الصحية ، والتعليمي مثل عدم تسجيل الطفل في المدرسة وعدم الإهتمام باحتياجات الطفل التعليمية الخاصة، والإهمال العاطفي ، وعدم تأمين الرعاية النفسية اللازمة، والسماح للطفل بالقيام بتصرفات سيئة وتشجيعه عليها(لأسباب غير قلة الإمكانيات) ويعبر عنها في الدراسة الحالية بمجموع الدرجات التي يتحصل عليها التلميذ(ة) بعد إجابته على بنود مقياس الإساءة الوالدية المستخدم في هذه الدراسة والتي تنحصر في المجال المغلق [64- 192]. وتتمثل أبعاد الإساءة الوالدية في:

-الإساءة البدنية: وهي أية إصابة تلحق الطفل ولا تكون ناتجة عن حادث وتتمثل مؤشرات في الإصابة بكدمات أو خدوش أو آثار ضربات، أو لكدمات بالجسم أو الخنق والعض والمسك بعنف وشد الشعر والقرص أو كسور في العظام أو الحرق أو إصابة داخلية، وهي لا تنجم بالضرورة على رغبة متعمدة في إلحاق الأذى بالطفل بل إنه في معظم الحالات ناتجة عن أساليب تربوية قاسية أو عقوبة بدنية صارمة أدت إلى إلحاق الضرر المادي بالطفل، فكل هذه الممارسات وإن لم تسفر عن جروح وكسور بدنية ظاهرة ولكنها تعتبر اعتداء بحد ذاتها، والتي تعكس الإفراط في الضبط والعقاب الجسدي.

-الإساءة النفسية: هي نموذج متكرر من السلوك أو الفعل المتطرف والتدميري الذي يمارسه الوالدين، والذي يوحي للطفل بأنه مشوه، أو غير محبوب أو غير مرغوب فيه أو لا قيمة له، وهو نمط سلوكي يهاجم النمو العاطفي للطفل وصحته النفسية وإحساسه بقيمته الذاتية، وهو يشمل الشتم والتجيب والتخريب والعزل والرفض والتدليل المفرط والسخرية والنقد والتجاهل. التقليل من القيمة، تقييد حريته الإساءة لسماعته وتحميله مسئوليات تفوق قدراته وتحقيره وممارسة التمييز عليه، وأي شكل من أشكال التعامل السيئ الذي يقوم على الكره والرفض والعزل .

-الإساءة بالإهمال: هو إخفاق الوالدين في توفير الإحتياجات النمائية في مجالات الصحة، التعليم، التطور العاطفي، التغذية، المسكن، الظروف الحياتية الآمنة، في سياق قدرتهم على ذلك، مما يؤدي فعلا أو احتمالا إلى حدوث أذى للطفل في صحته أو تطوره الجسدي، والعقلي، والأخلاقي، والاجتماعي. يشمل ذلك الإخفاق في الرقابة المناسبة وحماية الطفل من الأذى كلما كان ذلك ممكنا.

2.5.1. المفهوم الإجرائي للمراهق المتمدرس (في الدراسة الحالية) :

وهي المرحلة التي يكون فيها المراهق متمدرسا يتلقى تعليمه في الثانوية - الأولى والثانية ثانوي بحيث لا يزال يعيش فترة المراهقة الوسطى بتغيراتها الجسمية و النفسية العاطفية والاجتماعية ، واستهدفت هذه الدراسة الفئة العمرية (15-17 سنة) وهي مرحلة المراهقة الوسطى أو المتوسطة.

2. الاشكالية:

تعد المعاملة الوالدية من العوامل المهمة في إحساس المراهق المتمدرس بالصحة النفسية من عدمها، فإن كان أسلوب المعاملة الوالدية له يتسم بالعنف والقسوة والإهانة والسخرية والازدراء والرفض، كان ذلك تهديداً لتوافقه النفسي في المدرسة وفي الحياة، فيصبح عالم التلميذ عالماً عامراً بالقلق والخوف والتوتر والقسوة والعنف والانحراف والتطرف، أما إن كان أسلوب المعاملة الوالدية لمراهق ينطوي على الاحترام المتبادل يرقى بإنسانيته ويحافظ على حقوقه، فيُبصر واجباته نحو نفسه والآخرين، ويلبي رغباته، ويشبع حاجاته المختلفة النفسية والاجتماعية والثقافية والصحية والتربوية، كان ذلك مدعاة للتمتع بالصحة النفسية، والشعور بالرضا والسعادة والطمأنينة والأمان (غزالي، 2012، ص 39). حيث أكدت في هذا السياق دراسة حجاج (2012) أن الشعور بالتوافق النفسي لدى المراهق له علاقة بالمعاملة الوالدية، ولا تختلف هذه العلاقة باختلاف الجنس، بحيث أن سلوكيات التلاميذ في الطور الثانوي تؤكد عدم وصولهم لمرحلة النضج الكامل، أي أنهم مازالوا قاصرين على تحقيق أهدافهم بأنفسهم، فهم يحتاجون إلى مساعدة أسرهم في تحقيق حاجاتهم المختلفة النفسية والاجتماعية والأكاديمية، كما أنهم يواجهون العديد من المشكلات التي تعيق الأداء الدراسي المطلوب، وذلك بملاحظة ما ينتابهم أيام الامتحانات من ضعف للأداء، وتدني الثقة بالنفس والقدرة الذاتية، وهذا بدوره يجعلهم يصرون أحكاماً تقييمية حول نتائجهم الدراسية، فيُضعف ذواتهم إذا كانت نتائجهم الدراسية ضعيفة، ولا تعبر عن مستواهم الحقيقي، فيزيد إحساسهم بالخوف وعدم الطمأنينة لما يدور حولهم، والخوف من التوقعات المرتفعة لأُسْرهم، وفي هذه الحالة وغيرها من المشكلات التي تترك أثراً سلبياً في نفسية التلاميذ تظهر الحاجة إلى الدعم الأسري في تحدي هذه المشكلات والتعامل مع المواقف الصعبة. (المنلا، 2012، ص 149-150).

وبما أن للإساءة الوالدية دور كبير في تحقيق التوافق النفسي والدراسي للتلاميذ المراهقين في التعليم الثانوي، حاولت الباحثة من خلال هذه الدراسة معرفة إن كان مستوى الإساءة الوالدية التي يتمتع بها التلاميذ. ومدى تأثيرها ببعض المتغيرات ذات الصلة بالوالدين وبمستواهم التعليمي والاجتماعي وبالتلاميذ من حيث السن والجنس. ولقد بنيت الدراسة على مشكلة محددة وسؤال معينة نذكره فيما يلي: هل يعاني المراهقين المتمدرسين من الإساءة ؟

تتفرع هذه الإشكالية إلى التساؤل التالي :

1. ماهي مستويات سوء المعاملة الوالدية من وجهة نظر المراهقين المتمدرسين؟
3. الفرضيات:

إن من بين الأسباب السلبية التي يكون لها وقع كبير على الصحة النفسية للفرد هي الإساءة الوالدية على اختلاف أشكالها، وعلى الرغم لعدم إعارة المجتمع لها أي اهتمام، غير إن هذه الظاهرة الخطيرة

مازال يتعرض لها الأبناء وبأتماطها المختلفة والتي تمتد أثارها إلى مراحل متقدمة من حياة الإنسان ، بسبب طبيعة الشخص مصدر الإساءة ، فالمسيء هنا هو احد الوالدين أو كلاهما ، بحيث يكون تأثيرها أكبر من أي شخص آخر ، كون إن الوالدين يفترض فيهما أن يكونا مصدر الحماية والرعاية وليس مصدر خوف وتهديد ، حيث أن الشعور بالأمن والحماية والحب ضروري من اجل نمو نفسي واجتماعي سليم للمراهق ، مما يعزز لديه الثقة في نفسه وفي إمكانياته وقدرته على الانجاز والنجاح الدراسي ، فالشعور بالحماية الدائمة من الوالدين من متطلبات مرحلة المراهقة ، إذ يكون المراهق نظرة ايجابية عن ذاته وعن العالم الخارجي.

وعلى هذا الأساس و من خلال إهتمام الباحثة بهذا المجال و ذلك إنطلاقا من أن تحقيق الصحة النفسية والتوافق الدراسي للمراهق يعتمد على اسلوب المعاملة الوالدية السوية، ومما لاشك فيه أن التلاميذ المتمدرسين وبصفة خاصة من هم في مرحلة المراهقة الوسطى او المتوسطة هم الفئة الأكثر عرضة للتأثر بهذه الأوضاع النفسية والاجتماعية والثقافية، إضافة الى الاطلاع على الدراسات السابقة والخبرة المهنية المكتسبة من طرف الباحثة كمستشارة توجيه من جراء تعاملها واحتكاكها اليومي بالتلاميذ اللذين يعانون من مشاكل نفسية وصعوبات اكااديمية وضعف في التحصيل تمثلت فرضيات الدراسة فيما يلي:

1. يعاني افراد العينة من التلاميذ من مستوى مرتفع من الاساءة الوالدية؟

4. منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك البحث في جمع المعلومات المتعلقة بالموضوع وهو التعرف على مستوى الاساءة الوالدية ومدى تاثيرها ببعض المتغيرات لدى التلاميذ . فمن خلال المنهج الوصفي التحليلي نستطيع دراسة الواقع وتحليله بشكل دقيق.

5. الحدود الزمانية والمكانية للدراسة الأساسية :

1.5. الإطار الزمني للدراسة: تم إجراء الدراسة الأساسية بداية من الفصل الدراسي الثاني للسنة الدراسية 2022/2021.

2.5. الإطار المكاني للدراسة : أجريت الدراسة على مستوى مؤسسات التعليم الثانوي لولاية تيسمسيلت (بالجزائر) وشملت الدراسة تلاميذ السنة الأولى والثانية ثانوي بكل التخصصات، وتسهيلا للوصول إلى العينة بالثانويات (ثانوية محمد بوراس -ثانوية الإخوة معقب عماري- ثانوية نذير عبد القادر) تم الاستعانة بمستشاري التوجيه العاملين بهذه الثانويات في توزيع الاستمارات، وكذا قامت الباحثة بالإلتقاء مع أفراد العينة في مكتبة ومدرج الثانوية التي تعمل بها .

3.5. إجراءات تطبيق الدراسة الأساسية: أجريت الدراسة الحالية بالثانويات الأربع التابعة للمقاطعة الأولى لمديرية التربية بتيسمسيلت (ثانوية عبد الحميد مهري- ثانوية بوراس محمد - ثانوية عماري- نذير

عبد القادر)، وهذا بعد الحصول على ترخيص من مديرية التربية المقاطعة رقم 1 (أنظر الملحق رقم) ابتداء من تاريخ 2022/02/04. وكان التطبيق على النحو التالي: بعد طبع عدد من الإستبانات تم تطبيقها حسب الجدول الزمني المتفق عليه) مع مديري الثانويات ومستشاري التوجيه (بطريقة جماعية في قاعات التدريس، وقد استغرق التطبيق حوالي 43 يوم.

ويشتمل المجتمع الذي اتخذته الباحثة مجالا بشريا للبحث في عينة من تلاميذ السنة الأولى والثانية ثانوي من تلميذ وتلميذة) في كل التخصصات بولاية تيسمسيلت، وبعد التأكد من الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة تم اختيار العينة بطريقة مقصودة.

4.5. مواصفات عينة الدراسة الأساسية: تكونت عينة الدراسة الأساسية من (1130) فردا. وهذا بعد استلام كل الاستثمارات التي استوفت بالمطلوب من الدراسة، والجدول التالي يوضح توزيع أفراد العينة حسب الخصائص التالية: السن، الجنس، المستوى الدراسي للتلميذ، المستوى التعليمي للاب، المستوى التعليمي للام، المستوى الاقتصادي للوالدين، والحالة العائلية :

الجدول رقم (01) يوضح مواصفات عينة الدراسة الأساسية:

المتغيرات	العدد	النسبة المئوية
-----------	-------	----------------

الأم

للتلاميذ	السنة	سنة أولى 763	67,5%
	سنة ثانية	367	32,5%

الجنس	الذكور	الإناث	المجموع
	525	605	1130
	46,5%	53,5%	100,0%

السن	15 سنة	16 سنة	17 سنة	المجموع
	447	499	184	1130
	39,56%	44,16%	16,28%	100,0%

المستوى التعليمي

للام	بدون مستوى (امي)	370	32,7%
	الإبتدائي	246	21,8%
	المتوسط	218	19,3%
	الثانوي	209	18,5%
	الجامعي	87	7,7%
	المجموع	1130	100,0%

الأب

المستوى التعليمي

للاب	بدون مستوى (امي)	221	19,6%
	الإبتدائي	197	17,4%
	المتوسط	267	23,6%
	الثانوي	287	25,4%
	الجامعي	158	14,0%
	المجموع	1130	100,0%

الحالة العائلية للوالدين غير منفصلين 1130 100%

منفصلين (مطلقان) 0 0%

أرمل 0 0%

اعيد الزواج 0 0%

المستوى الاقتصادي للأسرة

ضعيف 136 12,0%

متوسط 677 59,9%

جيد 317 28,1%

يتضح من خلال قراءتنا للجدول رقم (01) الذي يمثل خصائص عينة الدراسة الأساسية من حيث المستوى الدراسي ، السن والجنس للتلاميذ، المستوى التعليمي للوالدين ،المستوى الاقتصادي للوالدين ،والحالة العائلية . بالنسبة للمستوى الدراسي لافراد العينة فهي متفاوتة حيث ان غالبيتهم ينتمون للسنة الاولى ثانوي بمجموع (763) تلميذ بنسبة (67.50%) و(367) تلميذ في السنة الثانية ثانوي بنسبة 32.50(32.50%) ، اما بالنسبة لمتغير الجنس يظهر لنا أن عينة الدراسة شبه متساوية ، حيث ان

نسبة الذكور مع الإناث تكونت من (525) ما يعادل نسبة (46.50%) و (605) أنثى بنسبة (53.50%). أما بالنسبة لمتغير سن أفراد العينة فقد تم تقسيمه إلى ثلاث فئات من (15) سنة (16) سنة و (17) سنة ، إذ احتلت الفئة ذو (16) سنة المرتبة الأولى بنسبة (44.16%) ثم الفئة ذو (15) سنة بنسبة (39.56%) يدرسون جلهم في السنة الأولى ثانوي ثم الفئة ذو (17) سنة بنسبة (16.28%) يدرسون جميعهم في السنة الثانية ثانوي. ويظهر من خلال الجدول أيضا أن المستوى التعليمي للأمهات عند فئة (بدون مستوى اوالامي) احتل المرتبة الأولى حيث بلغ (370) أم بنسبة مئوية تقدر بـ (32.70%) و يليه المستوى الابتدائي ثم المستوى المتوسط ثم المستوى الثانوي والمستوى الجامعي بنسبة (21.80%) و (19.30%) و (18.50%) و (7.70%) على التوالي.

يظهر من خلال الجدول رقم (34) أن المستوى التعليمي للأب ، قد تعادل الآباء تقريبا في المستوى التعليمي المتوسط والثانوي بنسبة مئوية تساوي (23.60%) و (25.40%) على التوالي، كما احتل الآباء دون المستوى المرتبة الثالثة وذلك بنسبة مئوية تعادل (19.60%) لتليها نسبة (17.40%) للآباء ذو المستوى التعليمي الابتدائي، واحتل الآباء ذو المستوى الجامعي المرتبة الأخيرة وذلك بنسبة مئوية تعادل (14.00%). أما بالنسبة لمتغير الحالة العائلية فان كل افراد العينة من التلاميذ يعيشون في كنف والديهم بنسبة (100%).

وبالنسبة لمتغير المستوى الاقتصادي للتلاميذ فان غالبيتهم ينتمون الى فئة متوسطي المستوى بنسبة كبيرة قدرت بـ (59.90%) أي ما يعادل (677) تلميذ ، لتليها نسبة مئوية مقدرة بـ (18.10%) للفئة المستوى الاقتصادي الجيد بمجموع (317) تلميذ. أما فئة التلاميذ ذو المستوى الضعيف ، فقد تمثلوا في (136) تلميذ أي ما يعادل (12.00%) في المرتبة الثالثة.

6. أدوات الدراسة الأساسية :

استخدمت الباحثة مقياس سوء المعاملة الوالدية ، الذي تم إعدادهم من طرف الباحثة . وتم تطبيق مقياس سوء المعاملة الوالدية ، من خلال تسليمه للتلاميذ بالإستعانة بمستشاري التوجيه والارشاد المدرسي والمهني العاملين في المؤسسات المعنية بالدراسة، بعدما لاحظت الباحثة وجود علاقة وطيدة بينهم وبين التلاميذ. وهذا نتيجة لما توصلت إليه بعد قيامها بالزيارة الاستطلاعية والتحضيرية. وتم ملئه من طرف التلاميذ وذلك بعد تقديم الشروحات اللازمة و الإجابة على الاستفسارات المطلوبة من طرفهم.

1.6 مقياس سوء المعاملة الوالدية:

يعد هذا المقياس من تصميم الباحثة، ويتكون سوء من (64) فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد (أنظر الملحق رقم) والمتمثلة في الجدول التالي :

الجدول رقم (02) : يوضح توزيع الفقرات على الأبعاد المكونة لمقياس سوء المعاملة الوالدية (من إعداد الباحثة)

أبعاد الإستبيان	الفقرات عدد الفقرات
الاساءة البدنية	1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15
	16-17-18-19-20-21-22-23-24-25 25
الاساءة النفسية	26-27-28-29-30-31-32-33-34-35
	36-37-38-39-40-41-42-43-44-45 20
الاساءة بالاهمال	46-47-48-49-50-51-52-53-54-55
	56-57-58-59-60-61-62-63-64 19

وقد تأكدت الباحثة من أن هذه الأداة صالحة سيكومتريا.

تعليمات مقياس سوء المعاملة الوالدية: لقد تم دعوة كل مبحوث للإجابة بصراحة على فقرات المقياس ، مع التأكيد على سرية المعلومات فضلا عن إبراز الهدف من إجراء البحث حتى نضمن الجدية في الإجابة من طرف المبحوثين. وأن لهم كامل الحق في قبول أو رفض المشاركة .

البدائل :تم اختيار السلم التقدير الثلاثي للإجابة على فقرات الإستبيان والمتمثلة في: دائما ، أحيانا ، أبدا

2.6. طريقة تصحيح مقياس الاساءة الوالدية:

يتم تحويل إستجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات مقياس الاساءة الوالدية مع مراعاة اتجاه الفقرة وعدد بدائل الإجابة. وكان التصحيح كالتالي:

- فقرة موجبة : دائما: 1 - أحيانا: 2 - أبدا: 3

- فقرة سالبة: دائما: 3 - أحيانا: 2 - أبدا: 3.

وفي الأخير يتم جمع كل درجات الفقرات للحصول على الدرجة الكلية التي تعبر عن الدرجة العامة للمبحوث حول الاساءة الوالدية لديه والتي يتراوح مداها النظري بين [64 - 192].

3.6. مستويات الاختبار:

تشير الدرجة الكلية المرتفعة والمتوسطة من هذه المقاييس إلى الجانب السلبي من الإساءة الوالدية أي ميل الوالدين(الأب، الأم) إلى ممارسة سلوك الإساءة ، وتشير الدرجة الكلية المنخفضة إلى ميل الوالدين إلى الأساليب السوية، ويطبق المقياس على الأبناء.

7. نتائج التساؤل الاستكشافي الأول :

ينص التساؤل الاستكشافي الأول على :ما مستوى الإساءة الوالدية لدى التلاميذ ؟
ومن أجل الإجابة على هذا التساؤل قامت الباحثة باستخدام تكرارات (ك) والنسبة المئوية لمستويات
الإساءة الوالدية (المنخفض ، المتوسط ، المرتفع) ووعليه جاءت النتائج كما هي مدونة في جدول رقم(03):
الجدول رقم (03) : يبين مستوى الإساءة الوالدية لدى التلاميذ

المتغير مستوى الإساءة الوالدية

منخفض متوسط مرتفع

الإساءة الوالدية ك	%	ك	%	ك	%
527	46.63%	333	29.46%	273	24.15%

المتوسط الفرضي للمقياس : مجموع البدائل / عددها) * عدد الفترات $3/(3+2+1)$ *

$$128 = 64$$

يتضح من خلال الجدول رقم (03) أن درجات أفراد العينة في متغير سوء المعاملة الوالدية من التلاميذ
تتراوح بين منخفضة ومتوسطة ، حيث تحصل (527) تلميذ على درجة منخفضة من الإساءة الوالدية أي
ما يعادل (46.63%) ، كما وصل عدد التلاميذ اللذين تحصلوا على درجة مرتفعة في متغير الإساءة
الوالدية (273) تلميذ والتي تتمثل في نسبة (24.15%) من المجموع الكلي للعينة من التلاميذ. بينما
تحصل (333) تلميذ على درجة متوسطة بنسبة (29.46%) ومن هذه النتائج يمكن استخلاص أن
التلاميذ عينة الدراسة يعانون من الإساءة الوالدية .

ترى الباحثة أن هذا التوزيع لا يكفي لإعطاء صورة واضحة حول انتشار عينة الدراسة (التلاميذ) تبعا
لمتغير الإساءة الوالدية ، لهذا فإنها ترى أنه لا بد من الإستعانة بالمتوسط النظري لإستكمال الصورة .

الجدول رقم (04) : يبين المتوسط النظري للإساءة الوالدية لدى التلاميذ

المتغير

العدد المتوسط

الحسابي الانحراف

المعياري المتوسط

الفرضي

الإساءة الوالدية

$$128 \quad 12,9611486.94 \quad 311$$

تبين نتائج الجدول رقم (04) أن مستوى الإساءة الوالدية لدى التلاميذ جاء بين المنخفض والمتوسط، حيث بلغت قيمة المتوسط الحسابي (86.94) وهي أقل من قيمة المتوسط الفرضي المقدرة بـ (128) وبانحراف معياري قدر 12,964 .

1.7. مناقشة وتفسير نتائج التساؤل الأول :

ينص التساؤل الأول على الكشف عن مستوى سوء المعاملة الوالدية لدى التلاميذ. فمن خلال النتائج التي أفرزتها الدراسة الإحصائية تبين وجود فروق دالة إحصائية بين المتوسط الحسابي والمتوسط الفرضي لصالح المتوسط الفرضي، حيث تؤكد هذه النتائج أن التلاميذ يتمتعون بمستوى بين منخفض بسيط ومتوسط من الإساءة الوالدية، وترى الباحثة بأنها نتيجة غير متوقعة باعتبار أن ما يعيشه المجتمع اليوم من تحولات سريعة اثر في بنية الأسرة ووظيفتها وفي مركزها الاجتماعي والاقتصادي، مما فرض ضغوطا على الوالدين واثّر في ادوارهم سلبا وفي اختيارهم لاسلوب المعاملة والتربية للبناء وانه مع عوالة الاقتصاد والجريمة والثقافة، مر المجتمع الجزائري بتغيرات كثيرة أصابت بنى الأسرة ، وعطلت الكثير من وظائفها. ونظراً للضغوط والمسؤوليات المتشعبة الملقاة على عاتق الأسرة ، فقد أدت إلى خلل في وظائفها الاجتماعية. فخرج الأبناء إلى الشوارع يبحثون عن العمل، وتسرب الكثير منهم من المدارس، وجنح البعض الآخر، واستغل الأبناء في نشاطات غير مقبولة اجتماعياً وأخلاقياً. ولم تتوقف الإساءة على المحيط الخارجي بل ساد في الأسرة التي كانت في السابق المحيط الآمن لهم. فمثلاً، أثبتت بعض دراسات الضحايا (victimization studies) على ارتفاع سلوك الإساءة والاعتداء ضد الاطفال في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن نسبة ضحايا الإعتداء والإساءة والحق الأذى بالأطفال، من الفئة العمرية (12-16) عاماً، تصل إلى ثلاثة أضعاف نسبتها لدى البالغين Finkelhor & Dziuba- (1994, p144). وأثبتت دراسة أخرى، أن ما بين (30%) و(60%) من العائلات التي تعيش أجواء مشحونة بالشجارات العنيفة عموماً، ترتفع فيها معدلات الاعتداء البدني واللفظي على البناء المراهقين اقل من (16) سنة. (Goldman et al., 2003, p144)

ومن جهة أخرى تعتبر الإساءة للمراهق شكل من أشكال استغلال السلطة التي يمارسها الوالدين عليه، والتي قد يعجز الكثير من المراهقين عن مقاومتها او حتى التعبير عن رفضهم لهذه الممارسات. لذا فهم يعانون منها ومن تكرارها وارتفاعها، ولكونهم قاصرين فإنهم يتعاملون مع والديهم خاصة في حالة الإساءة اللفظية والجنسية بالصمت والكبت، وبما أن سلوك الإساءة يحدث في مكان مغلق وهو المنزل مما يجعل إنكارها وإخفاءها أسهل ، لذلك فإننا نعتقد أن معظم حالات الاعتداء على الأطفال والإساءة إليهم ، والتي تصل إلى مؤسسات الرعاية الصحية والاجتماعية وغيرها من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الجزائر، هو قليل جدا ، وهذا يعود إما لأسباب مؤسسية (مثل قلة الخدمات التي بالإمكان التوجه

إليها في مثل هذه الحالات، وغياب القانون الذي يجبر المجتمع على التبليغ عن هذه الحالات، أو لغير ذلك (من الأسباب)، أو لأسباب اجتماعية ثقافية (مثل اعتقاد البعض أن الأبناء هم ملك والديهم، وبالتالي يحق لهم استعمال أية أساليب يقررونها "لتربيتهم"، يضاف لذلك إيمان المجتمع المحلي -وهو مجتمع محافظ جداً- بمعتقدات محددة، مثل خصوصية العائلة، وإعتبار الإعتداء على لأطفال والإساءة إليهم مشكلة شخصية وعائلية، وليس مشكلة أوجنائية، أو بسبب الخوف من العار والفضيحة والخوف على سمعة العائلة وعلى سلامتها وتماسكها، والاعتقاد أن الإساءة الوالدية أسلوب جيد لتأديبهم، وغير ذلك من الأسباب).

بالإضافة إلى ذلك، هنالك عوامل أخرى مثل عدم وجود اتفاق و خلط في المفاهيم المتعلقة بالإساءة والعنف الموجه نحو الأبناء بشكل عام، لأن مثل هذه السلوكات لا يمكن اعتبارها معنفة من قبل معظم الناس، فهي أفعال شائعة جداً، فقد أشارت دراسات ستراوس Straus، إلى أن (90 %) من الوالدين يستخدمون بعض أشكال العنف والإساءة الجسدية مع أطفالهم، وأن نسبة الأطفال الذين تعرضوا للعقاب البدني تتراوح بين (93%-95%)، ويُعد ستراوس من أهم الناقدين لهذا "القبول الثقافي والاجتماعي للعقاب البدني" https://bouhoot.blogspot.com/2015/04/blog-post_11.html. وفي نفس السياق أشار بيلانسكي Bylinsky إلى ارتفاع سلوك إساءة معاملة الآباء لأطفالهم، وأن السبب يرجع إلى طبيعة الظروف التي عاشها الآباء في مرحلة طفولتهم من حرمان وقسوة. أما فريمان Freeman فقد تطرق إلى العنف الشائع في المجتمع، هذا الأخير مصدره ارتفاع نسب العنف الأسري فالعقاب البدني واللفظي للطفل يؤدي إلى زيادة السلوك العدواني لديه، وهذا ما أكدته ويدوم (Widom 1989) في قوله أن "العنف يولد العنف"، وأوضحت نتائجها أن ارتفاع نسبة الإساءة الوالدية، وخاصة الإساءة الوالدية بالإهمال الذي يتعرض لها الأبناء يعد من أهم أسباب ظهور العنف (عبد العظيم، 2008، ص 69)

وتعتبر هذه النتائج عكس طرح النظريات المفسرة للإساءة الوالدية، خاصة ذات المنحى البيئي التكاملي التي تؤكد أن العنف السائد في المجتمع والذي يقبله أفراد، يعتبر ذلك إقرار ثقافي مجتمعي للقوة الجسدية في حل الصراع بين الأفراد ينجم عنه زيادة في مستوى الإساءة الوالدية. (Felitti, 1999, p236)، وهو ما أكدته غاربارينو (1977) لتفسير العنف الأسري، مشيراً فيه إلى ضرورة توافر شرطين اثنين في البيئة، لكي يحدث العنف الأسري وخاصة العنف نحو الأطفال، أولهما أن تكون البيئة التي تعيش فيها الأسرة متقبلة وموافقة على استخدام أسلوب القوة مع الأطفال، وأن تكون الأسرة معزولة عن الانظمة أو الخدمات المجتمعية الداعمة، وثانيهما يتعلق بالبيئات المجتمعية التي لا تتوفر فيها المؤسسات والهيئات التي تتولى دعم ومساعدة الأسر، مما يرفع من خطر حدوث العنف وتفشيته داخل تلك الأسر. وتستند نظرية ثقافة العنف إلى الفكرة المتضمنة أن العنف موزع بصورة غير متكافئة أو عادلة داخل المجتمعات، وأنه أكثر شيوعاً في

طبقات المجتمع ذات المكانة الاقتصادية والاجتماعية الدنيا وتستخدم الثقافات الفرعية أسلوب العنف والقوة كاستجابة لما تتعرض له من مثيرات بصورة أكثر تكراراً مقارنة بفئات المجتمع الأخرى. وتفترض هذه النظرية أن العنف استجابة متعلمة تعكس نوعية عملية التطبيع الاجتماعي التي تعزز ممارسات العنف أو تشير إلى القبول والرضا عن العنف بوصفه سلوكاً مناسباً. (Bouregba , 2004,pp31-32)

وهي نتيجة عكس ماتوصلت اليه كذلك نتائج الدراسات الدولية والوطنية (في اطار دراسة الحجم الحقيقي للمشكلة ومدى انتشارها) التي تكشف عن استمرار ارتفاع وتيرة الاساءة الوالدية في معظم المجتمعات ، حيث يُسجّل كل عام، مقتل نحو اكثر(41000) من الأطفال دون سن (15) سنة. وهذا الرقم ينقص من الحجم الحقيقي للمشكلة، لأنّه يتم عزو نسبة كبيرة من وفيات الأطفال الناجمة عن إساءة معاملتهم إلى حالات السقوط والحروق وحالات الغرق وغير ذلك من الأسباب ، حيث أنّ نحو ربع من مجموع الأشخاص البالغين يبلغون عن تعرّضهم للإيذاء الجسدي ، وأن (1) من كل(5) اناث و (1) من (13) ذكر يبلغون عن تعرّضهم للإيذاء الجنسي ، كما يتعرّض كثير من البالغين للإيذاء العاطفي. وحسب بعض الاحصائيات في الولايات المتحدة الامريكية لسنة (2014) فان حوالي مائتان واثنان وثمانون الف (282000) من تلاميذ المدارس الثانوية يتعرضون للاعتداء الجسدي من طرف والديهم كل شهر ((Bouredji,2018,pp81-85

اما في المجتمعات العربية ، فالامر لا يختلف كثيرا ، فلقد ثبت من خلال احدى الدراسات ان (38%) من مجمل حالات الاساءة الوالدية في الوطن العربي موجه ضد الاطفال اقل من (16) سنة ، ففي السعودية يتعرض الأطفال للإساءة الوالدية بايقاع مرتفع بداية من الإساءة النفسية بنسبة (33.6%) تليها الإساءة البدنية بنسبة (25.3%) ثم الإهمال بنسبة (23.9%) . (غزوان ، 2015، ص39).

كما نلاحظ أن الإحصائيات والدراسات التي تناولت ظاهرة الاساءة الوالدية بالجزائر جاءت نتيجة الواقع الذي يعيشه الأبناء الضحايا والذي يعرف منحني تصاعدياً خطيراً، و هو وضع يشير إلى تدهور أخلاقي وانحيار في سلم القيم في بعض الأسر الجزائرية، خاصة أن الإساءة أصبحت سمة تميز سلوكيات الآباء تجاه أبنائهم. حيث سجلت لإحصائيات سنة (2018) ارتفاع ايقاع ممارسات الاساءة الوالدية على الاطفال بأكثر من (16000) ضحية، منهم حوالي (11000) ألف طفل ضحية اساءة بدنية وهي نسبة عالية جدا. (Bouredji,2018,p.74)

أما بالنسبة للدراسات التي اختلفت مع نتائج السؤال الاستكشافي الاول، وتتفق مع ما أشير إليه في الجانب النظري للبحث ، ومع ما يقاربه من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع من زوايا مختلفة ومصطلحات تقارب نفس مفاهيم متغيرات البحث:

- دراسة ضو (2002) في البيئة السورية بعنوان: دراسة مسحية لظاهرة سوء المعاملة الجسدية والجنسية. بهدف التعرف على نسبة انتشار ظاهرة سوء المعاملة الجسدية والجنسية. طبقت الدراسة على عينة مكونة من الإناث في مركز الطب الشرعي في حلب، أظهرت النتائج درجات افراد العينة تتمتع بمستوى مرتفع من الاساءة الوالدية حيث تم رصد (249) حالة اساءة جنسية و(1696) حالة اساءة جسدية (عبد العظيم، 2008، ص 77)

- وفي دراسة للباحث حمادة (2010) بعنوان سوء معاملة الأبناء وإهمالهم وعلاقته بالتحصيل الدراسي في دمشق، يهدف معرفة مدى شيوع ظاهرة سوء معاملة الأبناء وإهمالهم، لدى عينة مقدارها (240) من طلبة الصف الأول الثانوي العام، أظهرت النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط الآتية: بالنسبة لمدى شيوع سوء معاملة الأبناء: دلّت النتائج على أن متوسط درجات أفراد العينة الكلية على المقياس بلغ (183) درجة، أما النسبة المئوية فقد بلغت (69 %)، وهي مرتفعة إلى حد ما. (حمادة ، 2010، ص 11)

- وفي دراسة أخرى لبوريحي Bouredji (2017) بعنوان العنف الأسري الممارس ضد الأطفال في الجزائر، أظهرت النتائج ارتفاع وتيرة العنف الاسري الممارس ضد الابناء، حيث ان (4875) حالة كان فيها الطفل ضحية لعنف معين: (2803) عنف جسدي، (1546) اهمال و (365) سوء معاملة جنسية مع الإشارة إلى (25) حالة وفاة. (Bouredji, 2018, p.88)

- واجرى التير (1997) دراسة استكشافية موسومة بالعنف العائلي بهدف التعرف علي مستوى العنف العائلي داخل المجتمع العربي وأشكاله، وطبقت الدراسة علي عينة قوامها (1104) تلميذ دون (15) سنة من الدول العربية وكانت أهم النتائج: أن افراد العينة يعانون من العنف العائلي بنسب مرتفعة، حيث بينت النتائج أن نسبة (22.10%) من افراد العينة يعانون من الاساءة النفسية و(63.50%) يضررون ويتركلون ، أما من سبق لهم أن طردوا من المنزل فتبلغ نسبتهم (15.40 %) ، وتوصلت الدراسة كذلك إلي أن هناك تناسباً عكسياً بين العنف العائلي والسن فكلما ارتفع سن الضحية قلت درجة العنف الموجه ضده. (غزالي ، 2012، ص 55)

- ودراسة ابتسام الخليفة (2018) بليبيا التي هدفت إلى التعرف على مظاهر الإساءة الوالدية ضد الأطفال وأثرها على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة بمدينة الزاوية بليبيا ، توصلت الدراسة إلى أن السب والشتم ثم الإهمال من أكثر أشكال الإساءة التي يتعرض لها الأطفال بشكل يومي وبدرجات مرتفعة داخل الأسرة. تؤثر الإساءة الوالدية على المجتمع في إعاقته للتنمية الاجتماعية الشاملة وتحدد استقراره وتعيق المجهودات المبذولة لذلك . (فرحات ، 2011، ص 88-89)

- وفي دراسة أخرى قام بها الزهراني (2003) بعنوان «ظاهرة إيذاء الأطفال في المجتمع السعودي» وهي دراسة ميدانية طبقت على ثلاث مناطق كبرى في السعودية هي منطقة الرياض ومكة والدمام. وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على حجم مشكلة إيذاء الأطفال وأشكال الإيذاء الموجه ضدهم، والتعرف على أبرز المتغيرات النفسية والاجتماعية المرتبطة بوجود هذه الظاهرة لدى الأطفال الذين يتعرضون للإيذاء ولدى أسرهم التي يحدث فيها الإيذاء. واعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقام بسحب عينة عشوائية تكونت من (3000) طالب من المراهقين الذكور من مستويات التعليم (ابتدائي-متوسط-ثانوي) من المناطق الثلاث وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن الإيذاء النفسي أكثر أنواع الإيذاء الموجه ضد المراهقين تفشيًا ونسبة (9.33%)، يليه الإيذاء البدني بنسبة (6.25%)، ثم الإهمال ونسبة (%) 3.23 (مسيرة ، د.ت، ص 27)

- بينما اتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتيجة بعض الدراسات العربية والغربية اهتمت بدراسة الإساءة الوالدية لدى التلاميذ:

- واتفقت مع دراسة هدى أبو لمطي (2015) المعنونة بالإساءة في مرحلة الطفولة لدى طالبات المرحلة الأساسية وعلاقتها بالاكتئاب والأمن النفسي بغزة ، والتي هدفت إلى التعرف على العلاقة بين الإساءة في مرحلة الطفولة وكل من الاكتئاب والأمن النفسي لدى طالبات المرحلة الابتدائية تكونت عينة الدراسة من (703) طالبة واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي ، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أن مستوى الإساءة لدى الطالبات بين منخفض ومتوسط. واحتلت الإساءة النفسية المرتبة الأولى، ثم يليها الإساءة الجسدية، ثم الإهمال، وفي المرتبة الأخيرة الإساءة الجنسية. (الصادقي، 2003، ص 20). ففي دراسة جل Gelles (1990) الذي اعتبر أن موضوع الإساءة الوالدية من المشكلات الاجتماعية ومصدر من مصادر العنف، إلا أن الإحصائيات تقرر أن مستوى الإساءة الوالدية من منخفض إلى متوسط. وفي نفس السياق، قام جل Gel.D بمسح كامل على (6000) تلميذ سنة (1997) ليفحص مدى صدق الحالات التي تقرر الإساءة بمختلف أشكالها، ووجد أن (90%) من التلاميذ تعرضوا للإساءة بمستوى منخفض، وأنه لا توجد إساءات والدية على درجة من الخطورة لدى أفراد العينة. وفسر الباحث هذه النتيجة على أساس طبيعة وخصائص هذه الفئة وطبيعة المجتمع الفرنسي، حيث أنه مجتمع يحتوي على أسر تمتلك مستوى مادي ويعمل على توفير كل الاحتياجات لأبنائه، ومستوى تعليمي مرتفع، إضافة إلى وجود مؤسسات رعاية اجتماعية وقضائية تعمل على مراقبة سلوك الآباء لحماية أبنائهم من عوامل الخطر) (Bouredji, 2018, p.89)

- اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة كل من الصماد، الطعاني، صايل التي تمت في البيئة الأردنية (2014) الموسومة بأنماط الإساءة الوالدية كما يدركها التلاميذ المراهقين ومستوى توافقهم النفسي

في ضوء بعض المتغيرات ، فقد توصلت إلى أن المراهقين يتعرضون لأنماط إساءة والدية بشكل متدني و مستوى التوافق النفسي لديهم ظهر بشكل مرتفع كما أظهرت النتائج بأن المراهقين ذوي الفئة العمرية الأقل يملكون توافقاً نفسياً أكبر من المراهقين ذوي الفئة العمرية الأعلى و أن مستوى التوافق لدى الذكور أعلى من الإناث كما ظهر أن التوافق الاجتماعي و الأسري لدى الإناث أعلى منه لدى الذكور، حيث أرجعت الباحثة هذه النتيجة إلى خصائص العينة إذ كانت اسر(الوالدين) عينة الدراسة ذو مستوى تعليمي أغلبيته مرتفع مما يسمح لهم بمسايرة ظروف الحياة وامتلاك أسس ومبادئ تربوية سليمة. (غزالي، 2012، ص 137)

- واتفقت مع دراسة حنان الصياد (2005) بالبيئة المصرية التي هدفت إلى التعرف على مستويات الإساءة الوالدية وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى الطفل لدي عينة مكونة من (1137) تلميذ، وقد أشارت النتائج إلى انخفاض معدلات الإساءة الوالدية بأشكالها المختلفة لدى أفراد عينة الدراسة بنسبة (17%). (الصديقي، 2003، ص22).

- وأجرت غريب (2009) دراسة هدفت إلى التعرف إلى درجة شيوع العنف ضد الطفل في الأسرة وأشكاله ومعرفة العلاقة بين الترتيب الولادي للطفل والعنف الموجه لدى عينة من طلبة الصف الثانوي بدمشق، ومعرفة العلاقة بين المستوى التعليمي للوالدين والعنف الموجه ضد الطفل في الأسرة، تألفت عينة الدراسة من (837) طلبة الصف الأول الثانوي في المدارس الثانوية بمدينة دمشق ، توصلت الدراسة إلى إن غالبية الأطفال يتعرضون للعنف بدرجة من المتوسطة الى الدنيا. (حمادة، 2010، ص24).

وهي نتائج تثبت - من وجهة نظر الباحثة- أن أسر افراد العينة من والدين يواجهون ضغوط الحياة وأنهم أكثر عزلة في علاقاتهم الاجتماعية وقل تماسكاً وقل اندماجاً ومشاركة في المؤسسات والجماعات الأسرية وقل دعماً انفعالياً في دورهم الأسري، وتعاني هذه الاسر من ضغط الوقت وتعدد المسؤوليات وأعمال المنزل وتفاعل الأم والاب مع ابنائهم في الأسرة أقل مثالية ومساندة أسرية ورضا عن النفس، باعتبار ان معظم امهات التلاميذ افراد العينة يتراوح مستواهن التعليمي بين الامي والابتدائي بنسبة اكثر من (54%)، كما ان الاباء هنا اقل استجابة وأكثر إهمالاً للابناء، باعتبار ان معظم اباء افراد العينة مستواهم التعليمي بين المتوسط والامي بنسبة اكثر من (60%) كما انهم موظفون مداومون مستواهم الاقتصادي اقل من المتوسط ، والمراهق بطبيعة الصراعات التي يمر بها يصبح أقل انصياعاً وأكثر مقاومة لتلبية وسماع كلام والديه. مما يؤدي الى ردود فعل والدية من استخدام شتم وكره وعقاب بدني ورفض تلبية حاجاتهم المادية المتزايدة. ويغلب على اسلوب المعاملة لدى اولياء امور تلاميذ افراد العينة مجالا واسعا من الاتصالات السلوكية المعتادة مثل: طرح الملاحظات الاستخفاف والتحقيرية والمقارنة مع الآخرين، المناداة بالكلمات أو الألقاب أو العبارات الجارحة، التعامل مع المراهق على أنه كبش الفداء للعائلة، الاهانة

وإشعار الابن بالخزي والعار، عزل المراهق عن الآخرين وخاصة عن الأمور التي يجبها ويشعر بالارتياح لها، الصراخ أو الهياج والغضب العارم على المراهق بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو التصرف بمثل هذا السلوك أثناء التواجد مع الابن، أو عدم التواصل العاطفي معه والتصرف بصورة رافضة وناذرة له، أو عدم التواجد بصحبته عاطفياً (emotional and psychological inaccessibility). (فرحات 2011، ص 101-102)

- خاتمة:

تعد فئة المراهقة في المجتمعات من أهم الفئات حيث تتميز مرحلتهم العمرية بالحياة والنشاط والتفتح الذهني في شتى المجالات فلا غريب في اعتبارهم عماد المجتمع وبناء حضارته. إلا أن معترضات عدة تعقد الحياة نتيجة للتطورات المتلاحقة في كافة المجالات ، قد تؤثر على مسلكه الطبيعي في تحقيق فاعليته الذاتية والخوف على مستقبله. فيتحول من طاقة بشرية نشيطة تستثمر إلى روح وعقل تتخبط في دوامة التغيرات قلقة على ما يحمله الغد من مفاجئات غير متوقعة. فماذا تصنع "الإساءة الوالدية" كاسلوب تربوي لاسوي ؟ غير أنه يعيق النجاح في تحقيق أهداف المستقبل ويضيع الطاقة والقوة في الشعور بعدم الامن والاطمئنان والتوتر دون حل المشكل. وعليه فإن لم يتلق المراهق الرعاية الوالدية المناسبة ، والمساعدة سيظهر بالنقص والعجز مما قد يتسبب في الانتقال من مرحلة القلق والفشل الدراسي والتسرب إلى مرحلة أكثر خطورة وتتمثل في الاكتئاب مثلاً. على اعتبار ان الإساءة الوالدية تُؤخذ على أنها ضرب من ضروب التأديب أو التأديب الجيد للأبناء ، كما أنها مثل العديد من الظواهر الاجتماعية كالتسرب من المدارس والتفكك الأسري...إلخ، لا تشكل في فهم ومعتقدات الكثيرين إساءة والدية. وهذه المشكلة التي ما زالت غير معروفة بشكل دقيق في المجتمع، لذلك قمنا بهذه الدراسة على المراهقين والإساءة إليهم بطريقة علمية تعتمد على المعلومات الدقيقة الموثقة لتحديد أبعادها وتحديد حجمها ومعرفة آثارها على شخصيتهم وصحتهم النفسية. ولكي تكون هذه المعلومات أساساً لاتخاذ القرارات السليمة لحل هذه المشكلة. والسعي إلى الكشف عن المعلومات التي يمتلكها الوالدان عن مشكلة الإساءة للأبناء ، ومدى وعيهم بها واتجاهاتهم نحوها وممارساتهم التربوية الفعلية، إضافة إلى التعرّف على إمكانية وجود حالات إساءة عديدة للقصر قد يتعرضون لها من قبل أفراد أسرهم والقائمين على رعايتهم، بهدف رصد وإحداث وتطوير تدخلات وبرامج إرشادية وتربوية للحد من ظاهرة الإساءة الوالدية في الجزائر. ولا تُعد الدراسات المتعلقة بالإساءة الوالدية نحو المراهقين كقصر. مهمة فقط لفهم أصول وأسباب الإساءة وكيفية معالجة المعتدين والتعامل معهم بكفاءة، لكنها توفر أيضاً تقييماً لجهود الوقاية داخل الأسر، والمدارس والمؤسسات، وتحسيناً للخدمات

القانونية والاجتماعية من أجل توفير خدمات أفضل لمساعدة المعرضين للخطر وأسرهم، ولتقوية عوامل الحماية عند المراهقين داخل الأسر التي يمكن ان تعمل على التخفيف من آثار هذه الممارسات. وبصفة عامة فإن أي تعريف لمفهوم الإساءة الوالدية ينبغي أن يشمل كل وجهات النظر السابقة الذكر (الشرعية والقانونية والطبية والنفسية) حتى يساعدنا على وضع السياسات الصحية واتخاذ القرارات الصائبة لمواجهة المشكلة على أن يشمل الجهد المبذول في مواجهة المشكلة الشق التوعوي والشق التشخيصي وكذلك الشق العلاجي أو التأهيلي. وعلينا أن نتذكر دائماً أن المشكلة كثيراً ما تتحد في الحد الفاصل والدقيق بين السلوك الذي يدخل في باب حق التأديب الذي يمنح للآباء والمربين والمشرفين القائمين على تربية الطفل من ناحية، والسلوك الذي يعتبر عنفاً أو إهانة أو إساءة للطفل من الناحية الأخرى. وفي ضوء النتائج المتحصل عليها توصي الباحثة بما يلي :

- يتطلب التعامل مع حالات الإساءة الوالدية معارف ومهارات وموارد لا تتوفر لأي شخص أو مؤسسة أو اختصاص منفرد. ورغم أن القضاء والشرطة يلعبان أدواراً أساسية، فإن دعم الأسرة وحماية الطفل يتطلب تعاون كل من يقدم خدمات للأسرة أو القاصر. لذلك فإن التدخل الفعال في هذه المشكلة المعقدة يتطلب تكامل الموارد وخبرات العديد من الأفراد والجهات، مما يجعل مسؤولية التعامل مع حالات الإساءة مسؤولية مشتركة لكل أفراد المجتمع ولكل المهنيين والمختصين المعنيين.
- المنزل الدائم والأمن هو أفضل مكان صحي لنمو المراهق ، والأسرة هي خير من يعتني بأبنائها. فمن الطبيعي أن الأبناء يتعلقون بأسرهم، ويعانون من مشاعر سلبية عديدة عندما يبعدون عنها، والحفاظ على وحدة الأسرة يحفظ علاقات هامة للمراهق كقاصر مع الوالدين والإخوة وأعضاء الأسرة الممتدة، ويسمح له بالتطور ضمن بيئته وثقافته.
- عندما يكون الوالدان غير قادرين أو غير راغبين في تحمل مسؤولية تقديم الرعاية والحفاظ على سلامة أولادهم يصبح من الواجب قانونياً تدخل المجتمع ، على أن يكون الهدف الأساسي لهذا التدخل مساعدة الوالدين على حماية ابنائهم عن طريق البناء على نقاط قوة الأسرة وتخفيف العوامل التي قد تزيد من خطر حدوث الإساءة. لذلك يجب اتخاذ كل الاحتياطات للحفاظ على سلامة المراهق ، مع إبقائه ضمن أسرته وعدم الإحالة إلى القضاء وسحب الأبناء من أسرهم إلا بعد التأكد من استحالة حفظ سلامتهم ضمن الأسرة.
- يرغب معظم الآباء والأمهات بان يكونوا أهلاً جيّداً وبأن يمتلكوا القوة والمقدرة ، عندما يتلقون الدعم اللازم ، لرعاية أولادهم وحفظ سلامتهم. لذلك فإن التدخل بحياة الأسرة لحماية أبنائها مبني على الاعتقاد بان معظم البشر لديهم القوة والمقدرة على تغيير نمط حياتهم، وان دور أعضاء هيئة حماية المراهق

والمختصين النفسيين والمرشدين الأسريين هو تحديد نقاط قوة الأسرة واتخاذ تلك النقاط أساسا للتغيير ضمن الأسرة.

- عند مساعدة الأسرة على حماية أبنائها وتحقيق احتياجاتهم الأساسية ، يجب الالتزام باحترام كل الأشخاص المعنيين ، فكل البشر يستحقون المعاملة باحترام وكرامة . مما يعني انه يتوجب على أعضاء هيئة حماية المراهق إظهار الاحترام دون تأييد أو شجب أفعال الأبناء والآباء والأمهات وبقيّة أفراد الأسرة الممتدة وغيرهم.

- يجب أن تكون حماية المراهق وطرق تقديم الخدمات مركزة حول الأسرة بالاستفادة في تحسين أدائها مما يحيط بها من موارد مساندة طبيعية. إضافة إلى الوالدين ، يجب على أعضاء هيئات حماية المراهق توظيف العائلة الموسعة وشبكة الدعم الاجتماعي (جمعيات خيرية ، أساتذة ، مقدمي الرعاية الصحية من مختصين نفسيين ومرشدين أسريين ومساعدين اجتماعيين) في تطوير وتطبيق خطط مناسبة للخدمات الهادفة إلى تخفيف أو إزالة خطر سوء المعاملة الوالدية .

- يجب على أعضاء هيئات التدخل لحماية الابن المراهق احترام قيم وعادات وتقاليد الأسر ولا سيما إذا كانت من خلفيات ثقافية مختلفة عنهم ، فمن الضروري تقديم خدمات مناسبة لثقافة الأسرة. وللتمكن من ذلك ، يجب على أعضاء الهيئات المختصة في حماية المراهقين تفهم ذاتهم أولا وتفهم تأثير خلفيتهم الثقافية على قيمهم ومعتقداتهم وسلوكهم وحكمهم على الآخرين.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- العسالي، محمد أديب، (2008)، أساسيات حماية الأطفال من سوء المعاملة والإهمال، إصدارات شبكة العلوم العربية، مصر .
- 2- أبو جادو، صالح محمد علي، (2007)، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
- 3- بيرون، روجيه، (1999). الأطفال وعدم التكيف، منشورات عويدات سلسلة زدني علما، لبنان.
- 4- حسن، ابراهيم أحمد، (2008)، علاقات الأسرة وأساليب المعاملة الوالدية، دار الهدى، الأردن.
- 5- دمنهوري، رشاد صالح، (2006)، التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
- 6- ذياب، البداينة، (2010)، (22-12-2010)، تدابير وقاية الأطفال ضحايا سوء المعاملة وحمايتهم، تطبيق النموذج العام في الوقاية من العنف، ورقة مقدمة في المؤتمر العلمي الإجراءات الجزائية في حالات إساءة معاملة الطفل وإهماله، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض .
- 7- سعد، عبد العزيز، (2013)، الجرائم الواقعة على نظام الأسرة، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر.
- 8- سوين ريتشارد.م، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، (1988)، علم الأمراض النفسية والعقلية، مكتبة الفلاح، الكويت.
- 9- الشربيني زكريا، صادق يسرية، (2003)، تنشئة الطفل، دار الفكر العربي، مصر.
- 10- الصديقي، سلوى عثمان، (2003)، الأسرة و السكان، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.
- 11- عبد اللطيف، رشاد أحمد، (2008). انحرافات الصغار مسؤولية من؟، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، الاسكندرية.
- 12- فرحات، أحمد، (2011). «أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء و علاقتها بالسلوك التوكيدي» ، كلية علوم التربية، جامعة تيزي وزو ..
- 13- المسلماتي، صفاء، (2009). علم الاجتماع التربوي نظرة معاصرة: إسكندرية. مصر: دار المعرفة الجامعية
- 14- المنلا، باسمة، (2012). العنف الأسري على الطفل أنواعه وأسبابه والاضطرابات النفسية الناجمة عنه. بيروت: دار النهضة العربية
- 15- نعيمة، غزالي، (2012)، النسق الأسري وعلاقته بظهور محاولات الانتحارية لدى المراهق، كلية علوم التربية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر.

- 16 طه حسين، عبد العظيم، (2008)، إساءة معاملة الأطفال النظرية والعلاج، دار الفكر، عمان.
- 17 Bouregba (A). (2004). Les troubles de la parentalité approches clinique et socio-éducative. Dunot .Paris.
- 19 https://bouhoot.blogspot.com/2015/04/blog-post_11.html
- 20 -3Wikipedia org/wiki/maltraitance .
- 21 Bouredji, Fella, Algérie : A quand des mesures pour prendre en charge ces franges vulnérables ? [Http://fr.allafrica.com/stories](http://fr.allafrica.com/stories), Publié sur le web le 5 Février 2018.
- 22 Felitti, V.H., Arda, R.F., Nordenberg, D., Williamson, D.F., Spitz, A.M., Edwards, V., Koss, M.P., & Marks, J.S.(1998), Relationship of childhood abuse and household dysfunction to many of the leading causes of death in adults, US, American Journal of Preventative Medicine, PP 14, 245-252
- 23 Goldman, J., Salus, M.K., Wolcott, D. & Kennedy, K.Y, (2003), A coordinated response to child abuse and neglect: The foundation for practice, Washington, DC: U.S, Department of Health and Human.
- 24 Gustave Nicolas Fisher. (2003). Psychologie de violences sociales ed Dunod.Paris .
- 25 J.A. Silver, B.J. Amster, & T. Haecker (Eds.), Young children and foster care: A guide for professionals (pp. 33-64), Baltimore, MD: Paul H. Brookes.
- 26 La petite Larousse .(1987).traitement éd française Paris
- 27 Morrison, J.A., Frank, S.J., Holland, C.C., & Kates, W.R. (1999). Emotional development and disorders in young children in the child welfare system, In
- 28 www.ardres.74.ac-grnbole.fer(2021/01/22).
- 29 -www.psychoaatu.org/documents/munchaisen.htm.p.2

المقدمة:

للأسرة دور كبير في تعليم الأبناء واحترام الأنظمة والقوانين العائلية، بالإضافة إلى توجيه سلوكهم، وذلك من خلال التواصل الأسري بين أفراد الأسرة الصغيرة (أي الزوج والزوجة والأبناء) الذي يكون على شكل حوار وتشاور وإقناع واتفاق، للحفاظ على كيان الأسرة ودوامها، حيث تظهر روح المساعدة والتنسيق في توزيع الأدوار والمسؤوليات. وإذا غاب هذا التواصل الأسري قد يؤدي إلى انزلاقات خطيرة في العائلة، مثل انحراف الأبناء ودخولهم في حيز الجنوح والإجرام.

والتواصل الأسري هو ذلك التوحد والتفاعل بين أفرادها حتى تصبح لغتهم واحدة ومفاهيمهم موحدة. وللتواصل أساليب وآليات تساعد على تحقيقه داخل الأسرة، وبدونها يغيب هذا التواصل بين أفرادها لعدة أسباب تربوية واجتماعية ونفسية. وأي خلل أو نقص في هذه الوظيفة الاجتماعية وعدم اعتمادها في العلاقات الأسرية يؤدي في الكثير من الأحيان للخصام والصراع والجفاء بين أفرادها، بدل التفاهم والانسجام بين الوالدين والأبناء، مما يؤدي إلى ضياع، تشتد وانحراف الأبناء في الكثير من الأحيان خاصة في عصرنا هذا أين طغت وسائل التواصل الاجتماعي حيث أصبح الأبناء يعيشون في العالم الافتراضي مع أصدقائهم ومتابعيهم أكثر من عيشهم وتفاعلهم مع أسرهم. وفي هذا المقال سوف نتناول التواصل الأسري وأهميته في اندماج وتكيف أفراد الأسرة خاصة الأبناء. ثم نعرض إلى عواقب انعدام التواصل الأسري مع الأبناء وعلى رأسها الجنوح والانحراف خاصة عند المراهقين.

1. الإشكالية:

يعتبر التواصل الأسري الرابط الوحيد بين الآباء والأبناء، وعبره تتم عملية التنشئة الاجتماعية التي هي حجر الأساس في بناء شخصية الإنسان، والتواصل المستمر بين الأبوين في الأسرة وأولادها بمثابة الضامن الحقيقي لنمو هؤلاء الأبناء نمواً سوياً، وبث قيم الأسرة وثقافة المجتمع والقيم الوطنية بشكل عام في نفوسهم وعقولهم. وكلما اتسعت المسافة بين الأبوين والأولاد داخل الأسرة كلما فُصح المجال أمام هؤلاء الأولاد للشذوذ والانحراف والبحث عن أطراف أخرى للتفاعل معها. وقد بينت إحدى الدراسات في سوريا أن 70% من الأبناء المنحرفين كان تواصلهم مع آبائهم إما شبه معدوم أو ضعيف جداً، خاصة في حالات غياب الأب أو انشغاله وعدم مقدرة على التواصل مع أبنائه داخل الأسرة (كواري، 2002).

ومن المؤكد أن عدم تواصل الآباء مع أبنائهم من الظواهر التي زاد انتشارها في الوقت الحالي، وهذا نتيجة لاعتبارات كثيرة منها الانتشار الواسع لتكنولوجيا المعلومات والاتصال من الفضائيات وشبكات التواصل الاجتماعي والانترنت، حيث نجد أن ما يقضيه الشاب أو المراهق من وقت في تصفح هذه المواقع يفوق بكثير عدد الساعات أو الأوقات التي يتواصل فيها مع أفراد أسرته وأبويه. ومن خلال متابعة شريحة

من الشباب والمراهقين الذين قاموا ببعض أعمال الشغب والاعتداء بالسلاح الأبيض في الجزائر العاصمة، وجدنا أنه لم تكن لديهم تلك العلاقات القوية التي تربطهم بأفراد أسرهم و آبائهم بالدرجة الأولى، وربما كان هناك وضع ما داخل الأسرة هو الذي أدى إلى عدم امتثال هؤلاء الشاب أو المراهقين لرأي الأبوين، مثل عدم مبالاة الآباء نتيجة لانخفاض مستوى الوعي وانشغالهم بأعمال أخرى، أو عدم تقديرهم لمخاطر اندماج أبنائهم مع تلك الجماعات من الأصدقاء والرفاق أين يكونوا بعيدين عنهم يتصرفون وفق ما يشاؤون دون أن يكون هناك مرجع لهم يقتدون به. ويحدث للكثير من الآباء أنهم لا يتحدثون مع أبنائهم في أبسط أمور الحياة اليومية، وغالبا ما يكون الكلام تأنيبا و توبيخا أو أوامر، مما يجعل الأجواء الأسرية متوترة و مشحونة، قد يكفي تصرف صغير ليفجر الوضع داخل الأسرة بسبب الجهل الكامل بفوائد التواصل ومزاياه وعدم إدراك أهمية الحوار بين الوالدين وأبنائهم.

كما أن الكثير من الآباء و الأمهات، يعتقدون أنه عندما يبلغ أبنائهم سن محددة، مثل بداية الشباب يجب إعطاؤهم حريتهم داخل وخارج المنزل، ولا يسعون للتعرف على رفاقهم ومصيرهم أو الاقتراب من همومهم ومشكلاتهم ظناً منهم أن أبنائهم أصبحوا ناضجين وقادرين على حل مشكلاتهم بأنفسهم، واتخاذ القرار المناسب، غير منتبهين لما يمكن أن يحدث لهم أو معهم متناسين أن الأسرة البنية الأساسية في بناء الإنسان والمجتمع، و أنهم بهذه الطريقة فتحوا هوة عميقة بينهم وبين أبنائهم، قد تجعل منهم فريسة لبعض الأشخاص لتحقيق أهداف وغايات غير مشروعة وغير قانونية في معظم الأحيان. ما قد يؤدي بحياتهم إلى الخطر وينتهي بهم الأمر في السجن.

ومن خلال هذا العرض سوف نحاول الكشف عن المعوقات التي تعرقل سير عملية التواصل بين أفراد الأسرة أو تكون سببا في انعدامها، وما هي نتائج غياب التواصل الأسري على الزوجين وعلى الأبناء أيضا؟ وهل يمكن لغياب التواصل الأسري أن يؤدي إلى جنوح وانحراف الأبناء؟ هل توجد علاقة بين انعدام التواصل والحوار الأسري وانحراف المراهق؟ هل يمكن للأسرة أن تكون سببا في انحراف ابنها؟

- مفهوم التواصل الأسري:

هو التفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة عن طريق المناقشة، والحديث عن كل ما يتعلق بشؤون الأسرة من أهداف ومقومات وعقبات، ويتم وضع حلول لها، وذلك بتبادل الأفكار والآراء الجماعية حول محاور عدة، مما يؤدي إلى خلق الألفة بين أفرادها (بكار، 2009).

التواصل الأسري يقصد به التفاهم والحوار بين أفراد الأسرة. حيث يظهر في صور متنوعة ومقصودة مع الأولاد، مثل الضم الحسي ومعنوي، التواصل العاطفي، الإحسان، العطف عليهم، الرفق بهم والتكفل باحتياجاتهم المادية، ومن أهم خصائص الأبوة هو أن مسؤولياتها لا يمكن أن تؤدي غايبا، فلا بد أن يكون الآباء حاضرين بشخصهم، ويمكثون بين أبنائهم أطول فترة ممكنة للقيام بدورهم على أكمل وجه.

ويتم تحقيق التواصل الأسري عن طريق الحوار الذي يعتبر تفاعل لفظي يساعد على دعم الروابط بين الزوجين وينمي لغة التفاهم مع الأبناء، حيث يتطلب مهارة في التعبير ومهارة في الإنصات (محمود إسماعيل، 2003).

يتضح لنا مما سبق أن الاتصال الأسري هو جوهر العلاقات الأسرية، إذ لا يمكن أن يتطور في غياب التواصل بين أفرادها. حيث يبدأ هذا الاتصال الذي يكون بين (الزوجين) ثم ينتقل لأطراف أخرى هم الأبناء، ويتخذ عدة أشكال كالحوار، التشاور، الإقناع، الاتفاق، التوجيه والمساعدة.

2- أهمية التواصل الأسري:

للتواصل الأسري أهمية تنعكس على نفسية وسلوك الفرد وتتجلى فيما يلي:

- يعمل على تنمية العلاقة بين أفراد الأسرة، فهو أساس للعلاقات الأسرية ويؤدي إلى فهم كل من الطرفين للآخر.
 - يساعد على النشأة السوية الصالحة للأبناء، بعيدة عن الانحراف الأخلاقي والسلوكي.
 - يخلق التفاعل بين الابن وأبويه، مما يساعدهما على معرفة احتياجاته فيسهل التعامل معه.
 - يتعلم كل فرد في الأسرة أهمية احترام الرأي الآخر، فيسهل تعامله مع الآخرين (الأبناء، الآباء، المعلمين، المجتمع من حوله).
 - يعزز الثقة في أفراد الأسرة، مما يجعلهم أكثر قدرة على تحقيق طموحاتهم وآمالهم.
 - يعمل على قبول النقد من الطرف الآخر، ويخفف من مشاعر الكبت عند الأبناء.
 - يعمل على دعم النمو النفسي والفكري والاجتماعي لشخصية الأبناء.
 - يحرر النفس من الصراعات والمشاعر العدائية والخوف والقلق عند الأبناء.
 - يعتبر وسيلة بنائية علاجية تساعد في حل كثير من المشكلات في الأسرة. (عادل بن محامد، 2012)
- إذن فالحوار الأسري هو وسيلة للتواصل الأسري الفعال حيث يساعد على تنمية المشاعر الإيجابية والحب والألفة بين أفرادها، ويساهم في تقريب وجهات النظر بين أفراد الأسرة الواحدة. فيتعلم كل فرد في الأسرة أهمية احترام الرأي الآخر، ويخلق لديهم روح التفاعل الاجتماعي التي تعزز الثقة في أفراد الأسرة مما يجعلهم أكثر قدرة على تحقيق طموحاتهم وآمالهم، من خلال الاتصالات الفعالة والجيدة والنقاشات المتعلقة بالحياة اليومية التي لها أثر كبير على نفوس الآباء والأبناء على حد سواء.

3-أنواعه التواصل الأسري:

يتخذ التواصل الأسري أشكالا مختلفة من بينها:

- التواصل الزوجي (بين الزوجين):

عرف (شيلي, 2018) التواصل الزوجي بأنه "عملية دينامية مستمرة صادقة وضرورية لاستمرار الحياة بين الزوجين خاصة، والحياة الأسرية عامة بما تتضمنه هذه العملية من طريقة للتعبير عن مشاعر الزوجين الإيجابية منها والسلبية بشكل مقبول لا يحمل معاني التجريح للآخرين".

أما (البلوي, 2019: 518) فقد عرف التواصل الزوجي بأنه "القدرة على التعبير عن المشاعر ورغبات كل زوج للآخر، مع تبادل الأفكار والآراء ووجهات النظر، والمناقشة الموضوعية فيما يتعلق بحياتهما الزوجية والأسرية دون أذى أو تجريح.

إذن فتواصل الزوجين هو تلك العلاقة التفاعلية الحوارية التي تجمعهما مع بعض لمناقشة أمور حياتهما الأسرية، والذي من خلاله يتبادلان مشاعر الحب والاحترام بينهما. فالتواصل الزوجي يعد من أهم مجالات التواصل الأسري لأهمية الزواج في بناء الأسرة ودور العلاقة الزوجية في استقرار وتماسك الأسرة.

- التواصل الأمومي:

هو تواصل الأم مع الأبناء، وكلما كان تواصل الأم جيد كلما أصبح مصدرا لاستقرار الأبناء النفسي وإشباع حاجاتهم ونمو شخصيتهم نمو طبيعيا.

- التواصل الأبوي:

تواصل الأب مع أبنائه من الركائز الأساسية التي تقوم عليها التنشئة الاجتماعية وبناء شخصية الأبناء، فكلما كان تحاور وتفاهم الأب مع أبنائه بأسلوب جيد، كلما كان تفاعلهم الأسري ايجابيا والعكس صحيح.

- تواصل الأبناء مع الآباء:

يكون من الأبناء إلى الآباء، حيث يدير الأبناء الحوار لاسيما في الكبر ويسمى هذا التواصل ببرّ الوالدين إذا كان جيدا وعقوق الوالدين إذا كان التواصل منعما أو مخالفا لعادات وتقاليد المجتمع (ماجد سكر، 2011).

4-العوامل المحددة للعلاقة التواصلية داخل الأسرة الواحدة:

للتواصل الأسري ضوابط تجعله ايجابيا وبناءً، مثل تقبل الآخر والاعتراف بحقه وتقبل الاختلاف في الآراء، وذلك بالتشاور والتأني بالحكم، وحسن القبول، وهو الكلام بهدوء والكلمة الطيبة التي تهدف إلى حل مشكلات الأسرة. بالإضافة للاحترام المتبادل بين الأطراف التي تبدي آرائها وأفكارها، مما يزيد من قيمة الحوار في الأسرة. وهناك ثلاث عمليات يمكن أن نلقي الضوء عليها تحدث في نطاق الأسرة.

4-1 التعاون:

هو العملية الاجتماعية التي تربط بين أعضاء الجماعة الاجتماعية لتحقيق الأهداف المشتركة لها، وقد يكون هذا الهدف ماديا كالحصول على شيء معين أو الحفاظ عليه. والتعاون بهذا المعنى يفترض أن يكون السمة المميزة للأسرة مهما كان نوعها ونمط معيشتها.

4-2 التنافس:

هو العملية التي يستخدمها بعض أفراد الأسرة للحصول على مكانة معينة أو التمييز في معاملة من المعاملات، وقد يرجع هذا في المحيط العائلي، إلى الاستقلال الاقتصادي للمرأة أو المساواة بين الرجل والمرأة، ويحدث غالبا في أوائل زمن تكوين الأسرة. أو يظهر لاحقا. ويعود السبب في هذه الحالة إلى عدم المساواة في معاملة الأبناء، فيظهر تنافسا بينهم للحصول على امتيازات مادية أو معنوية معينة، أو ممارسة سلوك مضاد وهذا النوع من التنافس قد يؤدي إلى الانحراف والتفكك.

4-3 الصراع:

هو العملية الاجتماعية التي تختلف عن عملية التنافس فالصراع يأخذ عادة مظهر عدائي لحل الموقف، ويأخذ الصراع عدة أشكال للحل أهمها الصراع الشخصي، الذي يحدث عندما يكره شخصين من نفس الأسرة أحدهما الآخر، فإذا استطاع أفراد الأسرة التغلب على الأنماط المسببة للصراع، يحل بسهولة أو العكس (عبد العزيز، 2008).

5- وظائف التواصل:

للتواصل ثلاث وظائف رئيسية نوجزها على النحو التالي:

5-1 التبادل:

أي تبادل المعلومات والأفكار والانطباعات ووجهات النظر مع الآخرين.

5-2 التبليغ:

أي نقل فكرة أو خبر أو معلومة أو تجربة، اعتمادا على أداة من المرسل إلى المستقبل قصد استقبالتها واضحة ومفهومة، لتوظيفها في الحياة اليومية.

5-3 التأثير:

ويقصد به الأثر الإيجابي الذي يحدثه مضمون التواصل، ولذلك فإن هذه الوظيفة مرتبطة بالوظائف السابقة، إذ تهدف إلى إحداث تأثير يعمل على تغيير السلوك. (عبد الحميد الخطيب، 2007).

6- آثار غياب التواصل الأسري:

- كلما تراجع التواصل بين الزوجين تقدم سوء الظن ليأخذ مكانه، والعمل على إيقاف التفاهم تماماً أو تدهوره في اتجاه سلبى للعلاقة الزوجية، إذ انطلاقاً من مشاكل بسيطة قد تؤدي إلى هدم كيان الحياة الزوجية.

- أما بخصوص التواصل بين الآباء والأبناء، فإن انشغال الآباء طيلة اليوم بأعمالهم والتحاقهم بالمنزل في وقت متأخر من الليل، حيث لا يجد الوالدان الوقت لسؤال الأبناء عن أحوالهم والإنصات إليهم، هذا ما يجعل بعض المشاكل الطارئة لدى الأبناء تنمو ويشتد خطرها في غياب وعي الآباء بها نتيجة ضعف التواصل الأسري أو غيابه في فترات جد حرجة من حياة الأطفال والشباب.

- في ظل غياب التواصل الأسري يلجأ الأبناء لتعويض هذا التواصل المفقود بتواصل مع زملائهم في المدرسة أو أبناء الجيران، فيصبح لهم التأثير المباشر في تشكيل تصوراتهم وأخلاقهم على نحو قد يتعارض تماماً والتنشئة السوية ولا يرضي الوالدين إطلاقاً، فقد يصبحون عازفين عن التعلم والتحصيل، ويدخلون في حيز الانحراف أو مدمنين على المخدرات أو يقومون ببعض العادات المفسدة للأخلاق. ومن جهة أخرى فإن ضعف التواصل بين الأولاد والوالدين يفقد العلاقة الرحمة بينهما متانتها ومهابتها في نفوس الأبناء، فينعكس ذلك إلى عقوقهم للوالدين واتخاذهم وجهة معاكسة لما يتمناه الآباء، مما يؤثر بقوة على فشل في التربية الأسرية.

- اعتماد مقاربات متناقضة في تربية الأبناء، كأن يلجأ أحدهما لأسلوب اللين، بينما يعتمد الآخر أسلوب الحزم، فيظهر الأبوان أمام الأبناء متناقضين فيتنازعان ويختصمان وأحياناً بحضور الأبناء، وتضع رمزيتهما التربوية.

- إقامة حواجز بين الآباء والأبناء، باسم الحياء والخجل، يعد خطأ تربوي فادح يحرم الأبناء من تجارب آبائهم في الحياة وتوجيهاتهم، كما يجعل الآباء يفقدون فرصة تتبع أبنائهم ومساعدتهم على تجاوز العقبات والصعاب التي تواجههم.

7- التواصل الأسري وتحقيق التماسك بين أفراد الأسرة:

إن علاقة الوالدين مع أبنائهم من أهم عوامل بناء الشخصية السوية عند الأبناء، خاصة إذا كانت مبنية على الاحترام والمحبة والتواصل الجيد، فالتواصل بين الوالدين والطفل مهم جداً خاصة في هذا العصر، حيث أصبحت طريقة تفكير أطفالنا متأثرة بالتكنولوجيا المتقدمة ووسائل الإعلام على اختلاف أنواعها، التي تلعب دوراً كبيراً في توجيه طريقة تفكير الأطفال وتعايشهم مع الأحداث الاجتماعية المختلفة.

إن عملية التواصل هي أساس العلاقات الإنسانية والتفاهم الإنساني، وتلعب دوراً بارزاً في عملية التعليم والتعلم، خاصة إذا كان التواصل مع الأبناء منذ مراحل الطفولة المبكرة، فالطفولة قاعدة بناء شخصية الفرد، ومركز تكوين الإنسان تكويناً قوياً سليماً من النواحي المختلفة الجسدية، النفسية، الاجتماعية والثقافية، ويتأثر الكبار عادة بما تعودوا عليه في مرحلة الصغر، وتظل ذاكرته لأحداث الطفولة راسخة. لذا كان لزاماً على الوالدين في الأسرة الواحدة أن يدركا مدى أهمية التواصل مع أبنائهم منذ الصغر، فللأسرة دور كبير وهام في تعليم الطفل أساليب التعامل مع الآخرين، كما أن لها دوراً في تعديل السلوك من السيئ إلى الأحسن.

ويحتاج الأبناء إلى تواصل مكثف حكيم لإعدادهم إعداداً صحيحاً بهدف الارتقاء والنهوض بالحضارة، فمن أهم الوسائل التربوية للأسرة إعداد الأبناء لأداء دورهم الاجتماعي على أحسن وجه (ياسر معروف، 2014).

وبالتالي فالتواصل الأسري أساس الوحدة في العائلة، والتي تعتبر سلسلة مترابطة كل فرد في العائلة يعتبر حلقة في هذه السلسلة، وهو حلقة قوية مستقلة بحد ذاتها. وفي كثير من الأسر لا يتحدث الوالدين مع الأبناء إلا قليلاً،

ومن أجل عدم الوقوع في كل هذه المشاكل التواصلية والأسرية والتربوية بسبب انعدام التواصل أو ضعفه بين الزوجين أو بين الوالدين مع أبنائهم، يجب إتباع طرق سليمة من أجل تحقيق تواصل قوي وصادق كونه يدخل في التنشئة السليمة للأطفال. وكلما كان وعي الوالدين بأهمية التواصل وفوائده التربوية والاجتماعية، كلما زاد حرصهم على حسن العشرة وكف الأذى، والحرص على أداء الواجبات قبل المطالبة بالحقوق، فيؤدي الآباء ما وجب عليهم تجاه الأبناء، ويقوم الأبناء بما فرض عليهم من واجبات.

وتبرز أهمية التواصل الأسري في سعيه نحو تحقيق أغراض معينة، وأهداف عديدة يكون أساس تحقيقها الأفراد الذين يعملون بها، وينتمون إليها كما تعد عملية التواصل الأسري الوسيلة الناجعة لتحقيق التماسك الأسري، إذ بدونه يغيب فهم الغرض المشترك وكذلك تغيب عملية تنسيق الجهود لتحقيق هذا الغرض. ومن الطبيعي ألا يقف التواصل الأسري عند نقل المعلومات فقط بل يتعداها إلى تناول المشكلات وطرق علاجها، من أجل إحداث التأثير المطلوب. وكلما كان التواصل الأسري جيداً كلما أدى ذلك إلى التماسك الأسري بين أعضاء الأسرة، وإلى ظهور علاقات وروابط وضوابط اجتماعية سليمة بين أفرادها في تعاملهم داخل الأسرة وفي المجتمع الأكبر.

8- خطوات بناء التواصل مع الأبناء داخل الأسرة:

فيما يلي بعض الطرق لبناء تواصل أسري صحيح:

تحديد وقت للقاء وللتناسل: على أفراد الأسرة تخصيص وقت للتواصل فيما بينهم لمدة 10 دقائق يومياً، مما يحدث فرقاً كبيراً في تشكيل عادات التواصل الجيد، كإيقاف التلفزيون والاتصال بالعالم الافتراضي عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، وإظهار الاهتمام الكامل للحوار، إضافة إلى تركيز النظر على المتحدث.

الاستماع الجيد: الاستماع الجيد أثناء التواصل يعطي الشعور بالحب والتقدير، وخاصة لدى الأطفال، حيث يحملون مشاعرهم أثناء حديثهم مما يجعل الوالدين أقرب لفهم تفكير أطفالهم.

إظهار التعاطف: أي إظهار المشاعر التي تتناسب مع الحوار الذي يدور بين أفراد الأسرة كالحزن أو الفرح، وتجنب التقليل من شأنها كالقول: "لا داعي للبكاء فالأمر سخيف" إن مثل هذا التصرف يؤثر في المتحدث ويبعده عن التواصل مع الأسرة.

أداء التواصل بشكل صحيح: يتعلم الأطفال معاني الرسائل التي توجه إليهم من آبائهم، مثل نغمات الصوت أثناء الكلام أو تعابير الوجه؛ لذا على الوالدين أن يمارسا التواصل بشكل صحيح، فإن قول عبارة "لا تفعل ذلك" أثناء الضحك ستكون رسالة مربكة، لذا من الأفضل أن تكون الاتجاهات واضحة كي تصل الرسالة بشكل جيد.

استخدام لغة الجسد: معظم الاتصالات شفوية بالدرجة الأولى، ثم تأتي لغة الجسد لتقدم مزيداً من المعلومات عما يقال، هنا تكمن أهمية استخدام لغة الجسد ويمكن توضيح أهميتها من خلال ما يلي:

تعطينا المعلومات عن الحالة المزاجية للمرسل، وتوضح هدف الرسالة.

تسيطر على سير المحادثة، وتوضح أن المتحدث أتم حديثه، وإلى متى يجب أن تستمر المحادثة.

تعبّر عن الشخص الذي نتحدث معه، فمثلاً لغة الجسد أثناء الحديث إلى طفل تختلف عند الحديث مع الكبار (ماجد رجب، 2011).

9- كيفية تحقيق التواصل داخل الأسرة وفقاً للعلاقات المحددة بين أفرادها:

من المهم دائماً أن يجد الآباء طرقاً لمساعدة الطفل على التصرف بشكل صحيح دون إيذاء مشاعره أو إرباكه، وذلك من خلال إعطاء ملاحظات واضحة تتناسب مع عمره، مدحه والثناء عليه، يجب أن يستمع الآباء جيداً لأبنائهم وأن يكونوا صادقين في التعامل معهم. والمعروف أن كل عائلة تقوم بالتواصل فيما بينها بطريقة الخاصة، يمكن تحديدها وفق العلاقة بين أفرادها داخل الأسرة، ويمكن تقسيمها إلى مجموعة أصناف:

المساواة: في هذا النوع يشارك جميع أفراد الأسرة باتخاذ القرارات ومناقشتها، هذا النوع يجعل التواصل صادق ومفتوح ومباشر، وعلى الرغم من احتواء مثل هذه الأسر على الصراعات كما مثيلاتها من الأسر، لكن هذه الصراعات لا تقوم على تحدي قوة أخرى، بل ترتبط بموضوع مفتوح للنقاش، وحقيقة من الصعب أن تتحقق المساواة المطلقة إذ لا بد من وجود شخص ما يتخذ القرار النهائي في الخلافات التي يصعب حلها.

الاحتكار: والمقصود هنا أن يتمتع شخص واحد في الأسرة بالسلطة العليا لاتخاذ القرارات، ويعتبر أن لديه كل المعرفة التي لا يمكن الطعن بها، فهو رئيس الأسرة، ففي أيامنا هذه تكون السلطة بيد الأب أما فيما مضى كانت المجتمعات القديمة تقسم هذه السلطة بين الأب والأقارب، ويتأثر التواصل بين أفراد الأسرة بتركز القوة، وتنشأ النزاعات داخل الأسرة بسبب تحدي هذه السلطة.

انقسام متوازن وانقسام غير متوازن: كما ذكرنا سابقاً من الصعب تحقيق المساواة في الأسرة وخاصة إذا كانت تتألف من عدد كبير من الأفراد؛ لذا فمعظم العائلات تكون في موقع ما بين المساواة والاحتكار، يطلق على هذا النوع من التواصل اسم (انقسام الاحتكار) فلكل فرد مساحة من الاحتكار على قدم المساواة مع باقي أفراد الأسرة، فمثلاً يصبح كل شخص هو صاحب القرار النهائي عند مناقشة موضوع معين، فيكون شخص واحد هو صاحب السلطة على الموارد المالية، وآخر ينظم جدول مواعيد الأسرة، وغيره مسؤول عن النشاطات الترفيهية، تتميز هذه الأسر بمستوى منخفض من الصراع لأن كل شخص يحترم سلطة الطرف الآخر، مما يؤدي إلى التواصل الأكثر صحة (منصور، 2008).

10- أسباب غياب التواصل بين الزوجين:

معظم الأسرة العربية لا تزال غير مؤهلة لتقوم بالدور التواصلية، الذي يخلق نوع من التفاعل الإنساني المحكوم بمظاهر التفاهم والتكامل والتواصل الإيجابي والحوار البناء، وذلك لأسباب عديدة منها جهلها شبه التام لأساليب التواصل وأهميتها في تلقين الطفل مبادئ الحوار وآداب التعامل. فمعارفها حول سيكولوجية كفاءات الطفل التواصلية عادة ما تكون جد متواضعة. وأساليبها التربوية والتواصلية ما تزال مجرد مواقف مزاجية متذبذبة، وسلوكيات عشوائية متأرجحة وممارسات اعتباطية متناقضة، تحكمها في الغالب مظاهر المراوحة بين التسلط والتساهل أو بين النبذ والحماية المفرطة للأبناء، هذا ما جعلها كمايلي:

- تفتقر لمرجعية سيكولوجية خاصة بالطفل التي تشكل ركيزة قوية لكل تربية أسرية.
- غياب التربية على التواصل و قيم الحوار بين الجنسين في مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأساسية للمجتمع (خاصة الأسرة، المدرسة..) وسيادة بعض القيم السلبية التي تميز بين الجنسين.

خضوع الزوجين للضغوطات وللتبعية السلبية لأسرتيهما، حيث يتدخل أكثر من طرف في الشؤون الداخلية للأسرة، وتصبح أسرة الزوجين هي المحاور بدل التواصل المباشر بين الزوجين في أمورهما الخاصة وأمور أسرتهما.

التنشئة الاجتماعية السلبية التي خضع لها الزوجين، والتي تركز القيم والعلاقات الاجتماعية التي تشجع على ثقافة التواصل مع الآخر، وعلى الروح الجماعية في تدبير الحياة الجماعية المشتركة، وعلى التشجيع بأخلاقيات التواصل الإيجابي والفعال مع الآخر.

عدم تربية وتعود الوالدين على قيم وثقافة التواصل، فيعيدا إنتاج ذلك مع أبنائهما. سيادة تمثيلات وقيم سلبية تجاه الأطفال من طرف الراشدين (الزوجين)، كضرورة انصياع الأبناء لرغبات وقرارات الوالدين دون مناقشتهم في ذلك (نموذج الابن "المرضي")، وكون الأبناء صغييري السن (وقد يظنون كذلك حتى إن كبروا) وبالتالي فهم غير مؤهلين عقليا لكي نتحاور ونناقش معهم بعض الأمور، وكون الأطفال عامة مشاغبين وعنيدين ليس أمامنا سوى إخضاعهم وتربيتهم بصرامة، ولا مجال للتحوار معهم والخضوع لرغباتهم وأرائهم.

ضغوطات العمل والمتطلبات الأسرية المرهقة للوالدين، قد تجعلهما يهملان تتبع وتربية أبنائهما، وبالتالي ينعدم التواصل مع الأبناء في القضايا والحاجيات والمشاكل (التربوية والنفسية والاجتماعية...). غياب الحوار والتفاهم بين الأبوين قد يؤدي إلى اعتماد مقاربات متناقضة في تربية البناء، كأن يلجأ أحدهما لأسلوب اللين، بينما يعتمد الآخر أسلوب الحزم، فيظهر الأبوان أمام الأبناء متناقضين فيتنازعان ويختصمان. وأحيانا بحضور الأبناء. وتضيق رمزيتهما التربوية.

وإذا كان الحوار بين الزوجين ضروريا وملحا، فإنه بين الآباء وبين الأبناء أكثر إلحاحا، لأنه يؤسس للثقة بينهما، ويساعد على تداول كل القضايا مهما كانت حساسة. تبادلا للرأي أو بحثا عن حلول لما يستجد في حياة الأبناء، عوض أن يتكتم الأبناء لا سيما البنات عن همومهم، فتتفاقم وتتطور إلى حالات انحراف وخيمة العواقب (الحضري، 2012).

11- مخاطر انعدام التواصل بين الآباء والأبناء:

عدم قدرة الفرد على التواصل مستقبلاً مع الآخرين (فقدان النضج الاجتماعي).

تدني مفهوم الذات والثقة بالنفس لديه.

تأثر الاستقرار النفسي والتكيف الاجتماعي.

انخفاض المهارات الاجتماعية التي تكتسب في العادة من خلال التواصل والحوار مع الآخر.

تفكك في العلاقات بين الأسرة الواحدة وانتشار والحقد بين الأفراد.

عدم إصغاء وتجاوز الأم والأب مع ابنهم يجعله فريسة لأصحاب السوء، للتنفيس عما بداخله ما يؤدي إلى الضياع والانحراف.

عقوق الأبناء للآباء واتخاذهم وجهة معاكسة لما يتمناه الآباء ما يؤدي إلى فشل في التربية الأسرية. كما أن اللوم والاتهام المتكرر يجعل أفراد الأسرة يفقدون روح حب المناقشة فيتهربون من الحوار والاتصال معاً حتى لا يدخلوا في دوامة الاتهام واللوم. وخمس دقائق لا غير ينصت فيها الأب لابنه قد تجعله يتفادى تضييع ساعات طويلة في معالجة مشكلات ناجمة عن قلة التواصل.

12- الحوار الأسري المفقود، انحراف الأبناء وظهور الجريمة في المجتمع:

انقطاع الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة يهدد كيانها وينذر بتفككها لان التواصل بين الأب والأم أصبح ضعيفاً نتيجة انهماكهما كل في عمله، يحاولا جمع المال بشتى الوسائل لتوفير احتياجات الأبناء.

وقد أدى التفكك الأسري إلى انحراف الأبناء ومن أهم نتائج افتقاد العائلة للغة الحوار، وضعف التنشئة والتوعية للأبناء، فالأبوين لا يعرفان أصدقاء أولادهم ولا يتحريان عن مستوى عائلاتهم. الابن يرتكب خطأ دون أن يحاسب أو على الأقل تصليح خطئه، ولذا أصبحت الأسرة مجزأة، صحيح أنهم مع بعضهم البعض في المنزل ولكن كل واحد يعيش لوحده في عالمه الخاص. كما أن غياب الحوار والحنان بين الأم والأبناء يجعل الأولاد يشعرون بالغرابة والتجاهل من قبل الأهل. وضعف الحوار بين أفراد الأسرة أدى إلى عدم تقبل الرأي الآخر وأصبح الأبناء لا يحترمون الوالدين بالقدر الكافي، نظراً لأنهم ابتعدوا حسياً وشعورياً الواحد عن الآخر وهذا الابتعاد والجفاء أضعف تأثير الأهل وسلطتهم وصلاحياتهم على أولادهم وأدى إلى تمرد الأبناء وحدوث مشاكل بين أطراف الأسرة الواحدة.

كما أن عدم تكامل البناء الأسري في المجتمع يؤدي إلى وجود مشاكل الانحراف والجريمة لدى أفرادها، والحوار الأسري في المجتمع ومن أسباب حدوث التفكك الأسري وظهور العنف الأسري إلى عدم تقبل أطراف النزاع داخل الأسرة لبعضهم البعض وغياب التفاهم ولغة الحوار، حيث يريد كل طرف أن يفكر الجميع فيه احتياجاته فقط دون النظر للآخرين، كما ينتج من عدم وجود لغة حوار وتفاهم ومشاركة في المسؤولية داخل الأسرة إلى عدم احترام كل طرف لرأي الآخر.

- المجرمين والمنحرفين عادة ما ينحدرون من أسر متصدعة أو مفككة. وهناك من الأحداث المنحرفين، من ينحدرون من أسر تحوي الأنساق الرئيسية للأسرة وهما الأب والأم، فأمهاتهم في عصمة آبائهم. و على الرغم من وجود تكامل في البناء الأسري لمعظم أسر المنحرفين والمجرمين، وهذا لا يجعلنا نجازف بالقول أنه لا يوجد أثر للأسرة في دفع الفرد بالمجتمع إلى الانحراف والجريمة، إلا أنه قد يكون هناك تصدعات في وظائف الأسرة بالرغم من تكامل البناء، ولهذا كانت لدراسة الخلل الوظيفي في الأسرة المتمثل في طبيعة الحوار الأسري في المجتمع، أهمية بالغة في تكوين الأسرة على أسس سليمة.

تعد ظاهرة الانحراف من الظواهر القديمة والمنتشرة في كل المجتمعات، ولكنها تختلف مع ذلك في الدوافع والأسباب المؤدية إليها، تبعاً لاختلاف محددات السلوك والمعايير والقيم السائدة في المجتمع، وكذلك الوضع الاقتصادي والثقافي.

ظاهرة انحراف هؤلاء الأطفال (الأحداث)، مشكلة اجتماعية خطيرة سواء تعلق الأمر بالحدث نفسه أو بالمجتمع المحيط به، فهو يشكل خطراً على نفسه عندما يتعرض لمقاومة المجتمع والأسرة وعدم تقبل سلوكياته، الشيء الذي يعرضه لمشكلات نفسية خطيرة تزيد من إحباطه وشعوره بعدم التقبل من الآخرين، وهو خطر على المجتمع لأنه أصبح يشكل مصدراً للقلق والاضطراب لمؤسسات المجتمع ونظمه وأفراده أيضاً، كما تتمثل خطورة هذه الظاهرة في عدم قدرة الحدث على إقامة علاقات سليمة مع الغير لإحساسه الدائم بأنه منبوذ و غير مرغوب فيه من طرف جماعته الأولية (الأسرة) أو في المجتمع الكبير.

وعليه، فإن ظاهرة انحراف الأحداث من الظواهر الاجتماعية التي تهدد استقرار النظم الاجتماعية، وكذلك حياة الأفراد الشخصية، حيث تعكس مجموع الاختلالات التي تحدث على مستوى الأبنية والوظائف الاجتماعية، خاصة داخل الأسرة التي تعد البناء الاجتماعي الأكثر أهمية وحساسية في حياة الفرد، فهي مصدر التربية والتنشئة الاجتماعية، وهي منبع الرعاية والاهتمام، وهي المحدد والموجه لسلوك الأبناء، هذا إلى جانب التأثير الكبير للوسط الاجتماعي. وتبين خطورة واتساع دائرة الانحراف لدى هؤلاء الأطفال والمراهقين، الذين يمرون بأصعب مرحلة عمرية وهي المراهقة، نظراً للتغيرات الفيزيولوجية والعقلية والنفسية التي يعانون منها، فهم بحاجة إلى رعاية الأسرة واهتمامها بهم (رشوان، 2003).

13- الفشل وتراكم الأخطاء بسبب معوقات التواصل داخل الأسرة يؤدي إلى الانحراف:

هناك معوقات أمام التواصل الفعال، يمكنها أن تحد من فاعلية التواصل، فتؤدي إلى الفشل وتراكم الأخطاء، وفيما يلي سنتعرف على هذه المعوقات:

الكبت: يعني الكبت إخفاء المشاعر أو الرغبات، وهذه الموانع يمكن أن تسبب مع الوقت صعوبات في الاتصالات.

الإنكار: هي نزعة الإنسان إلى نفي كل الأشياء التي تجعله يشعر بعدم الراحة سواء كان الإنكار ضمني؛ يستخدم فيه كلام السخرية أو صريحاً كالانسحاب من المجموعة.

الاستبدال: يعمل الدماغ بشكل معقد يصعب على الإنسان تصوره، فيحاول تشفير الرسائل لإخفاء المعنى الحقيقي، بحيث لا يتوافق مع التصرف الذي يقوم به الإنسان كأن يستبدل شخصاً بآخر، فمثلاً عندما يشعر بالاستياء من المدير في العمل بدلاً من النقاش معه يقوم باستبداله بأن يصب غضبه على الزوجة؛ التي بدورها بدلاً من التواصل مع الزوج ونقاش المشكلة، تخرج غضبها على الأطفال، هكذا يصبح الأطفال عاجزين عن التواصل مع آبائهم، بالتالي يفقدون القدرة على التواصل فيما بينهم أيضاً.

التضاد: هو ما يحدث عندما تكون الرسائل الشفهية غير منسجمة مع لغة الجسد، ووتيرة الكلام، وحجم وتعابير الوجه، فعندما لا تتطابق نبرة الصوت وتعابير الوجه مع الكلمات، يميل الناس إلى قراءة لغة الجسد واعتمادها بدلاً من معنى الكلام، ومن الإشارات غير اللفظية النظر بعيداً، كذلك عض الشفاه، أو فرك اليدين، وإبداء القلق.

14- نصائح لتواصل فعال بين أفراد الأسرة:

يجب اتباع بعض النصائح ليصبح التواصل في الأسرة أفضل، وهذه النصائح هي:

المرونة: عدم وضع حدود للتواصل مع أسرتك، كتنعين الزمان والمكان الذي يجب أن يتم فيه الاتصال، فمن الممكن أن لا يكون مناسباً لجميع أفراد الأسرة.

الإيجابية: لا يجوز أن يحصل أثناء التواصل ضمن الأسرة، توجيه انتقادات ساخرة للمتحدث مما يسبب انسحابه من دائرة التواصل الأسري، هنا من الأفضل أن يكون النقد تصحيحياً إيجابياً أي يترافق مع التشجيع والتقدير بذات الوقت، فالتواصل الإيجابي أكثر تأثيراً في سير عملية التواصل الصحيحة.

التأثير في الآخر: من المهم أن يتجاوز التواصل داخل الأسرة التعبير اللفظي، إذ يعطي وجود الأب الشعور بالأمان، وكذلك حضور الأم يضيفي شعور الدفء، لذا يعبر استخدام الإيماءات عن المودة والحب أثناء الحديث، حتى أثناء التأنيب أو التصحيح كالحديث بسلوب سلس أو العناق أو القبلية، كلها يجعل من الرسائل مقبولة ومؤثرة أكثر من الكلمات فقط.

الوضوح، اللطف والدقة: هذه القواعد الثلاث لا بد من تطبيقها خلال أي عملية تواصل ضمن الأسرة، فمن المهم أن تكون دقيقاً في اختيار كلماتك حتى تتوضح الرسالة مما لا يترك مجالاً للغموض (جابر عوض، 2000)

14- أزمة ضعف التواصل بين الآباء والأبناء في الأسر الجزائرية:

إن خوف الآباء على أبنائهم سلوك طبيعي إذا كان متزنًا ووسطياً، وينبع ذلك من حب الآباء لأبنائهم والخوف عليهم من رفاق السوء، ونطالب الآباء بالخوف الطبيعي المتزن الذي تكون نتائجه صائبة وإيجابية وتقي الأبناء من الوقوع في أخطاء جسيمة سواء صغاراً أو كباراً، والمخاوف التي تكون في الإطار الطبيعي تلك التي يسبقها توجيه وإرشادات وتثقيف حول المخاطر التي قد يتعرضون لها وأيضاً يصحبها متابعة وحزم وثوابت ومعالجة تربوية، ولا أعني بالمتابعة المراقبة المشددة التي تشعر الأبناء بعدم الحرية وعدم الثقة وإحساسهم بأنهم مكتوفو الأيدي، بل المتابعة الإيجابية وخلق جسور من التواصل الإيجابي بين الآباء وأبنائهم، فإن تجاوزت المتابعة حد الاتزان والوسطية تصبح قاتلة وتؤدي إلى نتائج عكسية.

الخاتمة:

للحوار دور في صناعة العلاقة بين أفراد المجتمع، ودور التواصل الأسري في تنمية وترسيخ هذه القيم، لأن قيم المحاور والمشاركة والانتماء للدولة ترسم أبعاد المجتمعات المتحضرة ذات العلاقات المتبادلة بين الأفراد والمؤسسات الحالية من السلوكيات المنحرفة. لهذا على الآباء أن يرتقوا بمستوى ثقافتهم في الأمور المستجدة في الحياة حتى يقتنع ويتقبل الأبناء توجيهاتهم، فيجب أن يتعلموا كل ما يعرفه أبناؤهم من تقنيات وثورة رقمية ومشاركتهم اهتماماتهم ومصاحبتهم برفق فهنا يعرف الآباء المسارات الفكرية والتوجهات السلوكية لأبنائهم، وأوصي دائما الآباء بإعطاء الاهتمام لجميع أبنائهم بالعدل والتساوي. التربية الإيجابية هي الوسيلة المثلى للوقاية من الانحرافات كلها، تبدأ هذه التربية بالوالدين لأنهما القدوة، والأمن النفسي المنزلي الذي ينطلق من حسن التعامل بين الزوجين، ويفيض على أولادهما بكلمة حانية، ونظرة راضية، وتربية هادئة، وتعويد النشء على الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولا شيء يمثل الخطر على الأولاد مثل الصحبة السيئة وضعف الرقابة الوالدية، فإنهما يفتحان أبواب الانحرافات الفكرية والسلوكية، وينبغي أن تطارد بواذر الانحراف حتى لا تتأصل. و يكون ذلك من خلال عقد جلسات أسرية كل أسبوع لمناقشة شؤون كل أفراد العائلة و المشاركة الفعالة وإبداء النصائح لبعضهم مما يجعلهم ينتظرون هذا اللقاء، وزيادة مرافقة الأب لأبنائه بزيادة زيارة الأقارب و الأهل، و المحافظة على نظام الجلوس على مائدة الطعام على الأقل وجبة الغذاء أو العشاء التي فقدت في اغلب البيوت. وإنصات الآباء لحديث الأبناء وفهم مشاكلهم والاستماع إليهم ومناقشتهم بأسلوب مرن ومناسب لعقولهم وعدم إهمالهم، يزرع الثقة في أنفسهم ويجعلهم يتكلمون بصراحة مع آباءهم، ويحميهم من خطر الوقوع في الانحراف

وفي الأخير نقول أن بناء الأسرة يحتاج إلى فهم صحيح لعوامل نجاحها كمؤسسة فاعلة متزنة في المجتمع؛ إذ يبدأ هذا بالاعتماد على الترابط الأسري، الذي ينتج من التواصل الصحيح ضمن الأسرة بمراعاة خصوصية التواصل مع الأطفال والمراهقين. ويرى الخبراء أن خلق مجتمع متماسك لا يعتمد على الفرد بحد ذاته بل ينطلق من الأسرة بكاملها.

- قائمة المصادر والمراجع:

- 1-البلولي، خولة سعد. (2019). فاعلية برنامج إرشادي لتطوير مهارات التواصل الزوجي في الأسرة السعودية. مجلة العلوم التربوية والنفسية بجامعة البحرين، 507-538.
- 2-إبراهيم ياسر معروف: واقع أساليب التواصل بين الأسرة و مؤسسات رياض الأطفال، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا 2014م
- 3-أحمد حسين أحمد، (2006): المواطنة الصالحة أسس ورؤى، كتاب مؤتمر التوافق السنوي الثالث هيئات المجتمع المدني والتنمية الوطنية، الكويت.
- 4-جابر عوض سيد حسن، خيرى الجبلي، (2000): الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة، المكتبة الجامعية الإسكندرية.
- 5-عبد الكريم بكار، (2009): التواصل الأسري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
- 6-حسين عبد الحميد رشوان، (2003): الأسرة والمجتمع، دراسة في علم الاجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.
- 7-سلوى عبد الحميد الخطيب: نظرة في علم الاجتماع الأسري، المصرية لخدمات الطباعة، مصر، 2007م.
- 8-شلي، داليا نعيم. (2018). فعالية ممارسة العلاج المعرفي في تنمية مهارات التواصل الزوجي: دراسة مطبقة على مكتب تسوية المنازعات الأسرية بمحكمة الأسرة ببورسعيد. مجلة الخدمة الاجتماعية، (60)، ج.5، 56-95.
- 9-عادل بن محامد الحضري، (2012): ثقافة الحوار الأسري، ندوة مجتمع ظفار التربوي، سلطنة عمان.
- 10-عبد الهادي الجوهري، (1998): الأسرة والبيئة، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية.
- 11-علي خليفة كوازي (2002): المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- 12-ماجد رجب العبد سكر، (2011): التواصل الاجتماعي أنواعه ضوابطه، آثاره ومعوقاته، الجامعة الإسلامية غزة.
- 13-محمود إسماعيل، (2003): مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، دار العالمية للنشر والتوزيع، ط1.
- 14-منصور رحمانى، (2008): المواطنة بين المفهوم والممارسة، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، منشورات جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، عدد 02.
- 15-محمد بت عبد العزيز 2008، حقبة مهارات الاتصال، مركز التنمية الأسرية بالإحساء، السعودي.

المقدمة:

المناهج التربوية هي أحد الأركان الرئيسية في التربية والتعليم، وهي المسؤولة عن تطور الأجيال، فكلما تخلفت الأجيال المعدة في المؤسسات التعليمية والتربوية كلما تخلف أبنائها، حيث تساهم هذه المناهج في تكوين شخصية التلميذ، وتساعد على فهم الواقع المحيط به والاندماج معه، وإشباع حاجاته الذهنية عبر المواد الدراسية، وحاجاته الثقافية والاجتماعية عبر علاقاته مع زملاء.

فالهدف من هذه الدراسة هو ابراز دور المناهج التربوية في الحفاظ على الهوية الوطنية، وتنمية روح المواطنة والانتماء إلى الوطن والمحافظة عليه عند التلاميذ، وتوضيح أهمية تربية النشء وتعريفهم بمؤسسات بلدهم ووجوب احترامها والمحافظة عليها.

1. الإشكالية:

تعتبر تنمية روح المواطنة عند الطلاب والتلاميذ عملية متواصلة لتحقيق الحس والشعور بالواجب تجاه المجتمع، وتنمية الشعور بالانتماء للوطن وغرس احترام النظام والاتجاهات الوطنية والنظم والتعليمات في ذهن التلاميذ والطلاب، حيث يلعب المنهاج التربوي دورا أساسيا في تكوين وتشكيل شخصية الفرد. ويكون ذلك انطلاقا من الأعمدة الرئيسية للتربية وهي التعلم من أجل المعرفة، التعلم من أجل العمل، والتعلم من أجل التعايش مع الآخرين. لكن التحولات الحضارية التي تزامنت مع عصر التطور التكنولوجي أدت إلى بروز تغيرات اجتماعية متسارعة تكاد تتلاشي فيها القيم الاجتماعية. ولكي تكون الوحدة الوطنية مبنية على وعي، لا بد أن تتم بمناهج تربوية مقصودة وواضحة الأهداف والمعالم تحت إشراف الدولة، إذ يتم من خلالها تعريف الطالب والتلميذ بالعديد من مفاهيم الوحدة الوطنية وخصائصها، مثل: مفهوم الوطن، والحكومة، والنظام السياسي، والمجتمع، والمسؤولية الاجتماعية وصورها، والقانون، والحقوق والواجبات، وغيرها من مفاهيم الوحدة الوطنية، وأسسها (المبارك، عبد الله. 2005).

وهناك العديد من المؤسسات التي تشكل مفهوم الوحدة الوطنية، وتنمي الشعور به لدى الفرد، ومنها الأسرة، المؤسسات الدينية، الرفاق، وزملاء العمل والمدرسة. هذه الأخيرة تنفرد عن غيرها من مؤسسات المجتمع بمسؤولية كبيرة في تنمية هذا المفهوم عند التلاميذ، وتشكيل شخصيتهم والتزاماتهم تجاه وطنهم، وتزويدهم بالمعرفة والمهارات اللازمة من أجل تعزيز هذا المفهوم في ذهنهم. وتنجز المدارس تلك المسؤولية من خلال المناهج الدراسية في شتى مراحل التعليم العام (الكندري، يعقوب. 2008).

والوحدة الوطنية ليست تعريفاً بالهوية في البطاقة الشخصية، وإنما هي الشعور بالانتماء الصادق لهذا البلد؛ ويتم غرس هذا المفهوم من خلال المناهج الدراسية، فتقدم المجتمعات وازدهارها مرتبط بنظامها التربوي والتعليمي ارتباطاً وثيقاً. فالمتتبع لتاريخ نخوض الأمم وانتكاساتها يجد وراء ذلك نظاماً تربوياً وتعليمياً

ناجحاً أو فاشلاً، بل إن السباق بين الأمم في الوقت الحاضر هو سباق تربوي تعليمي بالدرجة الأولى (إبراهيم وفوزي، 2008).

فالأمة التي تركز على التربية والتعلم تعلم بكفاءات كبيرة وعالية، تحتل المراتب الأولى في السبق الحضاري والرقى الاجتماعي، والسبب أن النظام التربوي والتعليمي بمؤسساته يعد مصنع الأجيال، فكلما كانت هذه المؤسسات مبنية على أسس دقيقة وقوية ومدروسة، كلما كانت نتائجهما جيدة وتتصدر المراكز الأولى. وفي مقدمة هذه المؤسسات المدارس والجامعات، التي تحوي نخبة المجتمع وأكثرهم كفاءة. فبقدر ما تقدمه هذه المؤسسات لتلاميذها وطلابها من علم ومعرفة بقدر ما تحققه من نتائج علمية، فإذا أرادت أن تنتج جيلاً متفوقاً وقيادياً يقود الأمة إلى الأمام، وجب عليها أن تضاعف جهودها للوصول إلى ذلك. فالمناهج الدراسية الفعالة هي النواة الأساسية لبناء صرح الأمم التعليمي.

أما السياسة التعليمية بالجزائر تعيش تحديات كبيرة جداً، لاسيما بعد الانتشار الواسع لوسائل الاتصال الحديثة وأهمها الانترنت وخدمة الهاتف النقال. حيث حولت هذه الوسائل العالم إلى قرية صغيرة وكسرت كل الحواجز، مما أصبح يشكل خطراً على الأطفال والشباب في مجتمعنا الجزائري. فبسبب هذه الاعتبارات والتغيرات الاجتماعية الهامة استوجب تعديل المناهج التربوية لتتماشي مع التقدم التكنولوجي الحاصل في المجتمع، حيث رفعت المنظومة التربوية كل التحديات الداخلية والخارجية، وأصبح من الضروري إعداد مناهج جديدة على أساس اختيارات منهجية ووجيهة ورؤى واضحة من حيث الغايات والأهداف التي لا تقبل التأويل، لضمان عدم انزلاق مجتمعنا المحافظ عن هويته الأصيلة (بالمويشي وفرحات، 2019) ومن خلال هذا المقال سنحاول الإجابة عن التساؤل التالي: ما هو دور المناهج التعليمية في تحقيق روح المواطنة عند التلميذ؟ إبراز أهم عناصر المواطنة وأهم المفاهيم المرتبطة بها، والتي من خلالها يتجسد هذا المصطلح. وبما أن الإحساس بالهوية الوطنية هو جزء من أجزاء المواطنة سوف نركز أيضاً على مفهوم الهوية الوطنية.

2. المناهج التربوية (التعليمية)

2-1 مفهوم المنهج:

المنهج أو المنهاج أو النهج في اللغة: هو الطريق الواضح، أو الخطة المرسومة للسير عليها (المعجم الوسيط، 957/2). وقد وردت لفظة (منهاج) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨). قال ابن عباس رضي الله عنه: "شرعة ومنهاجاً سبيلاً وسنة، وهي في هذه الآية تعني أيضاً الطريق البين الواضح (تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 92/2).

أما في الميدان التربوي فهو مجموع الخبرات التربوية التي تهيئها المؤسسات للتلاميذ داخلها أو خارجها، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل في جميع الجوانب العقلية، الثقافية، الدينية، الاجتماعية، الجسمية والفنية. نمواً يؤدي إلى تعديل سلوكهم، ويعمل على تحقيق الأهداف التربوية المنشودة (الوكيل وأمين، 1982).

2-2 تعريف المنهاج الدراسي:

عرفه (فرحان وآخرون، 1999) بأنه مجموعة الخبرات التربوية التي تهيئها المدرسة للتلاميذ تحت إشرافها، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل وتعديل سلوكهم. أما إذا عدنا للتعريف الشامل للمنهاج المدرسي فهو مجموعه من الأسس والقواعد والأحكام التي ينطلق منها وضع المنهج وتصميمه وتنفيذه وتقومه. وبالتالي فالمنهاج التربوي عامة هي مجموعة من الخبرات العلمية المبنية على أسس نفسية، معرفية، اجتماعية وسياسية، الهدف منها تنمية شخصية المتعلم من كل النواحي الوجدانية، السلوكية والمعرفية. والمنهاج المدرسي بصفة خاصة هو مجموعة من الأنشطة والممارسات الأكاديمية المطبقة في المدرسة والتي تهدف لمساعدة التلاميذ على تحقيق نتائج تعليمية جيدة.

2-3 دور المدرسة في تطبيق المناهج التعليمية:

تطبق المدرسة القرارات الواردة في المناهج التربوية، فهي مؤسسة اجتماعية تربوية لها وظائف متعددة ويمكن حصر مهمتها في ثلاثة أدوار رئيسية هي:

2-3-1 دور المحافظة على الموروث الثقافي:

المدرسة تنقل تراث الماضي إلى الجيل الحاضر بتبسيطه وانتقائه، ولكنها تعتمد على نظام تربوي منفتح بمعنى أنها لا تنغلق في الماضي وهذا ما يؤكد عليه السوسيولوجي الفرنسي، "إيميل دوركايم" بقوله: إن المستقبل لا يمكن تناوله من عدم، إننا لا نستطيع أن نبنيه إلا بواسطة أدوات تركها لنا الماضي ". لهذا نجد أن أغلب المواد التي تدرس في المرحلة الابتدائية كمادة التاريخ والتربية المدنية تساعد على ترسيخ التراث الثقافي والمادي للدولة وتجعل التلميذ يعرف هذا الموروث ويسعى للمحافظة عليه في مختلف الأطوار التعليمية.

2-3-2 دور الإعلام والتكوين:

تزود المدرسة التلاميذ بكم من المعلومات والمعارف من خلال إعطائها معنى ودلالة وشكل يندرج في بنية وتكوين شخصية الطفل، وفي نفس الوقت تقوم بتشكيل الفكر العلمي وإثراء الرصيد المعرفي ومن ثمة فهي تتراوح بين المعرفة (إعلام) والفعل (تكوين) للتأثير بعمق على الطفل عبر المعلمين من خلال استعمال استراتيجيات تعليمية مختلفة ومتنوعة تتماشى مع كل فترة تعليمية.

2-3-3 دور التطبيع الاجتماعي:

تعمل المدرسة على تنشئة وتربية الطفل من خلال التطبيع الاجتماعي، وإبراز دور الأعراف والتقاليد والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع في بناء شخصية الطفل المتكيف اجتماعيا، ولتحقيق وظيفتها في تكوين الطفل تلجأ المدرسة إلى استعمال مفاهيم عدة، حسب الظروف، كمفهوم التربية والتعليم، والتقييم والتوجيه المستمر لسلوك التلميذ. وكل هذا للوصول إلى ذلك التأثير العميق على المتعلم أو التلميذ، للوصول إلى تحقيق توافقه النفسي أولا، ثم تحقيق توافقه أو تطبعه الاجتماعي ثانيا، بالإستناد إلى عاملين أساسيين هما:

- حماية الطفل من المشكلات والآفة الاجتماعية المختلفة
- العمل على تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية تصقل هويته.

2-4 أسس بناء وتطوير المناهج التربوية:

تعتبر المناهج الدراسية أحد أركان مسيرة التربية والتعليم المسئولة عن نخوض الأجيال وبناء حضارة إسلامية متفوقة، وصدق ذلك المربي عندما سئل عن مستقبل أمة ما فقال: "اعطوني مناهج تعليمها لأقول بمستقبلها". (حسن، 1993)

إن مراعاة الأسس العامة في بناء المناهج التربوية خطوة أساسية ومهمة تضمن لنا نجاح هذه البرامج، فمراعاة الجانب النفسي والاجتماعي والمعرفي للتلميذ تجعلنا نبحت في حاجاته وميوله واهتماماته حسب مراحل نموه المختلفة، وكيف يتفاعل مع مجتمعه ويتعايش مع مشكلاته وتغيراته الثقافية والاقتصادية. أما بالنسبة للأسس المعرفية فهي تسعى لمعرفة كل ما يتعلق بالمادة التعليمية من حيث طبيعتها، ومصادرها ومستجداتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى، من أجل الوصول إلى استراتيجيات تعليمية دقيقة تضمن تطبيق المادة العلمية بما يتوافق مع التوجهات المعاصرة في التعليم. دون أن ننسى تفعيل الأسس الدينية والأخلاقية في المناهج والبرامج التربوية وذلك من خلال مراعاة النقاط التالية.

1. تكوين فريق عمل مؤهل مع توفير كل الحاجات والأدوات اللازمة لبناء وتطوير البرامج والمناهج التربوية، وتسهيل كل العقبات والصعوبات التي من الممكن أن تواجهنا في الميدان.
2. يجب أن يبنى المنهج ويطور محتواه استنادا لنتائج دراسات سابقة، كما يمكن الاستفادة من تجارب ميدانية ناجحة لبعض الدول.
3. يجب أن يراعي المنهج خصائص وحاجات المتعلم النفسية والمعرفية وكذا الواقع المحيط به والخبرات التي عاشها كي يستطيع فهم قدراته ومواهبه واستثمارها في الجانب الأكاديمي، كما يجب أن يراعي حاجات المجتمع وبيئة التلميذ ويستثمر إمكاناته.

4. يجب أن يساهم المنهج في إثراء حصيلة المتعلمين في اللغة العربية الفصحى، ويجعل منها محركاً أساسياً في كل المكتسبات المدرسية، وبالمقابل يجب تفعيل محتوى مادة التربية الإسلامية واعتماد برنامجها كموجه سلوكي وأخلاقي للتلميذ.
5. يجب أن يركز المنهج على البحث العلمي التطبيقي والميداني في المجال التربوي، ويستثمر كلاً من التقدم العلمي والتكنولوجي في المجال التربوي، كاستعمال التعلم السمعي البصري والإعلام الآلي وكذا التجريب في المخابر بالنسبة للمواد العلمية.
- نلاحظ مما سبق أن الأهداف التربوية تسعى للتأثير على شخصية المتعلم وجعله مواطناً يتسم باتجاهات وقيم تخدم وطنه من جهة، ومن جهة أخرى تكسب الفرد أنماط سلوكية أو أدائية مستوحاة من المادة التعليمية التي يتلقاها في المدرسة.

2-5 تخطيط المناهج وبناء البرامج التربوية:

يهدف تخطيط المناهج وبناء البرامج التربوية لتوفير فرص تنمية الخيال والفهم عند المتعلمين، وفي هذا السياق يحدد "أيزنر" (Eisner, 1985) أبعاد تخطيط المنهج المتمثلة في تحديد الأهداف والغايات التربوية من خلال حسن اختيار المحتويات المعرفية وتنظيم مجالاتها، وتحديد أنماط الفُرص التعليمية وتنظيمها، وتحديد أنماط التمثيل والإجابات، وتحديد أشكال التقويم وإجراءاته ووظائفه وموضوعاته.

ويضيف أن مُعدَّ المنهج التعليمي يحتاج إلى تحديد المحتويات المعرفية المعالجة فيه، والغايات التربوية، وملاءمته للتلاميذ وحاجاتهم، بحيث تشكّل المحتويات المعرفية عنصراً من عناصر عمليات التعليم الأربعة (الأهداف التربوية، المحتويات المعرفية، طرائق التعليم والتعلم والتقويم)، وهي عبارة عن وسائل هامة لتحقيق الأهداف التي تسعى المؤسسة التربوية إلى إكسابها للتلاميذ من خلال محتويات المواد التعليمية المعرفية المدرجة في مكونات المناهج (كتاب المتعلم، كتاب التطبيقات، دليل المعلم، الوسائل المعينة أو المساعدة).

وبالتالي فالهدف من تخطيط المناهج هو الوصول إلى أهم منتجات العملية التربوية والتي ترمي إلى التأثير على شخصية الفرد لجعله مواطناً يتسم باتجاهات وقيم معينة، بالإضافة إلى إكسابه أنماط سلوكية أو أدائية في مواد دراسية معينة.

3-المواطنة:

1-3 تعريف المواطنة:

المواطنة هي تعبير قوي عن الانتماء، بمعنى حب الفرد وإخلاصه لوطنه، الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن. ويوحي هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة" (الموسوعة العربية العالمية. 1996).

المواطنة هي العلاقة التي تجمع الفرد بمجتمعه، وتشعره بالانتماء إليه وهي مفهوم له أبعاد كثيرة ومختلفة وهي الركيزة الأساسية للمشاركة الفعالة والناجعة في تنمية وتطوير المجتمع.

3-2 الوحدة الوطنية وأهم أبعادها:

الوحدة الوطنية هي الحالة الاجتماعية والسياسية لبلد معين، والتي تعبر عن وحدة الشعب بمختلف شرائحه، وعن حالة المجتمع المتجانس والمتناسق دون مشاكل وصراعات ونزاعات. ولتحقق الوحدة الوطنية يجب تربية أفراد المجتمع على أسس أخلاقية تشجع التماسك والتلاحم بين أفراد المجتمع. ومن أهم أبعاد الوحدة الوطنية ما يلي:

3-2-1 البعد المعرفي الثقافي:

والذي يركز على دور القدرات المعرفية ومكتسبات الفرد والتلميذ بصفة خاصة، والتي تساعد في تنمية مهاراته، وكفاءاته العلمية، حيث تنمي عنده ثقافة اجتماعية تجعله يحس بانتمائه لوطنه ويفهم خصوصيات وعادات وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه. ومن هنا يتعزز البعد الوطني عند التلميذ وكذا ثقافة الوحدة الوطنية.

3-2-2 البعد المهارى والإبداعي:

يقصد به تنمية مهارات التلميذ الفكرية كالقدرة على التفكير النقدي والمنطقي، وكذا التفكير الإبداعي وحل المشكلات، حيث تشكل هذه المهارات الركيزة الأساسية لبناء شخصية التلميذ المفكر والمبدع والقادر على التمييز والتفكير العقلاني.

3-2-3 البعد المكاني (الاجتماعي):

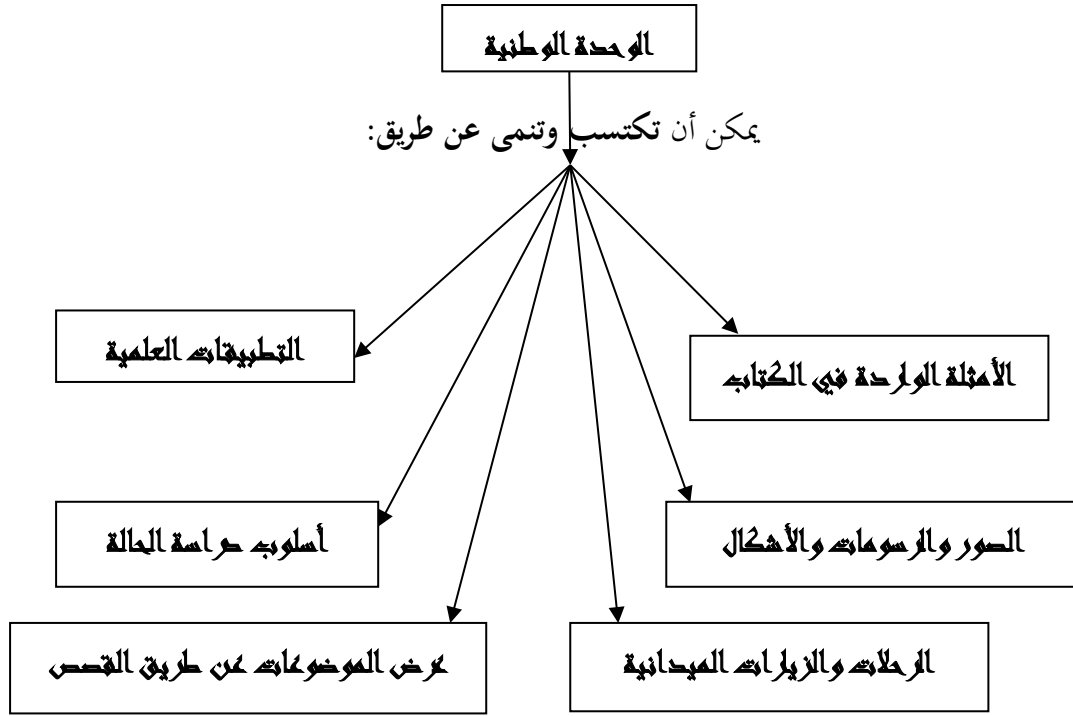
هو المكان الذي يعيش فيه التلميذ ويتفاعل فيه مع أفراد مجتمعه، من خلال تبادل الخبرات واكتساب المعلومات وتبادلها ومناقشتها مع معلمه وأقرانه في القسم الدراسي، وبالتالي يصبح هذا التلميذ قادرا على التعايش مع الآخرين في نفس المجتمع.

3-2-4 البعد الديني أو العقائدي:

يركز هذا البعد على تطبيق تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة، ونشر أهم مبادئه المتمثلة في العدل والمساواة والتسامح بين الأفراد من خلال تطبيق حرية إبداء الرأي والديمقراطية (المنشأوي، عبد الحميد، 2007).

3-3 وسائل تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية في المناهج الدراسية:

هناك عدة صور يمكن من خلالها تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية في المناهج الدراسية ويمكن توضيحها من خلال المخطط التالي (الخليفة، لولة. 2004: 39، حسن، فايزة. 2005)



مخطط رقم 1: يمثل طرق تعزيز الوحدة الوطنية في المناهج التربوية

يتضح لنا من خلال المخطط أنه توجد العديد من الطرق والاستراتيجيات التي يمكن أن تغرس روح الانتماء في عقل التلميذ، من خلال الأمثلة المقدمة في الكتاب المدرسي حول المناسبات الوطنية كيوم الشهيد، عيد الثورة والاستقلال وغيرها، والتي تبرز للتلميذ الأحداث التي شهدها وطنه، وتجعله يعيش تلك الأحداث وفقاً لخطة تعليمية مدروسة لا تنفصل عن القيم العلمية والإنسانية. هذا ما جعل وزارة التربية والتعليم الوطنية تدرج دروس حول تاريخ الجزائر وموروثها الثقافي، وكذا تراثها المادي واللامادي في كل من كتب التاريخ والتربية المدنية، بالإضافة إلى تلك الأنشطة والرحلات التعليمية للمتاحف والأماكن الأثرية في مختلف الأطوار الدراسية إلى تتحدث عن الشهداء وتضحياتهم، بهدف غرس تلك التضحيات في أذهان التلاميذ، لأهمية معرفة الأجيال القادمة بالتضحيات الجليلة لأبائهم وأجدادهم المؤسسين.

ومن هنا يبدأ الارتقاء بنوعية التعليم ومخرجاته لبناء شخصية متكاملة، وترسيخ قيم المواطنة والولاء بمفهومها الواسع لدى التلاميذ والطلبة، وتعزيز هويتهم الوطنية. كما أن ربط المناهج الدراسية بالشخصيات الوطنية وبرؤية وسياسة الدولة، يؤدي للارتقاء بوعي وثقافة التلميذ والطالب. بحيث تضمنت المناهج عدداً من الشخصيات القيادية في مواد التاريخ والتربية المدنية واللغة العربية، وكل هذا يشجع الأجيال ويمنحها الحماس وحب العمل والإبداع والتفوق. فالمناهج الدراسية تلعب دوراً محورياً في تغذية عقل ووجدان وسلوك ومشاعر

التلميذ، وإدراكه وتنشئته ليكون مواطناً يتحمل المسؤولية تجاه وطنه. بالإضافة إلى أنها تتيح له الفرص للتواصل مع ثقافات الشعوب الأخرى في ضوء الثقافة العربية والإسلامية.

4: الهوية الشخصية:

4-1 تعريف الهوية:

الهوية هي مجمل السمات التي تميّز شيئاً عن غيره أو شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها، كلّ منها يحمل عدة عناصر في هويته. عناصر الهوية هي شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى (الجابري، 1995).

4-2 تعريف الهوية الشخصية:

تعرف شخصاً بشكله واسمه وصفاته وجنسيته وعمره وتاريخ ميلاده. أما الهوية الجماعية (وطنية) تدلّ على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من الأفراد، تميّزهم عن مجموعات أخرى، ويختلفون في عناصر أخرى لكنها لا تؤثر على كونهم مجموعة. والعناصر التي يمكنها بلورة هوية جماعية كثيرة، أهمها الاشتراك في: الأرض، اللغة، التاريخ، الحضارة، الثقافة، الطموح وغيرها (أزرقي بركان، 1998).

فالهوية تعبر عن حقيقة الشيء المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميّزه عن غيره من الأفراد، كما تعبّر عن خاصية مطابقة الشيء لنفسه. ومن هذا الشعور يستمد الفرد إحساسه بالهوية والانتماء، ويحسّ بأنه ليس بمفرده، وإنما يشترك مع عدد من أفراد المجتمع في مجموعة من الصفات والمعطيات والأهداف. وعند انعدام شعور الفرد بهويته بسبب عوامل داخلية وخارجية، يتولد لديه ما نسميه بأزمة الهوية التي ينتج عنها لاحقاً أزمة وعي تؤدي إلى ضياع الهوية نهائياً.

وأثبتت الدراسات العلمية أن هوية أي مجتمع ليست أمراً ثابتاً، بل ترتبط بالمؤثرات الخارجية وبالتداول العلمي للأفكار والثقافات. فالهوية تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير. ويعتبر الدين واللغة من الثوابت الراسخة، بينما تكون المكونات الأخرى من عادات وقيم وطرق تفكير قابلة للتغيير في الشكل الإيجابي الذي تحدده حركية المجتمع وتفاعله بمحيطه الخارجي. ومكونات الهوية الإنسانية تظهر من خلال مايلي: المجال الجغرافي، الوطن والذاكرة التاريخية المشتركة، ثقافة شعبية مشتركة، منظومة حقوق وواجبات مشتركة واقتصاد مشترك مرتبط بمناطق معينة (ياسر سليمان، 2003).

5- المناهج التربوية وتنمية روح المواطنة والحفاظ على الهوية الوطنية

5-1 دور المناهج التعليمية في تعزيز روح المواطنة عند التلاميذ والشباب:

تهدف البرامج التربوية لمايلي:

- تعزيز أهداف الوحدة الوطنية في مناهج التربية والتعليم في الجزائر من خلال مقررات المواد التالية (التربية الإسلامية - التربية المدنية - اللغة العربية- والتاريخ والجغرافيا).
- احتواء الوثيقة التعليمية في الجزائر على أهداف وصور تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية في مرحلة التعليم الابتدائي، وتحتاج فقط إلى تفعيل من خلال عملية التدريس داخل الأقسام التعليمية. ويمكن عرض بعض هذه الأهداف التي يمكن من خلالها تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية في هذه المقررات وهي كما يلي:
- غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة المبنية على الوسطية، العدل والمساواة في نفوس التلاميذ.
- تدريس الثقافة الإسلامية التي تتضمن توجيه سلوك التلميذ، وممارستها عملياً، وملاحظتها وتعديلها (في المدرسة والمنزل).
- تنمية مهارات التلاميذ في المناقشة، الحوار، تقبل الرأي الآخر ومعرفة حقوق المواطنة العامة.
- تنمية روح الولاء لولي الأمر، وهو مقصد من مقاصد الدين الإسلامي، والتأكيد على أن الخروج عن طاعة ولي الأمر معصية وفتنة.
- تأصيل معنى الوحدة الوطنية بغرس روح المبادرة للعمل في نفوس الطلاب من خلال مشاركتهم في الأعمال الخيرية والتطوعية.
- ينبغي أن يكون على رأس الأهداف التربوية لجميع المراحل الدراسية المختلفة مساعدة المتعلمين على تنمية اتجاهات إيجابية نحو الوطن وقيمه ونحو الوحدة الوطنية.

2-5 دور المناهج التربوية في تنمية الهوية الشخصية عند التلاميذ والشباب

دور المناهج في هذه الحالة هو مساعدة التلميذ على تقبل مشكلاته والتغيرات التي تطرأ على جسده، وتزويده بالمفاهيم والمهارات اللازمة للتعامل معها، وذلك من خلال: تنمية القدرات والخصائص العقلية والمعرفية عند التلاميذ ومراعات نموه النفسي خاصة في مرحلة البلوغ المراهقة، حيث يشعر التلميذ بالإحباط نتيجة للتناقض بينه وبين المجتمع من حوله، أو التغيرات الجسمية السريعة. فدور المنهج في هذه الحالة أن يساعد على التخلص من مشكلاته العاطفية والقلق والإحباط ويساعده على تحقيق ذاته، ويعزز النمو العاطفي السليم والشعور بالراحة النفسية. ومن هنا يصل التلميذ أو الشاب لنمو اجتماعي سليم وشخصية سليمة تجعله يشعر بالأمن والحب والتقدير، أما إذا لم يهتم المنهج الدراسي بذلك فقد يؤدي بهذه الشخصيات إلى الانطواء والانعزال عن المجتمع.

3-5 أهمية تطوير المنهج دون المساس بأسس الهوية الوطنية:

عملية تطوير المناهج لا تقل أهمية عن عملية بنائها، فالتطوير عملية هامة لا غنى عنه لدرجة أن من يتولى بناء المنهج في أيامنا هذه يضع نصب عينه أسس تطويره، حيث أن المنهج يتأثر بالتلميذ والبيئة والمجتمع والثقافة (العولمة) والنظريات التربوية. وكل عامل من هذه العوامل يخضع لقوانين التغير المتلاحقة

فلا التلميذ ثابت على حالة، ولا البيئة ساكنة دون حراك ولا المجتمع صامد في مكانه ولا الثقافة صلبة متحجرة ولا نظريات التعليم باقية على حالها، فينتج من ذلك أن تطوير المنهج يصبح أمرا لا غنى عنه (السيد علي، 2011).

والسبب الرئيسي وراء الفشل في مشاريع التجديد والإصلاح التربوي في الدول النامية، يعود إلى النقل التربوي، والذي يؤدي في الغالب، إلى عدم التحام منظومة الإصلاح الجديدة مع المنظومة التعليمية المحلية وعدم ملائمة محتوياته مع الاحتياجات الفردية وتطلعات الجماعات المحلية ومنظومتها القيمية، فتحدث ردود فعل رافضة لهذا المحتوى الدخيل.

4-5 التحديات التي تواجه التعليم لتحقيق الهوية الوطنية:

- 1-** مواجهة تحديات وتداعيات العولمة الثقافية، التي غابت العقل الثقافي الوطني لصالح ثقافات أخرى وهويات أخرى نراها تتسرب إلى تعليمنا، وسياستنا التعليمية.
 - 2-** إنّ جوهر الهوية الوطنية في التعليم اللغة والإسلام، وكلاهما يعاني من قصور واضح نلمس آثاره في لغة أبنائنا، ونظرتهم الجديدة للوطن والقضية الوطنية التي تخلو من الإيجابية في كثير من الأحيان.
 - 3-** للمحافظة على الهوية الوطنية يجب تدريس التاريخ برؤية جديدة، تهدف إلى إكساب التلميذ معلومات حول التراث الحضاري والثقافي لمجتمعه، حيث خصصت مناهج التاريخ جانبا هاما لدراسة التاريخ الوطني من حيث أنه يمثل الهوية الجزائرية. ويتشعب التلميذ تاريخه الوطني.
- إذن إعادة النظر في المناهج التربوية وتعديلها وتنقيحها يجب أن يكون باستمرار، بما يتناسب مع التغيرات الاجتماعية الجديدة منها، وترك سلبات العولمة جانبا، لأن عصر العولمة لن يترك لنا الفرصة للاستمرار في منهاج معين. كما يجب ان لا نتخلى عن مبادئنا الأساسية والمتمثلة في الاسلام وضرورة تجسيدها في الكتاب المدرسي الموجود عند التلميذ مثل السيرة الذاتية للمجاهدين والمفكرين المسلمين مثل الامير عبد القادر والعلامة عبد الحميد بن باديس ومالك بن نبي وغيرهم.

خاتمة:

ان السياسة التعليمية الفعالة هي التي تعمل على تنمية الموارد البشرية، وبناء الشخصية المتكاملة التي تقف جداراً ضد كل محاولات المساس بالهوية الوطنية، المتمثلة في الإسلام، اللغة العربية والموقع الجغرافي. لذا يجب أن تبنى هذه السياسة في ضوء أهداف متفق عليها، حتى نستطيع رسم الخطط والإجراءات لتحقيقها. ومن هذا المنطلق تهتم الدولة الجزائرية بتطبيق مجموعة من الإصلاحات لمواكبة التطور التكنولوجي والعلمي من جهة، والمحافظة على الثوابت الوطنية من جهة أخرى. ويجب أن يكون متسع في المنهج الدراسي للقيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية جنباً إلى جنب مع الاهتمام بالمعارف الأساسية كالقراءة والكتابة والحساب. والتركيز على الموضوعات الأساسية التي يجب على المدرسة تدريسها للتلاميذ حول الأخلاق وطاعة الوالدين والبيئة والمجتمع وجعل دروس المواطنة أو التربية القومية إلزامية ومهمة.

في الأخير نقول أن بناء مناهج وفق التوجيه الإسلامي، هو الذي يناسب هذه الأمة ويتوافق مع خصوصياتها، لذا لا بد من توجيه المناهج التوجيه الإسلامي، لأن مهمتها كبيرة في تكوين وتنمية جيل قيادي. وهي السبيل الوحيد الذي تقدم من خلاله الخبرات والمعارف والعلوم والمهارات. وللوصول إلى سياسة تعليمية ناجحة يجب تغيير طرائق التعليم من تلك التقليدية التي تعتمد الإلقاء دون إشراك المتعلم في العملية التعليمية والتربوية، وضرورة الانتقال إلى طرق التدريس التفاعلي ذات الاتجاه المزدوج معلم /متعلم. بالإضافة إلى رسم أهداف للمناهج الدراسية تهتم بتخريج جيل قيادي وتوفير كل ما يلزم لتحقيق ذلك وتسهيل كافة الصعوبات، مع مراجعة جميع المناهج بهدف تنقيتها مما يتعارض مع ديننا الإسلامي وتوجيهها التوجيه الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

- الكندري، يعقوب يوسف، (2008). دور التنشئة الاجتماعية والإعلام والمجتمع المدني في تحقيق الوحدة الوطنية، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوحدة الوطنية لرابطة الاجتماعيين.
- المبارك، عبد الله بن ناجي، قراءة في مفهوم الوحدة الوطنية. جريدة الرياض، 5 ربيع الأول 1426، 14 أبريل، (2005)
- المنشاوي، عبد الحميد، (2007). تصور مقترح لمقرر لدعم الوحدة الوطنية لطلاب المرحلة الثانوية الفنية ومعرفة مدى وعي معلمي المواد الفلسفية بأهميتها، المؤتمر العلمي الحادي عشر: التربية وحقوق الإنسان، مايو، كلية التربية، جامعة طنطا، مصر. الموسوعة العربية العالمية (1996). الرياض مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، ط2، (د. ت)، 1995
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م.
- حسن، فايزة بنت محمد، دور المقررات الدراسية للمرحلة الثانوية في تنمية المواطنة، دراسة مقدمة إلى اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي (التربية والمواطنة)، المنعقد في منطقة الباحة، المملكة العربية السعودية (1426هـ).
- عبد الرزاق بالمويشي و أحمد فرحات الأبعاد التربوية لموضوع الهوية، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع المجلد 3، العدد 2، الصفحة 31-38، 2019.
- محمد أزرقى بركان، (التحول هل هو بناء الهوية أم تشويه لها؟) ، مجلة فكر ونقد ، عدد 12 ، أكتوبر (1998) .
- نديم البيطار، حدود الهوية القومية، دار الوحدة، بيروت. (1982)
- ياسر سليمان، اللغة العربية والهوية القومية، منشورات Edinburgh Press University، بيروت، 2003
- محمد السيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 1432 هـ - 2011م.
- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية -العروبة والإسلام والغرب. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995
- Eisner, W. The educational imagination: On the design. (2019-06-01 and evaluation, school programs (2nd ed.). New York, NY: Macmillan (1985).

1- المقدمة:

يعد التوحد من أصعب الإضطرابات تأثيراً على الأسرة و الطفل ذاته لأنه يحدث في الثلاث سنوات الأولى من حياة الطفل و يكون التواصل بين الطفل و الأم و التفاعل الإجتماعي ليس كباقي أقرانه . ومن هنا ظهر الإهتمام بهذه الفئة من خلال البحث و الدراسة . (سهير، 2017، ص. 333)، و لا شك أن الإزدياد العالمي لهذه الفئة من الأطفال قد أدى إلى ضرورة إجراء دراسات متخصصة لمعرفة طرق التكفل و إمكانية وضع برامج تربوية علاجية لمساعدة الآباء و المشرفين في تعديل سلوك أطفالهم . و لعل مشكلة عدم القدرة على التواصل مع الآخرين هو الذي دفع بالمختصين في البحث عن المشكل الرئيسي للتوحد الذي يمس إضطراب نمو اللغة (سهى ، 2002، ص- ص. 09- 10)، ومن خلال الدراسات المختلفة إتضح أن المشكلة الأطفال التوحديين الأساسية هي إضطرابات الإتصال اللغوية و هذا ما أكد عليه سوينكايل ويليام Swinkels & Willeme (1997) في دراسته مبيناً أن هؤلاء الأطفال يظهرون قصوراً لغوياً شديداً في تفاعلهم مع الآخرين و قد أشارت الدراسات عن وجود العديد من الإتجاهات العلاجية التي تهتم بعلاج و مساندة هذا الطفل و أسرته للوصول إلى أحسن وضع، و يعد برنامج تيتش من بين البرامج التدريبية و المعمول به في المراكز الخاصة و العامة ، و هو يهتم بجوانب مختلفة ذات الصلة بمشكلة المتوحد. (حبال ، 2017، ص. 01) .

2- إشكالية الدراسة:

يهتم الباحثون في مجال علم النفس في الآونة الأخيرة بفئة أطفال التوحد و ذلك بالإعتماد على برامج تساعدهم على تحسين و تنمية قدراتهم المختلفة و تطويرها لأقصى حد ممكن حيث تساهم البرامج التكفلية و التدخل المبكر في الوقاية من مشكلات النمو الحرجة (خطيب، 2005، ص. 58). بحيث ينظر إليه على أنه مشكلة نمائية تتحدد بثلاثة مظاهر أساسية تتمثل في صعوبات التواصل - مشكلات سلوكية - صعوبات اجتماعية. فقد يعانون من المشكلات التواصلية و التي قد تؤثر بشكل مباشر في تفاعلاتهم و علاقاتهم الاجتماعية مع الآخرين . و قد اثبتت دراسات هادوين و آخرون في تدريب اطفال التوحد الصغار الذي تتراوح أعمارهم بين (04-09) سنوات له تأثير واضح على في عملية تواصل المتوحدين مع الآخرين و ذلك بتدريبهم على كيفية التعبير عن مشاعرهم و انفعالاتهم. هذا ما دفع بنا للإهتمام وطرح برامج تدريبية من أجل الكشف المبكر و مساعدةهم على التكيف و الإندماج و التفاعل الإيجابي. و فمن أهم البرامج التكفلية المعتمدة عالمياً نجد برنامج تيتش الذي يهدف الى علاج و تعليم الاطفال المصابين بالتوحد و إعاقات التواصل المشابهة له و هي طريقة تعليمية شاملة لا تتعامل مع جانب واحد كاللغة أو السلوك بل تقدم تأهيلاً متكاملًا للطفل و هي طريقة للعلاج مصممة بشكل

فردى حسب كل طفل. (بطرس، 2011، ص 15) وقد إعتمدت العديد من الدراسات على تقنيات مختلفة لأجل تحسين القدرات التواصلية للطفل المتوحد منها دراسة أحمد 2008 بعنوان فعالية برنامج تدريبي سلوكي لتحسين بعض مهارات التواصل لدى عينة الأطفال التوحدين، و هدفت الى التحقق من مدى فاعلية برنامج سلوكي في تنمية بعض مهارات التواصل اللفظي لدى عينة من أطفال التوحد. و توصلت الدراسة إلى نتائج ايجابية بخصوص تطوير وتحسين مهارات التواصل، ومن خلال ذلك اعتمادا في دراستنا على برنامج تيتش عن طريق تطبيقه على عينة من أطفال التوحد و البحث عن مدى أثره مساهمته في تحسين و تنمية لغة التواصل لدى الطفل المتوحد. و عليه جاء السؤال الإشكالي عن مدى تأثير برنامج تيتش Teach في تنمية لغة التواصل لدى المتوحد و منه يحاول البحث الحالي الإجابة عن التساؤل التالي: هل للبرامج البيداغوجية أثر في تنمية لغة التواصل لدى المتوحد وعلى رأسها برنامج تيتش Teach ؟

3-فرضيات الدراسة:

لقد تم الإجابة على تساؤلات الدراسة من خلال الفرضيات التالية :

• الفرضية العامة :

- هناك أثر لبرنامج تيتش Teach في تنمية لغة التواصل لدى فئة أطفال التوحد

الفرضيات الجزئية :

- لا يوجد أثر لبرنامج تيتش Teach في تنمية لغة التواصل اللفظي لدى المتوحد.

- لا يوجد أثر لبرنامج تيتش Teach في تنمية لغة التواصل غير اللفظي لدى أطفال المتوحد.

4-اهداف الدراسة: وهي :

- تعميق المعرفة و التجربة الميدانية من خلال التعامل مع الحالات التي تعاني من التوحد.

- توفير البيئة المناسبة ليتعلم الطفل المتوحد مهارات التواصل اللغوي .

- قياس مدى نجاعة برنامج تيتش في تنمية لغة التواصل .

-الاسهام في اعداد طفل التوحد اعدادا جيدا يستطيع من خلاله التواصل مع الآخرين

حتى يتمكن من ممارسة حياته الاجتماعية بشكل طبيعي بعيدا عن الضغوطات..

5- الدراسة الأساسية :

بعد إجراء الدراسة الإستطلاعية التي مكنتنا من خلالها من التعرف على الحالات و الإطلاع على ملفاتهم و بناء جو من الألفة مع الحالات و التواصل معهم من خلال النشاطات التي يفضلونها ، ثم تم إجراء الدراسة الأساسية .

5-1- منهج الدراسة الأساسية :

لقد إعتدنا في دراستنا على منهج دراسة الحالة بإعتباره الأنسب و الأجدر لطبيعة الموضوع .

5-2- عينة الدراسة الأساسية :

بلغ عدد أفراد العينة الأساسية 07 حالات من بينهم حالة واحدة مدمجة في قسم السنة الثانية إبتدائي ، من بينهم 06 ذكور و 01 أنثى التي تم إختيارها من المركز النفسي البيداغوجي بطريقة قصدية.

الجدول رقم (01) يمثل توزيع أفراد العينة الأساسية حسب الجنس .

الحالات	السن	الجنس	درجة التوحد
الحالة 01 (ب . ل)	10 سنوات	ذكر	طبيعي
الحالة 02 (ب . ح)	10 سنوات	ذكر	متوسط
الحالة 03 (ع . ب)	09 سنوات	أنثى	متوسط
الحالة 04 (س . ن)	09 سنوات	ذكر	طبيعي
الحالة 05 (م . ف)	09 سنوات	ذكر	متوسط
الحالة 06 (ش . ع)	08 سنوات	ذكر	شديد
الحالة 07 (س . ز)	12 سنة	ذكر	طبيعي

5-3- الأدوات المستخدمة :لقد تم الإعتماد على مجموعة من الأدوات وهي كالتالي:

- **الملاحظة :** ملاحظة كل فرد من أفراد العينة ملاحظة دقيقة للحصول على المعلومات التي تتعلق بالدراسة الأساسية و ملاحظة السلوك الفردي و الجماعي للحالات أثناء تطبيق البرنامج .

- **المقابلة الموجهة :** و هي مقابلة الحالات مباشرة وجها لوجه من أجل تطبيق مقياس CARS فايلاند للسلوك التكيفي و تطبيق برنامج تيتش و مقياس تقدير شدة التوحد.

- **مقياس فايلاند للسلوك التكيفي :**

يعرف مقياس فايلاند للسلوك التكيفي الذي قام بإعداده كل من سبارو و بالاوسيكشتي 1984 السلوك التكيفي بأنه " أداء الأنشطة اليومية المطلوبة للإكتفاء الشخصي و الإجتماعي " و ينطوي هذا التعريف على ثلاثة عناصر و هي : - أن السلوك التكيفي مرتبط بالعمر ، ذلك أن السلوك التكيفي يزداد ، و يصبح أكثر تعقيدا كلما تقدم الفرد في العمر .و يمكن ذكر بنود المقياس و التي تشتمل الصورة المسحية على خمسة أبعاد رئيسية ، تتضمن مجتمعة أحد عشر بعدا فرعيا مقسمة إلى :

1-بعد التواصل 2- بعد المهارات اليومية 3- بعد التنشئة الإجتماعية 4- بعد المهارات الحركية

5- بعد سلوك الغير.

- برنامج تيتش **Teach**: هو من تصميم البروفيسور إريك شوبلر 1972 في جامعة نورث كارولينا الشمالية في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم قام بتطويره و تصنيفه و شرح الخلفية التطويرية له و جوهره و العناصر الأساسية فيه و الخدمات التي يقدمها هذا البرنامج (المغلوث، 2007، ص . 133) وتمتاز طريقة تيتش بأنها طريقة تعليمية شاملة لا تتعامل مع جانب واحد كاللغة أو السلوك بل تقدم تأهيلاً متكاملًا للطفل كما أنها تتميز بأنها طريقة علاج مصممة بشكل فردي على حسب إحتياجات كل طفل (بطرس، 2009، ص . 177)

- مقياس قياس شدة التوحد **CARS**: يعود هذا المقياس إلى شوبلر ، حيث يقيم شدة إضطراب التوحد . يتكون الإختبار من 15 بند ، 14 بند يقيس سلوكيات الطفل أثناء تفاعله مع المختص و الوالدين و بند واحد للإضطباع العام.

6- الإجراءات التطبيقية لأدوات الدراسة الأساسية :

تم الإعتماد على الأدوات القياسية التالية لدراسة متغيرات الدراسة و هي :

أ- مقياس فايلاند للسلوك التكيفي :

ب- تطبيق بعض أنشطة برنامج تيتش **Teach**:

الجدول رقم (02) يمثل الخطة الزمنية للبرنامج و توزيعها

مدة البرنامج بالشهر	أربعة أشهر
عدد الأسابيع	13 أسبوع
عدد أيام التطبيق في الأسبوع	04 أيام في الأسبوع
عدد جلسات البرنامج	81 جلسة
زمن الجلسة	من 30 إلى 45 دقيقة

7- عرض النتائج و تحليلها:

7-1- عرض و تحليل نتائج الحالة الأولى : : الحالة (ب . ل) يبلغ من العمر 10 سنوات هو

طفل توحد بعد إجراء عملية التشخيص الأولية.

7-2- نتائج تطبيق الإختبارات :

7-3- عرض و تحليل نتائج إختبار مكعبات كوس للحالة الأولى :

الجدول رقم (03) يمثل نتائج إختبار مكعبات كوس للحالة الأولى .

الحالة	النقطة الخام	العمر الزمني	العمر العقلي	درجة الذكاء	الشدة
(ب. ل)	15	سنوات و 10 شهور و 15 يوم	6 سنوات و 11 شهر	70	على حدود الضعف العقلي

يلاحظ أن الحالة يعاني من الضعف العقلي بحيث أنه غير قادر على أداء بعض المهارات في الحياة اليومية و الإجتماعية و الأكاديمية . و له القدرة على التواصل مع الآخرين.
7-4- عرض و تحليل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي :

الجدول رقم (04) يمثل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة الأولى.

بعد التواصل			بعد التنشئة الإجتماعية			بعد المهارات الحركية	
اللغة الإستقبالية	اللغة التعبيرية	القراءة و الكتابة	العلاقات الشخصية المتبادلة	وقت الراحة و الترفيه	المسايرة	العضلات الكبيرة	العضلات الدقيقة
%38,59	%54,38	%31,57	%67,39	%28,26	%32,60	%25	%52,77
145 , 66			185 , 86			144 , 01	

نلاحظ أن الحالة لها ضعف في بعد المهارات الحركية و لديه صعب في إستخدام عضلاته . و ليس له القدرة على تكوين علاقات إجتماعية .

7-5- عرض و تحليل نتائج مقياس قياس شدة التوحد CARS :

الجدول رقم (05) يمثل نتائج مقياس كارز للحالة الأولى .

20	2	1,5	1,5	1,5	1	1,5	1	1,5	1	1,5	1	1,5	1,5	1	1
مج	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

حاصل جمع المقياس

60	57	54	51	48	45	42	39	36	33	30	27	24	21	18	15
شديد							متوسط				طبيعي				

يلاحظ أن الحالة لديها إرتفاعاً في الإستجابة العاطفية ، التكيف مع التغير ، الإستجابة السمعية ، الخوف و العصبية ، التواصل غير اللفظي ، مستوى النشاط ، الإستجابة الذهنية.و نسجل ضعفاً في الإتصال بالناس ، التقليد ، إستخدام الأشياء..

7-6- عرض و تحليل نتائج برنامج تيتش :

الجدول رقم (06) يمثل نتائج برنامج تيتش للحالة الأولى .

عدد الإجابات الصحيحة دون مساعدات	عدد الإجابات غير صحيحة	عدد الإجابات المنعدمة	المجموع الكلي	المتوسط الحسابي
225	10	01	236	354 %

7-7- تحليل نتائج الحالة الأولى:

7-8- التحليل الكمي:

يظهر من نتائج أنشطة برنامج تيتش أن الحالة الأولى قد تمكن من 26 نشاط و التي كانت بنسبة مئوية وقدرت ب : 96,29 % و أخفق في نشاط واحد و الذي تحصل على نسبة مئوية قدرت ب : 3,70 %.

8- عرض وتحليل نتائج الحالة الثانية:

8-1- تقديم الحالة:

الحالة (ب . ح) يبلغ من العمر 10 سنوات هو لطفل متوحد بعد إجراء عملية التشخيص الأولية من طرف مجموعة من المختصين.

8-2- نتائج تطبيق الاختبارات :

8-2-1- عرض و تحليل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة الثانية:

الجدول رقم (07) يمثل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة الثانية .

بعد المهارات الحركية		بعد التنشئة الاجتماعية			بعد التواصل		
العضلات الكبيرة	العضلات الصغيرة	المسيرة	وقت الراحة و الترفيه	العلاقات الشخصية المتبادلة	القراءة و الكتابة	اللغة التعبيرية	اللغة الإستقبالية
25%	13,88%	8,69%	8,69%	41,30%	1,75%	15,78%	10,52%
72		85 , 04			0 , 32		

نلاحظ أن الحالة لها ضعف في بعد التواصل مع عدم القدرة في بعد المهارات الحركية كما لها ضعف شديد في مجال القراءة و الكتابة و له القدرة على التعبير عن متطلباته و إحتياجاته. مع تميزه في تكوين علاقات إجتماعية .

8-3- عرض و تحليل نتائج مقياس شدة التوحد CARS للحالة الثانية :

الجدول رقم (08) يمثل نتائج مقياس كارز للحالة الثانية .

28	2	2,5	1,5	1,5	2	2	1,5	2	1,5	1,5	1,5	1,5	3	2	2
مج	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

حاصل جمع المقياس

60	57	54	51	48	45	42	39	36	33	30	27	24	21	18	15
شديد							متوسط				طبيعي				

نلاحظ أن الحالة إظهار ارتفاعاً في الإستجابة العاطفية ، الإستجابة الذهنية و سجل إنخفاضاً في إستخدام الجسم ، إستخدام الأشياء، التكيف مع التغيير ، الإستجابة البصرية ، الإستجابة و إستخدام التدوق ، التواصل غير اللفظي ، مستوى النشاط .

8-4- عرض و تحليل نتائج برنامج تيتش :

الجدول رقم (09) يمثل نتائج برنامج تيتش للحالة الثانية .

عدد الإجابات الصحيحة دون مساعدات	عدد الإجابات غير صحيحة	عدد الإجابات المنعدمة	لمجموع الكلي	لمتوسط الحسابي
195	28	02	525	%378

8-5- تحليل نتائج الحالة الثانية :

- التحليل الكمي : يظهر من نتائج أنشطة برنامج تيتش أن الحالة الثانية قد تمكن من 22 نشاط و التي كانت بنسبة مئوية قدرت ب : 81,48% وأخفق في 5 نشاطات والذي تحصل على نسبة مئوية قدرت ب: 18,51%.

9- عرض و تحليل نتائج الحالة الثالثة :

9-1- تقديم الحالة : الحالة (ع. ب) تبلغ من العمر 9 سنوات و هو طفل متوحد بعد إجراء عملية التشخيص الأولية وفق أدوات مختلفة لهذه العملية.

9-2- نتائج تطبيق الإختبارات :

9-2-3- عرض و تحليل نتائج إختبار مكعبات كوس للحالة الثالثة :

الجدول رقم (10) يمثل نتائج اختبار مكعبات كوس للحالة الثالثة .

الحالة	/ الخام	لعمر الزمني	لعمر العقلي	رجة الذكاء	لشدة
(ع.ب)	21	8س/10ش/09 /أيام	7س و 5 / أش	83	أقل من متوسط

نلاحظ أن الحالة قادرة على أداء بعض المهارات في الحياة اليومية و الإجتماعية حيث نجد أنها تتقن مهارة الإستقلالية و لها القدرة على التواصل مع الآخرين و التفاعل معهم بطريقة جيدة .

9-3- عرض و تحليل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة الثالثة :

الجدول رقم (11) يمثل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة الثالثة .

بعد التواصل			بعد التنشئة الإجتماعية			بعد المهارات الحركية	
لغة إستقبالية	اللغة التعبيرية	القراءة و الكتابة	العلاقات الشخصية المتبادلة	وقت الراحة و الترفيه	المسايرة	العضلات الكبيرة	العضلات الدقيقة
29,%	14,03	%00	%54,34	28,%	13,04	%19,44	61,1
82	%			26	%		% 1
51 , 28			138 , 60			149 , 16	

نلاحظ أن الحالة لها ضعف في بعد التواصل و بعد التنشئة الإجتماعية مع ضعف طفيف في بعد المهارات الحركية. في حين أن لها القدرة على إستخدام العضلات الدقيقة.

9-4- عرض و تحليل نتائج مقياس CARS : قياس شدة التوحد للحالة الثالثة

الجدول رقم (12) يمثل نتائج مقياس كارز للحالة الثالثة .

1	5,	3	2,5	1	1,5	2	1,5	3,5	4	2	1,5	1,5	3	31
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15

حاصل جمع المقياس

15	18	21	24	27	30	33	36	39	42	45	48	1	54	57	60
طبيعي					متوسط					شديد					

نلاحظ أن الحالة تظهر إرتفاعاً في الإستجابة العاطفية ، الخوف و العصبية ، التواصل اللفظي. و إنخفاضاً في الإتصال مع الناس ، إستخدام الأشياء

9-5- عرض و تحليل نتائج برنامج تيتش :

الجدول رقم (13) يمثل نتائج برنامج تيتش للحالة الثالثة .

ع/الإجابات الصحيحة	ع/الإجابات غير صحيحة	ع/الإجابات منعدمة	المجموع الكلي	م/الحسابي
63	28	04	221	787,5%

9-6- تحليل نتائج الحالة الثالثة :

• التحليل الكمي :

يظهر من نتائج أنشطة برنامج تيتش أن الحالة الثالثة قد تمكنت من 22 نشاط و التي كانت بنسبة
مئوية قدرت ب : 81,48% و أخفقت في 5 نشاطات و الذي تحصل على نسبة مئوية قدرت
ب : 18,51%.

10- عرض و تحليل نتائج الحالة الرابعة :

10-1- تقديم الحالة :

الحالة (س . ن) يبلغ من العمر 09 سنوات و هو طفل متحد أجريته عليه عملية التشخيص من
طرف مختصين في الميدان.

10-2- نتائج تطبيق الاختبارات :

10-3- عرض و تحليل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة الرابعة :

الجدول رقم (14) يمثل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة الرابعة .

بعد التواصل			بعد التنشئة الاجتماعية			بعد المهارات الحركية	
اللغة الإستقبالية	اللغة التعبيرية	القراءة و الكتابة	العلاقات الشخصية المتبادلة	وقت الراحة و الترفيه	المسايرة	العضلات الكبيرة	العضلات الدقيقة
33,33%	42,10%	3,50%	54,34%	19,56%	17,39%	22,22%	44,44%
92 , 31			132 , 30			123,44	

نلاحظ أن الحالة لها ضعف في بعد التواصل و ضعف شديد في مجال القراءة و الكتابة و له القدرة
على التعبير عن متطلباته و إحتياجاته وله ضعف طفيف في اللغة الإستقبالية . كما أنه غير قادر على
على إستخدام عضلاته الكبرى .زيادة على أن له القدرة على التقليد و التواصل الإجتماعي مع
الآخرين و إستغلال وقت الفراغ و ضعف في السيطرة على مشاعره وإتباع التعليمات

10-4 عرض و تحليل نتائج مقياس قياس شدة التوحد CARS

الجدول رقم (15) يمثل نتائج مقياس كارز للحالة الرابعة .

22	2	1,5	1,5	1	1,5	1,5	1	1,5	1,5	1	1	3	1,5	1,5	1
المج	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

حاصل جمع المقياس

60	57	54	51	48	45	42	39	36	33	30	27	24	21	18	5
شديد							متوسط				طبيعي				

نلاحظ أن الحالة تظهر إرتفاعاً في إستخدام الجسم و ضعفاً و إنخفاضاً في الإتصال مع الناس ،
إستخدام الأشياء ، ، التكيف مع التغير ، إستجابة إستخدام التذوق ، التواصل غير اللفظي .

10-5 عرض و تحليل نتائج برنامج تيتش :

الجدول رقم (16) يمثل نتائج برنامج تيتش للحالة الرابعة .

عدد الإجابات الصحيحة دون مساعدات	عدد الإجابات غير صحيحة	عدد الإجابات المنعدمة	المجموع الكلي	المتوسط الحسابي
195	24	04	223	334,5%

10-6 تحليل نتائج الحالة الرابعة :

- التحليل الكمي : يظهر من نتائج أنشطة برنامج تيتش أن الحالة الرابعة قد تمكن من 24 نشاط و التي كانت بنسبة مئوية قدرت ب : 88 , 88% و أخفق في 3 نشاطات و الذي تحصل على نسبة مئوية قدرت ب : 11,11%.

10-10 عرض و تحليل نتائج الحالة الخامسة :

10-1 تقديم الحالة : الحالة (م . ف) يبلغ من العمر 9 سنوات هو الطفل متوحد بعد عملية الكشف التي أجريت من طرف أخصائيين.

10-2 نتائج تطبيق الإختبارات :

10-3 عرض و تحليل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة الخامسة :

الجدول رقم (17) يمثل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة الخامسة .

بعد التواصل			بعد التنشئة الإجتماعية			بعد المهارات الحركية	
اللغة الإستقبالية	اللغة التعبيرية	القراءة و الكتابة	العلاقات الشخصية المتبادلة	وقت الراحة و الترفيه	المسايرة	العضلات الكبيرة	العضلات الدقيقة

19,44%	06,52%	06,52%	13,04%	43,47%	00%	12,28%	19,29%
48,07		91 , 34			36 , 92		

نلاحظ أن الحالة له ضعف في بعد التواصل و ضعف شديد في مجال القراءة و الكتابة . كما أنه غير قادر على إستخدام عضلاته الكبرى. لكن متميز في التواصل مع الآخرين.

10-4- عرض و تحليل نتائج مقياس قياس شدة التوحد CARS

الجدول رقم (18) يمثل نتائج مقياس كارز للحالة الخامسة .

3	3	3	2,	2	2,	2	1,	2,	1,	2,	1,	3,	2,	2	1,
4			5		5		5	5	5	5	5	5	5		5
ال	1	1	13	1	11	1	9	8	7	6	5	4	3	2	1
م	5	4		2		0									
ج															

حاصل جمع المقياس

6	5	5	5	4	4	4	3	3	3	3	2	2	2	1	1
0	7	4	1	8	5	2	9	6	3	0	7	4	1	8	5
شديد							متوسط				طبيعي				

نلاحظ أن الحالة تظهر إرتفاعاً في إستخدام الجسم ، الإستجابة الذهنية في حين إنخفاض في الإتصال مع الناس ، إستخدام الأشياء ، الإستجابة البصرية ، إستجابة إستخدام التذوق .

10-5- عرض و تحليل نتائج برنامج تيتش :

الجدول رقم (19) يمثل نتائج برنامج تيتش للحالة الخامسة .

عدد الإجابات الصحيحة دون مساعدات	عدد الإجابات غير صحيحة	عدد الإجابات المنعومة	المجموع الكلي	المتوسط الحسابي
186	30	04	220	330%

10-6- تحليل نتائج الحالة الخامسة:

• التحليل الكمي : يظهر من نتائج أنشطة برنامج تيتش أن الحالة الرابعة قد تمكن من 21

نشاط و التي كانت بنسبة مئوية قدرت ب : 77,77% و أخفق في 6 نشاطات و الذي

تحصل على نسبة مئوية قدرت ب: 22,22%.

11- عرض و تحليل نتائج الحالة السادسة :

11-1- تقديم الحالة : الحالة (ش . ع) يبلغ من العمر 8 سنوات هو طفل متوحد تم التشخيص على حالته من طرف أخصائيين في الميدان.

11-2- نتائج تطبيق الإختبارات :

11-3- عرض و تحليل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة السادسة :

الجدول رقم (20) يمثل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة السادسة .

بعد التواصل		بعد التنشئة الاجتماعية			بعد المهارات الحركية	
اللغة الإستقبالية	اللغة التعبيرية	القراءة و الكتابة	العلاقات الشخصية	وقت الراحة	المسايرة	العضلات الكبيرة
09,43%	03,77%	00%	35,89%	12,82%	05,12%	13,88%
08,33%						
16 , 60		92 , 01			41,12	

من خلال النتائج نلاحظ أن الحالة له ضعف في بعد التواصل و له القدرة على إستقبال اللغة و لكن ضعف شديد في التعبير عن إحتياجاته . كما لديه إستجابة من خلال بعد المهارات الحركية . في لديه إستجابة كبيرة لبعء التنشئة الاجتماعية .

11-4- عرض و تحليل نتائج مقياس شدة التوحد CARS

الجدول رقم (21) يمثل نتائج مقياس كارز للحالة السادسة .

34	4	2,5	3,5	2	4	5,	2,5	4	3	3	3	3,5	3,5	3,5	2,5
15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	المج

حاصل جمع المقياس

60	57	54	51	48	45	42	39	36	33	30	27	24	21	18	15
شديد					متوسط					طبيعي					

من خلال النتائج نلاحظ أن الحالة تظهر 'وُتفاعا في الإستجابة السمعية ، التواصل اللفظي مع إنخفاضا في الإتصال مع الناس ، إستجابة إستخدام التذوق الإستجابة الذهنية ، التواصل غير اللفظي .

11-5- عرض و تحليل نتائج برنامج تيتش :

الجدول رقم (22) يمثل نتائج برنامج تيتش للحالة السادسة .

عدد الإجابات الصحيحة دون مساعدات	عدد الإجابات غير صحيحة	عدد الإجابات المنعدمة	المجموع الكلي	المتوسط الحسابي
75	58	27	160	240%

11-6- تحليل نتائج الحالة السادسة :

- التحليل الكمي : يظهر من نتائج أنشطة برنامج تيتش أن الحالة السادسة قد تمكن من 14 نشاط و التي كانت بنسبة مئوية قدرت ب : 51% وأخفق في 13 نشاط والذي تحصل على نسبة مئوية قدرت ب : 48,14%.

12- عرض و تحليل نتائج الحالة السابعة :

12-1- تقديم الحالة : الحالة (س. ز) يبلغ من العمر 12 سنوات هو طفل متوحد أجريت عليه عملية التشخيص المبكر من طرف الأخصائيين في الميدان.

12-2- نتائج تطبيق الاختبارات :

12-3- عرض و تحليل نتائج اختبار مكعبات كوس للحالة السابعة :

الجدول رقم (23) يمثل نتائج اختبار مكعبات كوس للحالة السابعة .

الحالة	النقطة الخام	العمر الزمني	العمر العقلي	درجة الذكاء	الشدة
(س. ز)	25	11 سنة و 9 شهور و 14 يوم	8 سنوات و شهر واحد	68	متوسط

من خلال قراءتنا للجدول نلاحظ أن الحالة قادر على أداء بعض المهارات في الحياة اليومية و الاجتماعية و الأكاديمية مثل القراءة و الكتابة و له القدرة على التواصل مع الآخرين و هو حالة متمدرسة في السنة الثانية إبتدائي و متمكن من القراءة و الكتابة بشكل جيد.

12-4- عرض و تحليل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي :

الجدول رقم (24) يمثل نتائج مقياس فايلاند للسلوك التكيفي للحالة السابعة .

بعد التواصل		بعد التنشئة الاجتماعية			بعد المهارات الحركية	
اللغة الإستقبالية	اللغة التعبيرية	القراءة الكتابة	العلاقات الشخصية المتبادلة	وقت الراحة و الترفيه	المسايرة	العضلات الكبيرة العضلات الدقيقة
27,58 %	46,55 %	17,24 %	34,61 %	21,15 %	38,46 %	19,44 %
66,66 %						
105 , 02		120 , 79			159 , 44	

من خلال النتائج نلاحظ أن الحالة له ضعف في بعد التواصل مع ضعف في بعد الذي يخص المجال الأكاديمي. أما بعد التنشئة الاجتماعية فللحالة ضعف في التعبير عن مشاعره و التواصل الاجتماعي. أما بعد المهارات الحركية فلديه صعوبة في إستعمال الذراعين و الساقين و التأزر الحركي و تسهل عليه إستعمال عضلاته الدقيقة .

12-5- عرض و تحليل نتائج مقياس قياس شدة التوحد CARS:

الجدول رقم (25) يمثل نتائج مقياس كارز للحالة السابعة .

18	1	1	1,5	1	1,5	1,5	1	1,5	1	5,	1	1,5	1	1	1
15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	المج

حاصل جمع المقياس

60	57	54	51	8	45	42	39	36	33	30	27	24	21	18	15
شديد					متوسط					طبيعي					

من خلال النتائج المسجلة نلاحظ أن الحالة يظهر إرتفاعاً في إستخدام الجسم، التكيف مع التغير، الإستجابة السمعية، الخوف و العصبية ، التواصل اللفظي، مستوى النشاط . كما تم تسجيل إنخفاضاً في الإتصال بالناس ، التقليد ، الإستجابة العاطفية ، إستخدام الأشياء، الإستجابة البصرية، الإستجابة وإستخدام التذوق ، التواصل غير اللفظي، إستجابة الذهنية .

12-6- عرض و تحليل نتائج برنامج تيتش :

الجدول رقم (26) يمثل نتائج برنامج تيتش للحالة السابعة .

عدد الإجابات الصحيحة دون مساعداات	عدد الإجابات غير صحيحة	عدد الإجابات المنعدمة	المجموع الكلي	المتوسط الحسابي
210	14	04	228	%342

12-7- تحليل نتائج الحالة السابعة :

• التحليل الكمي :

يظهر من نتائج أنشطة برنامج تيتش أن الحالة الأولى قد تمكن من 24 نشاط و التي كانت بنسبة مئوية قدرت ب :88,88% وأخفق في 3 نشاطات والذي تحصل على نسبة مئوية قدرت ب :11,11%.

13- مناقشة عامة :

توصل لباحث من خلال نتائج الدراسة إلى التحقق من صحة الفرضيات ،حيث تحققت الفرضية العامة والتي نصت على وجود أثر لبرنامج تيتش على تنمية لغة التواصل سواء اللفظي أو غير اللفظي عند الطفل التوحيدي ، أي أن النشاطات التي يحتوي عليها برنامج تيتش تعتبر فعالة في تنمية لغة التواصل عند الطفل المتوحد. كما تم تحقيق الفرضيتين الجزئيتين والتي توصلت إلى وجود أثر لبرنامج تيتش في تنمية لغة التواصل بنوعيه اللفظي وغير اللفظي لدى فئة الأطفال التوحيدين . فالفرضية الجزئية الأولى التي توصلت إلى وجود فعالية لبرنامج تيتش الذي ساعد على تحسين لغة التواصل اللفظي عند الطفل التوحيدي. أما الفرضية الجزئية الثانية توصلت إلى وجود أثر لبرنامج تيتش في تحسين لغة التواصل غير اللفظي عند الطفل التوحيدي . ومن خلال هذه النتائج يمكن أن يرجع هذا الأثر إلى الدور الذي تلعبه هذه البرامج التي تعتبر أحد أساليب التكفل مع الأطفال ذوي الإحتياجات الخاصة بصفة عامة و التوحيدين بصفة خاصة، كما يرجع التطور في التواصل اللفظي وغير اللفظي لأطفال التوحد إلى تنوع الأساليب و الأنشطة التي إتبعها البرنامج التدريبي في تطبيق الجلسات التدريبية حيث نجده أنه برنامج منهجه تربوي بالدرجة الأولى قائم على تعليم بعض المهارات وعلى رأسها التواصل بشقيه اللفظي وغير اللفظي وبعض المهارات الإجتماعية والمهارات التي تساعد على الإستقلالية و إدراك ذواتهم و مهارات تمكنهم من التكيف بطريقة صحيحة والمهارات الحسية الحركية والمهارات الأكاديمية لمن يبدون إستعدادا للتعلم. حيث أفادت الدراسة و أثبتت أنه يوجد أثر لبرنامج تيتش في تنمية لغة التواصل لدى الأطفال

التوحيدين وبالتالي يمكننا القول أن الفرضيات قد تحققت على العموم من خلال النتائج المتوصل إليه و التحليل الكيفي للنتائج حول أثر برنامج تيتش.

14- خاتمة :

إنطلاقاً من القاعدة أن كل طفل متوحد يستطيع تعديل سلوكاته المعرفية والحسية الحركية وحتى الإجتماعية و ذلك من خلال عملية التكفل. حيث يتحتم علينا وضع خطط نفسية تربوية وإستراتيجيات من خلال الإعتماد على برامج تكفلية قد تساهم في تعديل السلوك وتحسينه الموجه لفئة المتوحيدين. حيث أن الأبعاد و البنود الواردة في مضمون البرامد المعتمدة لها صلاحية و القدرة في تقديم إضافة من خلال النشاطات التطبيقية التي يشارك فيها الطفل المتوحد تجعل منه مستقر و مستقل ما يساعده في عملية النمو في جميع المراحل التي يمر بها.

- قائمة المصادر والمراجع:

1- المراجع العربية :

- 1- أسامة فاروق مصطفى ، السيد كامل الشربيني (2011) . سمات التوحد . ط 01 . عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع .
- 2- أسامة محمد البطانية ، عبد الناصر زياد الجراح (2007). علم النفس الطفل غير العادي . ط 01 . عمان الأردن : دار المسيرة للنشر و التوزيع .
- 3- أسامة محمد البطانية ، عبد الناصر زياد الجراح (2009). علم النفس الطفل غير العادي . ط 02 عمان الأردن : دار المسيرة للنشر و التوزيع .
- 4- إلهامي عبد العزيز إمام (1999) . سيكولوجية الفئات الخاصة دراسة في حالة الذاتوية . د ط . القاهرة : دار الكتب .
- 5- الببلاوي إيهاب (2002) . اضطرابات التواصل . ط 01 . الرياض : مكتبة دار الزهراء
- 6- بطرس حافظ بطرس (2009) . طرق تدريس الطلبة المضطربين سلوكيا و إنفعاليا . د ط . عمان : دار المسيرة .
- 7- بطرس حافظ بطرس (2011) . إعاقات النمو الشاملة . د ط . عمان : دار المسيرة .
- 8- بن أحمد رشيدة ، دوزة إنتصار(2017). نحو تكييف بند الكفاءة اللغوية من برنامج تيتش التأهيلي على بيئة جزائرية غربية دراسة ميدانية لفئة الأطفال المتوحدين. رسالة ماستر في علم الأروطوفونيا كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.
- 9- بن حشفة سمية (2017). تنمية التواصل اللغوي عن طريق اللعب لدى أطفال ذوي اضطراب التوحد إقتراح برنامج . رسالة ماستر في علم الأروطوفونيا كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.
- 10- بندر بن ناصر العتيبي 2004 . مقياس فاينلاند للسلوك التكيفي صورة معدلة ومنقحة لمقياس فاينلاند للنضج الاجتماعي ، جامعة الملك سعود قسم التربية الخاصة . 6 شارع الأمل المظلات : القاهرة .
- 11- بن علي عمار كريمة (2018) . واقع التكفل النفسي بالطفل التوحد في الجزائر. رسالة ماستر في علم النفس العيادي كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة معسكر، الجزائر.
- 12- بيومي لمياء (2008) . فاعلية برنامج تدريبي لتنمية بعض مهارات العناية بالذات لدى الأطفال التوحدين .دكتوراه الفلسفة في التربية تخصص صحة نفسية (تربية خاصة)، كلية التربية بالعريش قسم علم النفس التربوي جامعة قناة السويس ، مصر .

- 14- بوشلاغم إيتسام (2016). واقع التكفل الأرطوفوني بالطفل المتوحد دراسة ميدانية بالمراكز البيداغوجية للمتخلفين ذهنياً . رسالة ماستر في علم الأرطوفونيا كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي الجزائر .
- 15- جارجي سيد (2004). فاعلية برنامج تدريبي في تنمية مهارات السلوك التكيفي لدى الأطفال التوحديين و خفض سلوكياتهم المضطربة . رسالة ماجستير ، كلية التربية النوعية جامعة عين الشمس .
- 2- المراجع الأجنبية :

- 16- Magnusen , Ch . (2005) .teaching children with autism and related . spectrum disorder . Jessica kingsleypublisher .
- 17- Rutter ,M.(1998) .cognitive deficit in the pathogenesis of autism . journal of children psychology and psychiatry .
- 18- Schopler , Eric .(2000). the research basic for autism Kluwer academic publisher .
- 19- Siegal , B. (1999) .autistic children understanding and treating autistic , spectrum disorders , oxford university press .
- 20- Swinkels , Willems & B. J .(1997) . children with a pervasive developmental disorder , children with a language disorder and normally develop children in situation with high and low level environment of caregiver , J .of child psychology and psychiatry . 38 (3) .
- 21- Zager , D . (2005) .Autism spectrum disorders identification and treatment . London : Lawrence Erlbaum association publisher.

1- المقدمة:

إن جوهر الاختلافات بين عصرنا الحالي والعصر السابق هو التقنية التي فرضت نفسها على الواقع التعليمي التعلّمي من خلال إدماج تكنولوجيا الحاسوب في التعليم وما تضمّنته من تطبيقات كالإنترنت.. وما صاحب ذلك من تعليم إلكتروني وظهور الجامعات الإلكترونية الافتراضية، ومن ثم التحرّر من تقليدية التعليم في المناهج وطرق التدريس والأنشطة التعليمية الذي أصبح اليوم أمراً ضرورياً، إذ لم يعد الهدف يقتصر على إكساب الطالب المعارف والحقائق فقط بل تعدّاه إلى تنمية مهاراته وقدراته وبناء شخصيته ليكون قادراً على التكيف والتفاعل مع ظروف العالم سريعة التغيّر؛ ولأن التعليم العالي يُمثّل قمة الهرم التعليمي ذلك يجعله يتحمّل القسط الأكبر والأوفر في إحداث التنمية المنشودة باعتباره باب الرقي والتقدّم والحضارة، وكذا الرصيد الاستراتيجي الذي يُغذّي المجتمع بكل احتياجاته من الكوادر البشرية المدربة القادرة على مواجهة تحديات العصر بثبات ونجاح.

كيف لنا أن نستمرّ على الإستخدامات التقليدية في التعليم سواءً في مناهجنا أو طرق وتدريسنا أو الأنشطة التي نستخدمها في المواقف التعليمية! من غير المعقول أن نستمرّ في إستخدام التلقين والعالم يستخدم التجريب والاستقصاء ويُرَكِّز على التعلّم الذاتي! ومن غير الممكن أن نتعامل مع السبورة والطباشير في الموقف التعليمي والعالم يستخدم الإنترنت والفصول الافتراضية! إن هذا الواقع يفرض على أنظمتنا التعليمية إعادة النظر في مناهجها ومقرراتها الدراسية محتوى وتديراً، وكذا البحث عن أساليب واتجاهات مستحدثة لزيادة فعاليتها بهدف تحسين كفاءتها من خلال جيل من المتعلّمين يمتلك التفكير العلمي الناقد والإبتكاري والعمل في فريق والتعلّم الموجه ذاتياً ومسايرة التغيرات الحاصلة في المجتمع. من هنا كان لابد لنا أن نفكر بطريقة عالمية ونتصرف بطريقة محلية بحيث يكون البعد العالمي جزءاً أساسياً من تفكيرنا بما يتبعه ذلك من نتائج تتصل بالمناهج التعليمية، طرق وأساليب التدريس، اللغة التي نستخدمها والتخصّصات التي نحتاج إليها ونخطّط لها.

لقد أدرك القائمون على التعليم العالي في الجزائر خطورة هذه الظاهرة وعملت الوزارة المعنية على التخطيط لاستخدام التعليم الإلكتروني بشكلٍ واسع ليس بوصفه ترفاً تقنياً بل حلاً فاعلاً للكثير من المشاكل التي تعاني منها العملية التعليمية، منها معادلة غير متوازنة طرفاها إستراتيجيات ومناهج تقليدية جامدة غير مناسبة للتدريس و"أعداد كبيرة من الطلبة يتواجدون في وقت واحد داخل قاعة دراسة غير مجهزة لاستيعاب تلك الأعداد الكبيرة، فيترتب على هذا الازدحام ندرة وفي أغلب الأحيان انعدام التواصل والتفاعل بين المحاضر والطلبة وبالتالي لا تجد التغذية الراجعة مكاناً لها، وبالتبعية يقل انتباه الطلبة للمحتوى التعليمي وما يترتب على ذلك من عدم الفهم وظهور مشاكل دراسية عديدة ومتنوعة لدى الطلبة، وعلى الجانب الآخر لا يجد المحاضر مفرّاً من الاعتماد على طرق وأساليب تقليدية في الشرح وتقديم المحتوى

التعليمي فيجب استخدام أي إستراتيجيات أو أدوات تقنية قد تؤدي إلى استقطاع وقت من المحاضرة هو في أشد الحاجة إليه في ظل تلك الأعداد الكبيرة وزمن المحاضرة المحدود، ويمتد هذا الأمر إلى تجنب إسناد أي مهام أو تكليفات أو واجبات من جانب المحاضر للطلبة خلال فترة تعلمهم، إذ يتعدّر عليه التجاوب مع الجميع في ذات الوقت وبنفس الكيفية"¹. في ظل كل هذه المعطيات قامت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بإدخال مشروع البرنامج الوطني للتعليم عن بعد في جامعاتها من خلال تبني أنظمة تعليم إلكتروني مدعّمة بفضاءات للمصادر الرقمية تعمل على توفير بيئة تعليمية مرنة Flexible Learning، كما سعت إلى توفير الكثير من المستلزمات والأدوات الضرورية اللازمة لإنجاح هذه التجربة. من هذا المنطلق كان لابد من الاهتمام بالتعليم الإلكتروني والاهتمام بفضاءات المصادر الرقمية على وجه الخصوص، لكونها تُعدّ القاطرة داخل أنظمة التعليم الإلكتروني لما توفره من مصادر رقمية علمية مختلفة ومتعدّدة يمكن الحصول عليها من مكان واحد - من داخل المنصة التعليمية - كما أنها تُوفّر بيئة تعلّم ذاتي تُمكن المتعلّم من التفاعل بصورة إيجابية مع المحتوى العلمي التعلّمي، خاصة وأن الاتجاهات الحديثة للمؤسسات التعليمية تهدف إلى تخريج طلبة ذوو معلومات متنوّعة ومعارف غنية، يمتلكون المهارات العلمية المختلفة لتوظيفها في خدمة أنفسهم وخدمة المجتمع.

الاشكالية:

لا شك أن الحاجة إلى المصادر الرقمية تزداد بسرعة كبيرة خاصة في مجال التعليم الإلكتروني باعتبارها مُكمّلاً للعملية البيداغوجية داخل أنظمة التعليم الإلكتروني، فهي تسمح بتوزيع المعلومات الرقمية على المتعلّمين، كما تجسّد وسط اتصال فعال لا يمكن توفيره بسهولة في ظل الطرق الورقية الكلاسيكية. ورغم أن المصادر الرقمية داخل أنظمة التعليم الإلكتروني قد لا تلغي النموذج المعتمد على المصادر الورقية المستخدمة في ظل نمط التعليم الكلاسيكي، ولكنها ستُشكل رافداً مهما لتلبية احتياجات المتعلّمين إلكترونياً وتمكين الجامعات من المشاركة في المحتوى الرقمي والوصول الحر، وإيجاد أنماط جديدة من التعاون والتشارك بهدف إنتاج وإتاحة المصادر التعليمية، بالإضافة إلى زيادة الفرص لتطوير وتجويد محتوى المناهج التعليمية.

لقد أصبحت المصادر الرقمية أكثر من ضرورية في أنظمة التعليم الإلكتروني، كونها تساعد المتعلّم في الوصول إلى معلومات عبر روابط مباشرة من داخل المحتوى التعليمي الرقمي. فالمتعلّم لم يعد بحاجة إلى الانتقال على مقرات ومباني المكتبات الجامعية، بقدر ما أصبح بحاجة إلى التمكن من الولوج على فضاءات المصادر الرقمية داخل نظام التعليم الإلكتروني المعتمد ذاته. لذا فقد ارتأت الباحثة إجراء هذه الدراسة للتعرف على واقع المناهج التعليمية بمؤسسات التعليم العالي الجزائرية ومتطلبات تفعيلها للطرق المستخدمة في العملية التعليمية من خلال استقصاء آراء أساتذة جامعة قلمة وتبيان مدى وعيهم بأهمية المصادر الرقمية

¹ نادر سعيد علي شيمي، مفاهيم مستحدثة ورؤى متعددة في تطوير المحتوى الإلكتروني التفاعلي [على الخط]

بنظام التعليم الإلكتروني المعتمد بالجامعة -نظام موودل MOODLE-. وينبثق من مشكلة الدراسة التساؤل الرئيسي التالي:

ما هو موقع المصادر الرقمية بأنظمة التعليم الإلكتروني؟ وما هي درجة وعي أساتذة جامعة قلمة بأهميتها في تحقيق التعلّم الفعّال؟

1- مشهد التعليم العالي في الجزائر: بين واقع المناهج ومتطلبات تفعيل الطرائق

1.1. التعليم العالي: المفهوم والوظائف

يُقصد بالتعليم العالي وفقاً لنصّ التوصية الخاصة بالإعتراف بدراسات وشهادات التعليم العالي التي اعتمدها المؤتمر العام لليونسكو في دورته السابعة والعشرين في نوفمبر 1998، على أنه "برامج الدراسة أو التدريب أو التكوين الموجّه للبحث يتمّ بعد المرحلة الثانوية، توفرها المؤسسات الجامعية أو المؤسسات التعليمية الأخرى المعترف بها بصفقتها مؤسسات للتعليم العالي من قبل السلطات في الدولة"². ويُعرّفه رمزي عبد الحّي في كتابه "التعليم العالي والتنمية" بأنه "الدراسة في الجامعات في نظر الكثيرين، أي أنه دراسة متخصصة ينبغي أن تقتصر على مادة التخصص وما يرتبط بها من مواد أخرى ارتباطاً شديداً على عكس الدراسة في التعليم العام الذي يسبق التعليم الجامعي أين يدرس الطلبة مبادئ وأساسيات المعرفة في كل الحقول تقريباً"³.

أما المشرّع الجزائري فيُعرّف التعليم العالي وفقاً للقانون رقم 99-05 بأنه "كل نمط للتكوين والبحث يُقدّم على مستوى ما بعد التعليم الثانوي من طرف مؤسسات التعليم العالي"⁴.

من خلال التعاريف السابقة، يمكن القول بأن التعليم العالي هو كل أشكال التعليم التي تمارسها مؤسسات التعليم العالي سواء كانت جامعات أو كليات أو معاهد أو مدارس عليا أو غير ذلك من المؤسسات العاملة في المستويات التعليمية التي تلي مرحلة التعليم الثانوي، يتوجّه إليها الطالب لتلقّي كافة مناهج البحث والدروس المتخصصة التي من خلالها يصبح إطاراً ذو كفاءة علمية ومهنية في مجال تخصصه.

² UNESCO. Déclaration mondiale sur l'enseignement supérieur pour le 21^e siècle : vision et actions [On ligne]. In :Conférence mondiale sur l'enseignement supérieur: l'enseignement supérieur au 21^e siècle : vision et actions, 5- 9 Octobre 1998, Paris. Disponible sur : http://www.unesco.org/education/educprog/wche/declaration_fre.htm (Consulté le: 25/05/2021).

³ رمزي احمد عبد الحّي، التعليم العالي والتنمية: وجهة نظر نقدية مع دراسات مقارنة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2006، ص. 99

⁴ قانون رقم 99-05 مؤرخ في 18 ذي الحجة 1419 الموافق 4 أبريل سنة 1999 يتضمن القانون التوجيهي للتعليم العالي. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية [على الخط]. ع. 24، ص. 05، متاح في: <http://www.joradp.dz/HAR/Index.htm> (تاريخ الإطلاع: 2015/11/25).

وتؤكد الاتجاهات التعليمية المتطورة على ضرورة مواكبة السياسات والمناهج التعليمية لمتطلبات واحتياجات العصر فضلاً عن متطلبات المستقبل المتوقع حدوثها والتي يمكن إطلاق البعد المستقبلي للتعليم عليها، حيث تهم أساليب التعليم الحديثة بإعداد الإنسان ليستطيع التعايش في هذا العالم في العقود الأولى من القرن الحادي والعشرون⁵. وتكاد تستقر أدوار ووظائف التعليم العالي في ثلاث وظائف رئيسية هي:

- **تعليم وتكوين الأفراد:** من المتوقع أن تقوم الجامعات بإعداد الكوادر المطلوبة التي ستقوم بشغل الوظائف العلمية والتقنية، المهنية والإدارية من خلال توفير البيئة التي تمكن الطلبة من تنمية معلوماتهم المتخصصة والكشف عن ميولاتهم واتجاهاتهم وصقل مهاراتهم، من أجل القيام بالأدوار المنوطة بهم في تحديث وتطوير وتنمية مجتمعاتهم⁶.

- **البحث والتطوير:** يمثل أحد الوظائف الأساسية للتعليم العالي خاصة في مراحل الدراسات العليا، وعاملاً أساسياً من عوامل تحسين وتعزيز الكفاءة الداخلية والخارجية لنظام التعليم العالي، علاوة على كونه رافداً رئيسياً من روافد التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مما يؤدي إلى رفع مؤشرات التنمية البشرية ومعدلات التعليم في المستويات المختلفة⁷، ومنه تعزيز التراث الثقافي للأمة والحضارة الإنسانية بصفة عامة.

- **خدمة المجتمع:** تعمل مؤسسات التعليم العالي مع بقية مؤسسات المجتمع على دراسة وتشخيص وحل القضايا وتناول المشكلات والتحديات التي يواجهها المجتمع، واقتراح الحلول المناسبة والتصدي للظواهر الدخيلة المؤثرة على قيمه ومعتقداته.

كما يذهب الكثير من التربويين إلى أبعد من ذلك في وصف أدوار ووظائف التعليم العالي:

- **التعلم مدى الحياة:** التعلم مدى الحياة شعار نادى به جون ديوي في بدايات القرن العشرين من خلال تشجيع مبدأ الاستمرارية التي تعتبر النتيجة الحتمية للعملية التعليمية. وفي هذا الإطار يُطالب ميثاق الجامعات الأوروبية الجامعات بالالتزام بتضمين مفاهيم توسيع إمكانية الاستفادة والتعلم مدى الحياة في إستراتيجيتها المؤسسية وتوفير التعليم والتعلم لفئات متنوعة من الطلبة، تكييف المناهج التعليمية للتأكد من أنها مصممة لتوسيع المشاركة وجذب المتعلمين الكبار العائدين للتعلم باعتباره ذا فائدة كبيرة لكل من الأفراد والمجتمع، وتعميم العدالة الاجتماعية ومجتمع التعلم الشامل⁸. ظهر مفهوم

⁵ فهميم مصطفى. مهارات القراءة الإلكترونية وعلاقتها بتطوير أساليب التفكير، القاهرة، دار الفكر العربي، 2004، ص. 15

⁶ رمزي احمد عبد الحي، المرجع السابق، ص. 100

⁷ سعيد بن حمد الربيعي، التعليم العالي في عصر المعرفة: التغيرات والتحديات وآفاق المستقبل، دار الشروق، عمان، 2008، ص. 27

⁸ الألسكو. الموارد التعليمية المفتوحة: التجديد والبحث والممارسة، [على الخط]. متاح في:

http://www.alesco.org/site/pdf/OER_ALESCO_Translation.pdf

- التعلّم مدى الحياة كإستراتيجية تعليمية منذ ثلاثة عقود من خلال جهود منظمة اليونسكو، منظمة التنمية الاقتصادية والتعاون الأوروبية والمجلس الأوروبي، بسبب زيادة وتيرة العولمة والتغيرات التكنولوجية، تغير طبيعة وسوق العمل، شيخوخة السكان والمتطلبات الإقتصادية المستمرة والمتغيرة، كما نضجت واثّضحت معالمه وتحدّدت أهدافه إنطلاقاً من تحدّد وتغيّر تطلّعات الإنسان وقدراته وظروفه المحيطة. هذا الإتجاه الذي نادى به اليونسكو من خلال تقرير إدجار فور Edgar Faure "تعلّم لتكون" Learning to be لسنة 1972، واعتبرته من أولويات التربية المستمرة وأساس السياسات التعليمية⁹، كما حدّد جاك دولور Jacque Delore في تقرير سنة 1996 "التعليم ذلك الكنز المكنون Learning The Treasure Within"¹⁰ المبادئ التوجيهية الأربعة التي تُمثّل دعائم التربية الأساسية في القرن الحادي والعشرين نحو تعلّم مستمر مدى الحياة، وهي¹¹:
- التعلّم من أجل أن تعرف: لتوفير الأدوات المعرفية اللازمة لفهم العالم وتعقيداته على نحو أفضل وإرساء أساس ملائم ومناسب للتعلّم في المستقبل.
 - التعلّم من أجل أن تفعل: لتوفير المهارات التي من شأنها تمكين الأفراد من المشاركة على نحو فعّال في الإقتصاد والمجتمع العالميين.
 - التعلّم من أجل أن تكون: إتاحة القدرة على التحليل الذاتي وتوفير المهارات الإجتماعية لتمكين الأفراد من تنمية أقصى إمكاناتهم من النواحي النفسية، الإجتماعية، العاطفية والمادية، بحيث يصبح كل فرد منهم "إنساناً كاملاً" من جميع الوجوه.
 - التعلّم من أجل العيش المشترك: توجيه الأفراد نحو القيم التي تنطوي عليها حقوق الإنسان والمبادئ الديمقراطية والتفاهم والإحترام بين الثقافات والسلام على جميع مستويات المجتمع والعلاقات الإنسانية، وذلك لتمكين الأفراد والمجتمعات من العيش في سلام ووثام.
- البحث التطبيقي والمساهمة في التنمية الشاملة: يتزايد التأكيد على أهميّة البحث التطبيقي باعتباره محوراً حيويّاً لتطوير التعليم والمجتمع كما أنه يُعدّ من بين أبرز مؤشّرات التصنيفات العالمية للجامعات

(تاريخ الإطلاع: 2022/01/12).

⁹ لمزيد من التفاصيل، أنظر تقرير منظمة اليونسكو لسنة 1972 على العنوان التالي:

<http://unesdoc.unesco.org/images/0000/000018/001801ab.pdf>

¹⁰ لمزيد من التفاصيل، أنظر تقرير منظمة اليونسكو لسنة 1996 على العنوان التالي:

<http://unesdoc.unesco.org/images/0010/001095/109590ab.pdf>

¹¹ اليونسكو. دعائم التعلّم الأربع في القرن الحادي والعشرون [على الخط]. متاح في:

[http://www.unesco.org/new/ar/education/networks/global-](http://www.unesco.org/new/ar/education/networks/global-networks/aspnet/about-us/strategy/the-four-pillars-of-learning)

[networks/aspnet/about-us/strategy/the-four-pillars-of-learning](http://www.unesco.org/new/ar/education/networks/global-networks/aspnet/about-us/strategy/the-four-pillars-of-learning) (تاريخ الإطلاع: 2020/05/25).

كتصنيف شانغهاي الشهير. حيث أصبحت مؤسسات التعليم العالي تهدف إلى توجيه البحث العلمي والتكنولوجي نحو أكثر إبداعية وإبتكارية لتوليد المعرفة¹²، كما أنها مدعوة لثمين نتائج البحوث من خلال إنفتاح الجامعة على المجتمع واستغلالها في حل مشكلاته وتطويره مما يزيد من قيمة المؤسسة التعليمية وإلا انقلبت عملية البحث إلى ترف عبثي لا يسهم في عملية التنمية.

● **التعلم الذاتي:** لقد أسهمت التغيرات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية التي تمرّ بها مجتمعات اليوم وما نجم عنها من تحديات في تعزيز الاتجاه نحو اعتماد التعلم الذاتي وتأكيد الحاجة إليه كأهم مدخل لتحقيق أهداف التعليم والتعلم معاً، نظراً لإمكاناته في مواكبة الثورة المعرفية وقدرته على الاستفادة من التقدم التقني المطرد بما يساعد على التعليم المستمر ويساند مؤسسات التعليم المفتوح والتعليم عن بعد¹³. وبالنظر إلى الفعالية التي يمتاز بها التعلم الذاتي والتي لا تجعل منه مبدأً أساسياً في نظام التعليم عن بعد فقط وإنما حجر الزاوية في الأنظمة الأخرى وبالأخص النظام التعليمي التقليدي وجهاً لوجه إذا ما أردنا الخروج بالطالب من قوقعة التلقين والإسترجاع إلى فضاء الإبداع والإبتكار.

2.1. التطور التاريخي للمناهج التعليمية بالجامعة الجزائرية:

إن الجامعة الجزائرية هي إحدى مؤسسات التعليم العالي التي تعمل على نشر وإنتاج المعرفة العلمية، هذه المؤسسة التكوينية والتعليمية التي عهد لها المجتمع مهمة تكوين الإطارات ذوي الكفاءة والمهارة العلمية لتلبية لإحتياجات سوق العمل ومتطلبات وظائفهم في مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية تكويناً يجعل من هذه الإطارات ثروة تسهم في تحقيق التنمية الشاملة.

1.2.1. نشأة الجامعة الجزائرية:

يعود نظام التعليم العالي في الجزائر إلى العهد الإستعماري، أين كانت الجزائر تملك جامعة واحدة وهي جامعة الجزائر التي تُعدّ أول جامعة في الوطن العربي. تأسست سنة 1877 بموجب القانون المؤرخ في 20 ديسمبر 1877 المنشئ للمدارس العليا بالجزائر، وأعيد تجميعها وتنظيمها عام 1909 من طرف سلطات المستعمر الفرنسي لتكون نسخة طبق الأصل للجامعة الفرنسية التقليدية بموجب القانون المؤرخ في 30 ديسمبر 1909 بإمضاء رئيس الحكومة آنذاك Gérard Jonnart والذي أقيمت من خلاله أربع

¹² سمية الزاحي، دور التعليم مدى الحياة في بناء مجتمع المعرفة، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية [على الخط]. 2013، مج. 19، ع. 2، ص. 309. متاح في:

<http://www.kfnl.org.sa/Ar/mediacenter/EMagazine/DocLib/>

(تاريخ الإطلاع: 2019/04/22).

¹³ اسماعيل صالح الفار، التعلم عن بعد والتعليم المفتوح: الجذور والمفاهيم والمبررات، المجلة الفلسطينية للتربية المفتوحة عن بعد [على الخط]. 2007، مج. 1، ع. 1. متاح في:

http://www.qou.edu/arabic/magazine/openEdu/issued1_1/openEdu1_1_1.pdf (تاريخ الإطلاع: 2018/03/26).

(04) مدارس في نظام الكليات هي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الحقوق والعلوم الإقتصادية، العلوم والفيزياء، الطب والصيدلة¹⁴. كانت منذ تأسيسها تابعة لوزارة التربية الوطنية الفرنسية وخاضعة لقوانين التعليم العالي الفرنسي وخدمة أبناء المستوطنين الأوروبيين، لأن العرب كما أعلن المجلس الأوروبي العام في 21 مارس 1908 "العرب شعب حقير وغير قابل للتعليم ولا يصلحون إلا خداما للكلون في الريف أو عمالا وبنائين فقط"، كما أصدر مؤتمر المزارعين الأوروبيين في الجزائر الذي انعقد بالعاصمة الجزائرية عام 1908 بياناً رسمياً ضد تعليم الجزائريين يُطالبون فيه السلطات المسؤولة بإلغاء التعليم الابتدائي بالنسبة للسكان المسلمين. ولم يتخرج من الجامعة الجزائرية - الفرنسية أي جزائري إلا بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يتخرج منها قبل الإستقلال إلا عدد محدود من الجزائريين كان غالبيتهم في الآداب والحقوق. ومن هنا فقد كانت الجامعة الجزائرية شبه مقفلة الأبواب في وجه الشباب الجزائري، كما ظلت محافظة على طابعها وعلى روحها الفرنسيين في دراستها وأبحاثها وطلبتها الذين يتابعون الدراسة بها حتى سنة 1962.

2.2.1. مرحلة التأسيس:

لعل أهم ما تميّزت به الجامعة الجزائرية غداة الإستقلال هي التبعية الفكرية والإيديولوجية، فقد بقيت هذه الأخيرة فرنسية الطابع من حيث برامجها ومناهجها التعليمية، النظام التعليمي المتبع وحتى فئة الأساتذة المؤطرين ونظام الإمتحانات والشهادات، وأعتبرت المرحلة من أصعب المراحل التي مرت بها الجامعة الجزائرية، فقد كانت انشغالاتها مرتكزة على:

أولاً: إسترجاع مؤسسات الدولة وخاصة المؤسسات السياسية والإقتصادية ومحاولة مواجهة التركة الإستعمارية بكل ثقلها وصعوباتها.

ثانياً: إدخال الجامعة في مشروع المخطط الثلاثي الأول للتنمية 1967-1970، أين شهدت تطوراً محسوساً في أعداد الطلبة الذين قُدِّر مجموعهم بـ 10.756 آلاف طالب وطالبة مما خلق مشاكل مختلفة سواء على مستوى هياكل الإستقبال الجامعية أو على مستوى التنظيم الهيكلي فأصبحت غير قادرة على تلبية احتياجات المجتمع، لذلك تطلّب الأمر إيجاد حلول مستعجلة.¹⁵

اعتمدت الجامعة الجزائرية غداة الإستقلال على مناهج تقليدية تماماً، وهذا حسب المضامين والمحتويات أين تحتل المعرفة مركز وصدارة الإهتمامات مما تسبّب في اكتظاظ البرامج الناتج عن تراكم المعارف بهدف إتمام البرامج في الوقت المحدد لها، مع تجاهل وظيفية هذه المعارف ومدى قدرة المتعلّم على ترجمتها إلى سلوكات. إن إعتقاد هذا النوع من التدريس يضع المتعلّم موضع المتلقّي السلبي للمحتويات التي يعتبرها

¹⁴ رايح تركي، أصول التربية والتعليم: لطلبة الجامعات والمعلّمين والمفتّشين والمشتغلين بالتربية والتعليم في مختلف المراحل التعليمية، ط. 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص. 146

¹⁵ المرجع نفسه، ص. 152

الغاية في التعليم وليست الوسيلة، كما أنها تجعل من المعلم المسؤول الوحيد عن إعطاء المعلومات للمتعلم وعلى إلقائها وشرحها له بطريقته الخاصة دون أن يقبل تدخّل الطلبة، مما يلزم المتعلم البقاء صامتاً وخاشعاً من أجل الإستماع وتدوين كل المعلومات التي يُلقِيها عليه من أجل وأن يحفظها عن ظهر قلب ليعيدها أثناء أداء الفروض والواجبات والإمتحانات.

3.2.1. مرحلة التركيز:

ظهرت الجامعة الجزائرية بالمفهوم الفعلي مع إنشاء وزارة التعليم العالي والبحث العلمي سنة 1970 ومع إطلاق عملية إصلاح التعليم العالي الكبرى سنة 1971 التي كانت تهدف إلى إعادة هيكلة القطاع من أجل تعبئة مجموع قدرات الجامعة لتكوين رجال خدمة للتنمية. كانت عملية إعادة الهيكلة مؤسّسة فق أربعة (04) محاور رئيسية¹⁶:

1. إعادة صياغة برامج التكوين من أجل تطوير تعليم التكنولوجيا في الجامعة وتنظيم مسارات دراسية جديدة، اعتماداً على مقارنة ثلاثية الأبعاد تمثّلت في: التنوع - التخصص - الإحترافية.
2. التنظيم البيداغوجي الجديد للدراسة: وتمثّل في تنظيم التعليم حسب نظام السداسيات ووفقاً لمنطق المقاييس والمكتسبات القبلية وليس على أساس المعدّل السنوي، كما تم تخصيص حيز أهم للأعمال الموجهة في البرامج والتي أصبح لها وزن أهم في التقييم النهائي.
3. تكثيف نماء التعليم العالي: بغية تمكين أكبر عدد ممكن من الشباب من بلوغ المستويات العليا من منظومة التربية والتكوين.
4. إعادة تنظيم شامل للهياكل الجامعية: وذلك من خلال الانتقال من المخطّط التقليدي للكليات إلى المعاهد الجامعية، بحيث يكون لكل واحد منها تخصّص في مجال علمي محدّد بهدف إدراج التكنولوجيا ضمن مسارات التعليم والتكوين، مستلهمةً نمط التنظيم هذا وبقدّر كبير من الجامعات الأنجلوساكسونية، إضافةً إلى المزج بين الدراسة النظرية والعلمية حرصاً على التكوين الكمي والنوعي كضرورة لسدّ حاجيات البلاد.

تغيّرت موازين القوى في هذه المرحلة، فبعد أن كانت المحتويات محوراً وهدفاً للفعل التعليمي وبعد أن كانت العملية التعليمية تهتم بنشاط التعليم فقط دون التعلّم، تحوّل مركز الإهتمام إلى المتعلم فبعد أن كان يتلقّى ويُقلّد ويحفظ، أصبح يتعلّم ويفهم ما يتعلّمه ويُجسّده في سلوك تعليمي، كما أصبح المنهج يعني كل

¹⁶ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر: 50 سنة في خدمة التنمية 1962-2012. ص. ص. 20-21. متاح في: www.mesrs.dz/documents/12221/189730/50-ar.pdf (تاريخ الإطلاع: 2016/09/24).

الأنشطة التي تحدث داخل الجامعة وخارجها، مراعيًا قدرات المتعلم وخصوصياته ومواكبًا لمتغيرات الحياة في إطار من المرونة والقابلية للتغيير والتأقلم بعيداً عن الجمود والروتين والحفظ والتلقين.

4.2.1. مرحلة الإصلاحات:

إن إصلاح التعليم ظاهرة ليست جديدة أو مُستحدثة بل ذات تاريخ طويل، وقد حققت المقولات المتعلقة بظاهرة إصلاح التعليم وما يتصل بها من أنشطة وتطبيقات انتشاراً واسعاً في كثير من المجتمعات وذلك منذ منتصف السبعينات من القرن الماضي. وفي هذا السياق يشير **جمبرت Gumbert** إلى أن مساعي الإصلاح التعليمي قد برزت خلال السنوات الأخيرة في الكثير من البلدان المتباعدة في أنظمتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية¹⁷، استجابةً لمتطلبات العصر المعلوماتي يدفعها في ذلك التغييرات التقنية وضعف كفاءة النظام التعليمي الحالي. كما تشير العديد من الدراسات إلى أن النظم التعليمية الحالية قد وصلت طاقتها القصوى في الأداء ولم يعد بالإمكان تحقيق تحسّن في أدائها ما لم تجري إصلاح تعليمي شامل. ومن بين المستجدات البيداغوجية في المناهج التعليمية الجزائرية الجديدة، اعتماد المقاربة بالكفاءات التي تركز على الفرد وتعتبر المعرفة وسيلة لا غاية، كما تحاول الإستجابة لمتطلبات المجتمع وتشجيع حاجات الفرد كونه المحور الأساسي وغايتها المنشودة. وقد تبنت الجزائر المنهج التعليمي القائم على هذه المقاربة في ضوء الإصلاحات التعليمية لسنة 2003-2004، والتي نشأت من الانتقال من المقاربة السلوكية القائمة على تلقين المعرفة إلى المقاربة المعرفية القائمة على تمثل المعرفة أي النموذج البنائي الذي يرى أن المتعلم يحمل استعدادات وبنيات ذهنية يدخل بها في تفاعل مع الوسط لتكوين المعرفة. ومن أجل ذلك دعت الضرورة إلى بناء مناهج جديدة على أساس مقارنة جديدة تُثري العملية التعليمية/التعلمية مبنية على مبادئ منطقية وأسس متينة تنتقل من منطق التعليم إلى منطق التعلم، وتولي أهمية كبيرة لنشاطات المتعلم وقدراته الذاتية في التعلم استجابةً منها للممارسات البيداغوجية المعاصرة. وتعكس إستراتيجية التعليم والتعلم وفق هذه المقاربة التي تبنتها المناهج التعليمية الجزائرية التطور المميز للعملية التعليمية الملائمة وكذا في نوع التقييم وأدواته. إذ لم يعد الأمر منوطاً أكثر بمن يحفظ أكبر قدر ممكن من المعلومات وإنما من يقدر على التكيف مع كل الوضعيات وتوظيف القدرات لتجاوز المعضلات، أي من يتمتع بأكبر قدر ممكن من الكفاءات والتي يؤدّيها بأفضل المهارات. وعلى حدّ قول **نبيل علي** "إنه عصر تنمية المهارات التي أوصى نبينا بتعليمها لأولادنا، عصر التعلم المستمر ونحن أصحاب شعار التعلم من المهد إلى اللحد."

3.1. الاختلالات الرئيسية للتعليم العالي في الجزائر:

¹⁷ شبل بدران، كمال نجيب، التعليم الجامعي وتحديات المستقبل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006،

عرفت منظومة التعليم العالي في الجزائر تطوراً كمياً لافتاً، وما تطوّر الشبكة الجامعية الجزائرية إلى شبكة مؤسّساتية قوامها 115 مؤسّسة للتعليم العالي، تضم 54 جامعة، 09 مراكز جامعية و 39 مدرسة وطنية عليا و 13 مدرسة عليا للأساتذة، تُقدّم برامجها الأكاديمية لأكثر من 1.500.000 طالب يُؤطّرهم أكثر من 69916 أستاذ¹⁸ إلا مؤشّرات دالة على هذا التطور.

وعلى الرغم من تطوّر الشبكة الجامعية والتزايد الملحوظ في عدد الطلبة، إلا أن الملاحظون يُسجّلون تدبّي مستوى التعليم العالي في الجزائر مقارنةً بحقبة ليست بالبعيدة إمّا على الصعيد الهيكلي والتنظيمي للمؤسّسات أو على الصعيد البيداغوجي والعلمي للتكوينات المقدّمة. وتتضمّن هذه الاختلالات على وجه الخصوص¹⁹:

أ. في مجال استقبال وتوجيه تدرج الطلبة: يمكن تسجيل ما يلي:

- عجز المؤسّسات الجامعية على استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلبة الراغبين في الالتحاق بها نتيجة الطلب الإجتماعي المتزايد على التكوين.
- مردود ضعيف جرّاء التسرّب المعتر والمدة الطويلة التي يقضيها الطلبة بالجامعة، وهي الوضعية التي تزداد تفاقمًا بفعل اعتماد نمط تدرّج وانتقال سنوي، واللجوء إلى إعادة توجيه عن طريق الإخفاق.
- أحجام ساعية ضاغطة تُلزم الطالب بأوقاتٍ حضورية مبالغ فيها في قاعات المحاضرات والأعمال الموجهة على حساب الوقت الواجب تخصيصه لتكوينه الذاتي والتحضير لإستقلاليتة المعرفية.
- تخصّص مبكر يُوجّه بمقتضاه الطلبة توجيهها مبكراً وعادةً ما يكون ابتداءً من السنة الأولى جامعي، وهو التوجيه الذي رغم كونه يستند إلى الرغبات المعبر عنها إلا أنه يبقى في غالب الأحيان توجيهاً غير ناضج نحو فروع متخصصة وبطريقة لا رجعة فيها.
- ضعف معايير التقييم وجودتها، إذ يعتمد أسلوب التقييم على ما يتعلّمه الطالب من حقائق معرفية ومهارات مُجزّاة بالإضافة إلى افتقاره إلى الصرامة العلمية اللازمة، الأمر الذي أدى إلى إفراغ العملية التعليمية من محتواها العلمي طالما أن النجاح صار مضموناً للجميع خاصةً في شعب الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية. لا بد من التأكيد هنا على أن منظومة المناهج سوف لن تكتمل إلا إذا أعدنا النظر في الطرق التقليدية للإمتحانات المتبعة في معظم كليات الجامعات التي تعتمد في أساسها على

¹⁸ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الشبكة الجامعية، متاح في:

[/https://www.mesrs.dz/index.php/reseau-universitaire](https://www.mesrs.dz/index.php/reseau-universitaire) (تاريخ الإطلاع: 2024/03/12).

¹⁹ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إصلاح التعليم العالي. الجزائر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2007، ص. ص. 9-10

قدرة الطالب على استرجاع المعلومات أكثر من قدرته على الإستيعاب وإعمال الفكر والتحليل والنقد والإستنتاج وحل المشاكل.

ب. في مجال هيكلية وتسيير التعليم: ويمكن تسجيل ما يلي:

- طور قصير المدى يتميز بجاذبية قليلة وغير قادر للاستجابة بفعالية للأهداف التي سُطّرت له، بسبب الغموض الذي ميّز النصوص المنظّمة لهذا التكوين والمكانة الممنوحة له فضلا عن انحسار فرص التشغيل الحُرِّيحي هذا التكوين في غياب تعبير واضح عن الإحتياجات من قبل القطاعات المستعملة.
- غياب شبه تام للمعايير نتج عنه انغلاق الفروع، الشيء الذي لا يُمكن الطالب من الحفاظ على المعارف المكتسبة والاستفادة منها في مسلك آخر في حالة التحويل بل بقاءه منغلقاً في فرع نفقي.
- تسييرٌ ضاغط تنقصه الرشادة للنشاط البيداغوجي بسبب الحجم الساعي الثقيل ودورات الإمتحان المضاعفة والمطوّلة التي تعيق الطالب على العمل الفردي.

ج. في مجال التأطير: وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى:

- تكوين قصير المدى لا يجلب اهتمام الطلبة وغير مرغوب في كونه لم يُحقّق الأهداف التي أنشئ من أجلها، والمتمثلة في تكوين الإطارات المتوسطة وذلك بسبب عدم وضوح القانون الخاص والإمكانات وفرص التشغيل، والتي لم يتم التعبير عنها بوضوح من طرف المتعاملين الإقتصاديين.
- مردودية ضعيفة للتكوين فيما بعد التدرج ازدادت تفاقماً في غياب التناغم بين البحث والتكوين في أغلب الأحيان، مما أثر على تطوير هيئة التدريس كمّاً ونوعاً.
- استمرار ظاهرة مغادرة الأساتذة الباحثين للجامعة نحو آفاق أخرى أكثر جذباً لاسيّما في غياب قانون أساسي خاص محفّز وجاذب، والجزائر مهدّدة بأن تفقد إطاراتها كلها خلال ثلاثين عاما في حال لم تُراجع السلطات سياساتها اتّجاههم.

د. في مجال المواءمة بين التكوين وسوق الشغل: ونُسجّل ما يلي:

- برامج تكوين أقل ملائمة لمتطلبات المؤهلات الحديثة.
 - اندماج ضعيف للجامعة في محيطها الإقتصادي والإجتماعي.
- ومع بروز مثل هذه المشكلات وغيرها لم تعد الأساليب التقليدية للتعليم القائم على التلقين والحفظ تُناسب التعليم الجامعي الحديث، فالعملية التعليمية تحتاج اليوم إلى استخدام آليات الإتصال الحديثة كالحاسبات والشبكات والوسائط المتعدّدة وبوابات الإنترنت من أجل إيصال المعلومات للمتعلّمين بأسرع وقت وأقل تكلفة وبصورة تمكّن من إدارة العملية التعليمية، وهذا هو مستقبل التعليم الذي أُطلق عليه تسمية التعليم الإلكتروني.

4.1. التحديات التي تواجه مناهج التعليم العالي الجزائرية

لقد أصبح من الضروري والعاجل على ضوء الإختلالات المسجلة في المناهج التعليمية دعم الجامعة الجزائرية بالوسائل البيداغوجية والعلمية والبشرية التي تمكنها من الإستجابة لتطلّعات المجتمع في مجال تحسين نوعية التكوين ورفع تشغيلية الخريجين، ومن بين أهم التحديات التي تواجه المناهج التعليمية في الجامعة الجزائرية نذكر:

- ضمان تكوين نوعي من خلال الإستجابة للطلب المشروع على التعليم.
- تحقيق تناغم حقيقي مع المحيط السوسيو- اقتصادي عبر تطوير كل التفاعلات الممكنة مابين الجامعة وعالم الشغل.
- الإنفتاح أكثر على التطورات العالمية خاصة تلك المتعلقة بالعلوم والتكنولوجيا.
- الإنفتاح والتنافسية اللتان أصبحتا تميّزان أنظمة التعليم العالي، حيث تستأثر الأنظمة الأكثر إستقطاباً بأفضل الكفاءات من خدماتها²⁰.
- تقييم دائم ومستمر للمناهج والمؤسسات التعليمية.

2. التعليم الإلكتروني: إستراتيجية جديدة في تطوير المناهج التعليمية وتحديثها

في ضوء الإصلاحات وعدم قدرة المناهج التعليمية التقليدية على مسايرة التطور، كان لابد من استحداث مناهج تعليمية إلكترونية عبر الإنترنت من خلال تبني التحوّل من نظام نقل المعلومات محوره المعلّم ويُرَكّز على إعطاء المعلومات بطريقة الصف التقليدي والقلم والسبورة والامتحانات، إلى النظام غير التقليدي أين يكون التعليم متمركزاً على المتعلّم حيث يصبح دور المعلّم مُيسراً ودور المتعلّم شريكاً يرتبط بشكل فعال ونشط في بناء المعرفة وتطويرها. وتؤكد الكثير من الدراسات على أن هناك زيادة ملحوظة في كفاءة عملية التعليم والتدريب تتمثل في:

- 60 % أفضل في متابعة عملية التعليم والتدريب
- 25-60 % أفضل في نسبة التحصيل
- 60 % سرعة أعلى في التعليم²¹

إن التعليم الإلكتروني جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية كما أن توظيفه له دور فعال في تطوير المناهج وتحديثها، حيث يُركّز محمد الملقّي على ضرورة مواجهة المناهج التعليمية الجامعية لنمو المعرفة والمجتمع أخذاً بعين الاعتبار ما يحدث من تطورات في الجانب التعليمي والتكنولوجي، هذه الأخيرة التي تُحدث تجديداً

²⁰ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إصلاح التعليم العالي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، 2007.

ص. 11-12

²¹ نعيم إبراهيم الظاهر، إدارة التعليم العالي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013، ص. 148

في المنهج التعليمي بالجامعة من خلال:

- إكساب الطلبة مهارات التعلم الذاتي وكيفية استخدام أساليبه في الحصول على المعرفة المتطورة، مثل استخدام الحاسبات التعليمية، الوحدات المبرمجة...
- تمكين المتعلمين من التعبير عن أفكارهم والبحث عن الحقائق والمعلومات بوسائل أكثر وأجدى مما هو متبع في قاعات الدرس التقليدية، مع تشجيعهم على النقد البناء ومنحهم الثقة في أنفسهم والإعتماد على النفس والتفكير الحر المستقل ومنه تشكيل طلبة قادرين على اكتساب طريقة منظمة للتفكير وتغيير الواقع.
- تنمية كفاءات هيئة التدريس وكذلك المتعلمين عن طريق برامج التعليم المستمر، مع إمكانية تعويض النقص في الكوادر في بعض القطاعات التعليمية عن طريق الفصول الافتراضية²².
- تمكين الطالب من تلقي المادة العلمية بالأسلوب الذي يتناسب مع قدراته من خلال الطريقة المرئية أو المسموعة أو المقروءة... ونحوها.
- قدرته على دمج الطالب بمجتمعه وبيئته المحيطة، لما يتمتع به هذا النوع من التعليم من قدرة على ربط الأفراد بعضهم ببعض من خلال الوسائط المتعددة والمؤتمرات السمعية البصرية التي تربط الطالب بالمجتمع المحيط والعالم أجمع، حتى بات العالم غرفة صفية صغيرة دون جدران.
- تطوير أساليب التقييم، بحيث تقيس العمليات العقلية العليا ولا تقتصر على قياس الحفظ والإستظهار وتطوير المهارات اللازمة لإستخدام التقنيات التعليمية الحديثة والتوسع فيها.
- توفير رصيد ضخم ومتجدد من المحتوى العلمي لكل مقرر يمكن من تطويره ومنحه شمولية أكبر، وتحسين وزيادة فعالية طرق التدريس مع التركيز على المكتبة في العملية التعليمية.

1.2. أنظمة إدارة التعليم الإلكتروني:

تُعرف أنظمة إدارة التعلم Learning Management System والتي يُطلق عليها أحيانا اسم بيئات التعلم الافتراضية VLE، بأنها أنظمة برمجية متكاملة صُممت للمساعدة بشكل مباشر أو غير مباشر في إدارة ومتابعة وتقييم التدريب والتعليم المستمر عبر شبكة الإنترنت²³، فضلا عن إتاحة المشاركة والتواصل بين المعلم والمتعلم أو المدرب وإدارة كامل العملية التعليمية إلكترونياً. تعمل هذه الأنظمة كمساند ومعزز للعملية التعليمية، بحيث يضع المعلم المواد التعليمية من محاضرات

²² شحاتة، حسن. التعليم الجامعي والتقويم الجامعي: بين النظرية والتطبيق، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر، 2001، ص. 84

²³ NINORIYA, Suman, CHWAN, P.M. (2011), CMS, LMS and LCMS for e-learning. International Journal of Computer Science Issue, 8, 2. P,646, Available at: <http://www.ijcsi.org/papers/IJCSI-8-2-644-647.pdf> (Consulted: 01/12/ 2014).

وامتحانات ومصادر في موقع النظام، كما أن هناك غرماً للنقاش وحافضة لأعمال الطلبة e-portfolio وغيرها من الخدمات الإلكترونية المدعّمة للمادة الدراسية²⁴.

وقد أثبتت الكثير من الدراسات أن الطلبة الذين يأخذون مقررات على الخط يقضون وقتاً أطول في أداء الأعمال داخل الفصل، كما يكونون دائماً على اتصال مع زملائهم داخل الفصل، درجة استيعابهم وأدائهم أحسن بنسبة 20% من الطلبة الذين يدرسون في الفصول الدراسية التقليدية²⁵. ومن هنا فـ LMS يُعتبر نظام متكامل يعمل على إدارة جميع أوجه العملية التعليمية بطريقة سهلة ومرنة ومثالية من خلال أتمتة عمليات إدارة التعلّم من التسجيل في المقررات الدراسية، جدولتها، تسليم واستلام الواجبات الإلكترونية مع ضمان الاتصال والتواصل بين أطراف العملية التعليمية من خلال منتديات النقاش والبريد الإلكتروني... الإختبارات والمتابعة الإلكترونية، عرض نتائج الإختبارات وطباعة التقارير والشهادات الخاصة بالمتعلّمين....

2.2. منصة التعليم الإلكتروني موودل MOODLE:

يعتبر نظام MOODLE "توجيه وحدات الكائنات لبيئة التعلّم النشط" من أنظمة إدارة المحتويات بل أكثر من ذلك فهو نظام لإدارة العملية التعليمية، وهو من البرامج المجانية مفتوحة المصدر Open Source Software، يوزّع تحت رخصة GNU العامة. صُمّم النظام على أسس تعليمية تربوية عام 1999 على يد العالم الحاسوبي والتربوي الأسترالي مارتن ديوجاماس Dougiamas Martin لدعم الجوانب السوسيو بنائية في عملية التعليم، والتي تقول بأن الطلبة يتعلّمون بصورة أفضل إذا اشتركوا في العملية التعليمية بصورة فعّالة من خلال التفاعل مع أستاذ المقرر ومع زملائهم الطلبة ومع المادة التعليمية، وذلك بتلبية حاجاتهم وقدراتهم وميولهم وأنماط التعلّم لديهم²⁶، أي المساهمة الفعّالة والتعاون الفعّال بين الطلبة.

يعتبر نظام MOODLE من أكثر الأنظمة استخداماً والأكثر تفضيلاً في مجال نشر وتطوير المحتوى التعليمي الإلكتروني على مستوى المؤسسات التعليمية بأوروبا خاصّة والعالم عامّة. هو ببساطة أداة ممتازة لتسهيل العملية التعليمية/التعلّمية عبر الإنترنت من خلال مصادر مختلفة منها: الويكي، المدونات،

²⁴ الخليفة، هند بنت سليمان، من نظم إدارة التعلّم الإلكترونية إلى بيئات التعلّم الشخصية: عرض وتحليل، متاح في: <http://faculty.ksu.edu.sa> (تاريخ الإطلاع: 2019/12/26).

²⁵ SHRIVASTAVA, Rahul, KUMAR JAIN, Yogendra (2013). Designing and Developing e- Learning Solution: Study on Moodle 2.0. International Journal of Machine Learning and Computing, 3, 3. Available at: <http://www.ijmlc.org/list-37-1.html> (Consulted: 01/12/2014)

²⁶ A propos de Moodle. Disponible sur :

<https://docs.moodle.org/2x/fr/P%C3%A9dagogie> Consulté le : 10/06/2020).

المنتديات، الدردشة، التراسل الفوري، الدوريات، قواعد البيانات والكتب الإلكترونية.... وقد عرف النظام نجاحاً عالمياً حيث تُدعم واجهته أكثر من 100 لغة من بينها اللغة العربية، كما يستخدم على نطاقٍ واسع من قبل الكثير من الجامعات والكليات والمعاهد على مستوى العالم.

3.2. منظومة التعليم الإلكتروني بجامعة 8 ماي 1945 – قالة

تسعى جامعة قالة ومنذ تأسيسها إلى تطوير برامجها الدراسية ومناهجها التعليمية وخدماتها ورفع كفاءة أعضاء هيئة تدريسها. وتكريساً لدور الجامعة في نشر العلم والمعرفة وقصد تخفيف نقائص التأطير من جهة، وأيضاً من أجل تحسين نوعية التكوين تماشياً مع متطلبات ضمان النوعية، تم إطلاق المشروع الوطني للتعليم عن بعد وهو من آليات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التي تهدف إلى تنمية قطاع التعليم العالي وعصرنته، الأمر الذي استوجب استحداث وتنصيب خلايا مخصصة للتعليم عن بعد في مختلف الجامعات والمعاهد التابعة للوزارة تأخذ على عاتقها ومن مهامها متابعة تنفيذ المشروع.

وجامعة قالة كغيرها من الجامعات الجزائرية باستحداثها لخلية التعليم الإلكتروني تسعى إلى عصرنة العملية التعليمية داخل كلياتها وأقسامها من أجل تحقيق أهداف الجامعة في إيجاد نقلة نوعية في مجال التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، واستغلال مميزات الدراسات الجامعية من خلال توظيف التكنولوجيا في العملية التعليمية بما في ذلك تدريب الأساتذة على تصميم وإنتاج مقررات إلكترونية وتفعيلها ووضع الأسس التقنية والبيداغوجية لهذه المقررات.

ويكمن الهدف الرئيسي لخلية التعليم الإلكتروني بجامعة قالة في تكوين الأساتذة الموظفين حديثاً بالجامعة على استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات في التعليم عموماً وبشكل خاص أرضية MOODLE المتبنية من طرف الجامعة، حتى يتمكن مجتمع الأساتذة من استخدام التسهيلات البيداغوجية التي تُقدمها المنصة والسماح لهم بتقديم وأداء واجباتهم التعليمية بشكل أفضل وذلك لدعم التعليم الحضوري. ففي كل بداية موسم جامعي جديد تُقدم جامعة قالة دورة تكوينية مخصصة تحديداً للأساتذة حديثي التوظيف، وينقسم البرنامج التكويني إلى مرحلتين متكاملتين:

- الأولى موجهة إلى إطلاع الأساتذة على المقاربات التعليمية لأهداف التدريس.
- الثانية تُركّز بشكل أساسي على الجانب التقني، وذلك ببرمجة أيام تدريبية حول المبادئ الأولية في الإعلام الآلي بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس الذين سجلوا أنفسهم في المستوى الضعيف والمتوسط في الإعلام الآلي، وكذا كيفية استخدام أرضية MOODLE.

تبنّت جامعة قالة نظام MOODLE بعدما كان مُقرراً تبني منصة E-Charlemagne الذي اقتنته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي من أجل تنفيذ برنامجها الوطني للتعليم عن بعد على مستوى كل الجامعات الجزائرية، إلا أن النظام ومن خلال مرحلة التنفيذ التجريبي في السنة الجامعية 2007/2008

تبين أنه يعاني من الكثير من الصعوبات والأعطاب، منها: عدم استضافته في خوادم الجامعة، عدم تكامله مع الأنظمة المعتمدة في الجامعة، زد على ذلك عدم توفر الدعم الفني السريع لحل مشكلات أعضاء هيئة التدريس والطلبة، كما أنها برمجية مملوكة، لا يُسمح بالتعديل إلا من طرف الجهات المالكة لها، وبناء على المميزات الكثيرة التي تُميّز نظام MOODLE عن غيره من نظم إدارة المحتوى التعليمي اعتمدته الجامعة كنظام أساس لإدارة العملية التعليمية بها. فهو نظام مجّاني ومفتوح يُوفّر مرونة في التعامل والبرمجة مما يساعد على انتشاره بين الأساتذة والطلبة، إضافةً إلى احتوائه على الكثير من الأدوات التي تساعد عضو هيئة التدريس على إدارة مقرراته الدراسية وتساعد الطلبة على المشاركة الفعّالة في المقرر، كما يُعتبر:

- نظام إدارة التعلم LMS - Learning Management System
- نظام إدارة المحتوى CMS - Content Management System
- نظام إدارة المحتوى التعليمي LCMS - Learning Content Management System
- منصّة للتعليم الإلكتروني E-learning platform

المنهجية و الاليات :

منهج الدراسة: تعتمد صحة أي بحث علمي وبدرجة كبيرة على المنهج المستخدم والكيفية التي استخدم وفقها لدراسة الواقع، ويُؤكّد ذلك كل من كاتز وفستنجر *FESTINGER & KATZ* بقولهما "مهما كان موضوع البحث، فإن قيمة النتائج تتوقّف على قيمة المناهج المستخدمة"²⁷. ومن المعروف أيضا أن كل منهج يرتبط بظاهرة معاصرة بقصد وصفها وتفسيرها يُعدّ منهجاً وصفيّاً، ومن هنا فقد تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي في إنجاز هذه الدراسة لكونه المنهج المناسب لوصف الموضوع المراد دراسته. عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من 100 أستاذ من أساتذة جامعة قلمة، فقد تم توزيع 100 استمارة بطريقة عشوائية، تم استرجاع 41 استمارة، حيث لم يتجاوب معنا منهم إلا 41 أستاذ. أداة الدراسة: استخدمت الباحثة الاستبيان كأداة رئيسية لقياس متغيّرات الدراسة. كما تمّ استخدام مقياس رينزيس ليكرت *Rensis Likert* وفق تدرج خماسي لقياس إجابات عينة الدراسة على مفردات الاستبيان، وفقاً لما يلي:

الإستجابة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
الدرجة	5	4	3	2	1

الجدول رقم (01): درجات مقياس ليكرت المستخدم في الاستبيان

²⁷ أنجس، مورييس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، ترجمة بوزيد صحراوي وكمال بوشرف، ط. 2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص. 97

ولتحقيق أهداف الدراسة وتحليل البيانات التي تم تجميعها تم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة باستخدام الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية S.P.S.S. 20.0، وتفسير نتائجه بموجب مختلف طرق المعالجة الإحصائية التي توفرها الحزمة وهي المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري.

تقدير ثبات أداة الدراسة:

للتحقق من ثبات أداة الدراسة تم الاستعانة بحساب معامل ألفا كرونباخ Alpha Cronbach . والجدول التالي يوضح النتيجة المحصل عليها:

عدد العبارات	معامل ألفا كرونباخ	
14	0,959	وعي الأساتذة بأهمية المصادر الرقمية داخل نظام MOODLE

الجدول رقم (02): قيم معامل الثبات ألفا كرونباخ Cronbach Alpha

المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على نتائج SPSS 20.0

أوضحت النتائج من الجدول رقم (02) أن درجة ثبات أداة الدراسة ممتازة حيث بلغت 0,952، وهو معامل ثبات قوي يطمئن لتطبيقه على عينة الدراسة، وهذا يدل على تمتع الاستبانة بدرجة عالية من الثبات ويمكن الاعتماد عليها في قياس ما أعدت لقياسه.

نتائج البحث ومناقشتها:

لقد أصبحت الأساليب التعليمية التقليدية طرقاً غير كافية لحلّ المشكلات التي تعاني منها الأنظمة التعليمية القائمة وبناء شخصية المتعلم الشاملة القادرة على التعامل مع التطورات الحاصلة في المجال، في حين جاءت الأساليب التعليمية الحديثة تُركّز على استخدام تكنولوجيا تعليمية ذات مستوى عالٍ، كما تساهم في إحداث تغييرات واضحة في معرفة ودرجة تعلّم الطلبة من خلال ما توفره من صورة وصوت وحركة.. كما تعمل على إحداث التفاعل مع الطالب، إضافة إلى السرعة والدقة وتنوّع المعلومات والمرونة في الاستخدام والتحكم في عملية العرض. في هذا الإطار أكّدت الكثير من الدراسات التي عرضت لتجارب تطبيق أنظمة التعليم الإلكتروني في المؤسسات التعليمية على تأثير استخدام هذه الأنظمة في تطوير جوانب مختلفة من المحتوى التعليمي وخاصة ما يتعلّق منها بإضافة المصادر الرقمية والروابط، كما تعمل على إيجاد مثيرات وتعزيزات للمتعلم بما يضمن التعليم الفعال.

ومن أجل بيان مدى وعي أفراد عينة الدراسة بأهمية المصادر الرقمية داخل أنظمة التعليم الإلكتروني ودورها في إحداث التعلّم الفعال استجابة لمتطلبات المناهج التعليمية الحديثة، تمّ استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لإجابات المبحوثين كما هو مبين في الجدول الآتي، وقد كانت النتائج الإحصائية الوصفية كما يلي:

أ. أهمية وكفاية المصادر الرقمية في العملية التعليمية:

العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الموافقة
01 تنوع وثراء المحتوى التعليمي من خلال تدعيمه بالمصادر الرقمية	4,49	0,553	1	موافق بشدة
02 تضيق مساحة البحث عن طريق تحديد نوع وعدد المصادر	4,17	0,738	3	موافق
03 التغطية الموضوعية المتخصصة لمجال اهتمام الطالب	4,20	0,558	2	موافق
04 تطبيق المصادر الرقمية يعمل على تعزيز مفهوم المنهج المتكامل من خلال ربط المعلومات بعضها ببعض	3,98	0,689	5	موافق
05 توافر المصادر الرقمية داخل المقرر الدراسي في كل وقت	4,15	0,527	4	موافق
أهمية وكفاية المصادر الرقمية في العملية التعليمية	4,1951	0,4722	/	موافق

الجدول رقم (03): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعبارة أهمية وكفاية المصادر الرقمية في

العملية التعليمية

المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على نتائج SPSS 20.0

تشير النتائج في الجدول رقم (03) إلى أن أعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة توافق على أهمية وكفاية المصادر الرقمية في العملية التعليمية بمتوسط حسابي بلغ 4,1951 وانحراف معياري 0,47220، أي أن القيم تبعد عن وسطها الحسابي من الجهتين (4,1951+0,47220) و (4,1951-0,47220) ومنه فأغلب اتجاهات الباحثين تتمركز حول الجوابين موافق وموافق بشدة، وهذا يبرز صغر التشتت بين إجابات أفراد عينة الدراسة.

ب. استخدامات وتوظيف المصادر الرقمية في العملية التعليمية:

العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الموافقة
06	4,46	0,596	1	موافق بشدة
07	4,24	0,767	3	موافق بشدة
08	4,22	0,791	4	موافق بشدة
09	4,39	0,542	2	موافق بشدة
10	1,73	1,096	5	غير موافق بشدة
استخدامات وتوظيف المصادر الرقمية في العملية التعليمية	3,8098	0,38717	/	موافق

الجدول رقم (04): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعبارة استخدامات وتوظيف المصادر

الرقمية في العملية التعليمية - المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على نتائج SPSS 20.0 تشير النتائج في الجدول رقم (04) أن المتوسط الحسابي الإجمالي للعبارة الخاصة باستخدامات وتوظيف المصادر الرقمية في العملية التعليمية بلغ 3,8098 بانحراف معياري 0,38717، أي أن القيم تبعد عن وسطها الحسابي من الجهتين (3,8098+0,38717) و(3,8098-0,38717) ومنه فأغلب اتجاهات المبحوثين تتمركز حول الجواب موافق، وهذا يبرز صغر التشتت بين إجابات أفراد عينة الدراسة. من هنا نستنتج أن هناك مؤشرات إيجابية من أفراد العينة حول أهمية التوجه لتوظيف المصادر الرقمية داخل MOODLE بما يعمل على عرض المادة العلمية إلكترونياً، مما يساعد الطلبة في تحقيق مزايا إضافية مقارنة بالأسلوب التقليدي منها توسيع معارفهم وزيادة في تحصيلهم الدراسي كونها توفر المادة العلمية المطلوبة بأنواعها حول المحاضرات والدروس التي يحتاجها الطالب.

ج. مواءمة المصادر الرقمية للعملية التعليمية:

العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الموافقة
11	4,22	0,571	2	موافق بشدة
12	3,54	0,778	4	موافق
13	4,05	0,705	3	موافق
14	4,49	0,637	1	موافق بشدة
مواءمة المصادر الرقمية للعملية التعليمية				
	4,0732	0,46180	/	موافق

الجدول رقم (05): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعبارة مواءمة المصادر الرقمية

للعملية التعليمية - المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على نتائج SPSS 20.0

يُلاحظ من النتائج الواردة في الجدول رقم (05) أن المتوسط الحسابي الإجمالي للعبارة الخاصة بمواءمة المصادر الرقمية للعملية التعليمية قُدِّر بـ 4,0732 وهي تنتمي للمجال الرابع من فئة المتوسطات الحسابية على مقياس ليكرت (4,2-3,4) أي بدرجة موافق مع انحراف معياري بلغ 0,46180، وهذا يعني وجود إجماع في إجابات أفراد عينة الدراسة حول وعيهم بأهمية ومواءمة المصادر الرقمية المتاحة داخل نظام MOODLE للعملية التعليمية،

وبالنسبة للمحور ككل جاءت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي:

المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
4,0226	0,39816	موافق

الجدول رقم (06): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعبارة وعي أعضاء هيئة التدريس بأهمية

المصادر الرقمية داخل نظام MOODLE - المصدر: تم إعداد الجدول بالاعتماد على نتائج

SPSS 20.0

بشكل عام اتّسمت آراء الأساتذة عينة الدراسة بوجود موافقة على جميع عبارات المحور، كما أن الاتجاه العام كان بدرجة موافق بمتوسط حسابي 4,0226 وانحراف المتوسطات بلغ 0,39816. وبالنظر إلى مقياس معيار التحليل الذي يعتبر أن القيمة 4,0226 تعكس درجة الموافقة، فإن نتائج الجدول أعلاه تُبين أن الأساتذة ينظرون إلى المصادر الرقمية وإسهاماتها في العملية التعليمية نظرة إيجابية مرتفعة وأنهم يوافقون في الجملة على العبارات الواردة، حيث بلغ المتوسط الحسابي الإجمالي للإجابات على العبارات الواردة في هذا المحور 4,0226 وانحراف معياري 0,39816 وهي تنتمي إلى المجال (0-0,5) من قيم الانحراف المعياري المطبقة على مقياس ليكرت الخماسي، أي أن القيم تبعد عن متوسطها الحسابي من الجهتين (0,39816 + 4,0226) و (0,39816 - 4,0226) ومنه تمحورت إجابات المبحوثين بين موافق وموافق بشدة، وهذا يبرز صغر التشتت كما يدل على درجة عالية من التجانس في إجابات أفراد عينة الدراسة.

الخلاصة:

بناء على تحليل جملة المعلومات التي تمّ التوصل إليها من خلال الدراسة النظرية والميدانية، تم الخروج بجملة من النتائج يمكن تحديدها في النقاط التالية:

كما أكدت نتائج إجابات أفراد العينة أن نظام MOODLE يعمل على الإرتقاء بالنظام التعليمي، فهو بالنسبة إليهم طريقة تدريس جديدة لها ميزات عديدة تُمكنهم من تحقيق معظم حاجاتهم أثناء العملية التعليمية من أجل إدارة المقرّر والمحتوى التعليمي بشكل ناجح، مما يعمل على زيادة مرونة أنظمة المؤسسات التعليمية كما يزيد من فرص التعاون بينها في ظل عجز جامعاتنا على استيعاب الأعداد المتزايدة للطلبة.

كما على الرغم من أن المناهج التعليمية بالجامعات الجزائرية تُركّز على ضرورة توظيف الأساليب والطرق التدريسية الحديثة منها التعلّم التعاوني، التعلّم الذاتي، التعلّم القائم على حلّ المشكلات... وهو ما يوفّر التعليم المعتمد على المصادر الرقمية داخل أنظمة التعليم الإلكتروني، إلا أن العملية التعليمية افتقدت الجوانب الإيجابية والتفاعل ومنه فقدت حيويتها، ولن يتمّ اكتساب المهارات المختلفة المتوقعة من التعليم دون استخدام إستراتيجيات التفاعل ومهارات الحوار والإتصال والمناقشة، والتي من شأنها أن ترسخ لفعل التعلّم.

كما تحتاج المناهج التعليمية بالجامعة الجزائرية إلى تطوير يدفع بالاتجاه نحو تدريب الطالب على اكتساب مهارات التعلّم الذاتي، فينتقل بذلك من التعليم إلى التعلّم ومن تلقّي المعلومة إلى معالجتها، ولا شكّ في أن أنظمة التعليم الإلكتروني بما توفّره من محتوى ومصادر بأنواعها تساعد في تعزيز هذا

- الإجتهاد. وقد أكدت نتائج الدراسة وعي أفراد العينة بأهمية المصادر الرقمية الموظفة داخل نظام MOODLE ودورها في تحقيق التعلّم الفعال، وتؤكد ذلك من خلال العبارات التالية:
- تنوّع وثراء المحتوى المعرفي من خلال تدعيمه بالوسائط المتعدّدة من صوت، نص، صورة.. مراعاة للفروق الفردية بين المتعلّمين.
 - التغطية الموضوعية المتخصّصة لمجال اهتمام الطالب.
 - خدمة المحتوى لأهداف المنهج التعليمي.
 - تعزيز مفهوم المنهج المتكامل من خلال ربط المعلومات ببعضها ببعض.
 - تطوير أساليب التدريس
 - زيادة التفاعل والتعامل الرقمي مع المعلومات.
 - التشجيع على مبدأ التعلّم الذاتي والتعليم التعاوني.
- كما هناك مؤشرات إيجابية من أفراد العينة حول أهمية التوجّه لتوظيف المصادر الرقمية داخل نظام MOODLE، مما يساعد الطلبة في تحقيق مزايا إضافية مقارنة بالأسلوب التقليدي.
- في ختام هذه الدراسة وفي ضوء نتائجها، تورد الباحثة جملة من التوصيات تراها مهمة في تعزيز التوجه نحو التعليم الإلكتروني المعتمد على المصادر الرقمية التفاعلية بشكلٍ يتماشى مع التطورات الحاصلة في المجال، كما يلي:
- العمل على نشر الوعي بأهمية استخدام التعليم الإلكتروني وطرق تطبيقه أو كيفية الاستفادة منه من خلال عقد الندوات والأيام الدراسية وورش العمل لزيادة عامل المنفعة المتوقعة من استخدام أنظمة التعليم الإلكتروني عند الأساتذة الذين لم يستخدموه بعد.
 - حث الأساتذة على ضرورة الإهتمام بالمحتوى المعرفي بأنظمة التعليم الإلكتروني.
 - تفعيل أدوار خلايا الجودة بالجامعة الجزائرية من أجل التطبيق والتنفيذ الفعلي لمعايير الجودة في تصميم المحتوى التعليمي للمقررات الإلكترونية.
 - الإهتمام والعناية ببرامج التأهيل والتكوين، وذلك لتدريب الأساتذة على استخدام أنظمة التعليم الإلكتروني والتحكّم في عملية تفعيل كل أدواتها وخواصها وخاصة تلك المتعلقة بالمصادر الرقمية من أجل إكسابهم الرؤية الصحيحة نحو توظيف هذه التكنولوجيا في عمليتي التعليم والتعلّم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. اسماعيل صالح الفار، التعلم عن بعد والتعليم المفتوح: الجذور والمفاهيم والمبررات، المجلة الفلسطينية للتربية المفتوحة عن بعد [على الخط]. 2007، مج. 1، ع. 1. متاح في: http://www.qou.edu/arabic/magazine/openEdu/issued1_1/openEdu1_1_1.pdf (تاريخ الإطلاع: 2018/03/26).
2. الألسكو. الموارد التعليمية المفتوحة: التجديد والبحث والممارسة، [على الخط]. متاح في: http://www.alesco.org/site/pdf/OER_ALESCO_Translation.pdf (تاريخ الإطلاع: 2022/01/12).
3. أنجس، موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، ترجمة بوزيد صحراوي وكمال بوشرف، ط. 2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004
4. الخليفة، هند بنت سليمان، من نظم إدارة التعلم الإلكترونية إلى بيئات التعلم الشخصية: عرض وتحليل، متاح في: <http://faculty.ksu.edu.sa> (تاريخ الإطلاع: 2019/12/26).
5. رابح تركي، أصول التربية والتعليم: لطلبة الجامعات والمعلمين والمفتشين والمشتغلين بالتربية والتعليم في مختلف المراحل التعليمية، ط. 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990،
6. رمزي احمد عبد الحي، التعليم العالي والتنمية: وجهة نظر نقدية مع دراسات مقارنة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2006،
7. سعيد بن حمد الربيعي، التعليم العالي في عصر المعرفة: التغيرات والتحديات وآفاق المستقبل، دار الشروق، عمان، 2008،
8. سمية الزاحي، دور التعليم مدى الحياة في بناء مجتمع المعرفة، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية [على الخط]. 2013، مج. 19، ع. 2، متاح في: <http://www.kfnl.org.sa/Ar/mediacenter/EMagazine/DocLib/> (تاريخ الإطلاع: 2019/04/22).
9. شبل بدران، كمال نجيب، التعليم الجامعي وتحديات المستقبل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006،
10. شحاتة، حسن. التعليم الجامعي والتفويض الجامعي: بين النظرية والتطبيق، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر، 2001، ص. 84
11. فهميم مصطفى. مهارات القراءة الإلكترونية وعلاقتها بتطوير أساليب التفكير، القاهرة، دار الفكر العربي، 2004

12. قانون رقم 99-05 مؤرخ في 18 ذي الحجة 1419 الموافق 4 أفريل سنة 1999 يتضمن القانون التوجيهي للتعليم العالي. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية [على الخط]. ع. 24، متاح في: <http://www.joradp.dz/HAR/Index.htm> (تاريخ الإطلاع: 2015/11/25).

13. نادر سعيد علي شيمي، مفاهيم مستحدثة ورؤى متجددة في تطوير المحتوى الإلكتروني التفاعلي [على الخط]

14. نعيم إبراهيم الظاهر، إدارة التعليم العالي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013،

15. اليونيسكو. دعائم التعلم الأربع في القرن الحادي والعشرون [على الخط]. متاح في: <http://www.unesco.org/new/ar/education/networks/global-networks/aspnet/about-us/strategy/the-four-pillars-of-learning> (تاريخ الإطلاع: 2020/05/25).

16. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر: 50 سنة في خدمة التنمية 1962-2012. متاح في: www.mesrs.dz/documents/12221/189730/50-ar.pdf (تاريخ الإطلاع: 2016/09/24).

17. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الشبكة الجامعية، متاح في: <https://www.mesrs.dz/index.php/reseau-universitaire> (تاريخ الإطلاع: 2024/03/12).

18. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إصلاح التعليم العالي. الجزائر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2007،

19. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إصلاح التعليم العالي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، 2007.

20. A propos de Moodle. Disponible sur :

<https://docs.moodle.org/2x/fr/P%C3%A9dagogie> (Consulté le: 10/06/2020)

21. NINORIYA, Suman, CHWAN, P.M. (2011), CMS, LMS and LCMS for e-learning. International Journal of Computer Science Issue, 8, 2. Available at: <http://www.ijcsi.org/papers/IJCSI-8-2-644-647.pdf> (Consulted: 01/12/ 2014).

22. SHRIVASTAVA, Rahul, KUMAR JAIN, Yogendra, Designing and Developing e- Learning Solution: Study on Moodle 2.0. *International Journal of Machine Learning and Computing*, 3, 3. 2013, Available at: <http://www.ijmlc.org/list-37-1.html> (Consulted: 01/12/2014)
23. UNESCO. Déclaration mondiale sur l'enseignement supérieur pour le 21^e siècle : vision et actions [On ligne]. In : Conférence mondiale sur l'enseignement supérieur: l'enseignement supérieur au 21^e siècle : vision et actions, 5- 9 Octobre 1998, Paris. Disponible sur : http://www.unesco.org/education/educprog/wche/declaration_fre.htm (Consulté le: 25/05/2021).

المقدمة:

ليست الحضارة الإسلامية في جانبها العلمي قاصرة على العلوم الأدبية من نحو وبلاغة وبيان أو الدينية من تفسير وحديث وفقه، بل خاضت في الجوانب العقلية النظرية والتطبيقية، آخذة من علوم من سبقها من الأمم كاليونان والفرس والصين، وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الجاهلي هو أساس الحركة العلمية في بدايتها، فإنَّ المسلمين انطلقوا إلى البحث والاشتغال بالعلوم التي توصف بالعقلية من فلسفة ومنطق وكيمياء وفلك وغيرها، قادهم إليها رغبتهم في خلق أنموذج حضاري إسلامي يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وسنتطرق في هذه الورقة البحثية إلى بعض مظاهر الحركة الفكرية بمدينة تلمسان وبخاصة في علمي الكلام والمنطق وذلك من خلال نشاط علمائها تدريسا وتأليفًا، ورغم الموقف الراض لهما من قبل البعض، فإنَّ الخوض في مثل هذه المواضيع يعدُّ إحياءً لتراثنا الفكري الإسلامي.

1- الإشكالية:

لما كان البحث والنظر يحتاجان إلى منهج ووسيلة للوصول إلى الحقيقة، فلا بد من معرفة واستعمال تلك الوسيلة أو الآلة، وعليه فإنَّ الإشكالية التي يُمكن طرحها هنا هي: ما موقف علماء تلمسان من علمي الكلام والمنطق، وكيف شقا طريقهما لاسيما في ظل تحريمه من قبل بعض العلماء، وما مدى استغلاله وتوظيفه في العلوم الشرعية والإنسانية؟

2- المنهجية والآليات:

اعتمدنا في هذا البحث على عدة مناهج تبعا لمضامين الباحث، فالمنهج التاريخي السرد في معرض التعريف بعلمي المنطق والكلام حيث أوردنا تعريف العلماء لعلمي الكلام والمنطق وآراء علماء الإسلام فيهما، وفي كيفية انتشارهما في المغرب الأوسط، أمَّا المنهج الإحصائي فتَمَّ استعماله عند تعداد علماء تلمسان، كما اعتمدنا المنهج الاستدلالي عند التطرُّق لرأي العلماء في هذين العلمين حيث استعمل كل طرف النظر والحجة العقلية لتبرير رأيه.

استخدمنا في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع المتخصصة المشرقية منها والمغربية إضافة إلى بعض الدراسات المتخصصة أيضا.

3- لمحة تاريخية:

تُعد مدينة تلمسان من الحواضر الأولى التي عرفت نشاطا سياسيا وعلميا واقتصاديا، فقد تأسست بها أولى الإمارات البربرية لما كانت قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة¹، كما كانت مركزا علميا بفضل ما

1- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، اعتنى به درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م، مج2، ص2068، 2072، 2111.

أنجبتة أو استقر بها من العلماء²، قال عنها البكري: " ولم تزل تلمسان داراً للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك"³ وقد أنشئت بها الكثير من المدارس والمساجد وبخاصة في عهد دولة بني زيان، وقد وصف أحد الرحّالة الأندلسيين الحياة العلمية بتلمسان في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، بأنها كثيرة العلماء والقراء، وفيها من المدارس الكثير كمدرسة سعيد العقباني، ومدرسة سيدي الحلوي وغيرها⁴.

أمّا اقتصادياً فقد اشتهرت مدينة تلمسان بإنتاجها الفلاحي والصناعي المتنوع ما مكّنها من إقامة علاقات تجارية بينها وبين بلاد السودان والأندلس وصقلية وإيطاليا، فكانت مقصداً لتجار الآفاق⁵، وقد لا نكون مغالين إذا قلنا أنّه تأسّس بها أول شركة تجارية بالمفهوم الحديث، وهي شركة آل المقرري التي كان لها وكلاء في تلمسان وسجلماسة وبلاد السودان، ونتيجة لذلك ازدهرت اجتماعياً، فقد ارتفع عدد سكانها بمن استوطنها من سكان مدن المغرب الأوسط الأخرى، أو ممن هاجر إليها من الأندلس وغيرها، وقد ذكر الحسن الوزان أنّ عدد الأسر بلغ بها مع بداية القرن الثامن الهجري/ 14م، ستة عشر ألف أسرة⁶.

4- علم الكلام والمنطق في الفكر الإسلامي:

بالرغم من أنّ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتراث الأدبي كان يغني المسلمين حاجتهم فيما يبدو عن علوم أخرى تبيّن لهم شريعة الإسلام، إلا أنّ اهتمامهم بالعلوم غير الدينية لم يكن من نافلة المعرفة، بل كان أحد أوجه مميزات الحضارة الإسلامية، وإلا لأثّم المسلمون بالجمود وبسيطرة الدين كما كان سائداً في أوروبا القرون الوسطى عندما سادت دراسة اللاهوت مع ما بين المسيحية والإسلام من فرق، ولذلك فإنّ توجه المسلمين إلى دراسة العلوم العقلية لا يخرج عن مطالب الشارع التي تدعو إلى النظر والبحث بصفة عامة، وإذا كان استعمال العقل والحجة في بداية ظهور الإسلام لإثبات حق الشريعة الإسلامية في مقابل الباطل، وصحتها في مقابل فساد الشرائع الأخرى، فإن دور العقل لم ينتهي بانتشار الإسلام، لأنّ أعداءه ومعارضيه لا يزالون، وعليه فإنّ الاشتغال بعلمي المنطق والكلام لا يمكن تحديدهما بزمان كأحد

² خصّص يحيى ابن خلدون فصلاً كاملاً (الفصل الثاني) لما أنجبتة تلمسان أو استقر بها من العلماء والصالحين، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، صص 100-164.

³ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحرير وتقديم وتعليق حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013م، ص 164.

⁴ الحاج عبد الله بن الصبّاح الأندلسي: نسبة الأخبار وتذكرة الأخبار، تحقيق جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية، عدد خاص 45-46، ديسمبر 2011م، تونس، 2012م، ص 101.

⁵ البكري: المصدر نفسه، ص 164.

⁶ الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج2، 17، 19.

أساليب الحوار والنقاش ليس في العلوم الدينية فحسب بل في جميع المجالات، لاسيما مع تشعب فروع العلوم، ولذلك فإنّ هذا العلم يُمثّل أحد مظاهر تطوّر الفكر الإسلامي لا سيما عند بعض الفرق الإسلامية كالمعتزلة والأشاعرة.

5- مفهوم علم الكلام ونشأته:

عرّفه ابن خلدون بقوله: " وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة "7 وعرفه التفتازاني بأنه: " معرفة العقائد عن أدلتها، لأن عنوان مباحثه كان قولهم الكلام في كذا وكذا، ولأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثرها نزاعا وجدالا ... ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام، كما يقال للأقوى من الكلامين هذا هو الكلام، ولأنه لا يبتناؤه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية أشد العلوم تأثيرا في القلب وتغلغلا فيه "8، فسمي بالكلام المشتق من الكَلَم وهو الجُرْحُ، وهو نفس التعريف الذي اعتمده التهانوي تقريبا في قوله: " ويسمى بأصول الدين أيضا، وسماه أبو حنيفة بالفقه الأكبر، ويسمى علم النظر والاستدلال ... وهو علم يُقنّدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه "، ثم يضيف: " أمّا وجه تسميته بالكلام فلأنه يُورث قدرة على الكلام في الشرعيات، أمّا تسميته بأصول الدين فلكونه أصل العلوم الشرعية لا يبتناؤها عليه، فهو رئيسها على الإطلاق "10، وقيل سمي علم الكلام لما فيه من المناظرة على البدع، وهي كلام صرف وليس راجعة إلى عمل، وبذلك فهو يقابل الفقه الذي يتعلق بالعبادات والمعاملات "11.

6- موضوعه وظهوره:

يتناول علم الكلام التوحيد والصفات، وقد كان الأوائل من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم لصفاء عقائدهم وقرب عهدهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولقلة الوقائع والاختلافات، وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات، مستغنين عن تدوين العِلَمين (علم الفروع العملية - علم الأصول أي الاعتقاد) وترتيبهما

7- ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط9، 2000م، ص363.

8- التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله: شرح العقائد النسفية، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1988م، ص9-10.

9- الكَلَم: الجُرْحُ، جمع كُلوْم وكِلام مثل بَحْر وبُحُور وبَحَار، ورجل كَلِيم والجمع كَلَمٌ مثل جَرِيح وجَرَحَى. أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير، معجم عربي عربي، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، ص206.

10- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، تحقيق علي دحروج، نقله من الفارسية إلى العربية عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، ص29، 31/ أحمد بن مصطفى- طاشكيري زاده:-

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م، ج2، ص132.

11- منى أحمد أبو زيد: الفكر الكلامي عند ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1997م، ص30/ أحمد فؤاد الأهواني: الفلسفة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م، ص18-19/

صديق بن حسن القنوجي: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، أعده ووضع فهارسه عبد الجبار زكار، وزارة الثقافة، دمشق، 1978م، ج2، ص440.

أبواباً، إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وكثرت الفتاوى والوقائع، والرجوع إلى العلماء في المهمات، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والأصول وترتيب الأبواب والفصول، وسموا ما يفيد معرفة الأحكام العملية عن أدلتها التفصيلية بالفقه، ومعرفة العقائد عن أدلتها بالكلام¹²، ويُفرق أحمد فؤاد الأهواني بين الفلسفة وعلم الكلام، فالفلسفة موضوعها الكون والإنسان والنظر في مبادئ الوجود وعقله، بين مثبت لوجود الله وناف له، لكن موضوع الكلام أساساً هو الله وصفاته وصلة الله بالعالم، فالمسلمون لا يشككون في وجود الله ووحدانيته، إنما يحاولون تأييدها بالحجة العقلية¹³. وقيل موضوعه ذات الله سبحانه وتعالى عند المتقدمين، وقيل موضوعه الموجود من حيث هو موجود¹⁴، ولذلك قال ابن رشد الحفيد عن القرآن الكريم: "وهو صفة قديمة من صفاته، والقول في إثبات هذه الصفة هو من علم الكلام"¹⁵، كما ينظر هذا العلم في القضايا التي كانت محل خلاف بين المسلمين والتي نشأ بسببها الفرق الكلامية، أو بسبب إنكار الملحدين لأصول الدين من ألوهية ونبوة ومعاد¹⁶ وغيرها من المسائل الغيبية.

7- نشأة علم الكلام:

نشأ علم الكلام من الحاجة إلى الدفاع عن الإسلام، كما أنَّ المسائل كلها حتى الدينية تحولت إلى علوم بعد أن كانت سائرة على الفطرة¹⁷، ولذلك يرى البعض أنَّ الكلام علم إسلامي أصيل، نشأ في أرجح الأقوال من المناقشات التي دارت حول القرآن الكريم في القرن الثاني الهجري أقدم هو أم مخلوق؟ وأنَّ البحث في كلام الله ليس فلسفة كما يرى البعض، بل هو كلام بالاصطلاح الإسلامي¹⁸ ويعتبر المعتزلة أول من خاض في هذا الفن من العلم¹⁹ كواصل بن عطاء الغزال (ت131هـ) وابن هذيل العلاف (ت235هـ) وغيرها.

12- التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص10.

13- أحمد فؤاد الأهواني: الفلسفة الإسلامية، ص20.

14- صديق بن حسن القنوجي: الوشي المرقوم، ص441.

15- ابن رشد الحفيد: الضروري في أصول الدين أو مختصر المستقصى، تقديم وتحقيق جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م، ص63.

16- علي بن محمد الأمدي: غاية المرام في علم الكلام، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م، ص15 وما بعدها/ ابن خلدون: لباب المحصل في أصول الدين، دراسة وتحقيق عباس محمد حسن سليمان، مراجعة وتقديم محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م، ص139 وما بعدها/ عبد الهادي الفضلي: خلاصة علم الكلام، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1993م، ص23.

17- أحمد أمين: ظهر الإسلام، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012م، ج2، ص46.

18- أحمد فؤاد الأهواني: المرجع السابق، ص21-22.

19- التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص11.

9- علم الكلام بين القبول والرفض:

يرى أنصار علم الكلام ولاسيما من نأى منهم عن التقليد، كابن حزم الأندلسي وغيره، فاعتبروه من علوم الشريعة فدافعوا عنه بقوة ، قال ابن حزم: "وعلم شريعة الإسلام ينقسم أقساما أربعة: علم القرآن، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم الكلام"، ثم يضيف: "ولا يعرف حقيقة البرهان في ذلك إلا من وقف على حدود الكلام"²⁰، ويقول التهانوي: "وفائدة علم الكلام وغايته الترتي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، وإرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة لهم وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم، وحفظ قواعد الدين عن أن يزلزلها شبهة المبطلين، وأن تبتنى عليه العلوم الشرعية، فهو رئيس العلوم الشرعية على الإطلاق"²¹، أما التفتازاني فيقول: "وبالجملة فهو أشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية، ورئيس العلوم الدينية"²²، ولذلك كان لهذا العلم أعلامه ومدارسه وبخاصة في المشرق من معتزلة (مدرستي البصرة وبغداد) وأشاعرة، في حين ذهب فريق آخر إلى حد تحريمه لأنه ليس من العلوم الإسلامية الأصيلة، بل هو من علوم وثنيي اليونان، وأن في القرآن والسنة ما يغني عنه.

برزت أهمية هذا العلم مع بعض أعلامه الأوائل كأبي الحسن الأشعري (ت324هـ/936م) الذي وصفه ابن خلدون بإمام المتكلمين²³ وأبي بكر الباقلاني (ت402هـ/1013م)، ثم مع أواخر القرن الخامس الهجري عندما بدأ التأليف، ولعل أهم من نظر وكتب فيه: الإمام أبي حامد الغزالي الذي يقول: "ثم إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علما وافيا بمقصوده، وإنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويه أهل البدعة ... فأنشأ الله طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبسات أهل البدع المحدثه، فمنه نشأ علم الكلام وأهله"²⁴، وألف أبو الحسن علي بن محمد الأمدي (ت631هـ/1233م) كتاب " غاية المرام في علم الكلام"، كما أن أول ما ابتدأ به ابن خلدون إنتاجه العلمي، تأليفه كتاب لباب المحصل، وهو شرح على كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للفخر الرازي (ت606هـ/1209م) في علم الكلام، تناول فيه: الإلهيات (الذات، الصفات، الأفعال، الأسماء)، النبوات، المعاد والإمامة لا سيما وأن ابن خلدون درس العلوم العقلية ومنها

20- ابن حزم: رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983م، ج4، ص78 وما بعدها

21- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص31.

22- التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص12.

23- ابن خلدون: المقدمة، ص368.

24- الغزالي: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، حققه وقدم له جميل صليبا وكامل عياد، دار الأندلس، بيروت، 1967م، ص71-72.

المنطق على أستاذه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي²⁵. ردَّ بعض الدارسين على موقف ابن خلدون من علم الكلام بقوله أنَّ هذا العلم غير ضروري لأنَّ المِلْحِدَة والمبتدعة قد انقرضوا، حيث اعتبر ذلك دعوة خطيرة في تاريخ الفكر الإسلامي لأنها دعوة لإنهاء علم الكلام²⁶ وذلك أنَّ هذا العلم لا يجب أن نربطه بفترة معيَّنة وبقضية محددة لاسيما في ظل تشعُّب العلوم والمباحث، ثم أنَّ الملاحدة وأعداء الدين لم ينقضوا أو يتوقفوا عن الطعن في الإسلام، والدليل على أهمية هذا العلم أنَّه تواصل بعد عصر ابن خلدون.

9- علم المنطق:

عرّفه ابن سهلان بأنه قانون صناعي عاصم للذهن عن الزلل، مميز لصواب الرأي عن الخطأ في العقائد بحيث تتوافق العقول السليمة على صحته²⁷، وقد ربطه التفتازاني بالأخطاء التي قد تنتاب العلم، فقال: "وقد يقع فيه الخطأ، فاحتيج إلى قانون يُعلم عنه، وموضوعه المعلوم التصوري والتصديقي من حيث يوصل إلى مطلوب تصوري، فيسمى معرِّفًا أو تصديقي فيسمى حجة"²⁸. أمَّا ابن خلدون فعرفه بقوله: "هو قوانين يُعرفُ بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات، وإدراك الكليات المجردة، ويضيف في موضع آخر: "بأنه قانون ومعيّار للأدلة فقط، يُسَبَّر به الأدلة منها كما يُسَبَّر من سواها"²⁹، وسمّاه البعض بعلم الميزان، إذ به توزن الحجج والبراهين، وهو علم بقوانين تفيد معرفة طرق الانتقال من المعلومات إلى المجهولات وشروطها بحيث لا يعرض الغلط إلى الفكر³⁰، أمَّا بمعناه الواسع فهو دراسة العلاقات النسقية (الوحدات الفكرية) اللازمة في الأحكام والقضايا والتصورات والنظريات والفروض والآراء والمسائل والإشكالات، وما يتحكم فيها من شروط وقواعد وأصول وما ينبج منها من نتائج وتقييم³¹.

25- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مج2، قسم الترجمة، ص2340.

26- منى أحمد أبو زيد: الفكر الكلامي عند ابن خلدون، ص33-34.

27- عمر بن سهلان الساوي: البصائر النصيرية في علم المنطق، تحقيق وتقديم حسن المراغي، تعليق الشيخ

محمد عبده، مؤسسة الصادق للطباعة، تهران، ط1، 1390هـ، ص52-53.

28- التفتازاني: تهذيب المنطق والكلام، مطبعة السعادة، مصر، 1912م، ص4.

29- ابن خلدون: المقدمة، ص368، 401.

30- التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص44/ صديق بن حسن القنوجي، الوشي المرقوم في بيان

أحوال العلوم، ص521/ أحمد بن مصطفى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج1،

ص272.

31- محمود عزيز نظمي سالم: تاريخ المنطق عند العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002م، ص52،

68-69.

10- ظهور المنطق:

ظهر المنطق عند المسلمين بعد علم الكلام، قال ابن خلدون: " ثم انتشر بعد ذلك علم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرّقوا بينه وبين الفلسفة " ³²، ويمكن تحديد تاريخ بداية فشوه بالقرن الثاني الهجري مع ظهور فرقة المعتزلة، وترجمة كتب اليونان في العهد العباسي ولاسيما فترة حكم المأمون، ثم في أواخر القرن السابع الهجري عندما عمل نصير الدين الطوسي (ت672هـ/1274م) دار حكمة فيها فلاسفة ³³. ويبدو أنّ اعتماد المسلمين للمنطق لاقتربه من المنهج الإسلامي المتبع في علم أصول الفقه الذي يعتني ببيان الأدلة وطرائق تفسير النصوص وقواعد الاستنباط، وبوصفه كوسيلة منهجية محايدة ³⁴ لكون أنّ هذا العلم لا يتعرض من حيث أصله وحقيقته للأُمور الدينية لا بالنفي ولا بالإثبات ³⁵.

11- أهمية المنطق وفائدته:

إنّ أصل المنطق كعلم مرتبط بالفلسفة اليونانية المخالفة للعقائد الإسلامية لم يكن خافيا على أنصار هذا العلم في الوقت الذي حرّم النظر فيه آخرون، لكن السؤال المطروح: هل يخلو المنهج العربي من القياس المنطقي ؟ أكيد أنه غير مستغن عنه لدى البعض على الأقل، لكن المنهج العربي الإسلامي يُفرغ الأقيسة المنطقية التي يستعملها من أساسها النظري الذي بُنيت عليه عند اليونان ويضع لها أسسا أخرى تجريبية (عملية) صالحة كمستند، وهذه النزعة التجريبية هي التي تُعبر عن روح الحضارة الإسلامية، كما كانت النزعة النظرية تعبيرا عن روح الحضارة اليونانية ³⁶ ولذلك ربطوه بالجانب اللغوي وكيفوه من حيث البحث حسب ما يوافق الشريعة الإسلامية، واعتبروه من العلوم النافعة فراخوا يؤكدون حياد المنطق (التحديد) وسوّغوا له ليحوز الرضا والقبول، قال الفارابي: " ليس ينبغي أن يُعتقد في هذه الصناعة أنّها جزء من صناعة الفلسفة، ولكنها صناعة قائمة بنفسها ، وليست جزءا لصناعة أخرى، ولا أنّها آلة وجزء منها " ³⁷، وهو ما يؤكده الغزالي لاحقا في مقدمة كتاب المستصفى بقوله: " وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول، ولا من مقدماته الخاصة به، بل هي مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا " ³⁸، فالمعرفة الصادقة عند الغزالي هي التي تكون عن طريق الحاكم العقلي، لأنّ حاكم الحس والوهم قد يضلّان

³²- ابن خلدون: المقدمة، ص368.

³³- جلال الدين السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق علي سامي النشار وسعاد

علي عبد الرازق، دار النصر، القاهرة، ط1، دت، ج1، ص39، 46.

³⁴- وائل بن سلطان الحارثي: علاقة علم أصول الفقه بعلم المنطق، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2012م، ص11-12.

³⁵- عن قضية تحييد المنطق وتبرئته يُنظر، طه عبد الرحمن: "تقريب لغة المنطق" مجلة المناظرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع2، نوفمبر 1989م، صص95-113.

³⁶- عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، رسالة ماجستير في الأدب، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1982-1983م، ص384.

³⁷- الفارابي: الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق وتقديم محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2، ص108.

³⁸- الغزالي: المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق حمزة بن زهير حافظ، المدينة، دط، دت، ص30.

النفس³⁹ ولذلك اعتبر المنطق (العقل) الميزان المعرفي والمعياري الفكري والمحك النظري. وممن انتصر لعلم المنطق ودافع عنه، ابن حزم الأندلسي الذي خصص له كتابا سماه: " التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية "، قال: فإن قال جاهل: فهل تكلم أحد من السلف الصالح في هذا ؟ قيل له: إنَّ هذا العلم مستقر في نفس كل ذي لب، فالذهن الذكي واصل بما مكنه الله تعالى فيه من سعة الفهم إلى فوائد هذا العلم، والجاهل متسكع كالأعمى حتى يُنبّه عليه، فما تكلم أحد من السلف الصالح في مسائل النحو، لكن لما فشا جهل الناس باختلاف الحركات التي باختلافها اختلفت المعاني في اللغة العربية، وضع العلماء كتب النحو فرفعوا إشكالا عظيما، وكان ذلك معينا على الفهم لكلام الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم⁴⁰، ثم يدعو إلى النظر فيه قائلا: " فإذا بلغ الإنسان حيث ذكرنا - من العلوم كاللغة والنحو ... - أخذ في النظر في حدود المنطق وعلم الأجناس والأنواع والأسماء المفردة والقضايا والمقدمات والقرائن والنتائج ليعرف المرء ما البرهان وما الشغب "⁴¹، وجوّز السبكي الاشتغال به لأنه من أحسن العلوم وأنصفها في كل بحث، وقال إنه كالسيف يجاهد به شخص في سبيل الله ويقطع به آخر الطريق⁴². ومن المتأخرين الذين اهتموا بعلم المنطق، عبد الرحمن الأخضرى (ت 983هـ/1575م) الذي يقول عن أهمية المنطق في منظومته السُّلَم المُنَوَّرَق:

وَبَعْدُ فَالْمَنْطِقُ لِلْجَنَانِ نَسْبَتُهُ كَالنَّحْوِ لِلِّسَانِ

وحسبه فإنَّ ضرورة المنطق للجَنَان وهو الذهن أو العقل كضرورة النحو للغة العربية الذي به يكون الإعراب ويستقيم التعبير⁴³. ومن خلال التعريفات السابقة وغيرها، يمكن أن نلخص أهمية وأغراض المنطق في:

- يعد المنطق من العلوم الآلية لتحصيل المجهول من المعلوم.
- التمييز بين الصدق والكذب في الأقوال، والخير والشر في الأفعال، والحق والباطل في الاعتقادات.
- يُعتبر منهجا للعلوم النظرية والدليل إليها والصدق في نتائجها، فكما أنَّ الإعراب لا يتميز صوابه من خطئه إلا بالنحو، فكذلك المنطق بالنسبة للعلوم، ولذلك قيل: من أتقن المنطق فهو على درجة من سائر العلوم.

³⁹- الغزالي: المنقذ من الضلال، ص66/ معيار العلم: شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،

2013م، ص29-

⁴⁰- ابن حزم: رسائل ابن حزم، رسالة التقريب لحد المنطق، ج4، ص94-95.

⁴¹- ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج4، رسالة مراتب العلوم، ص72.

⁴²- السبكي: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق وتعليق ودراسة علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، دط، دت، ج1، ص282.

⁴³- عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضرى: السُّلَم المُنَوَّرَق، المكتبة الهاشمية، إسطنبول، ط2، 2014م، ص5 وما بعدها/ إبراهيم الباجوري: حاشية الباجوري على السلم المنورق، حرر حواشيه محمد أحمد أحمد روتان، دار السلام، القاهرة، ط1، 2011م، ص58.

- دور المنطق العلمي والمنهجي المتمثل في ترتيب الحدود وتركيب الأدلة، فهو براء من أغاليط الفلاسفة في الإلهيات التي زعموا فيها الوفاء بشروط البرهان⁴⁴.

12- موقف المسلمين من علمي الكلام والمنطق:

يُمكن تمييز اتجاهين رئيسيين في نظرة علماء الإسلام إلى هذين العلمين. اتجاه أجاز الاشتغال به: وينقسم بدوره إلى قسمين:

أ- قسم ساند وحثَّ على الاشتغال به:

تزعَّمه ابن حزم الأندلسي والغزالي على وجه الخصوص في القرن الخامس الهجري، ثم الخونجي (ت646هـ/1248م)، وبعده السبكي (ت771هـ/1369م) والتفتازاني (ت791هـ/1389م) وقد تطرقنا إلى ذلك سابقاً، وجعل بعضهم علم الكلام من فروض الكفاية، قال أحمد بن مصطفى المعروف بطاشكبري زاده: "وأما معرفة الله تعالى وتوحيده، ومعرفة النبوة، والذي يُنظر فيه من العقائد فلا يُمنع عنها، وكان من فروض الكفاية"⁴⁵.

وإذا كان الفقهاء قد اختلفوا في حكم علم الكلام، فإنَّ اختلافهم حول المنطق كان أشدَّ، قال إبراهيم الباجوري (ت1859م) شارح السُّلَّم المنورق: "واعلم أنَّ علم المنطق قسمان، أحدهما ما هو خال عن ضلالات الفلاسفة المكفرة وغيرها كالمذكور في هذا المتن ومختصر السنوسي وإيساغوجي ومختصر ابن عرفة، وتأليف والخونجي، والكاتب القزويني (ت675هـ/1276م) وغيرهم من المتأخرين، قال: "وهذا القسم لا خلاف في جواز الاشتغال به"⁴⁶.

ب- قسم جَوَّز الاشتغال به:

لكامل القرطبي، ممارس الكتاب والسنة، بحيث عرف العقائد الحقَّة من العقائد الباطلة، وما دون هذا لا يجوز له الاشتغال به لئلا يتمكن من قلبه بعض العقائد الوهمية كما وقع للمعتزلة⁴⁷. وقد نقل السبكي فتوى أبو منصور العطاردي، عمن سألته: هل يجوز الاشتغال بالمنطق، أم هو دهلز الكفر؟ فأجاب: "المنطق لا يتعلق به كفر ولا إيمان، ثم قال: الأولى ألا يشتغل به لأنه لا يأمن الخائض فيه أن يجره إلى ما لا ينبغي"⁴⁸. وممن جَوَّز الاشتغال به من المتأخرين بشرط، عبد الرحمن الأخصري في منظومته حيث يقول:

وَالْقَوْلُ الْمَشْهُورُ الصَّحِيحُ جَوَّزُهُ لِكَامِلِ الْقَرِيحَةِ

44- الغزالي: المنقذ من الضلال، ص81-82/ طه عبد الرحمن: "تقريب لغة المنطق"، مجلة المناظرة، 2ع، ص97.

45- طاشكبري زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج2، ص136.

46- إبراهيم الباجوري: حاشية الباجوري على السُّلَّم المنورق، ص75.

47- إبراهيم الباجوري، حاشية الباجوري على السلم المرونق، ص82.

48- تاج الدين السبكي: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ج1، ص281.

ممارس السُّنَّة والكِتَاب لِيَهْتَدِيَ بِهِ إِلَى الصَّوَاب⁴⁹.

قسم حرِّم الاشتغال به:

ويمثله الاتجاه السلفي الذي منع الاشتغال به إطلاقاً من قبيل من تَمَنَّى فَقَدْ تَزْدَق، بداية بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت241هـ/855م) وبعده ابن الصلاح (ت643هـ/1245م) إلى ابن تيمية (ت728هـ/1328م) الذي خصص جزءاً كاملاً (ج9) في الرد على المشتغلين به⁵⁰، ثم تلميذه ابن القيم الجوزية (ت751هـ/1350م)، ومن المتأخرين محمد بن إبراهيم الوزير (ت840هـ/1436م)⁵¹ وجمال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م) صاحب كتاب "جهد القريحة في تجريد النصيحة" وهو مختصر نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان لابن تيمية، ولعلَّ موقف هؤلاء يستند على أمرين اثنين: الجانب الأول ديني عقدي نابع من الإيمان الراسخ بالعقيدة الإسلامية، باعتبارها عقيدة إلهية تامة وبالتالي لا حاجة للمسلمين إلى علوم أخرى مُفسِّرة أو مُبيِّنة، أما الجانب الثاني فيتعلق بظهور بعض الفرق المذهبية أو الكلامية التي كانت في نظرهم فرق بدعية تُشوِّه الدين والعقيدة ولا سيما المعتزلة، وقد قدَّم هؤلاء جملة من الحجج، نلخصها في النقاط الآتية:

* دخول الكلام والمنطق في الخوض ومناقشة أهم القضايا وأخطرها في الدين الإسلامي، وهي العقيدة من توحيد وإلهيات، التي قد تؤدي إلى الكفر والإلحاد، ولذلك رأوا أنَّ سلامة عقيدة المسلم تتمثل في تجنب هذه العلوم، لاسيما وأنَّ مصدرها أمة غير مُوحَّدة وهم اليونان.

* يرى ابن تيمية رحمه الله أنَّ أفضل هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين عرفوا ما يجب عليهم وكُمِّل علمهم وإيمانهم قبل أن يُعرف منطق اليونان، ثم يضيف عن الكلام: "وهذا من بدع أهل الكلام الذي ذمه السلف وعابوه"⁵². وقد ارتكز ابن الصلاح على هذه النقطة في فتواه بتحريم الاشتغال بعلم المنطق⁵³.

* يرى أصحاب هذا الرأي أنَّ اللغة العربية لغة جامعة لمراتب البيان بأوجز لفظ وأكمل تعريف⁵⁴ فلا حاجة للمسلمين إلى لغة أخرى، فلم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في

49- عبد الرحمن الأخصري: السُّلَم المنورق، ص6.

50- ابن تيمية: مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، 2004م، ج9، ص5 وما بعدها.

51- محمد بن إبراهيم الوزير: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، مطبعة مصر، القاهرة، 1349هـ، ص8.

52- أبو راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC وهران، ط1، 2005م، ج1، ص88.

53- ابن تيمية: نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، تحقيق عبد الصمد شرف الدين الكبتي، مؤسسة الريان، بيروت، ط1، 2005م، ص222، 305.

54- ابن الصلاح: فتاوى ابن الصلاح، حققه وخرج حديثه وعلق عليه عبد المعطي أمين قلعي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1986م، ص209-212.

المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال، ولكل قوم لغة واصطلاح⁵⁵. قال تعالى ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ))⁵⁶، فاللغة العربية ليست عاجزة عن التعبير والدلالة، بل إنها من أكثر اللغات بيانا وتعبيرا، قال تعالى عن القرآن الكريم: ((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ))⁵⁷، ولذلك يروى أنَّ ابن عباس رضي الله عنه كان يقول: "إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب"⁵⁸. ويحكى أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل كعب الأحبار، قال: يا كعب، هل تجد للشعراء ذكرا في التوراة؟ فقال كعب: أجد في التوراة قوما من ولد إسماعيل، أناجيلهم في صدورهم، ينطقون بالحكمة، ويضربون الأمثال، لا نعلمهم إلا العرب⁵⁹.

* اعتبار الكلام والمنطق من علوم الفلسفة التي هي رأس الشر، قال السيوطي: "وأخذ أصحاب الأهواء مخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها في مباحثهم"⁶⁰ يقصد المعتزلة، بل إنَّ بعضهم لم يعتبره من العلم، فقد أورد المقدسي في كتابه بابا سماه "باب من ذم الكلام من الأئمة ونهى عنه ولم يجعله من جملة العلم"⁶¹، وخلاصة القول أنَّ منكرو الكلام والمنطق اعتبروهما فضولا من القول أو خروجا عن السليقة ومظنة للشبهات، وبنوا اعتراضاتهم على ثلاثة عناصر: عقدي، ولغوي، وعلمي⁶².

ردَّ أنصار علمي الكلام والمنطق بدورهم على المعارضين، فمن الأوائل ابن حزم والغزالي، ثم تاج الدين السبكي، ومن المتأخرين التفتازاني ومحمد بن عبد الكريم المغيلي وغيرهما ممن ذكرناهم سابقا، سواء كان ذلك بالردود أو بالمؤلفات، ويمكن أن نلخص أيضا ردودهم في النقاط الآتية:

- أنَّ ما قدَّمه منكرو الاشتغال بالكلام والمنطق من حجج كابن الصلاح وغيره يُعدُّ إفراطا ومبالغة، فإنَّ أحدا لم يدعُ افتقار الشريعة الإسلامية إلى المنطق، بل أنَّ قصارى دوره هو عصمة الأذهان التي لا يوثق بها عن الغلط⁶³، بل إنَّ التفتازاني وصف من أفى بالتحريم، أنَّ ذلك من التعصُّب في الدين⁶⁴.

55- ابن تيمية: نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق يونان، ص220.

56- السيوطي: صون المنطق والكلام، ص48/ طه عبد الرحمن: "تقريب لغة المنطق"، مجلة المناظرة، ع1، جوان 1989م، صص113-121.

57- سورة إبراهيم، الآية 5.

58- سورة الشعراء، الآية 195.

59- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م، ج1، ص30.

60- ابن رشيق: المصدر نفسه، ج1، ص25.

61- جلال الدين السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، ص44.

62- المقدسي نصر بن إبراهيم: مختصر الحجة على تارك المحجة، تحقيق ودراسة محمد إبراهيم محمد هارون، دار أضواء السلف، الرياض، ط1، 2005م، ص219.

63- طه عبد الرحمن: "تقريب لغة المنطق"، مجلة المناظرة، ع1، جوان 1989م، صص113-121.

64- السبكي: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ج1، ص281.

- إنَّ الاشتغال بالكلام والمنطق لا تعني التشكيك في وجود الله ووحدانيته من قِبَل المسلمين، وإنما محاولة تأييد ذلك بالحجة العقلية، ولا سيما إذا كان ذلك عند مناظرة المشككين، قال أحمد بن مصطفى: "فأما المناظرة على وجه الإظهار للحق فلا كراهة فيها، بل هي المأمور بها" ⁶⁵ فالمنطق يبحث في التصديقات، أي صدق القضية، وليس التصديق كالاعتقاد، لأن المرجع في التصديق هو الاحتكام إلى الواقع أو إلى مُحَرِّ عنه قد يصيب أو يُخطئ، بينما المرجع في الاعتقاد هو الاحتكام إلى مُحَرِّ لا يخطئ أبداً ⁶⁶

- إنَّ علم المنطق كوسيلة لا تَعْلُق له بالدين كمقصد، وكأنَّ المنكرين ربطوا الدين بالمنطق أو خرَّجوه تخريجاً عَرَضياً لا ذاتياً ⁶⁷.

13- المنطق وعلم الكلام في المنظومة الفكرية لعلماء تلمسان:

من خلال إحصاء عدد العلماء المشتغلين بالكلام والمنطق في المغرب الأوسط عموماً، نجد اهتماماً لا بأس به، وإن جاء متأخراً عما هو عليه في المشرق، ولذلك نجد أنَّ هذا الاهتمام قد برز بصفة جلية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين دون أن ننسى طبعاً الفترتين السابقتين واللاحقة، وقد كانت مدينة تلمسان أكثر حواضر الجزائر احتضاناً للمناطق المتكلمين ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب:

- أصبحت مدينة تلمسان مستقراً لكثير من الطوائف الدينية والاجتماعية، التي يكون قد نشط من خلالها النقاش والجدال في القضايا الدينية، ونقصد المسيحيين واليهود، سواء بالرد عليهم، أو مباحثة بعض القضايا المتعلقة بهم.

- تأثر علماء تلمسان بالحياة الفكرية الجارية في العالم الإسلامي ولا سيما في المشرق، فما كان يظهر من مؤلفات، ويجري من مناقشات، لم يكن خافياً على علماء تلمسان، سواء من خلال انتقال التأليف وتداولها، أو من خلال الرحلات العلمية التي كان يقوم بها طلبة وعلماء تلمسان إلى المشرق كبغداد ودمشق والقاهرة، ثم تداول هذه العلوم بعد عودتهم.

- استقرار بعض العلماء المشتغلين بهذا الفن من العلم، سواء القادمين من المشرق أو من الأندلس خلال فترات الفتن، أو من داخل مدن المغرب الأوسط، وتأليفهم في هذا العلم، حيث أصبحت كتبهم مراجع للدراسة.

- انتشار المدارس بمدينة تلمسان ولا سيما في العهد الزياني خلال القرن الثامن الهجري وما بعده، والتي كانت تُدرَّس بها كل أنواع العلوم النقلية والعقلية، ولا شك أنَّ الملوك والسلاطين كان لهم دوراً في التشجيع على كل فنون العلم، فأصبحت تلمسان تعج بمختلف التيارات العلمية والسلوكية، من متكلمين وفقهاء وصوفية، وفلكيين، ومنجمين ... إلخ، وعليه يمكن القول أنَّ تلمسان جمعت بين علمي المنقول والمعقول.

⁶⁵- التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص12.

⁶⁶- طه عبد الرحمن: "تقريب لغة المنطق"، مجلة المناظرة، ع2، 1989م، ص103.

⁶⁷- طه عبد الرحمن: "تقريب لغة المنطق"، مجلة المناظرة، ع2، نوفمبر 1989م، ص97.

14- مساهمة علماء تلمسان في المنطق والكلام:

برزت تلمسان كحاضرة علمية ابتداءً من عهد المرابطين عندما أسس بها هؤلاء المسجد الأعظم، ثم ازدهرت في عهدي الموحدين والزيانيين، ولا شك أنَّ الكلام والمنطق نالا حظهما من قِبَل علماء تلمسان دراسة وتديسا وتأليفًا، وقد زخرت كتب التراجم والرحلات بتعداد علماء تلمسان وبنشاطهم، كما كانت آراؤهم وفتاواهم مادة علمية نقلها واعتمد عليها الفقهاء والمؤرخون.

15- المتكلمون التلمسانيون:

الحقيقة أنَّ عدد العلماء في هذا الفن قليل إذا ما قورن بباقي العلوم، لكونه يتطلب قدرا من الذكاء والنباهة والقدرة على الجدال والحكمة والإلمام ببعض العلوم الأخرى المتصلة به، وهو ما لم يكن متاحا للجميع، أو يعود ذلك إلى الاهتمام بالعلوم الدينية المحضة من فقه وتفسير وحديث، وعلى الجملة فهذا العدد يُعد مناسباً لخصوصية هذا العلم، وسنورد ترجمة مختصرة لما لا يقل عن عشرة منهم.

* محمد بن عبد الحق اليعفري: أبو عبد الله الكومي، ولد بتلمسان سنة 536هـ/1141م، كان حافظا محققا، مشاركا في الفقه والحديث، بصيرا بعلم الكلام، توفي سنة 625هـ/1228م.

* منصور بن علي أبو علي: الزواوي أصلا التلمساني دارا، وُلد سنة 710هـ/1310م، كانت له مشاركة في العلوم العقلية ومنها علم الكلام، اشتغل بالتدريس إلى أن توفي بعد سنة 770هـ/1368م⁶⁸.

* محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي أبو عبد الله: أخذ علمي الأصول والمنطق عن محمد بن العباس التلمساني (ت 871هـ/1467م)، دَرَسَ التوحيد والمنطق، كان الشيخ أبو عمران موسى بن عقدة الأغصاوي إذا ذُكر علم الكلام، يقول: ما رأيتُ من غرَبَ هذا العلم مثل هذا الرجل يعني السنوسي، له شرح على لامية الجزائري في الكلام بعنوان "العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد"، توفي سنة 895هـ⁶⁹.

* محمد بن أبي مدين أبو عبد الله: كان عالما بالمنقول والمعقول وبخاصة علم الكلام، ولولاه لتلاشى هذا العلم من بلاد المغرب كلها، توفي سنة 915هـ/1509م⁷⁰.

68- ابن مريم: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م، ص485.

69- محمد بن عسكر الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1977م، ص121/ محمد بن أحمد الحضيكي: طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ج1، ص234/ إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة المعارف، استانبول، 1955م، مج2، ص216.

70- الشفشاوني: دوحة الناشر، ص134/ ابن مريم: البستان، ص445/ الحضيكي: طبقات الحضيكي، ج1، ص250.

* أحمد بن محمد بن الحاج البيدري: أخذ عن السنوسي وابن زكري، كانت له مشاركة في عدة علوم من نحو وفقه ومنطق، توفي سنة 930هـ/1524م⁷¹.

* أحمد بن أقدار أبو العباس الراشدي: من جبال بني راشد، كان إماما عظيما في علم الكلام، ت 950هـ⁷².

* محمد بن عبد الرحمن ابن جلال أبو عبد الله التلمساني: كان إماما في علم الكلام، تقلد الفتوى بمدينة فاس من قبل السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف، توفي سنة 981هـ⁷³.

* محمد عاشور بن علي بن يحيى السلكسيني الجادري: له قدم في الحساب والبيان والمنطق، توفي سنة 1014هـ⁷⁴.

* محمد بن أحمد التلمساني: كان من كبار المبرزين والمدرسين في علمي الفقه والكلام بتلمسان، توفي سنة 1018هـ/1611م.

16- المناطق التلمسانية:

إنَّ الاهتمام بالمنطق كان أكثر من علم الكلام، ويظهر ذلك في عدد العلماء الذين برزوا في هذا الميدان، وقد يعود ذلك كما أشرنا سابقا إلى أهمية المنطق كمنهج ودليل إلى العلوم النظرية، وإلى انتشار بعض مؤلفاته في الجزائر، ولاسيما جمل الخونجي، لما كانت رحلة علماء تلمسان إلى مصر، حيث أصبح كتابه " جمل الخونجي " من أهم الكتب المتداولة، وفيما يلي أشهر علماء المنطق ونشاطهم ومؤلفاتهم.

* محمد بن إبراهيم الآبلي: أصله من آبله بالأندلس، ولد سنة 681هـ/1282م، كان من أعلم خلق الله في المعقول، قرأ المنطق والأصليين⁷⁵ على أبي موسى بن الإمام، فكان شيخ العلوم العقلية، انتصب للتدريس بتلمسان حيث تخرَّج على يديه جملة من فطاحل علماء القرن الثامن كابن مرزوق الخطيب وأبو عبد الله الشريف وسعيد العقباني وعبد الرحمن بن خلدون وأخيه يحيى وغيرهم، توفي سنة 757هـ/1358م⁷⁶.

* محمد بن أحمد الشريف أبو عبد الله الشريف: وُلد بقرية العلويين (عين الحوت حاليا) سنة 710هـ/1310م، درس على الآبلي وابني الإمام، ودرَّس بالمدرسة اليعقوبية التي أسسها أبو حمو موسى الثاني من سنة 765هـ/1363م إلى أن توفي سنة 771هـ/1370م، كان إماما في العلوم العقلية، من أهم مؤلفاته: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، شرح جمل الخونجي، وأجوبة عن أسئلة في المنطق

71- ابن مريم: البستان، ص 69.

72- الشفشاوني: المصدر نفسه، ص 129.

73- نفسه، ص 123.

74- ابن مريم: البستان، ص 479.

75- الأصلين: أصول الفقه، وأصول الدين، فأصول الدين ويسمى علوم العقائد وموضوعها إثبات وجود الله ووحدانيته وصفاته والرسول والمعاد، أما أصول الفقه، فموضوعه استنباط قواعد الأحكام الشرعية.

76- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، قسم التعريف بابن خلدون، مج 2، ص 2340/ ابن مريم: البستان، ص 380.

وجهها إليه الشيخ أبي زكريا يحيى بن موسى المهدي من مدينة توزر⁷⁷، ويُقال أنَّ عبد الله بن عبد السلام فقيه تونس قرأ عليه تلخيص كتاب أرسطو لابن رشد أثناء رحلته إلى تونس سنة 740هـ/1352م، ومن أخذ عنه أيضاً ابن خلدون⁷⁸.

* سعيد بن محمد العقباني أبو عثمان: وُلد بتلمسان سنة 720هـ/1320م، درس على الآبلي وابني الإمام، له شرح جمل الخونجي في المنطق، توفي سنة 811هـ/1408م⁷⁹.

* محمد بن محمد أبو عبد الله المقرئ: الإمام العلامة المحقق، له مشاركة فاضلة في الأصولين والجدل والمنطق، له شرح على جمل الخونجي، توفي سنة 759هـ⁸⁰.

* محمد بن أحمد بن مرزوق أبو عبد الله الحفيد: وُلد بتلمسان سنة 766هـ/1364م، توفي سنة 842هـ/1439م. له عدة مؤلفات منها في المنطق: نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل، والمعراج في استظهار فوائد ابن سراج، وهو مجموع أجوبة في النحو والمنطق، ذكره القلصادي في شيوخه⁸¹.

* أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الندرومي: تتلمذ على ابن مرزوق الحفيد، ارتحل إلى القاهرة وتصدّر للتدريس، له اختصار لكتاب أستاذه ابن مرزوق نهاية الأمل سماه كفاية العمل في شرح الجمل، توفي بعد 830هـ⁸².

* يوسف بن إسماعيل الزيدوري أبو الحجاج: قال القلصادي: قرأت عليه جمل الخونجي، توفي سنة 845هـ/1441م⁸³.

77- الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، 1981م، ج12، صص163-170.

78- ابن مريم: البستان، ص311.

79- ابن مريم: البستان، ص221.

80- ابن مريم: البستان، ص295/ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ج2، ص191.

81- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج2، ص191/ علي القلصادي: رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978م، ص96/ ابن مريم: البستان، ص365.

82- ابن مريم: البستان، ص120. هناك خطأ وقع فيه حاجي خليفة في كشف الظنون عندما جعل كتاب نهاية الأمل لابن مرزوق هو الأصل، والخونجي هو التلميذ المختصر للكتاب. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص1986. ويتبعه في نفس الخطأ ناشر كتاب وفيات ابن قنفذ حيث يقول في التعريف بالخونجي: وصنّف "الجمل" اختصار "نهاية الأمل" لابن مرزوق التلمساني. هامش1، ص218.

83- علي القلصادي: رحلة القلصادي، ص100/ ابن مريم: البستان، ص504.

* محمد بن أحمد ابن النجار أبو عبد الله: فقيه وأصولي، له مشاركة في العلوم العقلية، ذكره القلصادي في شيوخه عند رحلته إلى تلمسان سنة 840هـ/1436م، قال: قرأت عليه بعض مستصفي الغزالي وجمل الخونجي، توفي سنة 846هـ/1442م⁸⁴.

* أحمد بن أحمد الندرومي: يُعرف بابن الأستاذ، كانت له دراية بعلم المنطق خاصة، له اختصار شرح شيخه ابن مرزوق على جمل الخونجي، ارتحل إلى القاهرة التي تصدّر بها للإقراء، توفي بعد 830هـ/1427م. عبد الرحمن بن إدريس الحسني أبو زيد: يُعرف بالمنجرة، نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها ثم انتقل إلى فاس التي توفي بها سنة 1179هـ/1765م، له مشاركة في الفقه والأصول والمنطق.

* أحمد بن محمد بن زاغو المغراوي: حاز قصب السبق في الأصول والمنطق، درّس بالمدرسة يعقوبية، أخذ عنه ابن زكري والقلصادي، توفي سنة 845هـ/1441م.

* محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي: كان يُقَرَأُ الجمل للخونجي، وله عليه شرح، توفي سنة 871هـ⁸⁵.

* أحمد بن محمد ابن زكري التلمساني: وُلد سنة 820هـ/1417م، الفقيه الأصولي المنطقي المتكلم، وُصف بعلامة الوقت في زمانه، له المنظومة الكبرى في علم الكلام في أكثر من 1500 بيت، توفي سنة 899هـ أو 900هـ⁸⁶.

* محمد بن محمد بن أحمد ابن مرزوق الكفيف: كان يدرّس مختصر ابن الحاجب وجمل الخونجي، توفي سنة 901هـ⁸⁷.

* محمد بن عبد الكريم المغيلي: له شرح جمل الخونجي في المنطق، ومقدمة فيه، ومنظومة فيه، سماها: منح الوهاب، وثلاثة شروح عليها، وقع بينه وبين جلال الدين السيوطي نزاع في علم المنطق، فكتب له:

سَمِعْتُ بِأَمْرِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ

* أحمد بن عيسى أبركان الورنيدي: كان يُقَرَأُ السُّلَمُ المَنُورُقُ لعبد الرحمن الأخضر⁸⁸.

* الحاج الداودي أبو محمد: كانت له مشاركة في عدة فنون من العلم ومنها المنطق، توفي بتلمسان سنة 1271هـ/1854م.

⁸⁴- علي القلصادي: رحلة القلصادي، ص102/ ابن مريم: البستان، ص390.

⁸⁵- ابن مريم: البستان، ص392.

⁸⁶- محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ج2، ص303/ ابن مريم: البستان، ص11/ الحضيكي: طبقات الحضيكي، ص27/ الشفشاوني: دوحة الناشر، ص119.

⁸⁷- ابن مريم: البستان، ص431/ الحضيكي: طبقات الحضيكي، ج1، ص243.

⁸⁸- ابن مريم: البستان، ص90.

17- نتائج البحث و مناقشتها:

* انتشر علم الكلام في المغرب الأوسط مع فرقتي المعتزلة، ثم الأشاعرة، إلا أنَّ الملاحظ هو اندثار عقائد المعتزلة وبقاء عقائد الأشاعرة، ومرد ذلك أنَّ المعتزلة لم يكونوا يستندون إلى سلطة سياسية تحتضنهم وإنما كان يعملون فرادى، بينما استمرت العقيدة الأشعرية التي فرضها الموحدون.

* يُعد كتاب الجمل في المنطق لمحمد بن ماور الخونجي (ت646هـ/1248م) الذي ألفه سنة 624هـ من أهم الكتب التي حظيت بانتشار واسع في الجزائر باعتباره كتابا مدرسيا (للتعليم) يُحفظ كحوصلة لمعلومات منطقية، فتناوله العلماء بالتدريس ووضعوا عليه الشروح، وألفوا حولها المنظومات، ولاسيما من طرف علماء تلمسان.

* كانت بلاد المغرب مستقرَّ لمعظم التيارات السياسية والمذهبية القادمة من المشرق، وكان أهل هذه البلاد في كثير من الأحيان أكثر تمسُّكا بل تطورا لتلك المذاهب، فقد اندثر المذهب المالكي في الحجاز رغم كون صاحبه مدني، فتوطد في بلاد المغرب. ومذهب داود الظاهري بدوره اختفى بموت صاحبه بينما ازدهر في الأندلس على يد ابن حزم والذي فاقت ظاهريته ظاهرية مؤسسه الأول، وقد دافع ابن حزم عن مذهبه رغم ما لحقه من اضطهاد، ونفس الأمر ينطبق على التصوف إلى درجة أن متصوِّفة الغرب الإسلامي عموما غالوا في التصوُّف حتى خرجوا به عن غايته وأهدافه.

- الخاتمة :

رغم أنَّ المنطق وعلم الكلام كانا من العلوم غير المحبَّذة لدى بعض علماء المسلمين وفي بعض فترات التاريخ الإسلامي، باعتبارهما جزءًا من الفلسفة أو قريبين منها، إلا أنه استطاع أن يشق طريقه، ويصبح كمنهج في الدراسة، ولذلك كان علماء الجزائر عموما وتلمسان بصفة خاصة ممن اشتهروا بهذا العلم، فإذا كانت كل مدينة من مدن الجزائر قد اشتهرت بنوع من العلوم كالفقه أو التفسير والحديث أو التوحيد، فإنَّ مدينة تلمسان كانت رمزا للعلوم العقلية، ومن بينها المنطق والكلام، فأفاضت بهذا العلم على الدول المجاورة، لتبقى هذه العلوم أحد مظاهر الحضارة الإسلامية عموما.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية ورش.

- 1- الأمدى علي بن محمد: غاية المرام في علم الكلام، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.
- 2- أحمد أمين: ظهر الإسلام، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012م.
- 3- أحمد فؤاد الأهواني: الفلسفة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.
- 4- أحمد بن مصطفى- طاشكيري زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.
- 5- الأخضرى عبد الرحمن بن محمد الصغير: السُّلَمُ المنوَّرَق، المكتبة الهاشمية، إسطنبول ط2، 2014م.
- 6- الباجوري إبراهيم: حاشية الباجوري على السلم المنورق، حرر حواشيه محمد أحمد أحمد روتان، دار السلام، القاهرة، ط1، 2011م.
- 7- البغدادي إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة المعارف، استانبول، 1955م.
- 8- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحرير وتقديم وتعليق حماد الله ولد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013م.
- 9- التفتازاني سعد الدين: تهذيب المنطق والكلام، مطبعة السعادة، مصر، 1912م.
- 10- التفتازاني مسعود بن عمر: شرح العقائد النسفية، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1988م.
- 11- ابن تيمية: مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة الملك فهد، المدينة، 2004م.
- 12- ابن تيمية: نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، تحقيق عبد الصمد شرف الدين الكبتي، مؤسسة الريان، بيروت، ط1، 2005م.
- 13- التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، تحقيق علي دحروج، نقله من الفارسية إلى العربية عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1.
- 14- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 15- ابن حزم: رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983م.

- 16- الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.
- 17- ابن الصلاح أبو عمرو عثمان: فتاوى ابن الصلاح، حققه وخرج حديثه وعلق عليه عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1986م.
- 18- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م.
- 19- ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، اعتنى به درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م.
- 20- ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط9، 2000م.
- 21- ابن خلدون عبد الرحمن: لباب المحصل في أصول الدين، دراسة وتحقيق عباس محمد حسن سليمان، مراجعة وتقديم محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.
- 22- ابن خلدون يحيى: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.
- 23- أبو راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC وهران، ط1، 2005م.
- 24- ابن رشد: الضروري في أصول الدين أو مختصر المستصفي، تقديم وتحقيق جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م.
- 25- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.
- 26- السبكي تاج الدين: رفع الحجاب عن مختصر ابن الحجاب، تحقيق وتعليق ودراسة علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، دط، دت.
- 27- السخاوي محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت.
- 28- ابن سهلان الساوي: البصائر النصيرية في علم المنطق، تحقيق وتقديم حسن المراغي، تعليق الشيخ محمد عبده، مؤسسة الصادق للطباعة، تهران، ط1، 1390هـ.
- 29- السيوطي جلال الدين: صون المنطق والكلام عن في المنطق والكلام، تحقيق علي سامي النشار وسعاد علي عبد الرازق، دار النصر، القاهرة، ط1، دت.
- 30- الشفشاوني محمد بن عسكر دوحة الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1977م.

- 31- ابن الصبّاح الأندلسي: نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار، تحقيق جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية، عدد خاص 45-46، ديسمبر 2011م، تونس، 2012م.
- 32- طه عبد الرحمن: مجلة المناظرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع1، جوان، ع2، نوفمبر 1989م.
- 33- عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1982-1983م.
- 34- عبد الهادي الفضلي: خلاصة علم الكلام، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1993م.
- 35- الغزالي أبي حامد: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، حققه وقدم له جميل صليبا وكامل عياد، دار الأندلس، بيروت، 1967م.
- 36- الغزالي أبي حامد: المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق حمزة بن زهير حافظ، المدينة، دط، دت.
- 37- الغزالي أبي حامد: معيار العلم، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2013م.
- 38- الفارابي أبي نصر: الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق وتقديم محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2.
- 39- الفيومي: المصباح المنير، معجم عربي عربي، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.
- 40- القلصادي أبو الحسن علي: رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978م.
- 41- ابن قنفذ القسنطيني: شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط1، 2009م.
- 42- القنوجي صديق بن حسن: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، أعده ووضع فهارسه عبد الجبار زكار، وزارة الثقافة، دمشق، 1978م.
- 43- محمود عزيز نظمي سالم: تاريخ المنطق عند العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002م.
- 44- المقدسي نصر بن إبراهيم: مختصر الحجة على تارك المحجة، تحقيق ودراسة محمد إبراهيم محمد هارون، دار أضواء السلف، الرياض، ط1، 2005م.
- 45- مني أحمد أبو زيد: الفكر الكلامي عند ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997م.
- 46- وائل بن سلطان الحارثي: علاقة علم أصول الفقه بعلم المنطق، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2012م.

47- الوزير محمد بن إبراهيم: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، مطبعة مصر، القاهرة، 1349هـ.

48- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، 1981م.

الملخص:

تستأثر حاضنات الأعمال اهتمام خاص من قبل جميع الدول المتقدمة والنامية بسبب خصوصيتها كمحرك حيوي في الاقتصاديات المعاصرة، كذلك بالنظر إلى دورها الريادي في توجيه الأعمال ومساندة أصحاب المشروعات المبتكرة والصغيرة، والجزائر وغيرها من الدول بادرت نحو تشجيع الأعمال الجديدة والتكنولوجيا، باحتضان ورعاية أصحاب الأفكار الإبداعية ودعم حاضنات الأعمال كأحد أهم مرتكزات البنية التحتية للريادة وأحدث وحدة فنية لتشجيع وإدارة المؤسسات الناشئة، بل تعطي هذه الحاضنات دعما أقوى لترقية أعمال ناجحة.

الكلمات المفتاحية: حاضنات الأعمال، المؤسسات الناشئة، المشاريع الشابة، الابتكار، ريادة الأعمال.

Abstract:

Business incubators receive special attention from all developed and developing countries because of their specificity as a vital driver in contemporary economies, as well as in view of their pioneering role in directing businesses and supporting owners of innovative and small projects. Algeria and other countries have taken the initiative to encourage new businesses and technology, by embracing and nurturing those with creative ideas and supporting them. Business incubators are one of the most important foundations of the infrastructure for entrepreneurship and the latest emerging unit to encourage and manage emerging enterprises. Rather, these incubators give stronger support for the promotion of successful businesses.

Keywords: business incubators, emerging institutions, young projects, innovation, leading businesses.

المقدمة:

إن أهمية الإدارة للأعمال والمجتمع تتزايد باستمرار كلما ازداد التطور التكنولوجي وتطور الحياة، وأصبح الاهتمام بالمشاريع في عالم الأعمال اليوم أمرا ملفتا للانتباه بشكل غير مسبوق لأية دولة، كون هذه المشاريع لا تعني أعمال صغيرة أو محركا لفرص العمل والإنتاج فقط ولكن كونها أعمالا مهمة جدا في مجالات رائدة في الاقتصاد، مثل: صناعة طائرات الهليكوبتر وصناعة الحواسيب الشخصية والكاميرات المتطورة، والكثير من التطورات الحاصلة لاسيما في صناعة الأجهزة الطبية التي جاءت باجتهاد أعمال صغيرة يديرها رواديون ذوي عقول متفتحة.

وفي أي بلد متقدم أو متأخر فإنه من منظور الفكر الرائد لتنمية نشاط الإبداع التكنولوجي، لابد من احتضان الرياديين وخلق ما يسمى بحاضنات الأعمال التي تعمل على احتضان ورعاية أصحاب الأفكار الإبداعية والمشروعات ذات النمو العالي، وتشجيع الأعمال المبتكرة والصغيرة وتوفير تمويل لها. ولأن المؤسسات الناشئة من أهم محركات النمو الاقتصادي للدولة واعتبارها لبنة اقتصاد كل دولة حتى وإن كانت أغلب المشروعات تنشأ بفكرة مبدئية فيها نوع من المخاطرة، إلا أنها تعد أعمالا منظمة قد تصبح كبيرة لها تأثير قوي على السوق والنمو بعدما كانت أعمالا صغيرة بالأمس، بل إنها تشكل نموذجا اقتصاديا ذات حداثة له أهمية في تنشيط اقتصاد السوق المحلية والسوق الدولية من خلال الأعمال الناجحة من حيث البيع، التجارة، الحصول على فرص تمويله، أسواق كبيرة وإمكانية تحسين جودة منتجاتها، لقد أضحت هذه المؤسسات في نظر رواد الأعمال مؤسسة مُصممة بهدف تحسين الواقع وإحداث تغيير شامل، وهو ما يميزها عن غيرها من المؤسسات التقليدية.

إلا أن نجاح المؤسسات الناشئة تحتاج إلى الأرضية المناسبة لإتباع استراتيجيات ابداعية قادرة فعلا على خلق ميزات تنافسية للمشاريع الجديدة وجرأة في التنفيذ، وتشكل حاضنات الأعمال إحدى المرتكزات الأساسية للبنى التحتية للريادة في المجتمع، وكأهم وحدة حيوية فنية لتشجيع وإدارة هذه المؤسسات، فهي مؤسسة قائمة بذاتها وعملية حركية لتنمية وتطوير المنظمات الصغيرة، وذلك بتقديم مختلف المساعدات المالية والفنية وتوفر مجموعة من الخدمات وغيرها من التسهيلات للمؤسسات الناشئة لتتجاوز صعوبات مرحلة الانطلاق.

من هذا المنطلق سنبحث في فكرة حاضنات الأعمال كجهة توجه وتنهض بالمؤسسات الناشئة وتعطي دعما أقوى، من خلال طرحنا الإشكالية التالية: **كيف يمكن أن تساهم حاضنات الأعمال في دعم الأعمال ومساندة المشاريع الناشئة وتطورها؟**

وقع اختيارنا لهذا الموضوع بدافع أهمية موضوع المؤسسات الناشئة في اقتصاديات دول العالم عامة وفي الاقتصاد الجزائري خاصة، وحقيقة أضحت إحدى النماذج الأساسية المريحة للأعمال بفضل دورها الحاسم

في التنمية الاقتصادية، كونها تأتي بالقيمة المضافة للبلاد وهو ما يتلاءم مع متطلبات الواقع الاقتصادي الراهن، ناهيك عن توفيرها لفرص العمل وتغيير حياة المواطنين، وبالنتيجة تحقيق التنمية المستدامة. وهدفنا من هذه الدراسة هو توضيح الجانب النظري للمؤسسات الناشئة، والوقوف على الدور الريادي لحاضنات الأعمال الذي يستند على فلسفة إمكانية ازدهار أصحاب المشروعات من خلال احتضان ورعاية ودعم الأفكار الإبداعية للمبادرين ورواد الأعمال.

ولمعالجة المشكلة المطروحة عن الموضوع تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لتبيان ملامح الدراسة في إطار الأحكام القانونية الواردة في المرسوم التنفيذي رقم 254/20، وبفضل مرجعية المادة العلمية ذات الصلة بالموضوع، وهذا بالتطرق في البداية إلى مدخل عام عن خصوصية المؤسسات الناشئة وأهميتها، ثم نتناول حاضنات الأعمال احتضان للمشروعات وريادة الأعمال.

المبحث الأول- مدخل عام عن خصوصية المؤسسات الناشئة وأهميتها

تمثل المؤسسات الناشئة محورا مهما في العملية التنموية، حيث تشكل في عالم الأعمال اليوم المحرك الرئيسي والمصدر الأساسي لفرص العمل والإنتاج، ففي دول العام المتطورة تمثل صورة واضحة للاقتصاد بأكمله، حتى أنه لا يخلو قطاع من القطاعات الإنتاجية من وجود لهذه الأعمال⁽¹⁾.

ويمكن أن تعرف المؤسسات الناشئة (المشاريع الصغيرة) بأنها نشاطات اقتصادية مبدعة لها قابلية لبناء شيء ما، يديرها بشكل مستقل فرد هو المبتكر الذي يخلق الأعمال من خلال منظمات إنتاج أو أسواق جديدة لغرض تحقيق أرباح وإنتاج سلع أو خدمات مفيدة للمجتمع، كما تعد من أهم محركات النمو الاقتصادي للدول، حيث تستأثر باهتمام خاص من قبل جميع الدول سواء في الدول المتقدمة أو النامية إدراكا منها للدور المهم جدا في مجالات رائدة، لما تحمله من أفكار إبداعية وسهولة التأقلم في الاقتصاد ومتطلبات العولمة الاقتصادية، وبفضل المواهب المختلفة ورغبة الفرد على تحويل فكرة جديدة إلى ابتكار ناجح من أجل إيجاد نماذج أعمال جديدة تحقق فعلا نمو اقتصادي طويل الأمد⁽²⁾.

كما تشير التحليلات الاقتصادية والاجتماعية للتجارب التنموية في العديد من دول العالم إلى أن بعض الدول الآسيوية والإفريقية قد حققت إنجازات هائلة خلال العقدين السابقين، وتحولت من قوى استهلاكية إلى قوى إنتاجية بفضل اللجوء إلى المؤسسات الناشئة⁽³⁾، ولقد حظي هذا النوع من المؤسسات

(1) صالح مهدي محسن العامدي، الإدارة والأعمال، دار وائل للنشر، الطبعة الثانية، عمان، 2008، ص 172.

(2) Tracogna, Andrea ,*Entrepreneurship Development: Key Issues & Challenges* 2009.p05.

(3) بجيتي علي، "المؤسسات الناشئة، الصغيرة والمتوسطة في الجزائر"، واقع وتحديات، مجلة دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 12 عدد 4 أكتوبر 2020، ص 536.

باهتمام واضح في دولة الجزائر خلال الآونة الأخيرة في ظل الدور الرئيسي الذي تلعبه في عملية التنمية، فأصبح لها وزارتها الخاصة بموجب المرسوم الرئاسي رقم 20-01 والقانون رقم 20-254⁽⁴⁾.

المطلب الأول- مفهوم المؤسسات الناشئة وخصائصها

تعتبر المؤسسات الناشئة نمت من المشاريع الصغيرة التي تكون في المراحل المبكرة من نموها، وفي إطار الريادة يمكن أن نجد صيغا أخرى مرادفة لهذه التسمية مثل "مشروع ناشئ" Start-up، المؤسسات الشابة المبتكرة في قطاع التكنولوجيا الحديثة، ويمكن تفسيرها أيضا بالطاقات الإبداعية صممت كي تنمو بسرعة ولمساعدة أصحاب الأفكار الريادية، وتتميز بعدة خصائص بعضها يشكل قوتها وتشكل الأخرى نقاط ضعفها.

الفرع الأول- مفهوم المؤسسات الناشئة

تشكل المؤسسات الناشئة الغالبية من العدد الكلي للمؤسسات الجزائرية ونمطا جديدا من المؤسسات في مجالي الأعمال والمقاولاتية، ويقصد بالناشئة حديثة العهد أنها مؤسسات تتعلق بالابتكارات وتحمل أفكارا متنوعة، ويمكن تعريفها على أنها البراعم والمنشآت الشابة التي أصبحت البديل الأكثر إبداعا من أجل دفع عجلة التنمية خاصة في ظل التغيرات الاقتصادية⁽⁵⁾، أي التي تأتي بشيء جديد سواء كان في مجال الإنتاج أو التسويق⁽⁶⁾.

ولا يمكن إنكار أن مسألة تحديد مدلول المؤسسات الناشئة بات أمرا ضروريا لكل باحث في هذا المجال وكذا أمام مقرري السياسات التنموية في مختلف الدول، مما يسهل عليهم إعادة برامج تنموية ووضع مخططات استراتيجية، ذلك لتعدد مفاهيم المؤسسات الناشئة⁽⁷⁾، مع العلم أنه لا يوجد اتفاق حول تعريفها خاصة في ظل اختلاف المصطلحات الدالة عليها.

أولاً- التعريف العام للمؤسسات الناشئة

تعرف المؤسسة الناشئة عموما على أنها مشروع صغير تأسست حديثا مرتبطة بفكرة النمو القوي، صغيرة رأس المال والتي تقدم منتجات وخدمات جديدة تعتمد بالدرجة الأولى على الابتكار⁽⁸⁾.

(4) مرسوم تنفيذي رقم 254/20، مؤرخ في 2020/09/15، المتضمن إنشاء لجنة وطنية لمنح علامة "مؤسسة ناشئة" ومشروع مبتكر "حاضنة أعمال" وتحديد مهامها وتشكيلها وسيرها، ج. ر، عدد 55، صادر في 2020/09/21.

(5) سمهان بن لعلم، كريمة بنان، "المؤسسات الناشئة في الجزائر" -الواقع والتحديات وفرص الانطلاق، رقمنة مجلة الدراسات الإعلامية والاقتصادية، المجلد 02، العدد 2 أكتوبر/2022، صفحة 23.

(6) صالح مهدي محسن العامدي، المرجع السابق، ص 184.

(7) مناور حداد وحازم الخطيب، دراسة ميدانية تهدف إلى دور المشروعات الصغيرة جدا، والصغيرة والمتوسطة في التنمية الاقتصادية، قسم العلوم المالية والمصرفية، كلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة إريد الأهلية، الأردن، 2012، ص 17.

(8) محمد ساحلي، معنى الشركة الناشئة، الموقع:

ونظرا للخلط بين مفهوم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والمؤسسات الناشئة، توجد معايير دقيقة لتصنيف الأعمال الناشئة، وغالبية الدول تعتمد على معيار السرعة في النمو والتوسع واستعمال التكنولوجيا المتطورة⁽⁹⁾.

وعموما من أهم المعايير المستخدمة في تعريف المؤسسات الناشئة المعيار الكمي الذي يتمثل في مؤشرات عديدة تقنية اقتصادية وهي:

- معيار العمالة ورأس المال.
- معيار قيمة الإنتاج وقيمة المبيعات.
- معيار كثافة العمل.
- معيار الطاقة الإنتاجية.

وحسب رائد الأعمال الشهير ستيف بلانك "*Steve Blank*" على أنها: "منظمة مؤقتة تبحث عن نموذج اقتصادي يسمح بالنمو، تعمل على نجاح مشروعها بشكل سريع وله تأثير على السوق التي تود التواجد والعمل به بشكل فوري".

إنها أيضا فكرة ورؤية يقوم بتجسيدها حامل المشروع وتعمل في سوق غير مستقرة في كثير من الأحيان لاقتراح منتج أو خدمة جديدة⁽¹⁰⁾.

أما تعريفها من الناحية القانونية، فقد تضمن المرسوم رقم 20-245⁽¹¹⁾ تعريف خاص بها من خلال شروط أهمها:

- أن تكون المؤسسة الناشئة خاضعة للقانون الجزائري.
 - أن لا يتجاوز عمر المؤسسة 08 سنوات بداية من حصولها أول مرة على علامة مؤسسة ناشئة.
 - أن يرتبط نشاطها بإنتاج السلع أو تقديم الخدمات وأن يتضمن النشاط فكرة مبتكرة وإمكانيات نمو كبيرة.
 - أن لا يتجاوز عدد عمال المؤسسة 250 عامل، وأن تكون نسبة 50% على الأقل من رأسمال المؤسسة مملوكة من قبل أشخاص طبيعيين أو صناديق الاستثمار المعتمدة.
- ويمكننا تعريف هذه المؤسسات على أنها: "شركات شابة تنشأ بفكرة مبدئية تسعى بها لا لتسويق وطرح منتج جديد أو خدمة مبتكرة تستهدف بها سوق كبير، وأمامها خياران إما التطور إلى شركات ناجحة أو الخسارة".

(9) صالح مهدي محسن العامدي، المرجع السابق، ص 175.

(10) بختي علي، المرجع السابق، ص 536.

(11) مرسوم تنفيذي رقم 20/254، سالف الذكر.

ثانيا- أهمية المؤسسات الناشئة

يمكن تأشير أهمية خاصة للمؤسسات الناشئة في بيئة الأعمال، كونها مصدر أساس لخلق وظائف جديدة ومساعدة الحكومة في حل مشاكل البطالة وهي دعامة ضمان التنمية المستدامة، وقد أصبح الاهتمام بها متزايدا في عالم اليوم لأنه قد تكون فائدتها موازية للفائدة التي تجنيها الأعمال الكبيرة⁽¹²⁾، بل باتت تمثل تحديا لغيرها وتنشط الاقتصاد الوطني بسبب قدرتها التنافسية العالية وكفاءتها في الأداء وتظهر أهميتها باختصار في:

- توليد أرباح كبيرة جدا في مجال الإنتاج والتسويق.
- خلق فرص عمل كثيرة وحل مشكلة البطالة خاصة في ظل انخفاض معدلات التوظيف.
- إمكانية الارتقاء بعملها التجاري بسرعة أي زيادة الإنتاج والمبيعات من دون زيادة التكاليف⁽¹³⁾،

وبالتالي المساهمة في تطوير الاقتصاد المحلي وتنويعه والدفع من تنافسيته.

- اعتماد التكنولوجيا وبالتالي تساهم في إشباع حاجات السوق بطريقة ذكية وعصرية، ومن الصعب تجاهل تأثير قوة الشركات الناشئة على الاقتصاد⁽¹⁴⁾، كنتيجة لذلك يعد دور هذه المؤسسات دورا فاعلا في تنمية سوق أو اقتصاد الدول.

ثالثا- شروط منح علامة مؤسسة ناشئة

تضمن المرسوم التنفيذي رقم 254/20، عدة شروط لمنح علامة مؤسسة ناشئة⁽¹⁵⁾: تتمثل في:

- لزوم تقييد نشاط المؤسسات الناشئة في السجل التجاري .
- تقديم نسخة من القانون الأساسي للمؤسسة متى كانت شخصا اعتباريا.
- تقديم شهادة الانخراط في الصندوق الوطني للتأمينات الاجتماعية (CNAS) بغاية ضمان تشغيل العمال في الأطر القانونية.
- تقديم كل الشهادات وكل وثيقة يملكها المستخدمين وتكون في مجال نشاط المؤسسة.

(12) محمد سبتي، فعالية رأس المال المخاطر في تمويل المشاريع الناشئة، دراسة حالة المالية الجزائرية الأوروبية للمساهمة Finalp، مذكرة ماجستير في علوم التسيير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008-2009

(13) مصطفى بورنان، علي صولي، "الاستراتيجيات المستخدمة في دعم وتمويل المؤسسات الناشئة"، مجلة دفاتر اقتصادية، المجلد 11، العدد 01، 2020، ص 133.

(14) جميلة خديم، علي مكيد، "حاضنات الأعمال التكنولوجية كآلية دعم ومراقبة المؤسسات الناشئة في الجزائر سعيًا لتجسيد أهداف التنمية المستدامة"، مجلة الاقتصاد وإدارة الأعمال/ المجلد 01 (خاص) مارس 2023، ص 132.

(15) المادة 12 من المرسوم رقم 254/20، سالف الذكر.

ووفقا للمادة 13 من ذات المرسوم ترسل كل الوثائق إلى اللجنة الوطنية لدراسة الطلب في المواعيد القانونية والرد وفقا للإجراءات المتضمنة في المرسوم⁽¹⁶⁾.

الفرع الثاني- خصائص المؤسسات الناشئة

إن المؤسسات الناشئة هي مؤسسات حديثة النشأة مرتبطة بفكرة عبقرية مبدعة لها احتمالات كبيرة للنمو والتطور تحكمها قوانين السوق وروح المبادرة والذاكرة في اقتناص الفرص الموجودة في سوق العمل لتقديم منتجات جديدة متميزة فيها الابتكار⁽¹⁷⁾، الذي يؤدي إلى خلق الثروة وأسواق جديدة من خلال توفير منتجات سلع وخدمات متفوقة لتلبية حاجات متقدمة للزبائن ومن ثم توسع ونمو المنظمات⁽¹⁸⁾.

عموما يمكن توضيح بعض الخصائص التي تتميز بها هذه المؤسسات كما يلي:

- إمكانية نموها السريع وتوليد إيراد أسرع بكثير من التكاليف التي تتطلبها للعمل بسبب تمتعها بإمكانية الارتقاء بعملها وبفضل الحماس والتحفيز العاليين وملكيته الفردية.
- تعتبر المؤسسات الناشئة مصدر للثروة والابتكار فهي تركز على قدرتها في الابتكار وتطوير منتجات جديدة بشكل سريع ومستمر ويتم ذلك من خلال وحدات أو حاضنات الأعمال التي تعمل على مرافقتها وتدعيمها العالي، والحماس باتجاه تطوير الابداع في العمل⁽¹⁹⁾.
- مرونتها وقدرتها على التأقلم مع المتغيرات التي تحدث في محيطها بفضل استخدام تكنولوجيا حديثة.
- -إمكانية إنتاج متطلبات السوق المحلي مما يساهم في إحلال الواردات وتنمية الصادرات وبالتالي توفير نقد أجنبي.
- تتميز بالتطور والتحول إلى شركات ناجحة وإمكانية النمو القوي المتزايد كونها تتعلق بالتكنولوجيا وأعمالها تقوم على الإبداع وخاصة الأفكار الريادية ذات القاعدة والتطبيقات التقنية⁽²⁰⁾.
- لا تحتاج لتمويل ضخم فهي تتطلب تكاليف منخفضة صغيرة جدا بالمقارنة مع الأرباح التي تحصل عليها، وعادة ما تأتي هذه الأرباح بشكل سريع.

(16) أنظر المادتين 13، 14 من المرسوم رقم 245/20، المرجع نفسه.

(17) سمهان بن لعلا، كريمة بنان، المرجع السابق، ص 14.

(18) إيفار عبد الهادي ال فيحان، "دور حاضنات الأعمال في تعزيز ريادة المنظمات"، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد

2012 صفحة 7.

(19) صالح مهدي محسن العامري، المرجع السابق، ص 185.

(20) -إيفار عبد الهادي ال فيحان، المرجع السابق، ص 92.

- تتميز بروح ريادية متجددة من خلال تعزيز أفكارها ودعمها من طرف حاضنات الأعمال⁽²¹⁾، التي تعتبر وحدات متخصصة توفر مكان وتجهيزات وخدمات إدارية وفنية لمساعدة الأعمال الصغيرة في الانطلاق⁽²²⁾، وتجدر الإشارة أن معظم المؤسسات الناشئة تعمل في السوق الرقمية أو الصحية أو البيئة أو السوق التكنولوجية الحيوية.

المطلب الثاني- مسألة تمويل المؤسسات الناشئة

يقصد بالتمويل عموما مساعدات مالية تمنحها الدولة ضمن سياستها الجبائية المنتهجة إلى بعض الأعوان الاقتصاديين على شرط التزامهم بشروط محددة مسبقا، ويعد تمويل المؤسسات الناشئة آلية فعالة لبعث حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فغالبا ما تحتاج هذه المؤسسات إلى الكثير من التمويل في بداية تأسيسها لأنها تحقق القليل من المداخل في البداية.

كما أن لهذه المؤسسات احتياجات كبيرة للتمويل (التوظيف، تطوير المنتجات أو الخدمات،.. إلخ من أجل النمو بسرعة ولأن هدفها الأساسي هو النمو السريع، لذلك ليس لديهم الوقت الكافي لتمويل أنفسهم⁽²³⁾، إلا أن صعوبات مالية تواجهها هذه المؤسسات فتحد من قدراتها على مواصلة نموها لعدة أسباب لعل أبرزها: ضعف هيكلها التمويلي، قلة الضمانات، مما يشكل أهم المعوقات التي تعترض نمو هذه المؤسسات.

الفرع الأول- أهداف ومظاهر تمويل المؤسسات الناشئة

تعتبر الحاجة إلى التمويل إحدى أهم مميزات المؤسسات الناشئة وأهم حافز لجعل حالة الإبداع حالة مستمرة ودائمة واستدامة هذه المؤسسات، ولقد أضحت لزوم تعزيز هذه المؤسسات كنمط اقتصادي لتحقيق التنمية أو كقطاع واعد يجب تربيته⁽²⁴⁾.

أولا- أهداف تمويل المؤسسات الناشئة: تتمثل فيما يلي

- توفير السيولة الضرورية للمشاريع الاستثمارية وتغطية جزء من تكاليف هذه المشاريع.
- تسهيل مختلف التدفقات النقدية والمالية بين مختلف الأعوان الاقتصاديين.
- تحريك عجلة الاقتصاد وتحسين الإنتاج والارتقاء إلى مستوى العالمية، كما يمكن أن تكون أعمال هذه المؤسسات أعمالا دولية ناجحة من حيث خلق أسواق كبيرة.

(21)- مصطفى بورنان، المرجع السابق، ص 134.

(22)- صالح مهدي محسن العامري، المرجع السابق، ص 185.

(23)- سلطان كريمة مرقع آمال، "حاضنات الأعمال كآلية لدعم المؤسسات الناشئة بالجزائر"، - العراقل والتحديات، مجلة التكامل الاقتصادي، المجلد 11، العدد 01، عدد خاص، الجزء 1 مارس 2023، ص 119.

(24) عبد الباسط وفا، مؤسسات رأس المال المخاطر ودورها في تدعيم المشروعات الناشئة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001، ص 13.

- التعاون مع القطاع المصرفي التجاري والمؤسسات المالية الأخرى لتمويل منتجات التجارية الدولية وبالتالي إمكانية الحصول على فرص تمويلية.
- المساهمة في تحقيق استراتيجية التنمية المحلية ورفع القدرات التصديرية للمؤسسات الناشئة بفضل تمويلها.
- زيادة فرص نجاح المشاريع والتقليل من مخاطر فشلها.

ثانيا- أهم مظاهر تمويل المؤسسات الناشئة وتشجيعها

- لقد حظيت المؤسسات الناشئة بعناية خاصة من طرف الدولة الجزائرية في إطار تحفيز وتدعيم بيئة هذه المؤسسات وتثمين أفكارها ويتضمن ذلك من خلال:
- منح إعفاءات جبائية تصل إلى 5 سنوات.
 - تسهيل التمويل لمختلف نشاطات المؤسسات الناشئة بالخصوص إعطاء قروض بنكية.
 - إعفاء المؤسسات الناشئة من دفع الضريبة على الدخل الإجمالي.
 - إعفاء المؤسسات الناشئة من رفع بعض الرسوم كالرسوم على النشاط المهني والرسم على القيمة المضافة فيما يخص التجهيزات التي تقتنيها.
 - إنشاء صندوق لتمويل الشركات الناشئة ويعد هذا الصندوق كآلية قائمة على الاستثمار في رؤوس الأموال، ويتمثل هدفه الأساسي في القضاء على مشكل التمويل بدولة الجزائر عن طريق رأس المال المخاطر⁽²⁵⁾.

الفرع الثاني- معوقات تمويل المؤسسات الناشئة

- تعتبر المعوقات التمويلية من أهم المعوقات التي تعاني منها المؤسسات الناشئة وتتجلى فيما يلي:
- عدم توفر أو قلة الضمانات اللازمة التي تتطلبها المصاريف لمنح تمويل المؤسسات الناشئة.
 - ارتفاع نسبة المديونية بالمقارنة بأصول المؤسسات الناشئة بسبب انخفاض حجم أصول الرأسمالية التي تعتمد عليها مؤسسات التمويل كضمانات عند منح الائتمان.
 - غياب عنصر الثقة بين القائمين على المؤسسة الناشئة وهما (مؤسسة التمويل والعميل)، وهو عنصر أساسي للسيولة والائتمان.
 - صعوبة تصرف مؤسسات التمويل في الضمانات بسرعة في حالة تخلف عن تسديد المستحقات⁽²⁶⁾.

(25)- محمد سبتي، المرجع السابق، ص 43.

(26)- عماد أبو رضوان، التحديات التي تواجه المشاريع الصغيرة، ملتقى حول متطلبات تأهيل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الشلف، الجزائر، 17، 18 أبريل 2006، ص 631.

- عدم ملائمة القروض المطلوبة، فعادة تمنح البنوك قروض قصيرة الأجل وغالبا المؤسسات الناشئة تطلب قروضا طويلة الأجل.

المبحث الثاني- حاضنات الأعمال احتضان للمشروعات وريادة الأعمال

لا يتوقع من المؤسسات الناشئة أن تقوم بالأعمال وتطوير أفكارها وضمان ديمومتها دون وجود دعم مؤسسي يتضمن مشاريعها بين مرحلة بدأ النشاط ومرحلة النمو، حيث تعتبر حاضنات الأعمال الأداة التشجيعية لها، بل فضاء لازم لإطلاق الأعمال التجارية وزيادة معدلات النجاح وتشجيع الأفكار المتميزة، ويمكنها أن تؤثر بدورها المختلف على إقامة العمل وإنجاز المشاريع الخاصة بالشباب، والتميز بشكل مباشر أو غير مباشر في اقتحام عالم الشغل دون اللجوء للبحث الطويل عن العمل لدى المؤسسات سواء العمومية أو الخاصة.

كما يمكن لحاضنات الأعمال أن تقدم كل الخدمات الضرورية التي من شأنها أن تسهل على تنفيذ الأعمال الصغيرة الرائدة، وذلك بهدف تطوير فكرة المشروع وتنفيذها على أرض الواقع بأقل التكاليف حسب طبيعة المشروع، بالإضافة أنها تؤدي دورا فعالا في تنمية اقتصاد الدول المختلفة وإسهامها في حل مشكلة البطالة وخلق فرص العمل الجديدة⁽²⁷⁾.

المطلب الأول- عملية احتضان المؤسسات الناشئة

تبدو العلاقة بين الحاضنات والريادة متبادلة، إذ أن الحاضنات تعزز دور الريادة من خلال إنشاء وتنمية مشروعات مختلفة، فهي تعمل على دعم المبادرين الذين تتوافر لهم أفكار الطموحة والدراسة الاقتصادية السليمة وبعض الموارد اللازمة لتحقيق طموحاتهم، حيث توفر لهم بيئة عمل مناسبة في بداية المشروع لتصبح الحاضنة في علاقة احتضان مع ريادي مبادر جديد⁽²⁸⁾.

وتعتبر حاضنات الأعمال وحدات متخصصة غايتها تهيئة فرص النجاح من خلال توفير مكان وتجهيزات ومختلف خدمات إدارية وفنية لمساعدة الأعمال الصغيرة في الانطلاق، كذلك يبرز دورها في تقديم استشارات إدارية لبدء عمل صغير ولتطوير منتج جديد بناء على فكرة ريادية⁽²⁹⁾، كما أنها تعرف على أنها مؤسسات قائمة بذاتها تعمل على توفير التسهيلات للمستثمرين الصغار الذين يبادرون إلى إقامة مؤسسات صغيرة، وتهدف إلى مساعدة المؤسسات المبدعة ورجال الأعمال الجدد لتخطي أعباء

(27)- صالح مهدي محسن العامري، المرجع السابق، ص 183.

(28)- ايثار عبد الهادي، المرجع السابق، ص 81.

(29)- صالح مهدي محسن العامري، المرجع السابق، ص 185.

ومراحل الانطلاق والتأسيس⁽³⁰⁾، فهي بذلك تمثل الهيئة التي تتبنى أفكار المبدعين والمبادرين وتوجيهها لإنتاج منتجات جديدة، إلى جانب توفير المستلزمات المساعدة في إنجاح المشروعات المحتضنة⁽³¹⁾.
وقد تم اعتماد الحاضنات في الجزائر تحت تسمية المشاتل بموجب المرسوم التنفيذي رقم 78/03 المتضمن القانون الأساسي لمشاتل المؤسسات⁽³²⁾، وقد تم استحداث نظام هذه الحاضنات بموجب المرسوم التنفيذي رقم 254/20⁽³³⁾.

ويمكن توضيح عملية احتضان المؤسسة الناشئة من خلال المراحل التالية:

المرحلة الأولى- قبل انطلاق المؤسسة الناشئة: خلال هذه المرحلة يتم طرح لفكرة إبداعية جديدة، ويتم دراسة الفكرة والتعمق فيها للتأكد من إمكانية تنفيذها على أرض الواقع واستمرارها في المستقبل، ثم يناقش مختلف البنود من طرف مدير الحاضنة وأصحاب المشروع الناشئ⁽³⁴⁾.

المرحلة الثانية- إعداد خطة المشروع: بحيث يشرع صاحب المشروع من وضع خطة تنفيذ المشروع في إطار الحاضنة.

المرحلة الثالثة- البدء أو الانطلاق في المشروع: يتم إبرام عقد الانضمام للحاضنة، وبموجب ذلك يستفيد صاحب المشروع من مكان لممارسة نشاطه، وفي هذه المرحلة يكون بحاجة إلى الترويج ومستلزمات ممارسة النشاط مثل التجهيزات، خدمات المعلوماتية والاتصال، هذا بالإضافة إلى توفير خدمات الدعم الخاصة بالصيانة والأمن، إلى جانب وسائل وأماكن التخزين والشحن، مقابل مساهمة مالية معقولة من طرف المؤسسة الناشئة.

المرحلة الرابعة- مرحلة العمل والتطوير: تعتبر هذه المرحلة أهم مرحلة في حياة المشروع الجديد، إذ يباشر صاحب المشروع عمله بمساعدة الحاضنة، وتتلقى المؤسسة الناشئة خلال ذلك دعماً فنياً أو إدارياً أو تمويلياً من طرف الحاضنة، بحيث تتابع الأعمال المنشئة وتحمي المصالح وتقوم بمختلف الخدمات المتمثلة في⁽³⁵⁾:

● تقديم مساعدة للمؤسسات الناشئة في الحصول على التمويل اللازم.

● مساهمة الحاضنة في رأسمال المؤسسات الناشئة.

(30)-بوالشعور شريفة، "دور حاضنات الأعمال في دعم وتنمية المؤسسات الناشئة"، مجلة البشائر الاقتصادية، المجلد الرابع، العدد 2، سنة 2018، ص 419.

(31)- Tracogna, Andrea, Op.cit.p70.

(32)- مرسوم تنفيذي رقم 78/03، مؤرخ في 25/02/2003، المتضمن القانون الأساسي لمشاتل المؤسسات، ج ر، عدد 13، صادر في 2003/02/26.

(33)- أنظر المادة 22 من المرسوم التنفيذي رقم 254/20، المرجع السابق.

(34)- بوالشعور شريفة، المرجع السابق، ص 421.

(35)- صالح مهدي محسن العامري، المرجع السابق، ص 185.

- دعم المؤسسات الناشئة لاستقطاب المستثمرين اعتمادا على ندوات تنظم لهذا الغرض.
- استفادة المؤسسات الناشئة من الخدمات القانونية التي تخص تأسيس المؤسسات وحماية ملكيتها الفكرية وبراءات الاختراع.
- استفادة المؤسسات الناشئة من الخدمات الإدارية، التدريبية، التسويقية، والاستشارية، التي تقدمها الحاضنات قبل مرحلة الاحتضان وخلالها.

المرحلة الخامسة- التخرج من الحاضنة: بعد توسع نشاط المؤسسة الناشئة ونموها واختراق السوق على المستوى المحلي والعالمي، يتم وضع خطة للخروج التي يحددها برنامج الحاضنة، ويكون ذلك وفق متطلبات التخرج وحسب جملة من المعايير، على غرار عوائد الشركة أو مستوى التوظيف بدلا من وقف البرنامج. وبالرغم من أنه في هذه المرحلة تكون المؤسسة الناشئة قادرة على ممارسة نشاطها والعمل خارج الحاضنة وجذب الزبائن، لكن يبقى تدخل الحاضنة ضروري بإسهامها في تقديم خدمات وتوجيهات والتعامل مع المؤسسة الناشئة لرعاية المشاريع والحفاظ على استمراريتها⁽³⁶⁾.

المطلب الثاني- الواقع العملي للمؤسسات الناشئة والحاضنات في الجزائر

تواجه المؤسسات الناشئة تحديات مختلفة خلال مراحل دورة حياتها تتعلق بتأسيس وإقامة العمل والحصول على الموارد اللازمة والمالية وجذب الزبائن، وخلال الفترة الزمنية التي تقضيها في برنامج حاضنة أعمال تعمل الحاضنات على تقديم الدعم الأفضل لنجاح المشاريع الناشئة. ولا يخفى على أحد حقيقة الأهمية البالغة لفكرة المؤسسات الناشئة وحاضنات الأعمال من الأفكار الفتية في بيئة الأعمال الجزائرية فكلتا الوجدتين تلعب دورا بارزا في النهوض بالاقتصاد الوطني وتطويره ذلك أن الأولى "المؤسسات الناشئة" المحرك الرئيسي لنمو الاقتصاد، والثانية "حاضنات الأعمال" مرافقة لهذه المؤسسات واحتضانها بفضل مقوماتها العديدة الفنية والإدارية والمالية.

الفرع الأول- واقع المؤسسات الناشئة برؤية جديدة خلال سنة 2023

رغم تأخر دولة الجزائر نوعا ما في إطلاق هذا النوع من المشاريع في ظل التأخر التكنولوجي وصنف الانفاق الحكومي، فإن موضوع المؤسسات الناشئة من المواضيع الجذابة التي تسلطت عليها الأضواء في بيئة الأعمال، كما يلاحظ الاهتمام الكبير الذي حظي به موضوع المؤسسات الناشئة وريادة الأعمال في الجزائر خلال السنوات الأخيرة من قبل السلطات الرسمية أو الهيئات الأكاديمية.

في هذا الإطار لا يمكن إنكار وجود بعض المبادرات في إنشاء شركات ناشئة إلا أنها محدودة، كما يلاحظ أن أغلب المؤسسات الناشئة تنشط في مجال التسويق الإلكتروني، وأنها مجرد محاكاة لتجارب سابقة في العالم كما هو الحال بالنسبة لأنجح الشركات الناشئة على المستوى الوطني، شركة "واد كنيس" وهو موقع

(36) - عماد أبو رضوان، المرجع السابق، ص 629.

إلكتروني مخصص للإعلانات تم إطلاقه سنة 2006، كنموذج عن فكرة تم تطبيقها في فرنسا، هذا إلى جانب العديد من الصعوبات نظرا لحداتها في الجزائر وتبنيها لأفكار إبداعية عادة ما تكون عالية المخاطرة⁽³⁷⁾.

إلا أن أهمية هذه المؤسسات تتضح جلية من خلال إرادة الدولة في إنشاء نسيج اقتصادي مولد للثروة يعتمد على طاقة الابتكار ومقاولاتية الشباب، وقد اعتبر رئيس الجمهورية السيد تبون في كلمة ألقاها خلال افتتاح الندوة الوطنية للمؤسسات الناشئة "الجيريا ديسرايت 2020"، "يؤكد إيماننا المطلق بنموذج اقتصادي جديد لوطننا مبني على المعرفة، تكون فيه الشركات الناشئة قاطرة حقيقية له".

ولقد شهدت المؤسسات الناشئة في الجزائر تطورا ملحوظا خلال سنة 2023، يجعل منها قطاعا واعدة وحلقة مفصلية في التنمية الشاملة بفضل اتخاذ جملة من التدابير من طرف السلطات العليا في البلاد، ولعل أهمها النصوص التشريعية التي تم اعتمادها والتي ساهمت بشكل كبير في دعم ومرافقة هذا المجال، مما لا شك فيه أممّ القوة والحيوية نحو استحداث نظام بيئي مقاولاتي مبني على المبادرة والابتكار والمعرفة، ولعل أيضا إصدار قانون المقاول الذاتي جاء استجابة لطموحات أصحاب الشركات الناشئة⁽³⁸⁾.

الفرع الثاني- واقع حاضنات الأعمال

جاءت تجربة الجزائر في مجال إنشاء حاضنات الأعمال متأخرة بعض الشيء بسبب اهتمام الدولة أكثر بالمؤسسات القائمة أو ما يسمى بتأهيل المؤسسات، كذلك بسبب نقص الكفاءة وعدم وجود الإطارات المتمكنة على تسيير هذه الحاضنات.

ومنذ سنة 2009 لم يتم إطلاق إلا حاضنة أعمال عمومية واحدة "الحديقة التقنية"، وهذه الأخيرة تعاني من نقائص كثيرة كبعدها عن المناطق الحضرية وتنظيمها المحدود للبرامج.

وقد سعت الجزائر إلى تنظيم الإطار القانوني والتشريعي لإنشاء حاضنات الأعمال وفقا للمرسوم التنفيذي رقم 03-78 المتضمن القانون الأساسي لمشاتل المؤسسات، ويلاحظ أن المشرع قسم أشكال المشاتل حسب نوع القطاع وبين أشكال وأنواع حاضنات الأعمال⁽³⁹⁾، وتحت شعار "خريطة الطريق لدعم تمويل المؤسسات الناشئة بالجزائر" تراهن الحكومة الجزائرية على دعم إنشاء المؤسسات الناشئة وأعطت أهمية لموضوع الحاضنات، كما عملت على وضع المسارات الصحيحة لخلق حاضنات أعمال

(37) - عراب زهرة، صديقي خضراء، دور الدولة في دعم المؤسسات الناشئة بالجزائر الجديدة، مجلة حوليات جامعة بشار في العلوم الاقتصادية، المجلد 08، العدد 01، سنة 2021 صفحة 35.

(38) - محمد الأمين، "المؤسسات الناشئة امرأة الجزائر الجديدة"، مقال منشور في موقع <https://elbadilabc-ar.dz>، تاريخ

الإطلاع 2024-04-01، على الساعة 1.00.

(39) - بالشعور شريفة، المرجع السابق، ص 428.

قادرة على احتضان ومرافقة أصحاب المشاريع⁽⁴⁰⁾.

وكنتيجة لهذه الدراسة نقول أنه وبالرغم من الدور الفعال الذي لعبته حاضنات الأعمال في دعم المؤسسات الناشئة إلا أنها لا تزال تواجه العديد من التحديات تتمثل أهمها فيما يلي:

- بعد حاضنات الأعمال عن المناطق الحضرية.
- عدم مطابقة حاضنات الأعمال لنماذج الحاضنات المعمول بها في العالم.
- حداثة ومحدودية فكرة حاضنات الأعمال والشركات.

الخلاصة :

من خلال ما سبق ذكره، يتبين لنا أهمية المؤسسات الناشئة في عالم الأعمال اليوم، والتي تتميز عن باقي المؤسسات بالنظر إلى الدور الذي تلعبه في النهوض بالتنمية المحلية وترقية الاقتصاد، ولقد أصبحت أعمالها عالمية وواسعة الانتشار بفضل الأفكار الإبداعية والمهارات العالية، مما عُدَّ الاهتمام بها أمراً لازماً كقطاع حيوي قوي لتحقيق التنمية، وهو ما أدى إلى دعمها واحتضان أعمالها بفضل وحدات متخصصة تدعى "حاضنات الأعمال" كهيئة ريادة التي يمكن القول بشأنها أن تجربة الجزائر شكلت قفزة نوعية منذ سنة 2010 إلى يومنا هذا، وحققت عدة مؤسسات ناجحة وبراءة الاختراع بفضل دعم الدولة، إلا أنها لم تحظى بالاهتمام الكافي على غرار العديد من الدول النامية، وهذا الأمر يرجع إلى عدة عوامل مرتبطة بالبيئة المناسبة لإقامة العديد من الحاضنات وخلق تكامل ما بينها من أجل المساهمة في توسيع نشاطها بما يخدم المؤسسات الناشئة.

التوصيات:

- 1- ضرورة إدارة مالية رشيدة للمشاريع الجديدة خصوصا في بداية تأسيسها ويجب الاهتمام بالإطارات الخاصة باحتضان الأعمال القادرة على تسيير وإدارة وتوجيه المؤسسات الناشئة.
- 2- التشجيع على التعاون الداخلي والخارجي كي يتمكن رواد الأعمال على التعاون مع الآخرين ومع مشاريع خارجية لتبادل الخبرات والأفكار.
- 3- التركيز على الزبون في الأعمال الناشئة كونه عنصر حيوي لنجاح المشروع.
- 4- ضروري إنشاء المزيد لهذا النوع من المؤسسات وتعزيز الروح الإبداعية والريادية في مختلف المجالات بما يؤهلها للمنافسة المشروعة والمرجحة.
- 5- توفير بيئة تشجيعية ومناسبة لتطوير أصحاب الأفكار الابتكارية والمؤسسات الناشئة على البحث في المجالات التي تهمهم.

⁽⁴⁰⁾ -بوعدلة سارة، "حاضنات الاعمال كالية لدعم وتنمية المؤسسة الناشئة"، Journal of management, organisations and strategy, JMOS.Vol 04, n°1, year2022, p132.

6-إزالة المعوقات التشريعية وإيجاد إطار قانوني مناسب لعمل المؤسسات الناشئة والتي تسمح بتطوير ومرافقة هذه المؤسسات من أجل استمرارها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- النصوص القانونية

1. مرسوم تنفيذي رقم 254/20، مؤرخ في 2020/09/15، المتضمن إنشاء لجنة وطنية لمنح علامة "مؤسسة ناشئة" ومشروع مبتكر "حاضنة أعمال" وتحديد مهامها وتشكيلها وسيرها، ج. ر، عدد 55، صادر في 2020/09/21.
2. مرسوم تنفيذي رقم 78/03، مؤرخ في 2003/02/25، المتضمن القانون الأساسي لمشاتل المؤسسات، ج ر، عدد 13، صادر في 2003/02/26.

ثانياً- الكتب

1. صالح مهدي محسن العامدي، الإدارة والأعمال، دار وائل للنشر، الطبعة الثانية، عمان، 2008.
2. مناور حداد وحازم الخطيب، دراسة ميدانية تهدف إلى دور المشروعات الصغيرة جداً، والصغيرة والمتوسطة في التنمية الاقتصادية، قسم العلوم المالية والمصرفية، كلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة إربد الأهلية، الأردن، 2012.
3. عبد الباسط وفا، مؤسسات رأس المال المخاطر ودورها في تدعيم المشروعات الناشئة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001.

ثالثاً- المذكرات الجامعية

1. محمد سبتي، فعالية رأس المال المخاطر في تمويل المشاريع الناشئة، دراسة حالة المالية الجزائرية الأوروبية للمساهمة Finalp، مذكرة ماجستير في علوم التسيير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008-2009

رابعاً- المقالات والمدخلات العلمية

1. إيثار عبد الهادي ال فيحان، "دور حاضنات الأعمال في تعزيز ريادة المنظمات"، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد 2012.
2. بوالشعور شريفة، "دور حاضنات الأعمال في دعم وتنمية المؤسسات الناشئة"، مجلة البشائر الاقتصادية، المجلد الرابع، العدد 2، سنة 2018.
3. بخيتي علي، "المؤسسات الناشئة، الصغيرة والمتوسطة في الجزائر"، واقع وتحديات، مجلة دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 12 عدد 4 أكتوبر 2020.

4. مصطفى بورنان، علي صولي، "الاستراتيجيات المستخدمة في دعم وتمويل المؤسسات الناشئة"، مجلة دفاتر اقتصادية، المجلد 11، العدد 01، 2020.
 5. عراب زهرة، صديقي خضراء، دور الدولة في دعم المؤسسات الناشئة بالجزائر الجديدة، مجلة حوليات جامعة بشار في العلوم الاقتصادية، المجلد 08، العدد 01، سنة 2021.
 6. سمهان بن لعلام، كريمة بنان، "المؤسسات الناشئة في الجزائر" -الواقع والتحديات وفرص الانطلاق، رقمنة مجلة الدراسات الإعلامية والاقتصادية، المجلد 02، العدد 2 أكتوبر/2022.
 7. بوعدلة سارة، "حاضنات الاعمال كآلية لدعم وتنمية المؤسسة الناشئة"، Journal of management, organisations and strategy, JMOS.Vol 04, n°1, year2022, p132.
 8. - سلطان كريمة مرقيع آمال، "حاضنات الأعمال كآلية لدعم المؤسسات الناشئة بالجزائر"، -العراقل والتحديات، مجلة التكامل الاقتصادي، المجلد 11، العدد 01، عدد خاص، الجزء 1 مارس 2023.
 9. جميلة خديم، علي مكيد، "حاضنات الأعمال التكنولوجية كآلية دعم ومرافقة المؤسسات الناشئة في الجزائر سعيا لتجسيد أهداف التنمية المستدامة"، مجلة الاقتصاد وإدارة الأعمال / المجلد 01 (خاص) مارس 2023.
 10. عماد أبو رضوان، التحديات التي تواجه المشاريع الصغيرة، ملتقى حول متطلبات تأهيل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الشلف، الجزائر، 17، 18 أبريل 2006.
- خامسا-المواقع الإلكترونية
1. محمد ساحلي، معنى الشركة الناشئة، الموقع:
[https://planning/entrepreneurship/academy.hsoub.com:le02/06/2021a 10h40](https://planning/entrepreneurship/academy.hsoub.com:le02/06/2021a%2010h40)
 2. محمد الأمين، "المؤسسات الناشئة مرآة الجزائر الجديدة"، مقال منشور في موقع <https://elbadilabc-ar.dz>، تاريخ الإطلاع 2024-04-01، على الساعة 1.00.

Ouvrages

Tracogna, Andrea ,Entrepreneurship Development: Key
1 Issues & Challenges2009.p05

Abstract :

Over many years, scientists in the field of physics and chemistry have been able to make good progress, making these sciences the standard of accuracy and clarity because of the experimental scientific method. After this, other sciences emerged that focused on different fields of knowledge from the natural science namely the humanities and social sciences, proceeding from the different natural of these sciences from the natural sciences, many problems were raised about the accuracy of these human science, and many different approaches emerges, there are those who have deliberately developed curricula worthy of the nature of these sciences as a way out of the crisis of objectivity in the human sciences, and this is what we discussed in this research topic.

Key words:

Human sciences- Objectivity- Scientific method- Sociology- Media- History

Résumé

Pendant de nombreuses années, les scientifiques dans le domaine de la physique et de la chimie ont pu faire de bons progrès, faisant de ces sciences la norme en termes de précision et de clarté grâce à la méthode scientifique expérimentale. Après cela, d'autres sciences ont émergé, se concentrant sur différents domaines de connaissance des sciences naturelles, à savoir les sciences humaines et sociales, découlant de la nature différente de ces sciences par rapport aux sciences naturelles, de nombreux problèmes ont été soulevés concernant la précision de ces sciences humaines, et de nombreuses approches différentes émergent. Certains ont délibérément développé des programmes dignes de la nature de ces sciences comme solution à la crise de l'objectivité dans les sciences humaines, et c'est ce dont nous avons discuté dans ce sujet de recherche.

Mots clés :

Sciences humaines – Objectivité – Méthode scientifique – Sociologie – Médias – Histoire

Introduction:

The modern era has witnessed numerous developments that have affected many scientific fields. Despite the fact that these developments have primarily impacted the natural, experimental sciences, the humanities have also emerged due to the efforts of many researchers and thinkers, with diverse and varied subjects. Despite the dominance of the positivist trend, which is refused to accept any knowledge outside the strict scientific framework, and despite the difference between the natural and human sciences in terms of subject matter, where physical and chemical sciences study external material facts, while the humanities focus on humans. There is also the subjective self studying the subject matter, making objectivity a difficult matter. Despite this difference in the nature of the two phenomena, many intellectual figures and researchers have worked on attempting to study the human phenomenon as facts following the same method as studying material sciences. However, this has created many problems mainly related to the complex nature of the humanities, which forced many to rethink the methodology used in these sciences. The problem of methodology itself leads to an equally important issue: the scientific validity of the results, or their objectivity. Faced with these difficulties, mainly arising from the complexity of the human phenomenon, some began to speak of an objectivity crisis within the humanities. Some saw it as impossible for these sciences to reach the level of scientific precision, while others rejected studying them objectively based on ethical considerations. Some thinkers defended the understanding approach in the humanities and the possibility of achieving objectivity within this field of knowledge. Therefore, in this research paper, we have chosen models of some thinkers who undertook the task of researching and studying this problem from their own perspectives, based on various materials of the humanities and social sciences, including sociology and media. Thus, we raise the following issue: Have the humanities been able to overcome epistemological obstacles and achieve the same level of precision reached by research in the field of material sciences? Have researchers been able to develop suitable methodologies for studying human phenomena scientifically?

1.Humanities Between Specificity and Rigor of Scientific Methodology

Among the most significant challenges in the field of humanities is the methodology that researchers can employ when studying these phenomena. Methodology refers to the method or series of steps followed to study a phenomenon, Saïd (2004) considers it as "the method followed in this science, which can be discerned by observing and studying it, or the general principles specifying the specificity of the evidence, arguments, and experiments used in this science, as well as the methods and means that can be adopted if

we want to obtain additional information in this science". Since the general goal of science is to reach laws governing phenomena, discussing this becomes more difficult when delving into the realm of "human sciences" which study human behavior that is constantly changing and subject to change under any circumstance. However, some view human phenomena as facts similar to physical or chemical material phenomena, while others acknowledge the difficulty of this and question the scientific nature of human sciences "due to the absence of induction, experimentation, and the relativity of its laws" Aroua et al (1996, p. 184). The positivist school, led by Auguste Comte, Emile Durkheim, and Watson, sees the necessity of abandoning contemplation distant from reality in order to achieve precision and clarity. Prediction, possible in physics for example, is also possible in social sciences with differences in precision rather than principle. Even in natural sciences, there isn't the same degree of precision and clarity, as medicine, for instance, is considered a science yet is not precise due to its reliance on non-methodical inferential processes, whereas psychology provides accurate inferences based on intuitive judgments (Aroua ,1996, p. 185). Given this, we may rightfully ask: can the study of human behavior always be objective? Boukhrissa, (2013 p. 218) states that the discussion of objectivity in humanities is tied to not surpassing the realm of nature; otherwise, they are sciences that do not rise to the level of science, still tainted by the remnants of metaphysics. The naturalistic trend, led by W.V. Quine, asserts that there is no higher truth court than science itself. Thus, there is no need to resort to primary philosophy such as metaphysics or epistemology Moreover, the anti-naturalistic trend emphasizes the importance of distinguishing between the fields of physical and chemical sciences and those of humanities. Some problems arise concerning abandoning emotions and desires during the study of human phenomena, in addition to the interweaving of their causes and appearance factors. If the subject here is the individual and society, these two parties cannot be studied experimentally. There is a dialectical relationship between them; there is continuous interaction between the individual and their society, and the individual cannot exist independently as they must belong to a community. Thus, there are two opposing characteristics of humans: they function in society but are also independent beings with their own relationships and experiences, making understanding others unable to reach the precision of physics or chemistry (Arwa et al, 1996, p. 186). Qansuwa, (2007, p. 57) denotes that, researchers in humanities face clear challenges, as the generalization that distinguishes science and enables the prediction of phenomena becomes difficult in human phenomena. For instance, Snell's law of light refraction applies to all similar phenomena in the universe, but if we want to study the human birth rate in relation to social status in a certain society and at a certain time, it differs from the birth rate in another society or even in the same society at a different time Therefore, discussing objectivity in

humanities has always been a matter of debate, attributed to the different connotations and levels of this concept: there is the axiological connotation (value), which means abandoning all judgments of value, and there is the epistemological connotation, which relates to the relationship between the knowing self and the object of knowledge. There is also the psychological connotation, which studies the effect of psychological factors on shaping knowledge, and the cultural connotation, which relates to human humility about certain standards in the intellectual field and their agreement to abide by them (Ghannouh, 2007, p. 69). There are also several levels in studying objectivity in humanities that can be classified into two basic levels: Firstly, the ontological level, which is related to the position of objectivism and subjectivism and their relation to the existence of independent phenomena outside the researcher's mind. Objectivists insist on the necessity of what is beyond individual subjective experience, while subjectivists only acknowledge the individual's subjective experience including awareness, experience, and feelings. Both agree on the meanings of objectivity in science, but differ on the objectivity related to human and social phenomena. While objectivists see it as explicit observable behavior, subjectivists see it as everything related to understanding, participation, and empathy. The difference here depends on each perspective on human and social phenomena. Secondly, the methodological level, which concerns the extent of bias and bias in studying humans and society and the differences in study methods and approaches (Qansuwa, 2007, p. 70). The subject becomes more complex with the different interpretations and levels of objectivity by scholars and philosophers. Is objectivity in science the same as objectivity in humanities and with the same rigor? However, discussing objectivity in humanities is an acknowledgment of its potentiality and achievability, and this problem can be overcome "through a creative integration of perspectives from the foundation of science and the realization of the scientific project in the study of humans and society" (Qansuwa, 2007, p. 76). Several methodologies have emerged attempting to achieve objectivity in humanities while preserving their specificity and the nature of their subjects.

2. Lucien Goldmann (1913–1970) and the Distinction between Sociology and Natural Sciences

The issue of objectivity in human phenomena has long troubled researchers and thinkers. This led Lucien Goldmann to draw a distinction between sociology and history on one hand, and the physical and chemical sciences on the other. His departure point in this was a strong critique of Emile Durkheim's methodology in sociology. He rejected viewing social phenomena from an external perspective, as mere objects. Goldmann also criticized Durkheim's reliance on the Cartesian method in dealing with social phenomena in order to achieve the precision and accuracy of exact natural sciences. Durkheim

(1988 ,P.96) advocated for a method with strict rules akin to the systematic doubt of Descartes' methodological skepticism, where he laid down the first rule stating "sociology must constantly rid itself of any previous idea, and there is no need to establish a specific proof for this rule." This implies that sociology should avoid any idea based on non-scientific grounds.

The second rule emphasizes the necessity of defining social phenomena and their characteristics. Thus, sociologists must begin by defining the phenomena they study in order for people to know and understand fully the type of issues to be studied. (Durkheim,1988 ,P.96)

However, Goldmann did not believe that sociology could be studied in this reductionist manner, as if it were just another science. He relied on several arguments, the most important of which was his clarification of the differences between scientific study in physics and chemistry and the difficulties preventing the achievement of scientific objectivity in the human sciences. If human behavior is considered a "total phenomenon, Goldmann (1996 ; P. 60) states that" then attempting to separate its material aspects from its intellectual aspects becomes difficult and can distort scientific knowledge. Even if the researcher attempts to reach a comprehensive tangible reality, they will only achieve this partially. What makes objectivity difficult to achieve in the human sciences is that unlike the physical sciences, researchers in the human sciences must strive to avoid any distortion of the phenomenon due to their personal biases or preferences. This is something Durkheim failed to achieve with his method in sociology, where he approached social phenomena as material things.

There is also a significant difference between the working conditions of physicists and chemists and those of sociologists or historians, not in terms of difficulty but in terms of the nature of these conditions. In the field of physical and chemical sciences, there is agreement on the goal, its value, and its nature, i.e., the purpose of research or study. However, in the human sciences, it is connected to human consciousness. Therefore, there is a difference in positions, and there is no complete agreement on the nature of the research goal. Thus, objectivity in the human sciences raises not only the problem of what concerns the individual and their personal consciousness, emotions, cultural inclinations, intellectual and ideological biases but also the orientations and inclinations of social classes themselves. All of this undermines the objective understanding of human phenomena. (Goldmann 1996 ; P. 64).

Goldmann (1996 ; P. 99) considers that, Durkheim's optimistic view of studying social phenomena as a scientific study is a perspective fraught with confusion and ambiguity. In the human sciences, it is not enough, as Durkheim believes, to apply the Cartesian method and doubt acquired facts and be completely open to facts, because the researcher

often faces facts with implicit, unconscious concepts and ideas that hinder the path to objective understanding.

Goldmann concludes with an important insight into this matter, namely, that there is a fundamental difference between the physical and chemical sciences and the human and social sciences. This difference cannot be ignored under any circumstances. The physical and chemical sciences have achieved unity of thought and action and have managed to be completely independent of value judgments, while the social sciences face the problem of the readiness of ideas. They have not been able to free themselves from the dominance of ideology because they are connected to consciousness and to a constantly changing history.

3.Noam Chomsky's Media and Soft Culture

The American thinker Noam Chomsky is considered one of the contemporary thinkers who have shown great interest in the issue of culture shaped by the media today. He has devoted many works to this issue, in which he talks about the influence of the media in shaping our knowledge and culture. Nowadays, technology surrounds contemporary humans from every angle, to the extent that it has become one of the means we rely on entirely to know what is happening around us and in the world.

For Noam Chomsky, the media falls within the realm of humanities and social sciences, which are the fields of knowledge most susceptible to distortion, unlike the exact sciences, which are not subject to any distortion or alteration. Chomsky believes, "There is a big difference between the culture of science and the humanities and social sciences or the media. In the natural sciences, you confront the fact of nature as a very harsh taskmaster. It doesn't let you get away with any nonsense. At least in the highly developed areas of science, it's extremely difficult for error to persist indefinitely" (Chomsky, 1997, p. 143).

Thus, Chomsky believes that in the social and human sciences, evidence and proof are often weak and impossible because these sciences are not amenable to experimentation or direct observation. Therefore, the information and facts presented in this field are flexible and subject to distortion, whether by individuals, organizations, or authority. He talks about the factor of "filtering" or "purification," where the most important media outlets in the world are under the dominance of economic power, meaning the wealthy, and also under the dominance of political power, meaning the rulers. Before being published, information goes through a contractual filter, leaving only suitable remnants for printing. They then establish hypotheses, dialogue principles, and interpretations, defining what is worthy of publication as news in the first place, then interpret the principles and processes to the extent of advertising campaigns (Edward S. Herman, 1994, p. 2).

Chomsky coined the term "soft culture" to refer to the culture formed by media, in contrast to another culture, "hard science culture." Soft culture is subject to content change according to the interest desired to be achieved. Thus, it diminishes the value of social sciences as they become a breeding ground for human whims, and their results are not accurate. This reflects his disdain for knowledge presented through the media, as "it is quite easy to ignore critical analysis and deviate from it. In hard sciences, that would not be conducive to work" (Chomsky, 1997, p. 145).

This raises the problem of objectivity in social and human sciences, especially concerning the field of "media." Can what we rely on today as a source of information be objective, liberated, and independent, not subject to any authority's dominance? Chomsky answers this question by stating that in the field of media, one cannot speak of something called objectivity, as it becomes closer to myth than reality. What is presented as knowledge and ideas are not real and do not reflect practice in reality. He demonstrated its absence by researching the true meaning of the term "balance," as the media always fails to achieve the principle of balance in what it broadcasts. Therefore, the coverage of balance and objectivity becomes a form of sensationalism. He says, "It is clear that these words do not mean anything. What do you mean by the word balanced? What is the appropriate measure of balance? There is no answer to that question" (Chomsky, 1997, p. 146).

With the development of communication methods and the advancement of science, policymakers realized that the use of force and violence as a tool to control the people is no longer effective. "So you must resort to propaganda and logic. In the democratic system, propaganda is like the whips in totalitarian states, and this is wise. Again, do not forget that public interests mislead the confused herd that cannot understand these interests" (Chomsky, Media Control: The Spectacular Achievements of Propaganda, 2005, p. 12).

Chomsky's assertion of the lack of independence of information dissemination sheds light on another fundamental issue where the positions of both Chomsky and Pierre Bourdieu intersect, which is the issue of "control" exercised over the media. This control is imposed on the programs presented as well as on the journalists. The loss of independence, according to Bourdieu, is associated with the restrictions imposed on journalists, program presenters, and also on the participants in these programs. Chomsky goes further than this, acknowledging that the mechanisms of this control are extremely complex. He does not believe that funders impose control on the speaker in the studio, but there is a long process of working on this so that a thinking system is created under which individuals are raised. Thus, they believe they speak freely, as he indicates by saying, "Investors do not go to the studio to make sure that a guest on a talk show or

journalist is saying what they want. There are mechanisms of greater ingenuity and complexity to do that. There is a long filtering process to ensure that people are created through the system to become managers and editors... If they can maintain the values of the owners, then they can say about themselves that they are completely free" (Chomsky, *Secrets, Lies, and Democracy*, 2007, p. 63).

Therefore, achieving objectivity in the media is a distant prospect, especially as the shaping of culture and knowledge is the task of the wealthy. Achieving objectivity in these fields becomes conditional on their independence, as Chomsky says, "Unless the rich and powerful are satisfied, everyone will be punished because they control the primary social pressure mechanisms, and those who decide what is produced and consumed and what dregs seep down to their subjects. So, the primary task of the homeless on the streets is, therefore, to ensure the happy living of the rich in their palaces" (Chomsky, *Hurdles to Democracy: The United States and Democracy*, 2011, p. 426).

4- Wilhelm Dilthey's Approach to Understanding

In the face of this difference or sometimes contradiction in positions regarding the possibility of the humanities being objective sciences, many thinkers have made significant efforts to develop approaches that adapt to the nature of these complex human phenomena. Among the most important of these attempts is Wilhelm Dilthey's approach to understanding:

With the separation of science from philosophy due to the empirical method, various natural sciences emerged, quickly becoming exemplars of precision and clarity. Despite the delayed emergence of the humanities compared to them, they have occupied a considerable position in terms of the results their sciences achieve. However, Dilthey sees the humanities facing two fundamental problems: Firstly, the conception related to their objectives and methodologies, when compared to empirical sciences, still clings to this conception. The second problem is that the continuous progress and development witnessed by the natural sciences have made them a standard and measure of true science, and the humanities are unable to reach this level of advancement (Qansuwa, 2007, p. 168).

Dilthey rejected dealing with the humanities, which he called "spiritual sciences," using the same scientific method that material sciences specialized in, namely the empirical method. Dilthey's project was to formulate a method suitable for the sciences concerned with understanding human expression, social, and artistic... Thus, he regarded this task as an epistemological problem on one hand, requiring a deepening of our conception of historical consciousness on the other hand, and reflecting the need to understand expressions that stem from life itself on a third hand (Mustafa, 2008, p. 118).

Dilthey rejected a metaphysical interpretation of human behavior, for the problem for him is epistemological, not metaphysical. If Kant wrote "Critique of Pure Reason," in which he presented the epistemological foundations of the sciences, Dilthey wrote "Critique of Historical Reason" in order to establish epistemological foundations for the humanities. Dilthey admired Kant's statements in time and place, but he believes they are not sufficient to understand the inner life of humans. Likewise, feeling alone is not sufficient to understand the internal historical character of human self. In this regard, he says: It is not through intuition, but through history alone that we come to understand ourselves (Mustafa, 2008, p. 119).

The problem of understanding the human, i.e., human behavior, which the humanities are concerned with according to Dilthey, is a problem related to understanding human consciousness in its history, that is, the history of human existence. This cannot be achieved through the mechanical interpretations put forward by scientists, which do not suit human behavior or consciousness. Also, human behavior cannot be reduced to the causal statements that suit more external solid things, for understanding the meaning of human life is achieved only through understanding its past and anticipating its future, i.e., consciousness of human history. From this, Dilthey formulated a theory in the humanities according to his own "philosophy of life" context, and this theory was associated with the efforts of three philosophers: Nietzsche, Bergson, and Dilthey. This theory came against any abstract mental tendency and against any theory that would ignore the internal life of humans, a theory that seeks to eliminate the external false understanding of humans, because the word "life" in this theory refers to the internal human powers. On this basis, Dilthey rejected intellectual theories with a causal orientation as well as a naturalistic tendency regarding the understanding of the internal life of humans and their internal experience because these aspects of human life, if we want to understand them, we must know that human internal life is formed by: knowledge, feeling, and will, which are moral components that cannot be subject to the high or mechanical interpretation that distinguishes empirical sciences like physics and chemistry. Also, attempting to incorporate statements from the "Critique of Pure Reason" and applying them to human behavior is unacceptable because they are static statements that do not keep pace with time, while human life is understood through different temporal dimensions (Mustafa, 2008, pp. 120–121).

The subject of the humanities is human life, and understanding this life does not come from conditions external to it but from within it, where Dilthey says: "The knowing self built by Locke, Hume, and Kant 'does not have real blood flowing in its veins' because all of these reduce the scope of human knowledge and make it limited to the realm of perception separately from feeling and will, and perception alone is not sufficient to

understand the circumstances and contexts in which human behavior is formed. Here, Dilthey focused on the "lived experience" of humans in the past, present, and future (Mustafa, 2008, p. 122).

5- Dilthey and the Distinction Between Natural Sciences and Spiritual (Human) Sciences

Dilthey believes that the human sciences, which he calls spiritual sciences, differ from the natural sciences, so they must have models for interpreting human phenomena. They must depart from the lived internal experience, based on "meaning" rather than "force," based on "history" rather than "mathematics." This fundamental difference between spiritual sciences and natural sciences must be taken seriously, as the methodologies of natural sciences are incapable of understanding humans. Especially since Dilthey emphasizes that there is something available in spiritual sciences that is not found in natural sciences, which is the possibility of understanding the internal experience of another person when a human understands another human being. Dilthey took a lot from the thinker Giambattista Vico regarding the study of human nature. Vico was one of Descartes' staunchest opponents. He believed it was impossible to subject human nature to scientific methodologies specific to empirical sciences because this requires studying humans as if studying stones, plants, and trees. But we humans have something unique to us alone, which is the ability to see from within, i.e., internal vision. Hence, Vico focused on the necessity of understanding human nature through the analysis of language, myth, and rituals (Mustafa, 2008, p. 124-125).

The possibility of understanding the internal experience of another person is experiencing the internal experience of another person, and thus humans have a common world, which is the world of internal moral commands, and access to this world is not achieved through intuition but through understanding expressions of life and interpreting the imprint of humans on phenomena and decoding them. What is essential in Dilthey's method is "understanding," while "explanation" is the goal of science. If the scientist's task is to explain nature, then the researcher in human studies must understand expressions of life, and human studies must attempt to formulate a method of understanding that goes beyond the reductionist objectivity that distinguishes science and returns to life, to human internal experience (Mustafa, 2008, p. 127-128)

Conclusion

In conclusion, it can be said that the problem of objectivity in the humanities continues to impose itself on researchers in the field of human phenomena. While natural sciences are always regarded as exemplars of scientific precision and rigor, capable of extracting scientific laws and predicting phenomena before they occur, the humanities are often seen as soft sciences prone to manipulation and distortion, especially considering the researcher's relationship with the subject studied and the difficulty of relinquishing the researcher's subjectivity with its emotions, biases, and inclinations. However, Gaston Bachelard concludes in his book "The Formation of the Scientific Mind" to a different result, indicating that denying objectivity in the humanities results from a hasty view of the subject that occurs when we place human and natural studies on the same scale. When we study nature, we face a subject that does not rejoice in our joys or care about our pains, and the separation between the self and the subject enables us to achieve the highest levels of objectivity. Whereas in the field of humanities, we study similarities and kinships, and here empathy is the basis of the approach. On the one hand, in the humanities, we can speak of determinism, but it is not of the same kind as determinism in natural sciences because we are dealing with two different fields. Determinism, as Bachelard says, is "contextual," meaning it adopts the nature of its field and its cognitive system. This has prompted many philosophers and thinkers to consider the necessity of finding suitable methodologies for human phenomena, taking into account their nature and fundamental differences from natural sciences. Lucien Goldmann went so far as to argue that this difference between human phenomena and natural sciences hinders achieving objectivity in the humanities. As for the American thinker Noam Chomsky, he saw the humanities and social sciences as fertile ground for subjectivity, distorting facts, and shaping distinct cultures, with the media being his model in this regard. However, Wilhelm Dilthey believes that the way out of the crisis of achieving objectivity in the humanities is to find a new method based on "understanding" rather than "explanation" because the humanities differ fundamentally from natural sciences. This makes it impossible to subject a human phenomenon to a method specific to natural sciences. Thus, his project focused on understanding life, not neglecting the historical aspect of understanding, and strongly criticized attempts to incorporate the empirical method into the humanities.

References

- Adel Mustafa: 2007 "Understanding Understanding: Introduction to Hermeneutics, Interpretation Theory from Plato to Gadamer", Vision for Publishing and Distribution, Cairo, 1st edition.
- Ahmed Aroua et al.: 1996 "Methodological Issues in Islamic and Social Sciences", edited by Nasr Mohammed Aref, International Institute of Islamic Thought, Cairo, 1st edition.
- Boukber Boukhirissa: 2013. "Fundamental Thought Trends in the Humanities", Publications of Al-Ikhtilaf, Algeria, Publications of Dafaf Lebanon, 1st edition
- Emile Durkheim: 1988 "Rules of Method in Sociology", translated by Mahmoud Qasim and Sayed Mohammed Badawi, Dar Al-Ma'arif Al-Jami'ah, Alexandria.
- Lucien Goldman: 1996 "Humanities and Philosophy", translated by Youssef Al-Antaki, Supreme Council of Culture, National Translation Council.
- Noam Chomsky: 2005. "Control of the Media: The Tremendous Achievements of Propaganda", translated by Ameema Abdul Latif, Al-Shorouk International Library, Cairo, 2nd edition,
- Noam Chomsky: 2011 "Disabling Democracy: The United States and Democracy", Center for Arab Unity Studies, Beirut, Lebanon, 3rd edition.
- Noam Chomsky: 1997 "Manufacturing Consent: Dialogues He Held with David Barsamian", translated by Haitham Ali Hajazi, Al-Ahliyya for Publishing and Distribution, Hashemite Kingdom of Jordan, Amman, 1st edition,.
- Noam Chomsky2007: "Secrets and Lies of Democracy", translated by Sarkoun Barkho, Dar Al-Yanabee', Syria, 1st edition,.
- Pierre Bourdieu: 2004"Television and Mechanisms of Manipulating Minds", translated by Drouj El-Hallouji, Dar Kana'an for Studies, Publishing, and Media Services, Damascus, 1st edition.
- Salah Qansuwa: 2007. "Objectivity in the Humanities: A Critical Review of Research Methods", Dar Al-Tanweer for Printing, Publishing, and Distribution.

- ملخص :

حاول كثير من الباحثين في المجال الأمني والاقتصادي والاجتماعي والسياسي تحديد مداخل نظرية لدراسة قضية التنمية، ولوحظ أنه هناك صعوبة وعدم اتفاق بين المفكرين في ضبط وتحديد مداخل جوهرية في دراسة قضية التنمية وذلك لعدة اعتبارات.

ويرجع البعض تصور هذه المداخل أو تجزئتها، من حيث نظرتها إلى التنمية في الوقت الحاضر وذلك بالنظر إلى الماضي، فمن الملاحظ أنه في الماضي كان هناك بساطة في الاختيار وفي وضع نموذج يمكن الاعتماد عليه للتنمية، حيث كانت معظم تغيرات ومؤشرات التنمية سهلة التحديد، أما الآن فقد أصبحت هناك صعوبة في وجود قياس محدود وله دلالة للتنمية، كما أنه قد لا تكون هناك موافقة (تصديق) فيما يتعلق بوجود مداخل عامة للتنمية .

ونحن في مداخلتنا هذه نحاول أن نلقي نظرة سريعة ومختصرة حول نوعية المتغيرات الرئيسية التي تتعامل مع التنمية وكيف يمكن تكامل فيما بينها وما بين هذه المداخل.

الكلمات المفتاحية: التنمية، النظرية، المداخل النظرية للتنمية.

1- مقدمة:

أدى الاهتمام السوسيولوجي الكبير بموضوع التنمية إلى ميلاد مجموعة من النظريات السوسيولوجية و المقاربات المعرفية . وتدخل هذه المقاربات في إطار النظريات وأحيانا الاتجاهات السوسيولوجية الكبرى، حيث يسجل تعددا كبيرا في قضايا تلك النظريات وفي مضامينها مما يصعب من تناولها كاملة، خاصة وان كل نظرية ترتبط بالسياق الثقافي والتاريخي والسياسي للمجتمع الذي وجدت فيه، ما جعل من هذه القضية تتخذ مسارات نظرية وإمبريقية متباينة وفي بعض الأحيان متناقضة.

إن أي شكل من أشكال التنظير والتفكير ما هو إلا انعكاس لواقع بنائي معين بما يكتنفه هذا الواقع من تيارات إيديولوجية، وعليه ظهرت رؤى نقدية تحاول تغيير واقع مجتمعاتنا والاقتراب منها أكثر، حيث شهدت أواخر القرن العشرين نموا ملحوظا في دراسات التنمية التي تنطلق من فهم الابعاد التاريخية والخصوصية لأي مجتمع من مجتمعات البلدان النامية المختلفة، وفي هذا السياق دعا عدد من الباحثين إلى ضرورة تأسيس علم اجتماع البلدان النامية.

وان من أهم وظائف علم الاجتماع، دراسة المشكلات المجتمعية بهدف الوصول إلى مسببات هذه المشاكل واكتشاف بذلك أليات ووسائل علاجها، ولذلك يرى علماء الاجتماع أن البلاد النامية أكثر حاجة من غيرها إلى برامج تنمية اجتماعية واقتصادية، ولذلك فالتنمية لا تهتم بجانب واحد فقط، وإنما عملية شاملة لكل المجالات الحياتية، اجتماعية ، اقتصادية ، بشرية ، تربوية ، سياسية ، امنية ، بيئية...، فتحدث فيها تغييرات كمية وكيفية عميقة وشاملة.

وسنحاول من خلال هذه المداخلة العرض لبعض نظريات التنمية واهم المؤشرات التي تعتمد عليها في برامجها التنموية.

2- تحديد المفاهيم:

أولا- التنمية: تعريف الأمم المتحدة للتنمية" التنمية مجموعة الوسائل والطرق التي تستخدم بقصد توحيد جهود الأهالي مع السلطات العامة، من أجل تحسين مستوى الحياة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات القومية والمحلية، وإخراج هذه المجتمعات من عزلتها لتشارك إيجابيا في الحياة القومية، كما تساهم في تقدم البلاد".

ويرى محمود الكروي: " ان التنمية هدف عام وشامل لعملية ديناميكية تحدث في المجتمع وتتجلى مظاهرها في تلك السلسلة من التغييرات البنائية والوظيفية التي تصيب مكونات المجتمع وتعتمد هذه العملية على التحكم في حجم ونوعية الموارد المادية والبشرية المتاحة للوصول بها إلى أقصى استغلال ممكن، في أقصر فترة مستطاعه وذلك بهدف تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة للغالبية العظمى من أفراد المجتمع.

ويتحدد مفهوم التنمية في جانبين هما:

- الجانب الأول: يتصل بالتخطيط والبرمجة وتطبيق الأساليب العلمية أو التقنية في مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية... الخ

- الجانب الثاني عقائدي أو ايدولوجي أو قيمي أو أخلاقي يتصل بمنضومات التنمية وأهدافها وتوظيف نتائجها وصورة المجتمع التي تسعى برامج التنمية تحقيقه وتصور الانسان من حيث قيمه ودوره في المجتمع، وضوابط التي يجب الالتزام بها خلال مسيرة التنفيذ والتنمية... الخ¹

ثانياً- النظرية: استخدم مفهوم النظرية للمرة الأولى في الفلسفة اليونانية للإشارة إلى المصطلحات والمفاهيم التي تخالف التطبيقات العملية الواقعية، واعتبر الفيلسوف اليوناني **ارسطو** أول من اعتمد هذا المفهوم للتفريق بين الحقائق المطبقة فعلياً والنظريات الفكرية أي الأفكار المجردة أو الأفكار غير العملية. ثم أصبح مصطلح النظرية من المصطلحات المعرفية التي تستخدم في العديد من المجالات، وفي القرن السادس عشر للميلاد أصبح مفهوم النظرية يستخدم أكثر للدلالة على العديد من أنواع الدراسات التي اعتمدت على مصادر ومراجع موثوقة، والقابلة للتطبيق والتفسير، والتي من الممكن تطبيقها في المجال الخاص بها، وساهمت في تحقيق إضافات علمية متطورة في مجموعة من المجالات الدراسية العلمية.

اذن النظرية عبارة عن أبحاث ودراسات ورؤى وتجارب وأفكار وقوانين... كل ما توصل إليه الباحثون في مجال ما. أي هي مجموعة من التصورات والأفكار التي يمكن اخضاعها للتجربة لاستخلاص قوانين ومبادئ تفسر الظاهرة العلمية.

3- المداخل النظرية للتنمية:

3-1 المدخل السياسي:

عرض له بعض العلماء المهتمين بربط التنمية بالسياسة ومنهم: **Almond Coleman** حيث ذكروا أنه يمكن قياس التنمية من خلال التعرف على بعض المؤشرات السياسية، وذلك من خلال تحليل الأنساق السياسية في المجتمع، ولقد ذكروا بعض الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في التحليل وتتصل بالوظائف الخاصة بالنسق السياسي مثل: وظيفة الاتصال، الوظيفة الديكتاتورية، الوظيفة الاجتماعية السياسية، طبيعة المؤسسات السياسية في المجتمع الاهتمامات الواضحة والمنظمة للمؤسسات، وقد أشار **Almond** إلى ثلاثة أبعاد للتنمية السياسية هي:

¹ - **طلعت مصطفى السيرجي**، التنمية الاجتماعية المثل والواقع، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، جامعة حلوان، مصر، 2001، ص16، 17

– **الكفاية:** ويستدل عليها من خلال الانجازات أكثر من الوعود والتشريعات والقوانين غير الشخصية أكثر من الأمور الشخصية.

– **الطاعة:** ويستدل عليها من خلال ترشيد المؤسسات والإدارة أو زيادة القدرات الفعلية للنسق السياسي.

– **المفاضلة (التمييز):** ويستدل عليها من خلال التكامل القومي ما بين الإدارة والبناء السياسي.

كما ركز **Organski** على التكامل القومي وفاعلية الحكومات في تحسين الموارد الإنسانية والمادية والسياسية لتحقيق الأهداف.

ولقد أجرى عدة أبحاث للمقارنة بين النواحي الثقافية والقومية وعلاقة البناء السياسي بالتنمية واستخلص منها أن هناك تأثير متبادل بين الأطر السياسية في المجتمع وبرامج التنمية.

كما أشار كل من **موريس وأدولمان** إلى أهمية المشاركة السياسية واعتبروها أحد العناصر الأساسية للتنمية ويتضمن ذلك عددا من المتغيرات تتصل بدرجات المشاركة ونوعية المشاركة وحجم المشاركة، نوعية الموضوعات المطالب المشاركة فيها، وقت المشاركة، النظم السائدة في المجتمع، المؤسسات التي تتعامل مع المشاركين.

كما لوحظ أن التنظيم السياسي له دور في تعبئة الجماهير لعملية التنمية بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية، وذلك من خلال خلق الوعي الإنمائي وترسيخه ونقل السلطة إلى الفئات ذات المصلحة الأساسية في التنمية.

ولقد أبرزت نتائج دراسة جاري هوستن **Gary Hosten** في فنزويلا "أن بناء القوة السياسية في المجتمع له تأثير على برامج التنمية ومعدلات المشاركة في المجتمع، حيث لوحظ أن مشاركة القادة في شؤون المجتمع تتباين حسب مدى ملائمة القضية لمجالات وتأثير هؤلاء، ولقد تحددت مجالات المشاركة في مشروع توليد الكهرباء مصنع لتعليب اللحوم، وقد استخدمت المشاركة والحديث مع الناس حول المشروع الأول، بينما استخدمت المفاوضات للحصول على القروض اللازمة في المشروع الثاني، وبصفة عامة، أبرزت هذه الدراسة أهمية القيادة السياسية (بناء القوة في المجتمع) في دفع عمليات التنمية في المجتمع لأنها هي التي تملك سلطة صنع واتخاذ القرار².

3-2- المداخل الاجتماعي (ويسمى بمدخل القيمة والاتجاه التربوي للتنمية): لقد لوحظ، أن مستويات المعيشة والمؤشرات الاجتماعية لها دور هام في سياسة التنمية، ولقد أشار تقدير الأمم المتحدة إلى بعض المؤشرات الرئيسية لقياس مستويات المعيشة (الصحة، السكن، اللبس، الاستهلاك الغذائي، التعليم، العمالة

²رشاد أحمد عبد اللطيف، التنمية الاجتماعية في إطار مهنة الخدمة الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر، ط1، الاسكندرية، 2007، ص-ص 108، 109.

والضمان الاجتماعي) مع الأخذ في الاعتبار لما يتعلق بظروف المجتمع وأحواله، والتي تتضمن أيضا (الاستهلاك الكلي، المدخرات، وسائل النقل والاتصالات) حيث يمكن اعتبارها مؤشرات ويمكن عمل مؤشرات نوعية لها لقياس جوانب التنمية الاجتماعية.

كما يركز هذا المدخل على عملية التنمية البشرية (التنمية الاجتماعية)، والذي أشار إليه روس Ross تحت عنوان العملية **Process** ولقد عبر عنه كاري تحت عنوان: "مدخل العمل المجتمعي المتكامل" كما عبر عنه ساندروز ب "مدخل العملية والمنهج والنشاط"، ولقد أثبتت دراسات الخدمة الاجتماعية النظرية والتطبيقية وكذلك دراسات علم اجتماع التنمية أن الجوانب الإنسانية أو البشرية أو الاجتماعية لها دور كبير في نجاح أو إخفاق التنمية الاقتصادية وقد أثبتت الدراسات أن عدم مرونة البناء الاجتماعي، والنظم الاجتماعية والحراك الاجتماعي وشيوع أنماط من العادات والتقاليد والمعتقدات الخرافية وخاصة تلك التي تكسب الأفراد سمات الخنوع والاستسلام وعدم الرغبة في بذل أي مجهود من أجل تحسين مستوى المعيشة.

بالإضافة إلى عمليات الصراع والخلافات كل هذه العوامل تقضي على خطط التنمية في مهدها. ومن هنا تركز العملية **process** على تنمية ديناميات التفاعل الداخلي في اتجاه يحقق القضاء على اللامبالاة والسلبية لدى أفراد المجتمع والعمل على زيادة مشاركتهم الإيجابية في توجيه مسارات مجتمعهم، أي أن هدف العملية هو تحويل أبناء المجتمع إلى عناصر إيجابية في الموقف الإنمائي كما يركز هذا المدخل بصفة أساسية على المشاركة ويعتبر من رواده هذا الاتجاه Ross وكذلك وليم إيفان W.Evan الذي حدد ثلاث أبعاد للمشاركة المجتمعية وهي:

- المشاركة في اتخاذ القرارات.
- المشاركة في الأنشطة.
- المشاركة في قيم التنمية³.

ولقد لوحظ أن هناك محركات أخرى متصلة بالتنمية الاجتماعية تتعلق بنوعية العلاقات الاجتماعية السائدة من تعاون أو صراع أو تنافس، طبيعة المشكلات الاجتماعية، المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية، حق تقرير المصير... إلخ.

كما أكد تقرير للأمم المتحدة عام 1971 م ما سبق ذكره، حيث أشار إلى أن الإستراتيجية العالمية للتنمية تتضمن كلا من العوامل التي تدفع وتحرك التنمية، كذلك النتائج الخاصة بالتنمية، ورأى أن (التعليم، الصحة والغذاء والسكن والرعاية الاجتماعية). كلها تعتبر محركات لقياس التنمية⁴.

³ رشاد أحمد عبد اللطيف: المرجع السابق، ص 96.

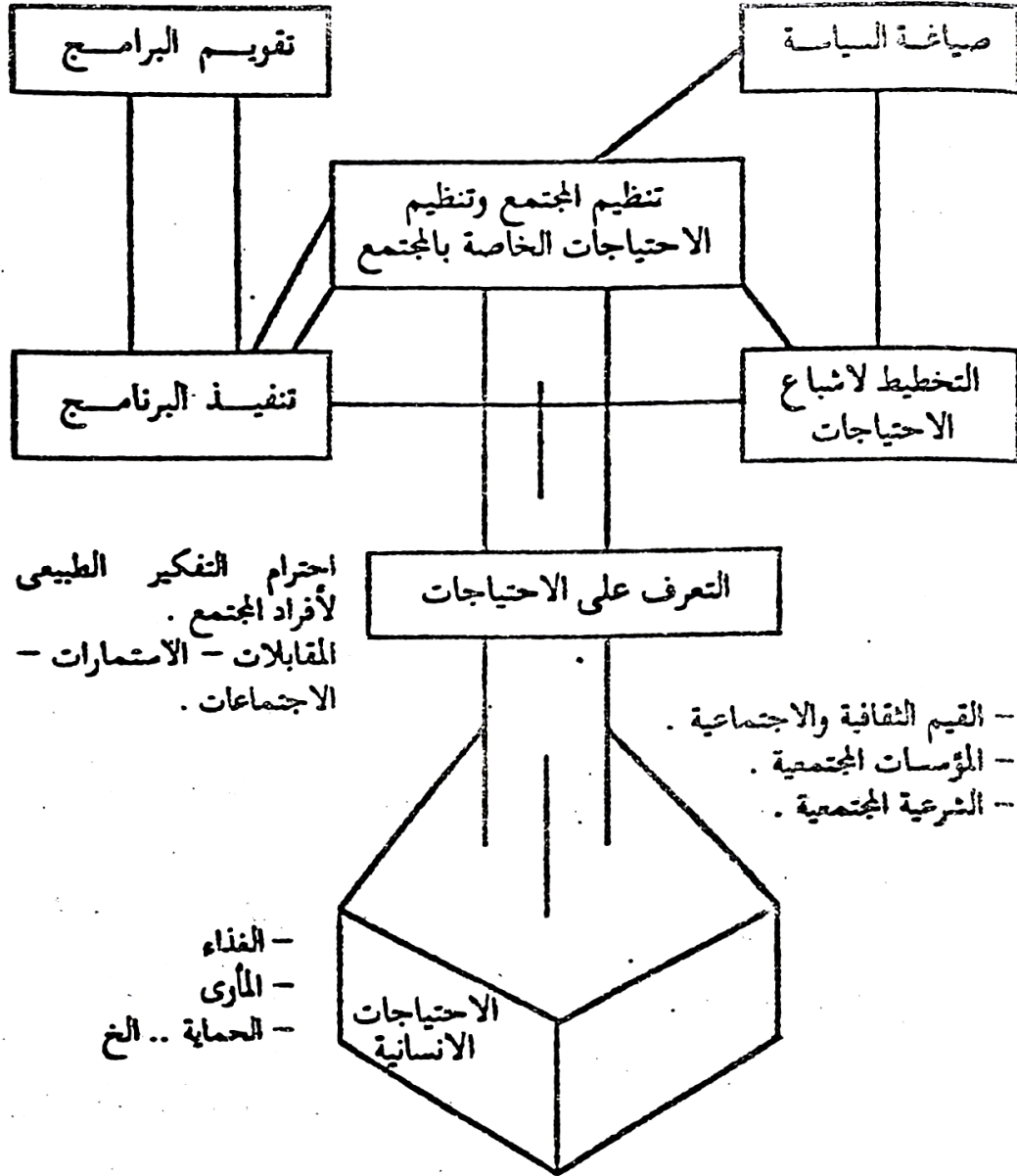
⁴ رشاد أحمد عبد اللطيف، المرجع نفسه، ص 97.

ولقد ربط كل من رامس وجوهن جونز ramss pandy and johne-ج ما بين التنمية وسياسة المجتمع في التعرف على الاحتياجات المجتمعية، حيث يرون أن التنمية عبارة عن عملية يمكن من خلالها إحداث تغيير مخطط وهادف في المجتمع ومؤسساته واحتياجاته، وأنها عملية يمكن من خلالها التوصل إلى أحسن الطرق والوسائل التي تشبع الاحتياجات الإنسانية. كما يمكن من خلالها التنسيق مما بين الاحتياجات والسياسة الاجتماعية وبرامج الرعاية الاجتماعية، ويرون أن التغيير المخطط يعني أن تنمية المجتمع تقوم على العناصر الآتية:

- المدخل الاجتماعي لإشباع الاحتياجات.
- إحداث تغيير في المؤسسات، الأنظمة، السياسات، البرامج والأدوار الاجتماعية.
- وهذا التغيير من شأنه أن يسعى إلى تحقيق رغبات المجتمع وتوقعاته أكثر من تركيزه على الأفراد.
- ويوضح الشكل التالي: عملية التنمية والتي تبدأ من تحديد الاحتياجات الإنسانية، والتعرف على القيم التي ينبغي استخدامها لحث عملية التغيير وإعطائها صفة الشرعية، ومن أهم هذه القيم: القيم الإنسانية والديمقراطية، والتي تعتبر من أهم الأسس التي تعتمد عليها ممارسات الخدمة الاجتماعية.
- لذلك تعتمد تنمية المجتمع على الاحتياجات لأنه من خلالها يمكن عمل الآتي:
- إحداث التنسيق ما بين السياسات والتخطيط على المستوى المحلي والإقليمي والقومي.
- مساعدة الجماعات الطبيعية على تنظيم نفسها لتصبح أكثر قدرة على تحديد احتياجاتها، وذلك من خلال بناء بيروقراطي قادر على تحديد الاحتياجات، وإيجاد الروابط ما بين احتياجات المجتمع والسياسة الاجتماعية ويوضح الشكل التالي التفاعل ما بين: تحديد الاحتياجات، تنظيم الناس وصنع السياسة، التخطيط، تنفيذ البرامج، التقويم، مما يؤدي في النهاية إلى مواجهة احتياجات المجتمع والانتقال به إلى وضع أفضل على أن يشارك أهالي المجتمع في كل الخطوات⁵.

⁵ المرجع نفسه، ص 98،

الشكل رقم (01): يمثل تحديد الاحتياجات وعلاقتها بصياغة السياسة وتنفيذ البرامج التنموية



المصدر: رشاد أحمد عبد اللطيف، التنمية الاجتماعية، المرجع السابق، ص 99.

يوضح الشكل أن البداية الحقيقية للتنمية تبدأ بالاحتياجات الإنسانية والتي تتمثل في الغذاء-
المأوى-الحماية... إلخ وقد تكون هذه الاحتياجات صريحة ومعروفة، وقد تكون غير معروفة ومحتاجة إلى
عمليات استشارة للتعرف عليها وهناك احتياجات يمكن تأجيل إشباعها واحتياجات لا يمكن تأجيلها.
- ولذلك لابد من التعرف عليها في إطار البنيان الثقافي والاجتماعي للمجتمع وضرورة تنظيم سكان
المجتمع لتحرك نحو إشباع احتياجاتهم.

- أن تصاغ السياسة في ضوء هذه الاحتياجات، ويتم وضع الخطط معتمدين على تشبع هذه الاحتياجات ثم إجراء عملية التقويم.

- كما أشار **Deutsch** إلى بعض المؤشرات الدالة على التنمية، ورأى أنها تتمثل في الحراك الاجتماعي كمؤشر أساسي يتفرع عنه مجموعة من المؤشرات الرئيسية الأخرى للتنمية مثل المشاركة في الانتخابات، إحلال الوظائف المهنية بدلا من الزراعة⁶.

وفي إطار ذلك، نرى أن دراسة المتغيرات (المؤشرات) الاجتماعية تعد مطلبا حيويا لتهيئة المناخ المناسب لتحقيق التنمية، ولقد اهتم عدد من المتخصصين في العلوم الاجتماعية، وكذلك عدد من الهيئات الدولية بتعريف التنمية الاجتماعية، حيث عرفها بأنها "عملية توافق اجتماعي، أو بأنها تنمية طاقة الفرد إلى أقصى حد مستطاع، أو بأنها إشباع الحاجات الاجتماعية للإنسان، أو الوصول بالفرد لمستوى معين من المعيشة أو عملية تغيير موجه يتحقق عن طريقها إشباع احتياجات الأفراد"⁷.

وقد أكدت دراسات الأمم المتحدة على أهمية العامل البشري في التنمية، حيث تؤكد أن التقدم الاقتصادي في الدول النامية يستند في الجزء الأكبر منه على الاستثمار البشري وليس على رأس المال، على أساس أن توسيع آفاق الإنسان من خلال برامج التثقيف ورفع كفاياته المهنية، من خلال برامج التعليم والتدريب وتحسين درجة حيويته من خلال برامج الرعاية الطبية... إلخ تعد العامل الأساسي في تحقيق التقدم الاجتماعي⁸.

كما يلاحظ من جانب آخر إذا كان التقدم التكنولوجي قد ساعد كثيرا في التغلب على معوقات النشاطات الاجتماعية للعمل بكفاءة بما أتته الوسائل التكنولوجية بمستحدثات العلم في هذا المجال، فإن عوامل الثقافة من قيم ومعايير ومعتقدات وغيرها، وما زالت تمثل عائقا رئيسيا في هذا المجال (مجال التنمية)⁹. وتشير كثر من دراسات وتقارير المنظمة الدولية للأمم المتحدة إلى أن هدف برامج التنمية الاجتماعية، هو تحقيق الظروف السابقة للنمو الاقتصادي أو تهيئة المناخ المادي وتقديم مختلف التسهيلات الإنمائية اللازمة، على أن المعيار النهائي لفعالية البرامج يتمثل في مدى إسهامها في تنمية قدرات الأهالي على التخطيط والتنظيم والمفاضلة بين أولويات وتنفيذ الخطة واستمرار هذه العملية¹⁰.

كما يمكن توصيف عملية تنمية المجتمع على أساس أنها عملية تربوية وهذا هو الجانب التالي للمدخل الاجتماعي للتنمية.

⁶ رشاد أحمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص100.

⁷ عبد الباسط حسن، التنمية الاجتماعية، مكتبة هومة، ط2، القاهرة، 1977، ص95.

⁸ U.N community développement and national développement 1963، P12.

⁹ أحمد كمال أحمد، مناهج الخدمة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص251.

¹⁰ نبيل السمالوطي: علم اجتماع التنمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1987، ص101.

والذي يؤكد ما سبق ذكره، ويضيف أولية أن تنمية المجتمع في نهاية الأمر عبارة عن مجموعة من الإجراءات لتطوير الاتجاهات الاجتماعية لدى الأهالي وتشجيعهم على تقبل الأفكار الجديدة واكتساب المعلومات النافعة والمهارات العملية بالنسبة للأفراد والجماعات، حيث يعتبر جوهر التنمية هو الوصول بالمواطنين (سكان المجتمع) إلى القدرة على تحليل المواقف ومواجهة المشكلات والرغبة في العمل المشترك والارتفاع بمستوى الطموح. بما يحقق اعتماد المجتمع على نفسه في حل مشكلاته، وهو الهدف النهائي لبرامج التنمية، ويقوم هذا المدخل على فلسفة تعليم الكبار، ومحو الأمية، ولقد ساد هذا الاتجاه حتى عام 1955م، في الدوائر العالمية المتبنية لحركة الإصلاح الريفي والإرشاد الزراعي في أمريكا، وحركة مدارس المجتمع في القبلين¹¹.

ويشترك هذا الجانب مع العملية **process** في تركيزه على المشاركة مشاركة سكان المجتمع بصورة فعالة في كل النواحي الاقتصادية والاجتماعية، والخدمة الاجتماعية في إطار هذا المدخل تهدف إلى تنظيم أعداد كبيرة من المواطنين لتوفير خدمات ملحة بالاعتماد على جهودهم الذاتية أو بمحاولة الحصول على موارد لتوفير الخدمات من متخذي القرارات السياسية في المجتمع¹².

وفي إطار ما سبق عرضه في هذا المدخل نجد أنه يركز على المؤشرات التالية:

- ✓ المشاركة بكل صورها.
- ✓ التعاون بين أفراد المجتمع.
- ✓ سعي أفراد المجتمع إلى توفير خدمات جيدة.
- ✓ تحسين مستوى الخدمات القائمة في المجتمع.
- ✓ الرغبة في بذل الجهد وتنمية الجهود الذاتية.
- ✓ الحرية بكل صورها وبما يتفق وقيم المجتمع.
- ✓ الحراك الاجتماعي.
- ✓ الانتماء للمجتمع.
- ✓ توفير خدمات الإسكان، التعليم، المأكل، الملبس... إلخ¹³.

3-3- المدخل الاقتصادي للتنمية: ومن الجدير بالذكر أن الاقتصاديون استطاعوا تنمية عدد من النماذج الاقتصادية للتنمية أكثر وضوحاً من النماذج الاجتماعية، حيث أنها تتضمن بعض المتغيرات مثل (الدخل، الاستهلاك، المدخرات، أوجه الإنفاق، الإنتاج، التجارة الداخلية والخارجية... إلخ).

¹¹ نبيل السمالوطي: المرجع السابق، 1987، ص124-125.

¹² عبد الحليم رضا عبد العال، الخدمة الاجتماعية المعاصرة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986، ص250.

¹³ رشاد عبد اللطيف: المرجع السابق، ص101-102.

كما يلاحظ أن هناك اتفاق حول هذه المؤشرات الاقتصادية للتنمية، ومثال ذلك وضع مستويات للنمو الاقتصادي مثلاً. كأن يقال أن مستوى الإنتاج القومي 100% أو 50% أو 25% وكذلك يقال نمو المدخرات المخصصة للإنتاج 100% أو 50% أو 25%... إلخ.

ولقد ناقش **Samits** في كتابه عن "إنتاج البضائع والخدمات"، طريقة جديدة لقياس وخدمات النمو الاقتصادي، وهي تحتوي على جانبين أحدهما يمثل الحد الأعلى للتنمية **Upward** ويمثل الإنتاج وكفايته وتحقيق العدالة، ويشمل الجانب الثاني الحد الأدنى للتنمية **Downward**، ويستهدف التعرف على التناقض ما بين إنتاج السوق وما يدفع نتيجة التحضر والتنمية، وما يدفع للمواطنين من مرتبات مقابل أعمالهم، وكذلك الإنفاق الحكومي.

ولقد أشار **Rodan Resenstein** في مقال له عن المحاكات التي تستخدم لتقييم التنمية إلى بعض الملاحظات المتعلقة بطبيعة التنمية والبناء الاقتصادي في المجتمع، وكيفية تحريك المدخرات والاستفادة من القروض الأجنبية في عمليات التنمية¹⁴.

ولكن لوحظ أن هذه المقالة لم تبرز الترابط ما بين المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على اعتبار أن مستويات المعيشة والمؤشرات الاجتماعية لها دور هام في عمليات التنمية الاقتصادية. ومن المدارس الاقتصادية التي تدخل تحت هذا المدخل: مدرسة التطبيع الريفي وتطوير الإنتاج الزراعي والصناعات الصغيرة، وقد لوحظ أن الفلسفة الأساسية لهذا المدخل تركز على أن تحسين الظروف الاقتصادية يعتبر الأساس لكافة المتغيرات الأخرى في المجتمع¹⁵.

ويحاول العلماء الذين تبناوا هذا المدخل معالجة قضية التنمية من خلال مفاهيم متعددة مثل: الدخل القومي، متوسط دخل الفرد، والمقارنة بين الدول النامية والمتقدمة على أساس ذلك، وبالتالي يرون أن مسيرة التنمية في تلك الدول النامية ينبغي أن تكون مماثلة لمسيرة التنمية في الدول المتقدمة، ويرون أن التنمية الاقتصادية تعني تلك السياسات المقصودة والمخططة، والتي تستهدف إقامة وتدعيم هيكل اقتصادي جديد يصبح قادراً على رفع مستوى الإنتاج والدخل القومي، وبالتالي زيادة الدخل الحقيقي للأفراد ورفع المستوى المعيشي بصفة عامة¹⁶.

ولقد تعددت المداخل لتحقيق التنمية الاقتصادية، حيث انتشرت المؤسسات الصناعية الضخمة التي تميزت بالإنتاجية الوفيرة، **Mass production** وانخفاض التكلفة الإنتاجية والتوسع في

¹⁴ رشاد أحمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 102.

¹⁵ Sinha D. Indian village in iransition, (new dlhi. Assoliation publishing Hause; 1969, P21.

¹⁶ عبد المنعم عبد الحي: المتغيرات الاجتماعية والثقافية ودورها في التنمية الاقتصادية، دار نشر الثقافة، القاهرة، 1983، ص 8.

استخدام الآلات ذات الحركة **Automation** وأيضا تنوع الصناعات واستخدام عمال ذوي مهارة عالية¹⁷.

كما يعتبر الزيادة في متوسط دخل الفرد مؤشرا للتنمية الاقتصادية ويقصد بها الزيادة المصاحبة للتقدم والتغير في أساليب الإنتاج السائدة¹⁸.

وفي رأينا، أن عناصر الإنتاج لا يمكن وحدها أن تحدد ما يكون عليه المجتمع من الناحية لأن مقدار ما تدره تلك العوامل الإنتاجية يتوقف على حالة البيئة الاجتماعية التي تزاوّل خلالها الأدوار لتلك العمليات الاقتصادية، ولهذا يعتبر الاعتماد على المتغيرات الاقتصادية وحدها مثابة إستراتيجية منعزلة، وما يؤكد ذلك أن كثير من الكتابات الحديثة في التنمية اتجهت نحو توضيح العلاقة المتبادلة بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية وعلى سبيل المثال: يذهب **بركسي** إلى "أن التنمية الاقتصادية ترتبط إلى حد كبير بالقدرات الإنسانية والاتجاهات الاجتماعية والظروف السياسية" ويؤيده في ذلك "**دافيدرايت**" الاقتصادي الأمريكي حيث يشير في هذا الصدد إلى أن العوامل الرئيسية المؤدية إلى التنمية الاقتصادية هي غير اقتصادية وغير مادية الطابع ويضيف قائلا: "أن الروح نفسها هي التي تقيم الجسد"¹⁹. ويعني في ذلك أهمية الترابط ما بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

3-4- المدخل الديني للتنمية: تمثل الأديان مصدرا أصيلا لقيم المجتمع، بل أنها تعتبر موجهة لكل عمليات التنمية ولم يكن غريبا أن تصبح الأديان وما تنطوي عليه من قيم هدفا لدراسات ومؤشرات²⁰. تحاول توضيح فاعلية أو عدم فاعلية هذه القيم في نجاح التنمية ولقد ظهرت كتابات تشير إلى تدخل رجال الكنيسة في المجتمعات الغربية إبان العصور الوسطى، أدى إلى تقييد النشاط الاقتصادي، وظهور أنشطة مستترة كالتهريب والقرصنة والمضاربة والربا، بل أن بعض الأفراد في المجتمعات الغربية المسيحية ضاقت بهم السبل فأعلنوا عصيانهم على الكنيسة ولاذوا بالفرار إلى بلاد الشرق وإفريقيا، حيث لا قيود ولا حرمان، ولقد كان لكتابات **ماكس وير Max Weber** عن الإصلاح البروتستانتي أثر واضح في جعل العقيدة المسيحية تتوارى في العديد من المجتمعات الغربية لتطف الاتجاهات المادية على كل ضروب النشاط والحياة²¹.

وقد حث الإسلام على التنمية وعمارة الأرض، وقد بدأت الدولة الإسلامية تجربتها في إنشاء مجتمع إسلامي متنام، حيث انطلقت من أول وهلة في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم: من نقطة الصفر

¹⁷ Wilbert E.Moor, world Medermization (M.y.Elsevier, Norths Holand in, 1969, p21.

¹⁸ عمر ولي الدين، التنمية والتخطيط الاقتصادي، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1973، ص209.

¹⁹ حسين عمر: الدخل والتنمية الاقتصادية، مطبعة الديوان، القاهرة، 1956، ص8-9.

²⁰ رشاد أحمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص104.

²¹ عبد المنعم عبد الحي، المرجع السابق، ص14.

من حيث الإمكان، ولم يكن لديها ما تملك للاضطلاع بمهامها الجسيمة في المجال الاجتماعي والسياسي والعسكري على حد سواء، ولكننا نراها تقوم بهذه المهمات دون إهمال ولا إرجاء حتى اكتمل نموها، نراها منذ اللحظة الأولى تنفذ فعلا كل خططها في كل المجالات²²، وقد استطاعت أن تصل إلى حالة من التقدم الاقتصادي والاجتماعي في وقت قصير فاقت به كل الأمم الأخرى القائمة آنذاك.

استنادا إلى النظرة الإسلامية الشاملة لجوانب البناء الاجتماعي المختلفة²³، فإن طبيعة التنمية كجزء من النظام الإسلامي الشامل للحياة تتلخص فيما يلي:

- أن التنمية الإسلامية ذات طبيعة شاملة فهي تتضمن النواحي المادية والروحية والخلقية... إلخ فهي إذا نشاط يقوم على قيم وأهداف المجتمع بغية تحقيق كرامة ورفاهية الإنسان في كل هذه الأبعاد المختلفة ولا تقتصر الرفاهية المستهدفة على هذه الحياة الدنيا بل إنها تمتد أيضا إلى الحياة الأخرى دون تعارض بين الحياتين، وهذا البعد التنموي الإسلامي لا يوجد في المفهوم المعاصر للتنمية.

- أن نواة الجهد التنموي ولب عملية التنمية هو الإنسان نفسه الذي كرمه الله وأعزه.

قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"²⁴.

لذا فإن التنمية تعني توفير متطلبات كرامة الإنسان وعزته شاملة بذلك بيئته المادية والثقافية والاجتماعية، أما في المفهوم المعاصر فإن المجال الحقيقي للأنشطة التنمية يتركز في البيئة المادية فقط.

فالإسلام من جهة يحول بؤرة الجهد التنموي من البيئة المادية إلى الإنسان في وضعه الاجتماعي، ومن جهة أخرى يوسع مجال السياسة الإنمائية وما يترتب عليه من زيادة عدد المتغيرات والأهداف في أي نموذج ليتم عمله للاقتصاد، ونتيجة أخرى لذلك التحول في التركيز هي ضمان مشاركة الناس إلى أقصى حد في كافة مستويات اتخاذ القرارات وتنفيذ الخطط وعوائد التنمية.

إن التنمية الاقتصادية والاجتماعية متعددة الأبعاد: حيث يجب بذل الجهود في عدت اتجاهات في نفس الوقت، لذا فالتركيز على جانب واحد فقط ليس له ما يبرره في الإسلام. فهو يهدف إلى إحداث التوازن بين مختلف العوامل والاتجاهات.

وإن التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتضمن عددا من المتغيرات الكمية والنوعية، وذلك لأن الاهتمام بالتغيرات الكمية الضرورية في حد ذاتها قد يؤدي إلى إهمال الجوانب النوعية (الكيفية)

²²مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، دار الشروق، القاهرة، 1974، ص72.

²³محمد عبد المنعم عفر: الاقتصاد الإسلامي (النظام والسكان والرفاه والزكاة)، دار البيان العربي، جدة، السعودية، 1، 1985، ص295-297.

²⁴سورة الإسراء، الآية رقم 70.

للتنمية بصفة²⁵ خاصة وللحياة بصفة عامة، ويحاول الإسلام علاج هذا الاختلال.

ف نجد تركيز الإسلام على ثلاث مبادئ هامة، من المبادئ الحركية (الديناميكية) للحياة الاجتماعية هي:

- الاستخدام الأمثل للموارد والبيئة الطبيعية التي وهبها الله للإنسان وسخرها له يقول الله تعالى: " لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً " ²⁶، ويقول جل شأنه " وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ " ²⁷.

- الالتزام بأولويات تنمية الإنتاج والتي تقوم على توفير الاحتياجات الضرورية الدينية والمعيشية لجميع أفراد المجتمع دون إسراف أو تقتير قبل توجيه الموارد لإنتاج غيرها من السلع، قوله تعالى: " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " ²⁸.

- إن تنمية ثروة المجتمع وسيلة لتحقيق طاعة الله ورفاهية المجتمع وعدالة التوزيع بين أفراد كحق أساسي للمجتمع على أفراد وفي هذا يقول الله تعالى: " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا (36) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْنُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (37) " ²⁹.

ويقول عز وجل: "لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۚ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177) " ³⁰.

فقد جعل الله حق المجتمع في الثروة مقترنا بعبادته سبحانه، وإن عدم الوفاء بهذا الحق كفر بالنعمة يستوجب العذاب الأليم.

والإسلام بذلك يعمل على أن تكون التنمية شاملة للأبعاد الروحية والخلقية والمادية للفرد والمجتمع بما يؤدي إلى تحقيق أقصى رفاهية اقتصادية واجتماعية ممكنة والمنفعة القصوى للجنس البشري ³¹.

²⁵ هشام مصطفى الجمل، دور السياسات المالية في تحقيق التنمية الاجتماعية، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 2007، ص 224-225.

²⁶ سورة لقمان، الآية رقم 20.

²⁷ سورة الأعراف، الآية رقم 10.

²⁸ سورة الأعراف، الآية رقم 31.

²⁹ سورة النساء، الآيات 36-37.

³⁰ سورة البقرة، الآية رقم 177.

³¹ هشام مصطفى الجمل، المرجع السابق، ص 225.

وأما التوازن في الإسلام فيعني أن التنمية لا تستهدف الكفاية فحسب أي زيادة الإنتاج والحث عليه، وإنما أيضا عدالة التوزيع، وأن لا ينفرد بالتنمية قطاع على حساب قطاع آخر أو نشاط آخر، أو تفضل الصناعة على التجارة أو تقدم الكماليات على الضروريات، ولكن لابد من توازن إنمائي في مختلف قطاعات التنمية في المجتمع، ولقد ظهرت كتابات تحاول كل منها أن تصور الدين على أساس أنه معوق للتنمية، ويعتبر كل من نورمان بوكان وهوارد أليس مثالا لذلك، حيث أنهم ذكروا بأن كثيرا من البلدان التي لم تضرب بسهم وافر من مضمار التقدم تسودها وتسيطر عليها قيم وآراء تستمد أصولها من الديانات غير المسيحية كالإسلام والبوذية والكونفوشيوسية... إلخ، وهناك بحث "العوامل غير الاقتصادية في تخلف الريف الماليزي، حيث يرى المؤلف أن هذا التخلف راجع إلى الإصرار الغريب لأولئك الريفيين على مقاومة التغير وإلى بعض المعتقدات الإسلامية التي تجعلهم "قديرين في نظرهم للحياة" كما تعكس دراسة أخرى لتكشف عن علاقة التدين بين المسلمين بالتحديث فكرا وسلوكا ويرى أن الإسلام يعني الخضوع وفقدان حرية الإرادة الإنسانية الذي يتنافى مع التحديث.

واضح من ذلك أن هذه الافتراءات تحاول النيل من قيم الدين الإسلامي الحنيف، فالشرائع السماوية مهما تسامت بروحانياتها لم تحرم الإنسان من حرية العمل والإنتاج والتمتع بنتيجة هذا العمل والإنتاج، وهي لم تقف أمام التنمية إلا بقدر تفاوت شريعة وأخرى بين التحليل والتحريم، ما قد جاء الدين الإسلامي بمنهج كامل لتنظيم الحياة الاجتماعية واهتم بالجانب المادي في حياة الفرد بقدر اهتمامه بالجانب الروحي، لأنه لا غنى لجانب دون آخر.

وفي إطار ما تقدم يمكن أن نقول أن القيم الدينية الإسلامية هي أساس كل المداخل، سواء كانت اقتصادية وثقافية واجتماعية، وسياسية، ويمكن أن نقول أن هناك مؤشرات دينية ترتبط بحساب الآخرة، ومؤشرات أخرى ترتبط بأعمال الدنيا، فكلها تخص كما سنذكره على إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، وعلى بذل الجهد من أجل تقدم ورخاء المجتمع الإسلامي في إطار ذلك نلاحظ أنه يمكن وضع بعض المؤشرات الدالة على التنمية في ضوء المدخل الديني هي:

- التعاون الإسلامي بين أفراد المجتمع.
- مشاركة المؤسسات الإسلامية في عمليات التنمية.
- المشاركة في النهوض بالمجتمع وتقدمه.
- العدالة للجميع... إلخ.³²

³²رشاد أحمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص-ص 106، 107.

3-5- المدخل التكاملي: هذا المدخل هو الأسلوب التكاملي في معالجة مشكلات التخلف، ويقوم على أساس أن التنمية لا يمكن النظر إليها من مدخل معين ولكن لابد من الأخذ في الاعتبار كافة المداخل المؤدية إلى التنمية (اقتصادية، اجتماعية، دينية، سياسية... إلخ) على أساس أن:

- الاحتياجات والمشكلات تعددت، ولابد من أخذها جميعا في الاعتبار عند التخطيط لمواجهةها.
- هناك حلقات متعددة في التنمية، ولذلك لابد من تكامل المنظور العملي والتطبيقي لهذه الحلقات.
- أن التنمية نظام الحكم المحلي في المجتمعات المحلية كان أساسه عمل برامج تنمية ناجحة تأخذ في اعتبارها كافة مكونات المجتمع المحلي ومسالكه واحتياجاته ويعتبر ذلك جوهر الأديان السماوية (الدين الإسلامي)، الذي عمل على إحداث التكامل والتعاون والتكافل الإسلامي، ولقد دعا إلى هذا الاتجاه التكاملي أيضا. هيئة الأمم المتحدة والمعهد الدولي للإصلاح الريفي **I.I.R.R** حيث يرون أن حركة الإصلاح الريفي يجب أن تتضمن الإصلاح الاقتصادي والتربوي والصحي والعمري وكافة برامج الرعاية الاجتماعية للفئات النوعية المختلفة³³.

كما تبني هذا الاتجاه عدد كبير من الباحثين والكتاب الغربيين والعرب منهم: آلن، برين وسيجوار، د أحمد حسين، وتجربة المراكز الاجتماعية بالريف المصري، وتبنوا فكرة المراكز الاجتماعية، وهي تلك الفكرة التي شاعت في الأربعينيات تحت اسم: "مراكز المجتمع" في كثير من الدول المستعمرة، ويمكن أن ندخل تحت هذا الاتجاه بعض الباحثين المعاصرين لقضية التنمية مثل الدكتور **هامشوري الهندي**، وكذلك الدكتور **عبد المنعم شوقي**، أحمد كمال، أحمد سيد بكر، د. عبد الباسط حسن، كما دخل تحت هذا المدخل الاتجاهات الرسمية في التنمية تعبر عليها البرامج الحكومية في بعض الدول النامية كإندونيسيا وباكستان، ومصر، حيث أبرزت التجربة بعض النواحي التي يمكن أخذها في الاعتبار عند العمل بالمدخل التكاملي للتنمية هي:

- تطوير وتنمية كافة جوانب الحياة الاجتماعية.
- تنمية الروح المجتمعية لدى الأهالي.
- تنمية قدرة الأهالي على الاعتماد على أنفسهم.
- تحويل القرى إلى وحدات للحكم الذاتي³⁴.

³³نبيل السمالوطي، علم اجتماع التنمية، طبعة (1981)، المرجع السابق، ص137.

³⁴رشاد أحمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص110.

- خلاصة:

إن التنمية موضوع الساعة في كل المجالات والتخصصات العلمية، وهي الهدف الذي تصبوا له كل الدول سواء كانت متقدمة أو سائرة في طريق النمو، ان المساعي الرامية إلى تحقيق التنمية والتي تبذلها الأنظمة هي في حقيقة الأمر دافع نابع من سعى هذه الأخيرة لتوفير حياة كريمة لشعوبها، ولكن الامر في سياق التطورات والتغيرات المتسارعة نتاج العولمة وتداعيات التي أصبحت تشهدها المعمورة أصبح لزاما على الأنظمة الطامحة لتحقيق التنمية أن تراعي كل الجوانب المتداخلة فيها، والتي من شأنها أن تحقق تنمية وفق مسارات علمية وأسس سليمة نابعة من تخطيط استراتيجي، لا مجرد تصورات لغد أفضل والابتعاد عن السياسات الموهونة بأجآل زمنية تتغير بتغير تلك الآجال والسياسات، لأن التنمية في مفهومها الشامل هي تلك السياسات بعيدة الأمد، ونحن في مداخلتنا هذه نتبنى المدخل التكاملي في التنمية، فالتنمية لها أبعاد امنية واجتماعية واقتصادية وسياسية وبشرية وبيئية، فلا يمكن أن تتم التنمية في جانب دون آخر.

قائمة المصادر و المراجع :

أ- القرآن الكريم

ب- الكتب

1. رشاد أحمد عبد اللطيف، التنمية الاجتماعية في إطار مهنة الخدمة الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر، ط1، الاسكندرية، 2007.
2. عبد الباسط حسن، التنمية الاجتماعية، مكتبة هومة، ط2، القاهرة، 1977.
3. U.N community développement and national développement 1963.
4. أحمد كمال أحمد، مناهج الخدمة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977.
5. نبيل السمالوطي: علم اجتماع التنمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1987.
6. عبد الحليم رضا عبد العال، الخدمة الاجتماعية المعاصرة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986.
7. Sinha D. Indian village in iransition, (new dlhi. Assoliation publishing Hause; 1969.
8. عبد المنعم عبد الحلي: المتغيرات الاجتماعية والثقافية ودورها في التنمية الاقتصادية، دار نشر الثقافة، القاهرة، 1983.
9. Wilbert E. Moor, world Medermization (M.y. Elsevier, Norths Holand in, 1969.
10. عمر ولي الدين، التنمية والتخطيط الاقتصادي، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1973.
11. حسين عمر: الدخل والتنمية الاقتصادية، مطبعة الديوان، القاهرة، 1956.
12. مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، دار الشروق، القاهرة، 1974.
13. محمد عبد المنعم عفر: الاقتصاد الإسلامي (النظام والسكان والرفاه والزكاة)، دار البيان العربي، جدة، السعودية، ط1، 1985.
14. هشام مصطفى الجمل، دور السياسات المالية في تحقيق التنمية الاجتماعية، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 2007.
15. طلعت مصطفى السيروجي، التنمية الاجتماعية المثال والواقع، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، جامعة حلوان، مصر، 2001.



دار الجامعيين
للنشر و الطبع و التوزيع

Adresse : Maison des universitaires pour l'édition,
l'imprimerie et la diffusion, Cité 268 logements LSP, local
405, Oudjlida Tlemcen, Algérie

Téléphone : (+213) 06 99 13 35 15

Adresse mail : maisonuniversitaires@gmail.com

ISBN : 978-9969-538-11-3

الايداع القانوني: 04/2024

جميع الحقوق محفوظة

لدار الجامعيين للنشر و الطباعة و التوزيع